A
956.9405
D597m

المقاومة الفلسطينية

الواقع والتوقعات

B. C. W. Library
- 7 SEP 1971
RECEIVED

كتاب خاص

صادر عن مجلة "دراسات عربية"

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى
تموز (يوليو) ١٩٧١

مدخل

كانت المقاومة الفلسطينية ابرز ظاهرة في السنوات الست الاخيرة . يعود ذلك في رأيي الى ثلاثة عوامل :

اولها : انها احيت القضية الفلسطينية المرشحة للنسيان ، وجددت حيوية الشعب الفلسطيني ، بعد سنوات من المذلة والضياع والهوان .

ثانيها : انها ايقظت الجماهير العربية من حيرتها وذهولها بعد مأساة الوحدة بين مصر وسورية ، وبعد هزيمة حزيران .

ثالثها : انها احدثت نقلة نوعية في اساليب الكفاح ، فمن النضال السياسي الى القتال المسلح ، ومن حركة النخبة او الحزب الى حركة الجماهير .

ولكن هذه الظاهرة على اهميتها وخطورتها ، وعلى الرغم من انها كانت تحولا في ميدان العمل السياسي عانت من نقائص اساسية يمكن تلخيصها بما يلي :

اولا : كانت المقاومة ردا على التحدي الصهيوني الامبريالي ــ الرجعي . ولما كان هذا التحدي اعنف تحديات العصر ، فقد كان مطلوبا مِن المقاومة ان تواجهه باستراتيجية واضحة ، وتنظيم متماسك فعّال، وحركة جماهيرية موحدة ومثورة. ولكن الاستراتيجية لم تكن واضحة والتنظيم لم يكن متماسكا ولا فعالا ، وحركة الجماهير لم تكن موحدة ولا مثورة .

ثانيا : كانت المقاومة الفلسطينية بادرة رد عربي على التحدي الصهيوني ــ الامبريالي الرجعي ، الا انها في الواقع لم تستطع ان تحقق من «عروبتها» الا استقطاب التأييد العربي ، ولا اكتسبت من هذا التأييد الا «المباركة» العابرة . ولما كان التحدي الصهيوني ــ الامبريالي من اعنف تحديات العصر ، فان مجابهته بقوى الشعب الفلسطيني وحدها ، ليست الا مجابهة ضيقة ومعزولة ، ستستطيع ان تزعج الخصم وتهزه ، ولكنها لن تستطيع ان تهزمه ، وستكون في الوقت عينه عرضة لضربات الرجعية العميلة ، حليفة التحالف الامبريالي ــ الصهيوني .

كانت المقاومة خلال السنوات الماضية عاجزة عن احداث هذا التحول في استراتيجيتها وتكتيكها . لان بعض قياداتها ارادت ان تكون ممثلة قطر جديد ، اقليم جديد ، ولأن بعضها اراد ان يكون في ضيافة هذا النظام او ذاك، ولأن بعضها الاخر لم يستطع ان يخرج من الحلقة الفلسطينية المفرغة التي وضع نفسه فيها .

وهكذا فقدت المقاومة العامل الاستراتيجي الاساسي في قوتها ، ان تكون قوة الجماهير العربية قوتها في مواجهة التحدي الامبريالي – الصهيوني الرجعي .

كان هذا يقتضي الالتحام بحركة الجماهير العربية ، عن طريق الالتقاء بقواها المنظمة على اساس برنامج ، وتنظيم قواها العفوية ووضع كل طاقاتها في خدمة الثورة . وبهذا فقط كانت المقاومة تستطيع ان تحدث تحوّلا في مواجهة الاحتلال الصهيوني ومواجهة القوى المضادة للثورة على الارض العربية .

ومن الانصاف ان نؤكد ان المسؤولية لا تقع في هذا كله على المقاومة ، ففصائل حركة التحرر الوطني العربية مسؤولة ايضا ، وبالمقدار نفسه .

ثالثا : وكانت المقاومة ، حتى في مجال الشعب الفلسطيني ، عاجزة عن استيعاب قواه كلها ، وتعبئتها وتنظيمها وحشدها للمعركة . ان ما حشد من طاقات الشعب الفلسطيني ضئيل ، ولم تكن طريقة حشده وتعبئته متلائمة مع طبيعة الحشد والتعبئة المطلوبين في حرب الشعب البعيدة المدى ...

بنقائص من هذا الطراز واجهت المقاومة معركة ايلول ، وبالعقلية عينها واجهت ما بعد ايلول ، وكان ان حدثت التراجعات .

ولا بد ان نقف لحظة عند هذه التراجعات ، لان هنالك محاولات لتهويلها او التقليل من اهميتها . ولأن هنالك من يرى فيها انهيارا تاما لحركة المقاومة ، بينما يحاول اخرون ان يعتبروها مجرد حدث عابر . والواقع ان هذه التراجعات لا يجوز ان تكون موضع تهويل او تقليل . لاننا بذلك لا نراها موضوعيا ، فتصبح اما طريقا لليأس القاتل او طريقا للطيش القاتل .

ان يكون مثل هذه التراجعات قد حصل كثيرا في التاريخ ، امر لا شك فيه. فالثورات تتراجع كما تتقدم ، تكر وتفر ، توجه الضربات وتحاول ان تتلافى الضربات ، تنتصر في معركة او معارك وتهزم في معركة او معارك . والثورات تتراجع اما لانها تستعد للتقدم ، او لانها تمركز قواها بعد انتشار ، خشية ضربة كبيرة ، او استعدادا لتوجيه ضربة كبيرة . ولكنها قد تتراجع نتيجة عجز عام يصيبها ، او خلل اساسي في استراتيجيتها وتنظيمها ، وهذه اخطر انواع التراجعات .

ومثل هذه التراجعات يحتاج الى قدرة على التقييم السريع الحاسم ، والى قدرة على معرفة الاسباب الحقيقية للعلة ، والى تصميم على ازالة اسبابها ...

ما حدث للمقاومة الفلسطينية بعد ايلول هو من هذه التراجعات . وهو لذلك لا يجوز ان يعتبر مجرد تراجع ... انه ليس تكتيكا ، وليس ناتجا عن خطة . انه عبارة عن عجز . وهذا يجب الا يخيفنا . فالعجز ليس سببا كافيا لليأس

والاستسلام . واذا كان مطلوبا منا الا نخافه ، فليس مطلوبا منا ان نتجاهله ، لان تجاهله يقتل كالخوف منه . والحل واضح وبسيط : التخلص من العجز وذلك باعادة النظر في الاستراتيجية الشاملة واعادة بناء التنظيم والقوات المقاتلة على اسس صحيحة والعودة الى الهجوم ...

وضروري ان نعرف عجزنا لنستطيع تجاوزه .

والمقاومة لانها لم تحدد اسباب عجزها حتى الان ، ولم تبدأ بمعالجتها ، يحس بعض المثقفين ، وبعض الناس عموما انها في طريق الانهيار . ويقوم بعض المنظرين العجزة والمثقفين الثرثارين بعملية رثاء وتشفي يومية ... معلنين يوميا موت المقاومة ودفنها . انهم ، بذلك ، شعروا او لم يشعروا ، يخلقون الجو المناسب للاستسلام ، ويبررون هزيمتهم وخيبتهم واستسلامهم . انهم بدلا من ان يقاتلوا يسدون ابواب الامل في عيون المقاتلين ، وبدلا من ان يصححوا يراكمون الاخطاء ويعقدونها . وهم في هذا كله يزيدون من الشعور بأن المقاومة تلاشت او تكاد...

ان المقاومة لم تتلاش بعد ، ذلكان لديها من القوى المنظمة ، في الاردن وخارج الاردن ، ما يجعلها قادرة على مواجهة التحدي الكبير ، كما ان لديها جماهير فلسطينية وعربية مستعدة للبذل والعطاء قادرة عليهما ، مؤمنة بالتحرير ايمانا ليس له حدود .

وهذا يجعل مأزق المقاومة ذاتيا . انه يتعلق بها ، بقيادتها ، باستراتيجيتها ، وبقدرتها على استخدام القوى الحاملة لواءها .

ويتطلب تحقيق هذا :

١ – خطا سياسيا عسكريا سليما واضحا محددا تستلهمه من ظروفها الواقعية وامكانياتها ، ويكون قادرا على تحديد التناقضات الاساسية والثانوية والاعداء الرئيسيين والثانويين ، كما يكون قادرا على تحديد «نهج المقاومة» وحل الاشكالات الطارئة وتعبئة اوسع الجماهير .

٢ – قيادة ثورية سليمة : تدرك ابعاد هذا الخط السياسي – العسكري ، وتكون قادرة على تطبيقه بروح خلاقة . ولا بد لهذه القيادة من ان تكون حازمة وواعية ، مؤمنة بالتنظيم الثوري وبالجماهير الشعبية .

٣ – جبهة وطنية موحدة : على صعيد الشعب الفلسطيني ، وعلى صعيد الامة العربية كلها ، لان العجز عن تحقيق جبهة وطنية متماسكة وفعالة ، يترك قوى الشعب مبعثرة امام العدو . ولأن جبهة وطنية عربية واسعة وعريضة شرط اساسي من شروط انتصار الثورة .

٤ – تنظيما ثوريا ، متماسكا وفعالا ، ينظم الجماهير ويعبئها ، ويخطط للجبهة ويقودها . ان هذا التنظيم الثوري الشعبي المقاتل هو وحده الذي يجعل تحقيق النصر ممكنا .

وعلى المقاومة ان تضع هذا الخط ، ان تخلق هذه القيادة ، ان توجد مثل هذه الجبهة ومثل هذا التنظيم ، اذا ارادت الا تنقرض او تصبح ذيلا لهذا النظام

او ذاك . فالمعركة طويلة وشرسة ودموية ، والاعداء حاقدون حازمون مستعدون. وعلى الصعيد العربي اصبحت الحروب الاهلية سمة بارزة من سمات هذه المرحلة (الحرب الاهلية في اليمن شماله وجنوبه ، الحرب الاهلية في الاردن) . وما مضى قد يكون ضئيلا بالنسبة لما سيأتي . وان خط الحروب الاهلية في عهد الثورة على الامبريالية خط يزداد كل يوم وضوحا ، لا على الصعيد العربي فحسب ، بل على صعيد العالم الثالث كله . فالامبريالية تستغل اقطار العالم الثالث وتوظف الطبقات او الفئات الخائنة في قمع الجماهير ، وقمع الثورة الشعبية .

واذا كانت الامبريالية تسعى لضمان استمرار سيطرتها على الوطن العربي كله ، فانما تفعل ذلك من خلال دولة الاحتلال الصهيوني ، ومن خلال انظمة عربية عميلة كالنظام في الاردن . ان الامبريالية قد استخدمت دولة الاحتلال الصهيوني سنة ١٩٦٧ لضرب الجيوش العربية ، ولكنها استخدمت النظام الاردني سنة ١٩٧٠ لضرب حركة المقاومة .

فالامبريالية تريد حلا واحدا في المنطقة ، ليس حلا سلميا على اية حال . انه الحل الذي تفرضه الامبريالية وعملاؤها والصهيونية وتنفذ اهدافها على الامة العربية . وهذا الحل استسلامي بطبيعته . ولهذا فان الولايات المتحدة تقود عملية تعزيز قدرات الجيش الصهيوني ، كما تعمل على تعزيز القدرات العسكرية للنظام الاردني . وهي تفعل ذلك لتزيد من قدراتها الضاربة محليا ، حتى لا تتورط كما تورطت في فياتنام .

وان اسقاط الحل الامبريالي وهزيمة المؤامرة ، مؤامرة تصفية الشعب الفلسطيني وقضيته ومقاومته لا يكون الا بما ذكرنا وعلى المقاومة ان تختار اذ « ان بين الهزيمة الكبيرة والنصر الكبير فجوة صغيرة ، ونحن نعيش الان على شفا هذه الفجوة ، وعلينا ان نختار بسرعة وبدقة» .

***

ولقد حاولنا في هذا الكتاب الخاص ان نتيح المجال لفصائل المقاومة من جهة ، وللمثقفين من جهة اخرى كي يطرحوا قضايا المقاومة ويناقشوها . ولما كانت قضايا المقاومة كثيرة ومعقدة وتتطلب جهودا اكبر من جهود نفر متفرق من الباحثين ، فاننا نقول سلفا ان هذا الكتاب يساهم في طرح القضايا الهامة لحركة المقاومة .

ونأمل ان يكون هذا الجهد باكورة طرح جدي للقضايا المصيرية . وسوف نعمل على استمرار هذا الحوار وتطويره على صفحات مجلة «دراسات عربية» .

وقبل ان نختم هذه العجالة لا بد لنا من ان نشير الى ان هذا الكتاب لا يعطي المقاومة في الداخل حقها . وهو ما نعد بتغطيته في دراسة مقبلة .

ناجي علوش

ف. لوتسكي

الامبريالية الانكليزية وثورة تشرين الاول في فلسطين

ترجمة : رياض يونس

اولا ــ الصهيونية ــ السند الرئيسي للامبريالية الانكليزية في فلسطين .

في تشرين الاول سنة ١٩٣٣ (*) نشبت ثورة في فلسطين ضد الامبريالية الانكليزية . وخلافا للثورة السابقة ــ آب (اغسطس) ١٩٢٩ ــ (**) اندلعت هذه الثورة تحت تأثير اوضاع داخلية وخارجية جديدة، وذلك بانتهاء الركود النسبي للرأسمالية واثناء حدة ازمة النظام الرأسمالي وبلوغ التناقضات الرأسمالية والطبقية ذروتها ، واثناء تصاعد الموجة الثورية في جميع البلدان الرأسمالية والبلدان المستعمَرة في العالم .

حددت هذه الظروف الجديدة طابع الثورة الاخيرة . ومن خلالها يصبح الطرح النوعي الجديد لمسألة تطلعات هذه الحركة مشترطا بتصاعد الازمة الثورية . واذا كانت الجماهير قد دخلت في سنة ١٩٢٩ في كفاح ضد عملاء الامبريالية ، اي ضد المستعمرين الصهاينة (١) ، فانها قادت سنة ١٩٣٣ كفاحا مباشرا ضد الامبريالية

(*) نشر هذا المقال في مجلة «Agrar-Probleme» (مشاكل زراعية) الصادرة عن المعهد الزراعي العالمي في موسكو ، الجزء الرابع ، المجلد ٣/٤ ، سنة ١٩٣٣ .

(**) راجع «دراسات عربية» ، السنة السادسة عدد آب سنة ١٩٧٠ ــ المترجم ــ .

(١) الصهيونية هي حركة البورجوازية اليهودية ، التي تهدف لما يلي : تشجيع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، انتزاع القسم الاكبر من ملكيات الارض في فلسطين ، تأسيس دولة يهودية في فلسطين ضمن نطاق الامبراطورية البريطانية . ومن خلال مساندة المهاجرين اليهود من البورجوازية الصغيرة ، تضطهد البورجوازية اليهودية ، على المجال القومي والاقتصادي ، السكان الاصليين في فلسطين ، اي جماهير الشغيلة العرب . فالصهيونية هي حاملة السياسة الامبريالية الانكليزية ، عميلتها وسندها الرئيسي .

الانكليزية ، وذلك بهجومها على مبان حكومية وثكنات عسكرية. واذا كانت الجماهير في سنة ١٩٢٩ قد بقيت تحت النفوذ غير المجزأ للاصلاحيين الوطنيين ، فان هؤلاء الاصلاحيون قد بدأوا في سنة ١٩٣٣ يفقدون التأثير على الحركة . في سنة ١٩٢٩ اشتركت جماهير الطبقة العاملة بشكل ضعيف في الحركة ، فالحزب الشيوعي وقف خارج الحركة ووقع في سلسلة من الاخطاء اليمينية الانتهازية. ولكن ما حدث في سنة ١٩٣٣ كان على العكس ، فقد اشتركت الطبقة العاملة في المظاهرات ووقفت وراء المتاريس في الصفوف الاولى ، والحزب الشيوعي الفلسطيني رفع شعارات جوهرية صحيحة ، وكافح وهو يكافح في سبيل قيادة الحركة ، ويقود كفاحا في سبيل قيادة البروليتارية للثورة الزراعية المتصاعدة ضد الامبريالية .

ولكن الثورتين في سنة ١٩٢٩ و١٩٣٣ تتشابهان في مجالات عديدة ، ولهما نفس السبب قبل كل شيء — الا وهو النير الاستعماري للامبريالية الانكليزية ، التي عبّرت عن نفسها بشكل رئيسي في الاستعمار الاستيطاني الصهيوني ، الذي كانت نتائجه سرقة الاراضي دون حساب ، والطرد الجماعي للفلاحين العرب من الارض ، والقضاء على مزارع الفلاحين ، وتحويل الفلاحين الساكنين على ارضهم الى بروليتارية معدمة وفقراء معدمين .

ان الامبريالية تشجع الاستعمار الصهيوني ، وذلك لتثبيت سلطتها في البلاد. والصهاينةيقومون بدور الجندرمة (الدرك) والجلادين، وهم سند الامبريالية الانكليزية في كفاحها ضد الحركة الوطنية الثورية العربية . كتب الكاتب الصهيوني «هانس كون» يقول :

«ان العرب يعتبرون الصهيونية حليفا للامبريالية الانكليزية . ويشدد قادة الصهاينة المسؤولين على المزايا التي يقدمها وطن قومي يهودي في فلسطين للانكليز فيما يتعلق بحماية الطريق المؤدية الى الهند ، وذلك بسبب ان الصهيونية تشكل قوة تقف في وجه التيار القومي للعرب» (١) .

انه لشيء طبيعي بأن يتجه غضب الجماهير العربية في الدرجة الاولى ضد هذه الوكالة الامبريالية . وهكذا رفعت الجماهير العربية كأحد الشعارات الرئيسية للحركة الوطنية التحررية العربية في فلسطين ، وقف الهجرة الصهيونية والسرقة الصهيونية للاراضي . وراء هذا الشعار سارت ثورة الفلاحين الفلسطينيين في آب ١٩٢٩ ووراء نفس الشعار حدث نشوب ثورة سنة ١٩٣٣ .

وحتى الامبريالية الانكليزية لم تستطع تغطية السبب الرئيسي للتظاهرات الثورية لجماهير الفلاحين الفلسطينية. فشو Shaw رئيس لجنة استقصاء الحقائق ، الذي قام بدراسة اسباب الثورة الاولى ، وجد نفسه مجبرا على اعتبار السبب الرئيسي للثورة بأنه «مخاوف العرب ، بان يفقدوا وسائل معيشتهم نتيجة

(١) Hans Kohn : « Nationalism and Imperialism in the Hither East » VI Kap.

الهجرة اليهودية وشراء الاراضي ، وبأنهم سوف يقعون مع الزمن تحت سيطرة اليهود » (١) .

لا شك بأن التعبير الذي تعبّر به لجنة شو غير صحيح تماما . ففقدان «وسائل المعيشة» لم يكن ذا رؤية بعيدة المدى في مستقبل بعيد حقنت الفلاحين العرب بـ «مخاوف» مسألية لا غير . انه اكثر من ذلك حقيقة مجسّدة في اليوم الحاضر وغير الحقيقي الذي يحمل عبئه بثقل الفلاحون العرب . وليس « شراء الاراضي» من قبل الصهاينة في الاساس ، والذي يعبر عنه شو بحذر ، الا سرقة الاراضي . والصهاينة ، الذين اشتروا اراضي على نطاق واسع ، والتي كانت شكليا تخص الملاك الكبار ، ولكن في الواقع تشغل من قبل الفلاحين الاجراء ، طردوا الفلاحين من الارض وسلموهم للفقر المعدم وللموت جوعا .

عن طريق عمليات انتزاع اراضي عديدة من الفلاحين ، توصل الصهاينة الى امتلاك اكثر من ١٢٠ الف هكتار ارض ، اي اكثر من ٢٠٪ من مجموع مساحة الاراضي المستغلّة في فلسطين والتي هي من اخصب الاراضي . فلقد انتزعوا لانفسهم ليس فقط مخزن حبوب البلاد وسهل جزرائيل ، وانما ايضا جزءا كبيرا من سهل شارون مع بساتين البرتقال وكروم العنب الواقعة فيه .

في تطبيق عملية انتزاع اراضي جماهير الفلاحين وجد الصهاينة دائما مساندة من الملاك الكبار من السكان الاصليين . فسهل جزرائيل الذي يشكل على سبيل المثال املاكا فلاحية في الواقع ، اشتراه الصهاينة فقط من مملكة الملاك الكبار السرسقية . واما الفلاحون فقد طردوا من ارضهم اما من قبل الملاك الكبار مباشرة ، او من قبل القوى المتحدة للملاك الكبار والصهاينة . فأسس المنتزعون الصهاينة من اجل هذا الهدف فرقا مسلحة خاصة كانت تقوم بالبنادق والرشاشات بتطبيق شعارها «كيبوش هاراتس» — اي انتزاع الارض بالقوة — .

«ان انتزاع الصهيونيين للاراضي سيشكل بالنسبة للفلاحين اخطر واقسى شيء» ، هكذا قالت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في تقييمها للكفاح ضد الصهيونية. «فبينما لم يطرد الفلاحون مبدئيا من اراضيهم مباشرة من خلال انتزاع الاراضي من قبل الحكومة او من قبل الملاك ، بالرغم من ان عملية الانتزاع هذه قد اوجدت المقدمات القانونية لهذا النوع من الطرد من الارض ، فقد طردت الجمعيات الصهيونية الفلاحين نهائيا من اراضيهم . حسب احصائيات ل. فرّاخ Ferach اخرج ٨٧٢٠ فلاح من السهل الشمالي فقط . واذا زيد على ذلك كمية الاراضي المنتزعة في المناطق الاخرى من البلاد في السنين الاخيرة ينتج عن ذلك بأن اكثر من ٢٠ الف فلاح طردهم الصهاينة من اراضيهم». وكذلك يختلف الانتزاع الصهيوني للاراضي عن الانتزاع الذي قامت به الحكومة والاقطاعيون ، بأنه لم يترك للفلاحين اي امكانية للحصول على عمل، وحوّل الفلاحين المنتزعة اراضيهم

(١) من تقرير لجنة شو الصادر في لندن .

الى (جيش احتياطي) للصناعة ، والى جيش من (العمال بدون سكن) » (١) .

هذه السرقة الصهيونية طبقت بمساعدة الحكومة الامبريالية والملاك من السكان الاصليين ، وضمن تكملة الاستغلال الامبريالي والاقطاعي للفلاحين .

وتعتبر زيادة الهجرة اليهودية الى فلسطين احدى المقدمات المهمة للانتزاع الصهيوني للاراضي على نطاق واسع . «فلسطين يجب ان تصبح يهودية كما هي انكلترا انكليزية» — هذا هو شعار المنتزعين . وبشكل علني ومفضوح تقوم البورجوازية الصهيونية باجراءات لخلق «دولة» يهودية ، وتفكر بجعلها مستعمرة انكليزية كجزء من الامبراطورية البريطانية ، وك «محمية سابعة» . وبشكل علني ومفضوح ترفع البورجوازية الصهيونية شعار الهجرة اليهودية الى فلسطين بدون حدود . كتب وايزمان قائد الصهيونيةيقول : «يجب بقدر المستطاع استيطان اكبر عدد ممكن من المهاجرين اليهود في البلاد ، ويجب خلق اوضاع في فلسطين، بحيث يمكن استيطان من ٥٠ الى ٦٠ الف يهودي سنويا» (٢) .

في بلاد يبلغ عدد سكانها مليون نسمة ، يعني ذلك بأن هذه الكمية من المهاجرين سوف تؤدي خلال ٨ الى ١٠ سنوات الى اكثرية يهودية مطلقة . بالمقابلة مع الجزائر ، جنوب افريقيا ونيوزيلاند سوف تتحول فلسطين الى بلاد ، حيث «الى جانب العديد من السكان الاصليين هناك عدد مهم من السكان المستعمرين» (٣) . بالطبع سوف يحصر السكان «الاصليون» على اراض سيئة — على ما يسمى «بالاراضي الاحتياطية» Reservate من النوع الافريقي (٤) ، بينما يتحول الجزء المهم من الاراضي الى ملكية المستعمرين .

سياسة المستعمرين هذه قامت بها عمليا الامبريالية الانكليزية خلال الـ ١٥ سنة من سيطرتها ، بالرغم من ان الصهاينة لم ينجحوا حتى الان بتحقيق الهجرة بالقدر الذي خطط له وايزمان . حتى الان لم ينجح اصطناعيا بخلق اكثرية يهودية في البلاد .

ان الفلاحين الذين يوضعون حول املاكهم لا يحصلون على اراض مطلقا. وحتى في الحالات التي يضمن لهم فيها «تعويض قانوني» تقدم اليهم الاراضي الاحتياطية

---

(١) انظر «Revoluzionnij Wostok» (الشرق الثوري) ، موسكو ١٩٣٢ ، العدد ١—٢ ص ٣٠٤ — بالروسية — .

(٢) Hans Kohn : « Nationalism and Imperialism in the Hither East » London .

(٣) راجع محاضر جلسات المؤتمر السادس للاممية الشيوعية: اطروحات وقرارات، الجزء السادس ص ١٦١ — ١٦٢ .

(٤) يفهم ب «الاراضي الاحتياطية» تلك الاراضي القاحلة غير المثمرة ، التي يحصل عليها السكان الاصليون في البلاد المستعمَرة من قبل الامبرياليين الذين ينتزعون لانفسهم احسن الاراضي في احسن المناطق . ان سياسة الاراضي الاحتياطية هذه التي تطبع البلاد الافريقية المستعمَرةبشكل خاص ، تحمل معها جوعا جماهيريا وزوال السكان الاصليين .

الافريقية في اسوأ اشكالها . والمثال التالي لهذا النوع من «التعويض» يقدمه السير شو في تقريره .

بعد ان انتزع الصهاينة لانفسهم منطقة وادي الحوارث في سهل شارون عرضوا على الفلاحين مقابل ٣١٠٠ هكتار اراضي انتزعوها منهم وصالحة لزراعة الفواكه والبرتقال ، ٥٠٠ هكتار من الاراضي على حدود شرق الاردن بالقرب من الصحراء . — ٥٠٠ هكتار من الاراضي لـ ١٢٠٠ شخص ضمن نطاق اقتصاد مواشي محدود Extensiv — هذا النوع من «الارض الاحتياطية» اوجده الصهاينة «للسكان الاصليين العرب» . ولكن مما يزيد الطين بلة ، بان الصهاينة يجبرون الفلاحين المنقولين من اراضيهم بأن يدفعوا مقابل هذه «الارضالاحتياطية» خمس الانتاج ، مما يشكل حصة من محصول ارض مستأجرة نموذجية في استغلال اقطاعي .

في نفس الوضع اليائس وقع البدو نتيجة انتزاع الاراضي من قبل الصهاينة. «عندما كانت القرى مسكونة من الفلاحين العرب كان البدو ، الذين يسكنون الجبال في الشتاء ، يأتون بعد الانتهاء من لم المحصول الى المنخفضات ويرعون مواشيهم في الاراضي المباعة الان .

ومنذ انتقال القرى الى ايدي الصهاينة منعت عن البدو كما هي الحال بالنسبة للفلاحين» (١) .

هؤلاء الفلاحون والبدو «الممنوعون» من الارض والرعي تريد الامبريالية الانكليزية ان تسكنهم في ارض احتياطية جديدة في المنطقة الصحراوية: بئر سبع. وبهذه الارض الاحتياطية تقوم مشاريع الحكومة لـ «مساعدة» الفلاحين غير المالكين ، كما شرحتها تقارير سمبسون ، شو وفرنش ، بالدعاية .

ويقوم الصهاينة ايضا بالدعاية لسياسة حصر الفلاحين العرب هذه على اراضي احتياطية . يابوتنسكي زعيم الصهاينة التحرفيين (الجناح الفاشستي في الصهيونية) يصل حتى الى مستوى التهديد بطرد العرب الى شرق الاردن . ولكن ايضا بهذه المنطقة يطالب الصهاينة منتزعي الاراضي . ففي سنة ١٩٣٣ قاموا بصفقة شراء اراضي كبيرة في شرق الاردن ساندهم فيها المرتزق الانكليزي الامير عبد الله وجماعة من القادة الاقطاعيين ، الذين ينتمون الى حزب «الشعب» .

ان الامبريالية الانكليزية تنظم وتساند على كل مجال الهجرة الصهيونية والاستعمار الاستيطاني الصهيوني . لا شك بان الامبريالية كانت مجبرة من وقت لآخر وتحت ضغط الحركة الوطنية الثورية بتحديد الهجرة اليهودية كما كان الحال مثلا بعد ثورة آب سنة ١٩٢٩ . ولكن هذا الاجراء كان عمليا مناورة. فالامبرياليون انفسهم يشددون بتكرار على ضرورة الهجرة اليهودية كأحد المبادىء الرئيسية للسياسة الامبريالية في فلسطين . وهم يختلفون مع الصهاينة فقط حول

---

(١) من تقرير لجنة شو .

الامكانيات الواقعية للهجرة في الوضع الاقتصادي والسياسي الحالي . عدا ذلك يشدد الامبرياليون بأن التحديد **الكمي** مرتبط بالسعي للرفع مـــن **الطابع الكيفي** للهجرة ، ولتقوية **التشكيلة السياسية ـ الاجتماعية** بين المهاجرين ، ولترك فاشيين مجربين ورجعيين ذوي خبرة بالمجيء الى البلاد ، والذين مصممين بحزم على تنفيذ سياسة الدم لطاعميهم الخبر الامبرياليين .

وما كان الاضطراب الذي نتج عن ثورة سنة ١٩٢٩ يهدأ حتـــى فتحت الامبريالية ، التي اتت بقوات جيش وبوليس جديدة الى البلاد وشعرت بنفسهـا اقوى تحت حماية هذه القوات العسكرية ، فتحت من جديد الابواب على مصراعيها للهجرة اليهودية . من سنة ١٩٢٢ الى سنة ١٩٣١ ارتفع عدد السكان اليهود في فلسطين من ٨٥ الف الى ١٧٥ الف شخص ، وذلك بشكل رئيسي عن طريـــق الهجرة . في سنة ١٩٣٢ وصلت الهجرة اليهودية الجديدة الى ارفع مستـــوى ب ٢٦ الف شخص سنويا ، منهم ١٢ الف مهاجر «شرعي» و١٤ الف مهاجر «غير شرعي» ، اي هؤلاء الذين حصلوا على سماح بالدخول الى البـــلاد وعلى تأشيرة سياحية ، ومن ثم اخذوا اقامة دائمة في البلاد .

في سنة ١٩٣٣ وصلت الهجرة اليهودية الى حجم هائل . فحسب حسابات مراسل «المانشستر غاردين» بتاريخ٧ نوفمبر ١٩٣٣ سافر الى البلاد خلال ٥ اشهر من ١ نيسان الى ١ ايلول ١٥ الف شخص . للاشهر الست القادمة تطالب المنظمات الصهيونية ـ عدا تأشيرات الدخول للبورجوازية التي مجيئها غير محدد ـ تطالب ب ٢٤ الف تأشيرة دخول . ومما تجدر الاشارة اليه هو ان هتلر بتحالف مـــع الامبريالية الانكليزية والصهاينة يشجع الهجرة اليهودية الى فلسطين . على اساس شهادات من «مكتب فلسطين» تبرهن حكومـــة المانيا الفاشية عن مساعدتهـــا للبورجوازية على كل مجال ، بأن تمكنها من تحويل رأسمالها الى عمله ونقلها من المانيا الى فلسطين .

ولكن رأس المال هذا لا يوضع كثيرا في شركات صناعية ، وانما في مضاربات على الارض وفي البساتين . ولهذا السبب يرجع ارتفاع كمية الاراضي المنتزعة من قبل الصهاينة في سنة ١٩٣٣ . ولهذا السبب ترجع صفقات شراء الاراضي التي قامت بها البورجوازية اليهودية ليس فقط في فلسطين ، وانما ايضا في حوران (سوريا) وفي جزيرة قبرص .

هذه الموجة من الهجرة وانتزاعات الاراضي كوّنت ايضـــا السبب **المباشر** للنهوض الثوري الجديد ، الذي تقع جذوره في الاستغلال الامبريالي ـ الصهيوني للعمال والفلاحين العرب .

لقد عبَّر النهوض الثوري عن نفسه في سلسلة من المؤتمـــرات والمظاهرات الاحتجاجية ضد الهجرة الصهيونية وضد انتزاع الصهيونيين للاراضي ، وفـــي سلسلة من كفاحات حرب الانصار ومن الاضرابات . ووصل الى قمته في ثورة تشرين الاول سنة ١٩٣٣ . بعد الثورة اعترف الامبرياليون اعترافا جديدا وقاموا

بالمناورة التالية . طردوا ما يسمى بالمهاجرين «غير الشرعيين» ومنعوهم بشدة من الدخول مجددا الى البلاد ، ووعدوا بتحديد كمية الهجرة «غير الشرعية» و«بجعلها تتناسب مـــع الوضع الاقتصادي للبلاد» (تصريح كنلايف ليساستر Lei cester في مجلس العموم البريطاني) . نتج عن هذه الاجراءات مظاهـــرات صهيونية ـ فاشية جديدة ومناورات معارضة جديدة من طرف الصهيونية . ولكـــن حسب معلومات اولية تقدر حتى هذه الكمية «المخفضة» للهجرة «الشرعية» ب ٥ الى ٦ آلاف شخص خلال نصف السنة القادم ، مما يشكل عددا هائلا بالنسبة للاوضاع الفلسطينية ، وبشكل اكثر عندما لا تضبط من خلال ذلك البورجوازية ، التـــي تدخل البلاد بحرية ودون تقييد بكمية معينة .

بالرغم من مناورة «ضد الهجرة» للامبريالية ، وبالرغم من المعارضة التـــي يقوم الصهاينة بعرضها مسرحيا ، تشكل الصهيونيـــة دائما السند الرئيســـي للامبريالية في فلسطين وهي لا زالت لغاية اليوم الحاضر .

فالمستعمرات الصهيونية تنشأ في مواقع استراتيجية مهمة في البلاد كقواعد حماية للسيادة البريطانية . بهذا النوع من المستعمرات احيطت «سنغابـــور» الـ «شرق الاوسط» ـ مدينة الميناء حيفا ـ . هذه المستعمرات تسيطر علـــى الطريق المؤدية من حيفا الى العراق (سهل جزرائيل) وعلى الطريق المؤدية الـــى السويس (سهل شارون) . واشتغل الصهاينة ايضا خلال الحرب الامبرياليـــة كجواسيس انكليز . وبعد الحرب برهنوا عن انفسهم كشركاء دائمين في حملات فرض العقوبات الامبريالية . «كتعويض لهذه المساعدة التي قدمت للامبرياليـــة البريطانية تحولت الصهيونية الى سلاح في يد الامبريالية البريطانية من اجـــل القضاء على حركة التحرر الوطنية للجماهير العربية .... والى طابور كفـــاح للامبريالية» (اطروحات اللجنة المركزية للحزب الفلسطيني حول الكفاح ضـــد الصهيونية) (١) .

في الواقع من الخطأ اعتبار المهاجرين اليهود كجماهير رجعية موحدة . فبين صفوف المهاجرين تجري عملية مفارقة Differenzierungs Prozes . شرائـــح مهمة من العمال والمستوطنين اليهود ينتقلون الى معسكر الثورة . ولكـــن المغالاة في تقدير القدرة الثورية للمهاجرين اليهود تعتبر خطأ فادحـــا كان من سمات القيادة اليمينية الانتهازية للحزب الشيوعي الفلسطيني . اذ من الضروري الانتباه، بأن المهاجرين اليهود ، الذين تشجعهم الامبريالية الانكليزية ، يحملون في الاساس طابعا رجعيا ، وبأن الجماهير الرئيسية للمهاجرين اليهـــود تتكون مـــن عناصر بورجوازية وبورجوازية صغيرة . فالامبرياليون والبورجوازية الصهيونية يقومون بعناية باختيار سياسي واجتماعي بين المهاجرين . تأشيرات السماح بالهجرة يحصل عليها بشكل خاص اعضاء من الاحزاب والمنظمات الصهيونية ، التي تربي الشباب

---

(١) Revoluzionnij Wostok (الشرق الثوري) سنة ١٩٣٢ الجزء الثاني ١ـ٢ .

البورجوازي الصغير بروح شوفانية – فاشية . ان الكثير من المهاجرين الصهيونيين هم من قبل واثناء دخولهم الى فلسطين فاشيون او فاشيون اجتماعيون ناضجون قد جربوا واختبروا في العمل الثوري المضاد . وبنفس الروح تتابع تربيتهم السياسية في فلسطين ، حيث يحصلون فيما بعد كمستعمرين وحتى كعمال على امتيازات عديدة ويوضعون من خلال ذلك مقابل جماهير السكان العرب .

في هذا المجال اعلنت اطروحات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الفلسطيني:

«ان المستعمر اليهودي ليس بفلاح مضطهَد . بالمقابلة مع العرب يقوم بدور المزارع . والمزارعون اليهود او اعضاء (تعاونية) (كومونة) زراعية يهودية هم غالبا وبشكل رئيسي فلاحون صغار ويشكلون بالمقابلة مع الكولاك العرب طبقة ذات امتيازات تشكل سندا امينا للبورجوازية اليهودية (وبذلك ايضا للامبريالية الانكليزية – ف. لينين) ضد الشغيلة العرب» (١) .

هذه الطبقة ذات الامتيازات تتجمع حول المنظمات الفاشية – الاجتماعية (هيستدروت هكلاليت ، احادوت افودا ، بوالاصهيون) وكذلك حول الجماعات الفاشية (التحرفيون الصهاينة ، بريس تومبلدور وغيرهم) .

نتيجة الازمة (اي الازمة الاقتصادية العالمية – المترجم –) خفضت امتيازات جزء مهم من المستعمرين والعمال اليهود : اجور العمال تنخفض والعوز يزداد . تحت ضغط العوز تنتقل اقلية فقط من العمال المهاجرين الى معسكر الثورة (مما يرجع على فكرة بدرجة عالية الى العمل الضعيف للحزب الشيوعي) . في اغلب الحالات يقعون تحت تأثير الفاشيين . وبالضبط في الاشهر الاخيرة يلاحظ نمو غير عادي للنشاط الفاشي (استعراضات فاشية لا تعد ، اعياد رياضية ، نشاطات جماهيرية ، مظاهرات ، تصاعد الارهاب الفاشي وبشكل خاص اغتيال الدكتور ارلوسروف الذي اثار في حينه ضجة كبيرة ، واخيرا هجومات مسلحة مباشرة على الفلاحين العرب من قبل الفاشية وذلك كحالة من بين حالات كثيرة ...

ان الهجرة اليهودية تحمل معها اذن طابعا رجعيا . وهي **السند الرئيسي للامبريالية البريطانية** . لذلك فان الهتاف المرفوع من الجماهير العربية كشعار **«ليسقط الاستعمار الاستيطاني والهجرة»** هو شعار ثوري ، فهو ليس فقط شعار زراعي وانما ايضا شعار تحرري وطني ضد الامبريالية . والحزب الشيوعي الفلسطيني الذي يكافح في سبيل تحقيق هذا الشعار يمثل موقفا ثوريا صحيحا.

ثانيا – وضع الفئات الفلاحية الفلسطينية

يدعي الصهاينة بأنهم حسنوا وضع الفلاحين الفلسطينيين ، وبأنه نتيجة الاستعمار الاستيطاني تمكن الفلاحون من العمل في البساتين الصهيونية ووجدوا

(١) انظر «Revoluzionnij Wostok» في مكان اخر .

في المدن الصهيونية اسواق تصريف لمنتوجاتهم وتعلموا على ايدي الصهاينة الطرق الحديثة في الزراعة ، وزادوا من مدخولاتهم وغيرها)... كل هذه الادعاءات الخاطئة تنفذ تماما من خلال الواقع . ان جماهير الفلاحين الفلسطينيين اصبحت **بدون ارض** وذلك نتيجة انتزاع الصهاينة للاراضي . حسب معلومات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في فلسطين تملك من مجموع ٨٦ الف عائلة فلاحية في فلسطين ٤٦ الف عائلة فقط ارضا ، بينما هناك ٤٠ الف عائلة بدون ارض (١) .

ولكن الحاجة للارض ليست فقط بين الفلاحين بدون ارض . فالفلاحون الذين يملكون ارضا ليس لديهم ابدا كمية كافية من الارض . حسب تقديرات لجان ادارية رسمية (سمبسون ، جونسون ، جروسبي) تبلغ رقعة المساحة الزراعية الضرورية لعائلة فلاحية في فلسطين في وضع بائس ٧،٥ هكتار ، وذلك بشرط ان يشتغل الفلاح في ارضه الخاصة . ولكن عندما لا يملك الفلاح ارضا خاصة به وعندما يكون مجبرا ان يستأجر ارضا لاستغلالها ، وان يدفع للمالك فائدة ايجار ، فانه يضطر عندئذ ان يشتغل ٥،٥ هكتار ارضا زيادة على ذلك ، لان الحد الادنى الضروري للبقاء لعائلة فلاحية يتطلب اشتغال قطعة من الارض مساحتها ١٣ هكتارا . في الواقع ان هذه المساحات لوضع بائس هي فقط مثال بعيد المنال . فمتوسط ملكية الارض لعائلة فلاحية يبلغ بدل ٧،٥ هكتار ٥،٥ هكتارا فقط ، ومتوسط مساحة زراعية مع ارض مستأجرة يبلغ ٩ هكتارا بدل ١٣ . واذا انتقلنا من هذه الاعداد المتوسطة الى فحص الفروق بين الفئات الفلاحية الفلسطينية حصلنا على صورة مفجعة اكثر .

حسب مصادر اللجنة الادارية الرسمية برئاسة جونسون – جروسبي والتي قامت سنة ١٩٣٠ بدراسة ١٠٤ قرى عربية (من مجموع ٨٤٤ قرية من هذا النوع في فلسطين) ، تتكون الفئات الفلاحية لهذه القرى من المجموعات التالية :

١ – الفلاحون الذين يعيشون فقط من مدخولات ملكيتهم

		عدد العائلات	النسبة المئوية
أ – ملاك من ٢ فدان وما فوق	:	٣٨٧٣	٪١٦،٤
ب – ملاك من ١–٢ فدان ارض	:	١٦٠٤	٪ ٦،٨

(١) ان هذه الادعاءات المذكورة اعلاه تدعيها اسرائيل ايضا فيما يخص وضع سكان الاراضي المحتلة بعد ٥ حزيران ، وتقوم بذلك بالدعاية لسياسة الاحتلال و«ليبراليته» . من الضروري هنا الحصول على معلومات دقيقة واحصائيات حول وضع الفلاحين والسكان في الاراضي المحتلة وخاصة كم من العائلات الفلسطينية خسرت بيوتها واراضيها ، واصبحت دون ارض نتيجة الاحتلال الصهيوني ، وذلك ليس فقط لمجابهة الدعاية الاسرائيلية وانما ايضا لمعرفة كيفية تثوير سكان الاراضي المحتلة وتنظيمهم ضد الاحتلال الاسرائيلي . –المترجم–

٢ ــ فلاحون يعيشون من مدخول ملكيتهم ومدخول اعمال اخرى

أ ــ ملاك من ١ــ٢ فدان ارض (١)	:	١٦٥٧	٧،١ ٪
ب ــ ملاك من اقل من ١ فدان ارض	:	٨٣٩٦	٣٥،٦ ٪
ج ــ فلاحون يملكون اشجارا فقط	:	١١٠٣	٤،٧ ٪
٣ ــ عمال زراعيون	:	٦٩٤٠	٩،٤ ٪
المجموع		٢٣٥٧٣	١٠٠

من الجدول اعلاه يستنتج بان ٧٠٪ من الفلاحين (المجموعة ٢ ب ، ج و٣) في القرى المدروسة لا يقعون ضمن القياس المذكور اعلاه ، بينما نصفهم (المجموعة ٢ج و٣) لا يملكون ارضا مطلقا والنصف الثاني يملكون مساحات بائسة تجبرهم اما على بيع قوة عملهم في مكان اخر او الكد كشركاء عبيد على ارض مستأجرة مملوكة . فاذا زدنا على ذلك الفلاحين الذين يقعون ضمن المجموعة ٢ أ ، والذين لا شك يملكون اكثر من فدان ولكنهم نتيجة الاوضاع المختلفة يبيعون قوة عملهم خارجا او يستغلون كشركاء ، ينتج من ذلك بأن ٧٧٪ من الفلاحين الفلسطينيين هم جيش الفقر في القرية ، ويتكوّنون من عمال زراعيين دون ارض فقراء ريفيين وشركاء يأتون تحت عوز كبير للارض ، وبأن ٢٣٪ فقط يقعون ضمن مجموعة الفلاحين الكبار والمتوسطين الذين يملكون اكثر من ٢ فدان .

بالطبع كان الفلاحون الفلسطينيون يأتون ايضا قبل بدء الاستعمار الاستيطاني الصهيوني تحت عوز للارض . خلال قرون عديدة سادت في فلسطين الملكية الكبيرة الاقطاعية ، وانتزع الاقطاعيون لانفسهم قطع الاراضي من المناطق الفلاحية ومن القبائل البدوية . ودخول فلسطين في نطاق الاقتصاد العالمي وتطور علاقات السوق في البلاد ونمو التصدير ادت جميعا الى ارتفاع هائل في انتزاع الاراضي من قبل الاقطاعيين . في الوقت الحاضر هناك على الاقل من ٥٠ الى ٦٠٪ من الاراضي الفلسطينية مركزة في ايدي ملاك اقطاعيين ونصف اقطاعيين .

ولكن الاستعمار الاستيطاني الصهيوني زاد من حدة حاجة الفلاحين العرب للارض الى ابعد حد . فالملاك العرب الذين انتزعوا لانفسهم اراضي الفلاحين اعتادوا على ابقاء الفلاحين كشركاء على ترابهم . ولكن الصهاينة يطردون الفلاحين من الارض تماما .

لجنة جونسون ــ جروسبي ولجنة سمبسون كانتا مضطرتين على الاثبات بأن ٣٥٪ من الفلاحين العرب لا يملكون ارضا تماما ، وذلك بشكل خاص نتيجة

(١) لتفهم هذا الجدول جيدا تجدر الاشارة هنا بان الفدان لا يشكل وحدة مساحة معينة . فالفدان هو مساحة ارض يستطيع ضمن الاوضاع المعطاة ان يستغلها رجل بالغ السن بزوج من الثيران اثناء الموسم ، فاذن تقريبا مساحة اساسية لزراعة فلاح متوسطة . عادة يساوي الفدان من ١٠ الى ١٢ هكتار .

الاستعمار الاستيطاني الصهيوني . «من بين هؤلاء الفلاحين دون ارض هناك كثيرين كانوا لا يزالون يملكون ارضا قبل مدة قصيرة» ، كما يدعي الامبريالي سمبسون. بالرغم من ان الاعداد الموضوعة من جونسون ــ جروسبي وسمبسون استند فيها على الفترة بين سنة ١٩٢٩ و١٩٣٠ . ثلاث سنوات ازمة اقتصادية والموجة الجديدة من الاستعمار الاستيطاني اليهودي اثرت على تغيير هذه الاعداد لغير صالح الفلاحين .

ان الفقر في الارض وعدمها لدى الفلاحين يشكلان القاعدة التي يرتكز عليها استغلالهم دون حدود ان كان من قبل الملاك الاقطاعيين والنصف اقطاعيين من السكان الاصليين او من قبل المستعمرين الصهاينة. ففائدة ايجار الارض تبلغ عادة ٣٠٪ من الانتاج الكلي وتصل غالبا حتى الى ٤٠و٥٠٪ . حسب القاعدة تتكون هذه الفائدة من منتوجات الارض على اساس الشراكة بالحصة Naturale Teilpacht وفي الوقت الاخير لوحظ تحوّل الى الاستئجار مقابل نقود (من ١ الى ١،٥ جنيه استرليني لكل هكتار) . والضرائب المذكورة تبلغ ١٠٪ من المحصول الكلي . ومتوسط كمية الضرائب على كل شخص من السكان يصل في فلسطين الى ٣،٥ جنيه استرليني ، منهم ١،٩٢ جنيه ضرائب زراعية . في مصر تصل هذه الضريبة بالمقابل الى ٢،٧٥ جنيه ، منهم ١،٥١ جنيه ضرائب زراعية . في تركيا تبلغ ١،٨٢ جنيه منهم ١،٤٣ جنيه ضرائب زراعية (١) .

جزء مهم من انتاج الفلاحين يقع في ايدي المرابين . حسب مصادر جونسون ــ جروسبي يبلغ متوسط الديون ٢٦ جنيه استرليني لكل عائلة واحدة. تحسب هذه الفائدة عادة حسب مبدأ «الاعشار ــ الخمسة عشر» اي لكل عشرة من الوحدات المستلمة للزرع (بذور ، مال وغيرها ...) يعاد دفع ١٥ وحدة بعد المحصول ، اي بعد ٤ اشهر ــ مما يعادل فائدة قدرها ١٥٠٪ سنويا .

حسب احصائيات لجنة جونسون ــ جروسبي يوضح الجدول التالي خزينة فلاح متوسطة بما يلي :

المدخــولات :

متوسط مدخول ١٠ هكتار مساحة زراعة حبوب : ٥٠ جنيه استرليني

متوسط مدخول اشجار الزيتون والفواكه والحيوانات البيتية :

١٤ جنيه استرليني

المجموع ٦٤ جنيه استرليني

(١) «Revolutionnij Wostok» (الشرق الثوري) في مكان اخر .

المصروفات :

مصروفات المساحة المزروعة	:	٢٢ جنيه استرليني
فائدة الايجار للملاك	:	١٥ جنيه استرليني
ضرائب	:	٧ جنيه استرليني
فوائد تذهب للمرابين (١)	:	٨ جنيه استرليني
	المجموع	٥٢ جنيه استرليني

حسب ذلك يكون «المدخول الصافي» ١٢ جنيه استرليني .

ولكن هذا «المدخول الصافي» يشكل عمليا ، كما يعترف مؤلفا التقرير ، اجر العمل ، الذي يعتبر زيادة على ذلك بانه غير كاف تماما . فالحد الادنى للبقاء لعائلة فلاح متوسطة يجب ، حسب التصريحات المتكررة للفلاحين الذين اجريت عليهم الدراسة ، ان يبلغ ٣٨ جنيه استرليني ، فاذن ثلاثة اضعاف «مدخولهم». مؤلفا التقرير يأخذان على عاتقهما «تغيير» هذا المبلغ ، بان خفضا الحد الادنى للبقاء الى ٢٥ جنيه استرليني . ولكن ايضا هذا الحد الادنى للبقاء المخفض هو ضعف «المدخول» . وفي ذلك استند هذا الحساب على اوفى قياس للاستغلال في فلسطين وعلى زراعات فلاحين ذات حجم متوسط وحتى ذات حجم كبير . في الواقع لا تحصل عائلة الفلاح حتى على هذه الـ ١٢ جنيه استرليني .

ويزيد الاستعمار الصهيوني من حاجة الشغيلة للارض ويرفع من اسعار الارض ، ونتيجة ذلك يرفع من قيمة الايجار ، وبذلك يقوي بشكل هائل الاستغلال الاقطاعي والمرابي للفلاحين .

كتب سمبسون يقول :

«قيمة ايجار الارض ترتفع ، وغالبا ما يحدث بأن يعرض فلاحون على الملاك نصف الانتاج لكي يحصلوا على الارض ... انهم يدفعون هذه القيمة ، بحيث انه لا يبقى شيئا لنفقات العائلة » (٢) .

ان الاستعمار الاستيطاني الصهيوني يُخضع الفلاحين لاستغلال اقطاعي — مرابي دون شفقة . فسمبسون يذكر حوادث ، بأن ملاكا يهود اجّروا للفلاحين العرب نفس قطعة الارض في سنة ١٩٢٧ بـ ٢٦٠ جنيه ، في سنة ١٩٢٨ بـ ٤٠٠ جنيه ، وفي سنة ١٩٢٩ ، قبل الثورة الاولى ، بـ ٥٢٥ جنيه . بكلام اخر ، خلال سنتين رفعوا قيمة الايجار الى الضعف .

ازداد سوء وضع الفلاحين نتيجة الازمة الاقتصادية . والصهاينة يقصون دائما خرافة «ازدهار» فلسطين . فالازمة الاقتصادية شملت جميع بلدان العالم ،

(١) هذا اذا حدد متوسط الدين بـ ٢٧ جنيه لكل زراعة بفائدة سنوية قدرها ٣٠٪ . يبدو بأن الاعداد منخفضة .

(٢) من تقرير سمبسون .

ولكنها لم تمس ، كم يزعم ، فلسطين ، التي كما يؤكد الصهاينة ، «تزدهر» ، ولا تعرف البطالة عن العمل ، وانتاج صناعتها يزداد ، ويتوسع فيها عمل البناء الحيوي وغيرها .. في الواقع عرف في فلسطين ، كما هي الحال في جميع انحاء العالم الرأسمالي والعالم المستعمَر ، فرع اقتصاد واحد فقط ازدهارا مرتبطا بالاستعداد للحرب الامبريالية وللحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، ذلك ازدهار المشاريع الحربية (مشروع الخط الحديدي الستراتيجي في الصحراء من حيفا الى بغداد ، خطوط انابيب الموصل — نافتا ، التي عليها ان تمد اسطول البحر الابيض المتوسط الانكليزي ببترول الخام ، انشاء قاعدة بحرية حربية في حيفا ، وغيرها...) وبهذه المشاريع الحربية تربح وتثرى البورجوازية الصهيونية . وأما الفئات الفلاحية الفلسطينية المستعمَرة ، فانها تشعر بحدة خاصة بالازمة الاقتصادية الراهنة .

فاسعار المنتوجات الزراعية انخفضت مقابل سنة ١٩٢٩ من ٧٠ الى ٧٥٪ ، واسواق تصريف المنتوجات تتقلص باستمرار ، ومدخولات الفئات الفلاحية تنخفض بشكل هائل . وتشتد الازمة الاقتصادية من خلال ما يسمى بمتاعب «اولية» تتكرر باستمرار من سنة لسنة ضمن العلاقات السائدة في فلسطين ، وتحمل في طياتها طابعا اجتماعيا . لقد عرفت فلسطين في ثلاث سنوات متتالية بسبب الجفاف والجراد المؤذي ابادة مخيفة للبذار . الى جانب ابادة بذور الزيتون والحبوب التابعة للفلاحين تزدهر بفخر بساتين الفواكه التابعة للمستعمرين ، الذين عرفوا كيف يستأثرون لانفسهم بقنوات الري .

عشية ثورة تشرين الاول سنة ١٩٣٣ اصبح الوضع في القرية الفلسطينية حسب تصريح قسم الزراعة التابع للحكومة خطيرا . فالجفاف الذي بدأ من جديد، وابادة المحصول ، والوضع البائس للسكان الذين وقفوا امام هذه الحوادث الاولية دون قدرة ، ادت (حسب التقارير الرسمية) الى «هجرة شاملة للفلاحين الى المدينة والى بساتين البرتقال للتفتيش عن عمل اخر» (١) .

ولكن هذه المتاعب «الاولية» لم تكن سوى نتيجة النير الامبريالي الاقطاعي — الملاكي الكبير . فلا عجب ، بان يتخذ الفلاحون ، الذين فاضت بهم شوارع المدن مركزا مشرفا في صفوف الثوار ، ولا عجب ايضا بان ترتبط شعارات التحرر الوطني للثوار ارتباطا وثيقا بشعارات زراعية .

لم تشمل الازمة الاقتصادية القرية فقط . فلقد شلت ايضا جميع فروع الصناعة الوطنية . حسب الاحصائيات الرسمية كان في فلسطين سنة ١٩٣٠ من ٣٠ الى ٣٥ عربي عاطلين عن العمل (٢) . والاجور انخفضت حوالي ٥٠٪ . فكان العمال الاخصائيون يحصلون على اجر يومي يتراوح بين ١٥ و٢٠ قرش ، والعمال

(١) «Palastina Post» ، تشرين الاول ١٩٣٣ .

(٢) يبدو هنا بانه قد حصل خطأ مطبعي في الاصل ، اذ ان العدد ٣٠ و٣٥ منخفض جدا ، والاصح على ما اعتقد هو من ٣٠ الى ٣٥ الف —المترجم— .

غير المدربين من ٨ــ١٠ قروش يوميا . ومنذ ذلك الوقت مضت حوالي ثلاث سنوات فانخفضت الاجور اكثر فأكثر . ولا زال العمال اليهود الذين هم في وضع ممتاز يحصلون على اجور عالية : فالنقابات الاشتراكية تبذل كل ما في جهدها لكي يتحول جميع عمال المشاريع الحربية ذوي الاجور الحسنة الى الارستقراطية العمالية الصهيونية . واما المحاولات التي قام بها رجال الاعمال للانتقال الى مواقع الهجوم وايجاد مخرج من الازمة على حساب الطبقة العاملة ، اجيبت من قبل البروليتاريا الفلسطينية بسلسلة من الاضرابات الكبيرة (اضراب عمال التبغ في حيفا ، واضراب عمال الاسمنت في نشر ، وعمال الجلود في يافا ، ومن ثم اضراب عمال النسيج في المجدل وغيرها ..) واثناء كفاحات الاضرابات وقعت اصطدامات مع الذين انهوا الاضراب ومع البوليس . فلا عجب بأن سارت البروليتاريا الفلسطينية في ايام الثورة واثناء الاضراب العام في كل مكان في المقدمة . ففي يافا تقدم عمال الميناء على الجميع ، واخذوا بمبادرتهم الخاصة بالكفاح وتابعوا الاضراب بالرغم عن الادارة الخائفة للقيادة الوطنية الاصلاحية .

لقد كان العمال العرب وفقراء المدن ، الفلاحون والبدو هم القوى المحركة لثورة تشرين الاول، وهنا كمنت قوتها . وحتى الصحافة الامبريالية ، التي كانت تعتبر كل ذلك دسيسة مدبرة من قبل «قلة من المتطرفين» ، كانت هذه المرة مجبرة على التشديد على الطابع الجماهيري الشعبي للثورة . قامت الثورة بدرجة عالية تحت قيادة البورجوازية الوطنية الاصلاحية ، التي ارادت استغلال الهيجان الثوري للجماهير ، لكي تصل الى اتفاق مع الامبريالية حول تقسيم السلطة . وهنا كمن ضعف الثورة .

ولكن سير الحوادث برهن ، بأن الجماهير رفضت في حالات كثيرة القادة الخونة ، واخذت بجرأة بالكفاح ضد الامبريالية وفي سبيل تحريرها .

ثالثا ــ ثورة تشرين الاول سنة ١٩٣٣

اندلعت الثورة في ٢٧ تشرين الاول في يافا .

شمل المدينة في الصباح الباكر اضراب عام . وكانت جميع المحلات التجارية والمصانع مغلقة . وشلت حركة السير ، فاختفى الاوتوبيس والسيارات . ومكان ذلك فاضت الشوارع بالفلاحين والبدو ، الذين اتوا من القرى المجاورة مسلحين بالعصي والهراوات والحجارة والسكاكين . وبعد صلاة الظهر خرجت الجماهير من الجامع الى الشارع . ومن جميع انحاء المدينة انضم اليهم متظاهرون جدد . وسار ٤ آلاف رجل الى مبنى الحكومة ، وطالبوا بايقاف الهجرة اليهودية والسرقة الصهيونية للاراضي . وكانت قد انشئت امام مبنى الحكومة حواجز اسلاك شائكة . ووقف وراءها في حالة استعداد للقتال فرق من البوليس على الارجل وعلى الخيل ومعها حاميات من حرس الحدود (كان عددهم حسب المصادر الرسمية الف رجل) .

واتخذت بعض الشيء جانبا ، حامية من سلاح الطيران وفرقه من قناصة اولستر الايرلندية مواقعها بسيارات مصفحة ورشاشات . تدجج الامبرياليون بالسلاح ، هكذا كان فزعهم من هراوات الفلاحين .

وما كاد المتظاهرون يقتربون من سياج الاسلاك الشائكة حتى فتح البوليس وفرق الجيش النار عليهم . ولكن طلقات النار لم تستطع طرد الثائرين . في الواقع قوّت نار البنادق ارادتهم الكفاحية . فالفلاحون بدون سلاح سحبوا الجندرمة المسلحة من على الاحصنة وطرحوهم ارضا . واقتحموا مواقع فرق الجيش والبوليس بالرغم من السيارات المصفحة والرشاشات والحواجز الشائكة واخيرا اجبرتهم النار المتقاطعة على التراجع ، ولكنهم عادوا دائما الى شن الهجوم مرة اخرى، حيث كانوا يهتفون بشعاراتهم عاليا: «لتسقط الامبريالية الانكليزية!»، «لتسقط الحكومة الانكليزية !» .

«تحولت شوارع يافا الى ارض معركة» ــ كما كتب مراسل صحيفة «Egyptian Gazette» الامبريالية . لقد كان كفاحا غير متكافىء . صمد الثوار حوالي ٤ ساعات بجرأة بطولية . بدأت المظاهرة عند الساعة الثانية عشرة ، وانتهى الكفاح عند الساعة الرابعة بحمام من الدم احدثه الامبرياليون بين شغيلة يافا الثوريين .

عندما انتشرت اخبار يافا في جميع انحاء البلاد كالنار في الهشيم عمت الثورة فلسطين . وكانت جماهير الثوار الرئيسية تتألف في كل مكان من العمال ، فقراء المدن ، الشباب ، الفلاحين والبدو .

في حيفا قام الفا متظاهر بالهجوم على ثكنة البوليس . وفي اليوم التالي حاول المتظاهرون احتلال محطة سكة الحديد ومركز البوليس الرئيسي . فأطلق الامبرياليون عليهم الرصاص بالرشاشات وحركوا البوليس المساعد (موظفون وبورجوازيون انكليز) واعلنوا حالة الطوارىء .

في نابلس اشترك في الاصطدامات المسلحة ٣ آلاف رجل. وحاول المتظاهرون احتلال محطة سكة الحديد وبنك بركلي .

وحسب اخبار صحيفة «Egyptian Gazette» هاجم «ابو جلده» (*) قائد فرق الانصار الذي لم يتمكن من الوصول اليه والذي جعل الامبرياليين ، الصهاينة والملاك في فزع دائم ، هاجم بالاشتراك مع رفاقه في الكفاح مبنى البوليس وقتل حارسين . ولكي يفكك تنظيم الحركة قرر الخونة الوطنيون ــ الاصلاحيون تأجيل المظاهرات التالية مدة ١٢ يوما (اي الى ١٠ تشرين الثاني) . بعد عدة ايام اجلوها بشكل عام «الى اجل غير مسمى» .

في القدس وقعت اصطدامات في ٢٨ و٢٩ تشرين الاول في المدينة القديمة،

(*) تحول ابوجلدة فيما بعد الى «قاطع طريق» وان ظل معاديا للاستعمار ، وقد قتله المستعمرون فيما بعد .

امام باب دمشق وباب يافا وفي الشارع الرئيسي ، حيث اقفل المتظاهرون المحلات اليهودية . وحثت النساء من السطوح والشرف المتظاهرين على الكفاح . فاوقع الامبرياليون مجزرة دموية بين الجماهير . «وعند الساعة الرابعة هدأت المدينة القديمة هدوءا تاما» — كما يكتب احد المراسلين — «كان يشاهد في الشوارع دوريات خيّالة فقط» . بعد حمام الدم اطلقت النار في الليل على فرقة الجيش التي تحمي مبنى الحكومة .

في غزة نسفت مظاهرة الجماهير من قبل الشيوخ الخونة ، الذين طالبوا الجماهير بالمحافظة على الهدوء والسكينة . وارسل الامبرياليون الى غزة فرقة سيارات مصفحة «لحماية» المطار الموجود هناك .

ووقعت اضطرابات كبيرة ايضا في عكا ، حيث وقع هجوم على السجن . ومن ثم في جنين ، حيث اضرمت الجماهير النار في مبنى الحكومة وجردت البوليس من سلاحه . ومن ثم في طولكرم ، حيث نسف الثوار خط سكة الحديد . وبشكل عام كان هناك غليان في جميع انحاء البلاد . ومما تجدر الاشارة اليه ، بانه في طولكرم توصل الوطنيون الاصلاحيون في البداية الى حل المظاهرة المؤلفة من الآلاف العديدة بالخطب الديماغوجية . ولكن بعد يومين برهنت الخطب الاصلاحية عن عدم ثمارها . وفقط الطائرات الحربية البريطانية توصلت الى تفريق البدو والفلاحين المسروقة املاكهم والذين اتوا من وادي حواران (١) للتظاهر في المدينة .

لدى الحكم على الثورة يجب ان لا ننسى بأنها اندلعت في بلاد تشكل قاعدة استراتيجية مهمة جدا للامبريالية الانكليزية ، وذلك بالضبط في وقت حيث تعمل انكلترا بدرجة قوية على رأس حلف امبريالي موجه ضد الاتحاد السوفياتي للتهيئة لحرب ضد هذا البلد . فالثورة هددت بدون قصد مواقع استراتيجية مهمة لانكلترا : ميناء حيفا ، خط الانابيب الذي يربط حيفا ببترول العراق ، ويزود اسطول بحر الابيض المتوسط بالمواد المحرقة ، وبناء الخط الحديدي من حيفا الى بغداد الذي يؤمن نقل قوات ومعدات حربية الى شمال العراق على حدود شرق القوقاز السوفياتي ، ومن ثم هددت ايضا مطارات غزة والرملة ، التي خصصت للاتصالات مع العراق والقواعد الحربية ضد السوفيات في الشرق الاوسط والاقصى . وبالذات يعود سبب حمام الدم الرهيب ، الذي احدثته الامبريالية الانكليزية بين الثائرين ، الى اهمية فلسطين الستراتيجية الجازمة للتهيئة لحرب امبريالية جديدة ، ولكن في الدرجة الاولى للتهيئة لحرب ضد الاتحاد السوفياتي .

فرق العقاب الامبريالية قتلت في فلسطين في الوقت ما بين ٢٧ و٢٩ تشرين الاول ليس اقل من ٤٠ ثائرا وجرحت ٢٠٠ شخصا . ولكن لم تستطع كسر روح

(١) منطقة سيطر عليها المستعمرون الصهاينة .

ومعنوية الكفاح لدى الجماهير . في اليوم التالي بعد المجزرة استمر الكفاح .

شمل الاضراب العام ، الذي دام ٨ ايام ، الطبقة العاملة بأكملها وشرائح واسعة من البورجوازية الصغيرة . توقف تحميل السفن في الموانىء ، وشلت حركة الاوتوبيس . واقفلت ابوابها ورشات صناعية ، اسواق ، محلات تجارية ومدارس . وفي سلسلة من الامكنة قطعت خطوط التلفون والتلغراف . وانقطع السفر بين المراكز الرئيسية في البلاد ، وتوقفت الاتصالات التلفونية مع سوريا ومصر . وفي ٢ تشرين الثاني انقطعت القدس عن العالم الخارجي تماما .

واحتجاجا على الرقابة فوق العادة دخلت الصحف العربية في الاضراب . فقررت الحكومة على اثر ذلك اصدار صحيفة باللغة العربية خاصة بها . ولكن هذه الوريقة التي قطعت الاضراب مزقت باستمرار من اماكن الاعلانات .

لقد انجز كفاح الاضراب بمبادرة من الجماهير ضد ارادة القيادة الوطنية الاصلاحية ، التي بذلت كل ما في وسعها لشلّه وخيانته .

★★★

قبل ايام قليلة من اندلاع الثورة زار وفد وطني — اصلاحي حاكم يافا . وبهذه المناسبة اعلن احد القادة : «اننا نقف على ابواب حوادث جديدة لا نتمناها. لذلك قرنا احاطتكم علما بهيجان الشعب» (١) .

خافت البورجوازية الوطنية — الاصلاحية عمليا من النهوض الثوري للجماهير. ولم تستطع ان تتمناه . لقد شلته عدة مرات وكانت جادة في ابقائه ضمن اطار شعارات التسوية ومناهج الكفاح «السلمية» . وقد وضعت «اللجنة العربية التنفيذية» (التي هي عبارة عن مركز متحد للاحزاب الاقطاعية — البورجوازية العربية) البرنامج التكتيكي التالي مقادة بالسعي لاضعاف الحركة وتفتيتها : في يوم من ايام الجمعة يجب ان تقام مظاهرة — بالطبع سلمية — في القدس فقط ، وبعد اسبوعين اخرين في يافا فقط ، وبعد اسبوعين اخرين في نابلس فقط ، وبالتالي في مدينة اخرى وهكذا ...

في المظاهرة الاولى ، التي اقيمت في ١٣ تشرين الاول في القدس اشترك ٥ آلاف شخص . هذه المظاهرة «السلمية» انتهت بمجزرة دموية ، فالبوليس هجم على المتظاهرين بالهراوات .

لكن مشاريع «القادة» حطمت نهائيا من خلال مظاهرة يافا . طالب «القادة» بمظاهرة سلمية ، واما الجماهير فعلى العكس اخذت بالكفاح . طالب «القادة» بانشاء حكومة برلمانية ضمن اطار السيادة الاستعمارية الانكليزية (٢) ، واما

(١) «Palastina Post» بتاريخ ٩ اكتوبر ١٩٣٣ .

(٢) وحتى المطالب الوطنية — الاصلاحية القديمة : انهاء الوصاية والغاء وعد بلفور سُحبت «مؤقتا» من قبل اللجنة التنفيذية ك «مطالب الحد الاقصى» .

الجماهير فعلى العكس كافحت وراء شعار «لتسقط الامبريالية الانكليزية» . دعا «القادة» الجماهير لاقامة اضراب يوما واحدا فقط ، ولكن الاضراب استمر ٨ ايام. اراد «القادة» حصر الاضراب والمظاهرة في مدينة يافا فقط . واما الحركة فقد عمت جميع انحاء البلاد .

بينما كانت دماء العمال والفلاحين تهرق في شوارع فلسطين ، تحرك «قائد الشعب» موسى كاظم باشا ، رئيس اللجنة التنفيذية العربية لاجراء محادثة سلمية مع الجلاد الرئيسي الحاكم العسكري الاعلىالانكليزي وشاوب Wuchaoup فوعد الاخير موسى كاظم بجلب كتلة الملاك العرب الى الحكومة . «ولكن يجب عليهم ايقاف الحركة» ، كما نبهه بذلك الحاكم العسكري — «لا نستطيع ايقاف الحركة ابدا» اجابه «القادة» ، «لقد فقدنا السيطرة عليها» .

في الواقع لم تدع اللجنة التنفيذية العربية الجماهير للاضراب . فقادة بحارة المراكب مع الحمالين في يافا اعلنوا بمبادرتهم الخاصة بأنهم سيتابعون الاضراب ، ونقاط مراقبة الاضراب من الشباب اقفلوا بدافع منهم حوانيت التجار الذين حلوا الاضراب .

«هل يجب علينا متابعة الاضراب ؟» — سأل وفد من التجار موسى كاظم .

«بالعكس ، ارجوكم ان تفتحوا المحلات» .

وفي اليوم التالي فتحت المحلات التجارية ابوابها عند الساعة السابعة صباحا . وعند الساعة الثامنة اعيد اغلاقها من جديد على اثر الحاح الجماهير الغاضبة . واستمر الاضراب بالرغم من القرار الرسمي في حل الاضراب الصادر عن اللجنة التنفيذية العربية وبالرغم من البيان الخائن الصادر عنها .

في هذا البيان كتبت اللجنة التنفيذية من بين ما كتبت :

«العرب الحقيقيون ، الذين شعروا بقرب البلاء وأرادوا التعبير عن كبريائهم وكرامتهم ، فعلوا ذلك اثناء المظاهرة الاخيرة . الاضراب العام ، الذي دام ثمانية ايام ، والضحايا البشرية التي سقطت اثناء ذلك برهنت للعالم اجمع بأن العرب شعب كريم يرفض الرضوخ للنير ولسياسة الاستئصال من الجذور . ومع ان اللجنة التنفيذية العربية تقدر الشعور الكريم لعرب فلسطين ، تنصح الشعب حاليا بالرغم من ذلك بأن يبتعد عن الاضرابات والمظاهرات . واللجنة التنفيذية تعقد الامل الصادق ، بأن يقوم جميع العرب باتباع هذا الرجاء» (١) .

وحتى الجريدة الانكليزية الرسمية «Egyptian Gazette» قدرت هذا البيان علنيا بأنه خضوع تام للحكومة الانكليزية . خلال ايام الثورة غيرت اللجنة التنفيذية النغمة. واستعملت اللجنة التنفيذية العربية الحركة الجماهيرية عشية الثورة فقط كورقة لعب في الكفاح لزيادة حصتها في الارباح الاستغلالية الاستعمارية. ولكن ثلاثة ايام كفاح جماهيري كانت كافية بأن تحوّل البورجوازية

(١) «Egyptian Gazette» بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٣٣ .

الاصلاحية ، وان لم يكن نهائيا ، الى معسكر الثورة المضادة . وبعد البيان الاستسلامي اخرجت الامبريالية الانكليزية القادة الوطنيين الاصلاحيين من السجن . واكتفت المحكمة الانكليزية بالحكم عليهم احكاما خفيفة .

وبالمقابل يبقى عشرات الشيوعيين العرب والعمال الثوريين كما من قبل في السجون ، حيث يتعرضون للمعاملات السيئة وللتعذيب .

عبَّر الحزب الشيوعي في فلسطين عن مطالبه وشعاراته في النداء الذي وجهه عشية الثورة (١) :

«الغاء الوصاية ووعد بلفور !» ، «ايقاف الهجرة الصهيونية توا ، مصادرة املاك الحكومة والملاك العرب والصهاينة وتوزيعها على الفلاحين والبدو الفقراء !» ، «ايقاف دفع الديون والفوائد . الامتناع عن فائدة ايجار الارض !» ، «مساعدة الجياع والعاطلين عن العمل !» ، «الافراج عن المساجين السياسيين !» ، «الدفاع عن المظاهرات ضد العنف الامبريالي !» .

وراء هذه الشعارات للحزب الشيوعي كافح الفلاحون والعمال العرب في تشرين الاول سنة ١٩٣٣ . واكثر من ذلك : استند كفاحهم على شعارات الحزب التكتيكية الاساسية ، بمقابلة العنف الامبريالي بالعنف الثوري للشعب . لهذا السبب نما خلال ايام الثورة التأثير الروحي للحزب الشيوعي بين جماهير الفلاحين والبروليتاريا . ولكن هذا التأثير لم يثبت تنظيميا وذلك نتيجة الاعتقالات الجماهيرية والملاحقات الامبريالية . وفي نفس الوقت رفع الحزب سلسلة من المطالب الزراعية ، على سبيل المثال انتزاع الاراضي التابعة للحكومة وللملاك العرب وللصهيونيين . وتوزيع هذه الاراضي على الفلاحين الصغار والبدو . والغاء الديون وفوائد ايجار الارض ، ومساعدة الجياع والعاطلين عن العمل .

فالحزب الشيوعي الفلسطيني لم يكرر نفس الخطأ الذي ارتكبته القيادة الانتهازية السابقة اثناء ثورة سنة ١٩٢٩ . انه يعتبر الصهيونية بحق كسند رئيسي للامبريالية وكشكل معبِّر بدقة عن النير الامبريالي في البلاد . فهو قد دعا الجماهير الى الكفاح ضد السرقة الصهيونية للاراضي وضد الهجرة اليهودية .

من بين ما يقرأ في مقال نُشر في «الاومانيته» Humanité بتاريخ ٢ تشرين الثاني ١٩٣٣ بتوقيع م.م. ما يلي :

«اننا الى جانب العرب ضد الذين يستعمرون البلاد ويضطهدونها . فالصهيونية ليست فقط سلاح الامبريالية الانكليزية وانما ايضا مساعدة في سرقة واضطهاد الشغيلة العرب» .

هذا التقدير الماركسي — اللينيني الصحيح للمسألة الوطنية الفلسطينية ، الذي أُنجز على اساس تعريب الحزب ، والنقد الذاتي البولشفي الواضح دائما

(١) طُبع ايضا في Rundschau بازل بتاريخ ١٧ نوفمبر ١٩٣٣ .

للاخطاء السابقة ، يشكل القاعدة الثابتة لكسب قيادة البروليتاريا والحركة الثورية الوطنية .

لقد اتسع حجم الثورة من خلال موجة عريضة من التأييد الثوري الذي صب على جميع البلاد العربية .

ووقعت في شرق الاردن ، في جميع انحاء البلاد ، خلال ٤ ايام متواصلة ، مظاهرات ، احتجاجات واضرابات عامة .

وفي عمان سار جمهور مؤلف من عدة آلاف شخص امام القصر وطالب الامير عبد الله (عميل انكليزي) بمساعدة الثائرين الفلسطينيين . هتف المتظاهرون بشعارات : «لتسقط الامبريالية الانكليزية !» ، «لتسقط الصهيونية !» . ورموا البوليس بالحجارة وحطموا سيارة الرائد الانكليزي بيك وجرحوا الرائد الانكليزي كوكس .

في مصر اقيمت اجتماعات ، مظاهرات واضراب طلابي من ساعتين .

وفي العراق نظمت مظاهرة كبيرة في بغداد .

وصبت على سوريا موجة من اضرابات التأييد والمظاهرات والاحتجاجات . فحاول الوطنيون الاصلاحيون شل الحركة . ففي اجتماع عقد في جامع أمية طالب الشيخ مردم الجماهير بالاكتفاء بطلب رجاء الى عصبة الامم . في البدء أثر هذا الحث وحلّت المظاهرة . ولكن بعد ثلاثة ايام اخذ العمال والفلاحون في دمشق بالكفاح ضد الامبريالية الانكليزية بالرغم من حث الوطنيين ضد ذلك .

ان الاصطدام المسلح في دمشق اوضح الاهمية العربية الشاملة للثورة في فلسطين . وحتى صحيفة رجعية من نوعية الصحيفة المصرية «المقطم» ، اضطرت الى الاعتراف بأن «الحركة لن تقف عند حدود برقيات الاحتجاج ومظاهرات التأييد» ، وبأنها «سوف تتطور وتصل الى مستوى الحوادث التي وقعت في فلسطين» . عمليا أثبت هذا التكهن من خلال الكفاحات الثورية في سوريا ، التي اتجهت ضد محاولات الامبريالية الفرنسية في الالحاح بتوقيع معاهدة استعباد جديدة . في جميع البلاد العربية ، وخاصة في سوريا ، هناك قرب نضوج موجة جديدة من ثورات البلاد المستعمَرة ، وقرب نضوج حرب التحرر الوطني العربية الشاملة كواقع ثابت .

***

اظهرت ثورة الفلاحين والعمال الفلسطينيين في تشرين الاول للعالم اجمع البطولة العنيفة والقدرة الكفاحية الهائلة للجماهير ، كما ابدت استعدادها البطولي الجريء للكفاح من اجل تحررها من النير الامبريالي والصهيوني . فالجماهير لا تريد ابدا ان تعيش حسب كل منهج . انها قد اصبحت ناضجة للكفاح وهي تسير بنفسها في هذا الكفاح . وهذا يعني بأنه في البلاد الان هناك شروط موضوعية

لانتصار الثورة الزراعية ضد الامبريالية ، وبأن الازمة الثورية اقترب نضجها . والطاقة الثورية وتصميم الجماهير وحدهما ليسا كل شيء .

لكي تنتصر يجب ان تصل الحركة الى درجة اعلى ، وان ترفض قطعا الشعارات الوطنية ـ الاصلاحية ، وتقود كفاحا ذا نتائج مقررة لتحقيق الشعارات الثورية التي رفعها الحزب الشيوعي الفلسطيني . ولكن هذا الوضع ممكن الوصول اليه فقط على اساس الكفاح النشيط للحزب الشيوعي من اجل الجماهير ومن اجل قيادة البروليتاريا للحركة الثورية ، وعلى اساس الفضح النشيط للشعارات الوطنية الاصلاحية وتعميم الشعارات الثورية بين الشعب .

لكي تنتصر يجب على الجماهير ان تقود بحزم كفاحا ضد جميع الطبقات المستغِلة وذلك ليس فقط ضد الامبريالية الانكليزية والمستعمرين الصهاينة وانما ايضا ضد «تجارها» و«ملاكها» الاقطاعيين . حتى الان لم يستطع الشغيلة في فلسطين تخطي تأثير الطبقة العليا البورجوازية ـ الاقطاعية. وحتى الان قيد الكفاح ضد الاقطاعيين والتجار العرب بشكل منفرد ومن حالة لاخرى . وحتى الكفاح ضد المستعمرين الصهاينة لم يقد بتصميم ودقة كافيين . لا شك القيت كلمات ورفعت شعارات كثيرة ضد الصهيونية . ولكن **الافعال الكفاحية المباشرة** كانت موجهة فقط ضد الحكومة الانكليزية : لم يؤذ احد من المضطهدين الصهاينة من اندلاع غضب الجماهير الثائرة .

ولكي يتحقق النصر اخيرا، من الضروري تقوية وتمتين رابطة الكفاح الوحدوية للشعوب العربية ، والجبهة الوحدوية للكفاح في سبيل الوحدة الوطنية والاستقلال الوطني للبلدان العربية ، وفي سبيل اتحاد الجمهوريات السوفياتية العربية ، واقامة ديكتاتورية البروليتاريا والفلاحين الديموقراطية في جميع بلدان الشرق العربي بملايينه البشرية العديدة .

جميع هذه الشروط للنصر : الشعارات الثورية للحركة ، الكفاح الجازم ضد جميع الطبقات المستغِلة ، رابطة الكفاح للشعوب العربية ـ تعود الى مشكلة قيادة الحركة . ولكن هذه الشروط لا يمكن تحقيقها ، ما دامت البورجوازية الوطنية الاصلاحية ، التي تمسك بقيادة الحركة ، تقيّد هذه الحركة وتشلها .

اثناء الثورة برهنت البورجوازية الوطنية الاصلاحية عن جبنها وخيانتها واستسلامها امام الامبريالية ، وعن لا ارادتها بتوسيع كفاح التحرر الوطني . لقد فضحت نفسها امام الجماهير ، التي خرجت عن سيطرتها عليها اثناء لحظة الكفاح المتصاعد .

لقد اهتز تأثيرها على الجماهير ولكنه لم ينقطع نهائيا . والفضح التام النهائي للخونة الوطنيين الاصلاحيين لم يتم بعد . وفقط على هذا الاساس يمكن خلق الشروط الاولية ، الاساسية والمهمة للنصر ، ـ المركز القيادي للبروليتاريا في كفاح التحرر الوطني .

اظهرت الثورة بان الحزب الشيوعي الفلسطيني قد دخل فعليا هذا الطريق.

لم يكن مراقبا سلبيا للحوادث كما كانت الحال في سنة ١٩٢٩ . لقد كان شريكها الفاعل ، فاستطاع وضع الشعارات الصحيحة المهمة وحملها الى الجماهير الثائرة. ولكنه لم يثبّت تأثيره التنظيمي ، ولم يصبح بعد قائد الجماهير مباشرة في كفاحها اليومي . لذلك فان المهمة الاساسية للحزب الشيوعي الفلسطيني هي الكفاح من اجل تقوية تأثيره في المنظمات الجماهيرية وخاصة في النقابات ، والكفاح من اجل قيادة الكفاح الاضرابي اليومي وكفاح التحرر الوطني للطبقة العاملة ، والكفاح من اجل الارتباط بفرق الانصار وقيادة حركة حرب الانصار . ان الشروط الموضوعية لذلك موجودة حاليا . نهاية الكفاح تتعلق «بالعامل الذاتي» ، اي كيفية حل هذه المسألة المهمة جدا ـ مسألة القيادة .

ضمن هذه الاوضاع تقع على عاتق الحزب الشيوعي الفلسطيني مهمة ذات مسؤولية كبيرة بشكل خاص وشريفة في نفس الوقت .

د.غسان العطية

دور القيادة الفلسطينية
في الحركة الوطنية الفلسطينية بين ١٩١٨ ـ ١٩٤٨

ترتبط ، من الناحية التاريخية ، الحركة الوطنية الفلسطينية بالمسألة الفلسطينية التي برزت كمسألة نتيجة للنزاع العربي ـ الصهيوني حول ارض فلسطين . وبما ان الصهيونية طرحت كحل للمسألة اليهودية والتي بدونها لما برزت اصلا المسألة الفلسطينية ، لذا يتوجب معرفة المسألة اليهودية . ان الميزة الاساسية والمحور الذي تدور حوله المسألة اليهودية هما بقاء معظم اليهود المنتشرين في المجتمعات المختلفة طوال القرون الماضية كمجموعات بشرية منغلقة وفي حالة شبه عزلة عن المجتمعات التي يعيشون فيها . وكانت العلاقة بين اليهود والمجتمع الذي يعيشون فيه علاقة سلبية غالبا ما تنتهي باضطهاد اليهود واجبارهم على التنقل . اسباب هذه الظاهرة تعود لعامل ذاتي يخص اليهود والذي يتمثل في الرغبة في الحفاظ على الشخصية اليهودية وعدم اندماج اليهود بالمجتمع الذي يعيشون فيه ، كما يعود سبب عزلة واضطهاد اليهود الى عامل موضوعي يتعلق بالظروف الاجتماعية والاقتصادية التي مرت بها الاجيال والمجموعات اليهودية . اذكر منها على سبيل المثال وليس الحصر :

أ ـ هيمنة الدولة المسيحية في اوربا خلال القرون الوسطى، تلك الهيمنة التي رفضت اليهودي كمواطن مساو للمسيحي وبالتالي ، وفي احسن الاحوال ، ان لم تضطهد اليهودي فانها اكتفت بعزله عن المجتمع المسيحي (Gentil Society)

ب ـ ارتبط اليهودي وظيفيا بمهنة الصيرفة والربا مما جعل المجموعات اليهودية تأخذ طابع «الطبقة ـ الشعب» (١) . وان كانت وظيفة الصيرفة والربا

(١) ليون ، ابراهام ، المفهوم المادي للمسألة اليهودية ، ترجمة عماد نويهض ، دار الطليعة ، بيروت ، ١٩٦٩ .

مهمة في المجتمع الاقطاعي الزراعي الاوربي حيث يقوم اليهودي بدور التسليف للاقطاعي والامراء كما يسلف الفلاح الا ان هذه الوظيفة لم تكن ذات طابع انتاجي اي ان السلف التي يقدمها اليهودي لم تدخل في عملية انتاجية وبالتالي يسترجع اليهودي ديونه من الارباح بل كان المبلغ المستدان من اليهودي يذهب لسد نفقات الاقطاعي الاستهلاكية او لدفع الضرائب المتراكمة على الفلاح ويسترجع اليهودي المرابي ديونه من خلال استحواذه على جزء من الانتاج الجاهز او رأسمال الاقطاعي وبهذه الطريقة آلت الكثير من املاك الاقطاعيين والامراء والفلاحين الى اليهود . وغالبا ما تؤدي هذه العملية الى ثورة الاقطاع والفلاح ، على حد سواء ، ضد اليهودي الذي لم يجد من عون سوى حماية الملوك الذي كان يشتري حمايتهم بالرشاوى والهدايا ، والا يضطر اليهودي الى الهرب بما يحمله من رأسمال نقدي، وهذا يفسر الى حد ما عدم تملك اليهود خلال القرون الوسطى للاراضي والعقارات، التي يسهل مصادرتها. واصبح المال ، على حد قول كارل ماركس «اله اسرائيل المطماع ، وامامه لا ينبغي لاي اله ان يعيش» (١) . وان قيام الثورة الصناعية وصعود البورجوازية على انقاض النظام الاقطاعي ، افقد دور اليهودي الاوربي في الصيرفة والربا اهميته مما اضطره الى الهجرة سعيا وراء العمل، وبمقدار استمرار هذا التحول الاقتصادي في اوربا ككل اخذت تنمو مراتب واسعة من اليهود الفقراء الذين اصبحوا من عداد البروليتاريا . ولكن لليهود تجربة خاصة في اوربا الغربية. فخلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ، وهي فترة صعود النظام الرأسمالي وانتشار الفكر الليبرالي، اتاح هذا التطور لليهود فرصة العمل والاندماج الامر الذي شجع هجرة يهودية واسعة الى اوربا الغربية والولايات المتحدة الامريكية، حيث اخذت تنمو طبقة برجوازية يهودية. وكان بالامكان انتنتهي مشكلة اليهودي التائه في اوربا الغربية لولا انبعاث الحركة القومية في اوربا التي اكدت على التمايز الاجتماعي والسياسي بين الافرنسي وغير الافرنسي ، والالماني وغير الالماني، كل ذلك في وقت كانت تعج فيها مدن اوربا الغربية الكبيرة بآلاف المهاجرين اليهود . ومن جهة اخرى تأزم النظام الرأسمالي كما بدا واضحا في مطلع القرن العشرين سلط الضياء على البرجوازية اليهودية النامية مظهرا اياها كمنافس غريب للبرجوازية الوطنية . وهذا يفسر لنا الحركة اللاسامية الحديثة النشأة والتي لاقت كل الدعم من البرجوازية القومية الاوربية والتي بلغت ذروتها في النظام النازي في المانيا .

في مثل هذا المناخ الاجتماعي والاقتصادي طرحت الصهيونية نفسها كحل لمشكلة اليهودي في اوربا ، انطلاقا من ضرورة ايجاد كيان سياسي يشكل اليهود اغلبية سكانه ، ولقيت هذه الفكرة ترحيبا من العناصر اليهودية المتدينة التي تريد تحقيق نبوءة كتابهم المقدس بالعودة الى ارض الميعاد ، كما لاقت الفكرة الصهيونية

(١) ماركس ، كارل ، المسألة اليهودية ، ترجمة محمد عيتاني ، بيروت ، ١٩٥٦ ، ص ٥٩ .

دعم العناصر الاشتراكية اليهودية امثال بير بوروشوف Ber Borochov وكتلة عمال صهيون Poalezion التي انشئت في روسيا سنة ١٩٠٦ ، والتي قالت بضرورة الارض لخلق القاعدة البروليتارية والفلاحية للامة اليهودية . ويعود الفضل الى البرجوازية اليهودية في دفع الفكرة الصهيونية الى حيز العمل وهي التي مهدت بقيادة تيودور هرزل الى عقد المؤتمر الصهيوني الاول في بال ١٨٩٧ . وفي هذا المؤتمر حدد هدف الصهيونية ان تخلق للشعب اليهودي وطنا في فلسطين يضمنه القانون العام»(١)، والخطوات العملية لتحقيق هذا الهدف هي:

١ – تقوية الاستعمار اليهودي لفلسطين .

٢ – انشاء منظمة ترتبط بها اليهودية العالمية .

٣ – تقوية الشعور القومي عند اليهود .

٤ – كسب موافقة الحكومات المعنية على تحقيق الاهداف الصهيونية .

تتلخص الاستراتيجية الصهيونية بالهجرة الى فلسطين ، الاعتراف الدولي بحق اليهود في وطن قومي ، وتنظيم يهود العالم لدعم الايديولوجية الصهيونية ، اصبح عام ١٨٩٧ بمثابة التاريخ الرسمي لنشأة الحركة الصهيونية العالمية (٢) . وبقيت الحركة الصهيونية ضمن اطار يهودي الى ان اكتسبت في الثاني من تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩١٧ ، من خلال بيان بلفور ، اطارا دوليا تكرس بشكل اوضح في صك الانتداب البريطاني على فلسطين الذي تضمن جميع بنود بيان بلفور .

ان كسب الصهيونية الاعتراف الدولي ولو بشكل جزئي يشكل البداية الرسمية للمسألة الفلسطينية ، الا وهي مسألة تقرير سيادة اليهود او العرب على ارض فلسطين . الاطراف التي اصبحت معنية بالمسألة الفلسطينية لم تقتصر على ابناء فلسطين العرب والحركة الصهيونية العالمية وانما شملت كذلك كل من العرب، الغرب الاوربي متمثلا ببريطانيا وفرنسا والمانيا ، والولايات المتحدة الامريكية ، الاتحاد السوفياتي ، عصبة الامم والامم المتحدة . ولو ان المسرح واحد وهو فلسطين. الا ان الممثلين والادوار التي قام بها كل طرف من اطراف المسألة الفلسطينية اختلف باختلاف التطور التاريخي . ويمكننا ان نوجز المسألة (المسرحية) الفلسطينية في ثلاثة فصول ينتهي كل فصل منها بمشهد تراجيدي يتمثل بحرب يخسرها العرب .

(الفصل الاول يمتد بين ١٩١٧ – ١٩٤٨ والاطراف التي مثلت الادوار الرئيسية هي : الفلسطينيون ، الدول العربية وهذه تدخل المسرح في الثلاثينيات، الحركة الصهيونية ، بريطانيا ، ثم تدخل الولايات المتحدة المسرح في مطلع

(1) Hurwitz, Jacob C. , Diplomacy In The Near and Middle East , a Documentary Record, Princeton, 1956, vol. I P. 209 .

(٢) مذكرات هرزل الكاملة – ترجمة هاري زوهن الى الانكليزية ، نيويورك ١٩٦٠ ، جزء٢ ، ص٥٨١ علق هرزل على مؤتمر بازل قائلا «في بازل اسست الدولة الصهيونية» .

الاربعينيات لتحل تدريجيا محل بريطانيا ، واخيرا عصبة الامم التي تخلي المسرح عند اندلاع الحرب العالمية الثانية لتفسح المجال بعد الحرب للامم المتحدة .

الفصل الثاني يمتد بين ١٩٤٨ – ١٩٥٦ وفي هذه المرحلة تبرز الى الوجود دولة اسرائيل مدعومة بالحركة الصهيونية العالمية ، ويقف الغرب والولايات المتحدة موقف المحافظ على هذه الدولة ، بينما يدخل الاتحاد السوفياتي لاول مرة المسرح كطرف مهم خاصة بعد عقد صفقة الاسلحة الروسية المعروفة بالتشيكية مع مصر في عام ١٩٥٥ . اما الامم المتحدة فتتحول الى منبر للخطابة وصندوق للشكاوى ويفقد الغرب والولايات المتحدة سيطرتهما على هذه المنظمة ، واخيرا وليس آخرا الدول العربية التي ارتفع عددها وبرزت مصر كقاعدة جديدة للعمل العربي .

الفصل الثالث ويمتد بين ١٩٥٦ – ١٩٦٧ وفي هذه المرحلة لا تتغير الاطراف ولكن يطرأ تغير نوعي في دور هذه الاطراف ، اسرائيل تزداد قوة وثقة بالنفس مستفيدة من حرب ١٩٥٦ ، عدد الدول العربية لا يزال في ارتفاع وتنقسم الى معسكر تقدمي وآخر محافظ ولكن تبقى مصر ، والتي اصبحت الجمهورية العربية المتحدة الركيزة الاساسية للعرب ، الاتحاد السوفياتي ومن ورائه الكتلة الشرقية تزداد ارتباطا بالعرب وبالذات بالمعسكر التقدمي ، وفي المقابل تحل الولايات المتحدة الامريكية مكان دول اوربا الغربية الثلاث في دعم اسرائيل ، تتخذ فرنسا الديغولية وبريطانيا العمالية موقفا أقل تأييدا لاسرائيل محاولين استعادة صداقة العرب وبالوقت نفسه ينتهي تستر الدعم الالماني الغربي لاسرائيل ويبقى دور الامم المتحدة دون تغير .

اما الفصل الجديد من المسألة الفلسطينية والتي اصبحت بالنسبة للعرب مأساة فيبدأ بعد هزيمة عام ١٩٦٧ ولا ندري هل هو مجرد فصل اخر ام سيكون فصل الختام. الامر الذي يلاحظ في الفصلين الثاني والثالث هو غياب الفلسطينيين عن المسرح الفلسطيني .

***

في بحثي هذا سأقصر كلامي عن دور القيادة الفلسطينية خلال المرحلة الاولى، الممتدة بين ١٩١٨ – ١٩٤٨ ، لا سعيا وراء تجريم او ذكر امجاد بل تحديد حجم هذا الدور ومدى نجاحه في تحقيق اهدافه .

بانتصار الحلفاء في الحرب العالمية الاولى خرج الى الوجود كيان سياسي جديد عرف باسم فلسطين ، وكان هذا الكيان قبل ذلك موزعا بين سنجق القدس التابع مباشرة الى الاستانة وسنجقي عكا ونابلس التابعين لولاية الشام والتي تم الحاقهما بولاية بيروت في ١٨٨٣ . اما المجتمع الفلسطيني فهو استمرار للمجتمع العثماني التقليدي الذي يشكل الريف والفلاحون قاعدته ، اما قمة الهرم الاجتماعي فتتألف من الاداريين الافندية ، الاعيان ، التجار ، رجال الدين ، شيوخ العشائر.

وحسب احصاء ١٩٢٢ ينقسم سكان فلسطين ، على وجه التقريب الى (١) :

٤٣٠،٠٠٠ سكان الريف من الفلاحين والمزارعين .
٢٦٤،٠٠٠ سكان المدن ومنهم ٦٨،٥٠٠ من اليهود وجنسيات اخرى .
٦٠،٠٠٠ سكان البادية من البدو .

الصناعة مقتصرة على بعض الصناعات اليدوية كالنسيج ، صناعة الصابون، ودبغ الجلود وعليه لم يكن عدد العمال يتجاوز بضعة آلاف واغلبهم تربطهم علاقة قربى برب العمل الذي يساهم بنفسه بعملية الانتاج . ويلاحظ في مثل هذا المجتمع الاقطاعي العشائري غياب طبقة وسطى برجوازية قوية ، وبسبب الامية وضيق مجال التعليم اقتصرت فئة المهنيين كالاطباء والمحامين على عدد محدود من ابناء الوجهاء والتجار والملاكين الكبار .

ارتبطت قيادة المجتمع السياسية بالقيادة الاجتماعية التقليدية المتمثلة بالوجهاء ، رجال الدين ، الملاكين الكبار ، التجار والشيوخ . الامر الذي جعل تصدر هذه المراتب الاجتماعية للعمل السياسي في فلسطين بعد ١٩١٨ امر بديهي وليس فيه خيار وعلى عاتق هؤلاء وقعت مسؤولية قيادة سكان فلسطين .

طبيعة القيادة السياسية التقليدية

مع ان مراتب التجار ورجال الدين ، الملاكين الكبار ، والوجهاء والشيوخ ، ورثت بحكم التقاليد القيادة السياسية والولاء السياسي للجماهير الريفية والحرفية الا ان لم يسبق لها الانفراد بهذه القيادة فقد كانت هناك دائما «السلطة» المتمثلة بالولاة والاداريين العثمانيين تقوم بحماية هذه المراتب الاجتماعية وتعمل على حل تناقضاتها الخاصة ، وعليه بغياب «السلطة» العثمانية فقدت القيادة الاجتماعية المحلية عنصر الدعم المادي والانسجام والوحدة فاتحة المجال للنزاع العائلي والصراع العشائري والتنافس على الصدارة مما جعل هذه التناقضات الثانوية فيما بينهم تطغى في بعض الاحيان على التناقض الرئيسي القائم بينهم من جهة والصهيونية وحليفتها بريطانيا من جهة اخرى .

في الوقت الذي كانت الصهيونية تهدد مصالح لا بل وجود القيادة الفلسطينية التقليدية ، كانت الادارة البريطانية ترغب في كسب الوجهاء والاعيان ورجال الدين والتجار والشيوخ وكانت مستعدة لحماية مصالحهم الخاصة شريطة تسليمهم بمصالح بريطانيا وهذا ما كانت مستعدة للتسليم به جميع هذه المراتب الاجتماعية.

(١) علوش ، ناجي ، المقاومة العربية في فلسطين ١٩١٧ – ١٩٤٨ ، بيروت ، الطبعة الثانية ، ص : ١٠ .

ولكن الادارة البريطانية ومن ورائها السياسة البريطانية كانت في نفس الوقت ملتزمة بدعم الحركة الصهيونية انطلاقا من ايمان السياسة البريطانية بامكان نجاح سياسة الالتزام المزدوج . الا ان هذا الوضع بالذات جعل القيادة الفلسطينية التقليدية تعيش ازمة اختيار . فمن ناحية معاداة بريطانيا معناه خسارة عناصر القيادة الفلسطينية مكانتهم المادية وسبل اثرائهم ، ومن ناحية اخرى السكوت على السياسة البريطانية معناه استمرار الدعم البريطاني للصهيونية الامر الذي سيؤدي في نهاية الشوط الى ازاحتهم عن الصدارة الاجتماعية والسياسية ، لا بل حتى عن اراضيهم .

ان دراسة التجربة التنظيمية والسياسية للقيادة الفلسطينية التقليدية خلال الفترة ١٩١٨ – ١٩٤٨ تعكس مأساة هذه القيادة التي كان محكوم عليها مسبقا بالاندحار والفشل .

التنظيم السياسي للقيادة الفلسطينية التقليدية :

١ كانت البادرة التنظيمية الاولى للقيادة الفلسطينية التقليدية بعد الحرب هي تأسيس الجمعيات الاسلامية – المسيحية في مختلف مدن فلسطين المهمة ، شمل نشاطها المجالات الكشفية ، الادبية والاجتماعية . والى جانب الجمعية الاسلامية – المسيحية قامت جمعيات كدار العلوم الاسلامية ، جمعية التعاون المسيحي ، الجمعية الاهلية وغيرها من جمعيات جعلت من محاربة الصهيونية هدفا لها . واضح من تسمية الجمعيات انها محاولة لمواجهة الصهيونية من خلال تحالف اسلامي – مسيحي تطغى عليه الصفة الدينية واقتصرت عضوية هذه الجمعيات على رجال الدين والاعيان وبقية مراتب القيادة الفلسطينية الاجتماعية . كثرة عدد هذه الجمعيات لم يكن دليل قوتها وذلك لاقتصارها على عدد محدود من الاعضاء ونشاطها اقتصر على المجال الاعلامي وذلك بتنظيم المهرجانات والقاء الخطب وارسال برقيات الاحتجاج الى السلطة البريطانية والمنظمات الدولية ولم تعش اغلب هذه الجمعيات سوى فترة قصيرة جدا ، واهم عمل قامت به هو المساهمة في تنظيم المؤتمرات الفلسطينية والتي تشكل تطورا في التنظيم السياسي للقيادة الفلسطينية المحلية .

المؤتمرات الفلسطينية

بادرت القيادة الفلسطينية الى الدعوة الى عقد مؤتمرات عامة تضم ممثلين عن مختلف اجزاء فلسطين من مسلمين ومسيحيين ، وبالطبع لم يمثل بالمؤتمر سوى مراتب الوجهاء ورجال الدين وبقية عناصر القيادة الاجتماعية التقليدية . وكان عدد اعضاء المؤتمرات يتراوح بين سبعة وعشرين مندوبا الى المائة والخمسين

مندوبا . وقد عقد خلال الفترة ما بين اذار ١٩١٩ الى حزيران ١٩٢٨ سبع مؤتمرات فلسطينية ينتهي كل مؤتمر منها بتوصيات ومقررات ويؤلف من بين اعضائه لجنة تنفيذية لمواصلة العمل لتنفيذ هذه القرارات واجراء الاتصالات والمفاوضة مع السلطة البريطانية . كانت المؤتمرات محاولة لتوحيد موقف القيادة الفلسطينية التقليدية ، واسماع اصواتهم الى الشعب الفلسطيني والسلطات البريطانية واليهود . وقد حققت بعض المؤتمرات نجاحا اعلاميا ، ولكنها فشلت كمنظمة فعالة ويعود ذلك للاسباب التالية :

١ – تضم المؤتمرات عناصر متباينة الاتجاه ، تلتقي في الخطوط العريضة وتختلف في التفاصيل والمسلك . ان جميع اعضاء المؤتمرات يرغبون في الاستقلال الذي ستؤول ثماره اليهم بالدرجة الاولى ، ولكن ما الطريق الى هذا الاستقلال وهل يمر عبر محاربة بريطانيا ام التعاون معها . مثال على هذا المؤتمر الفلسطيني الاول الذي عقد في القدس في اذار ١٩١٩ . فقد حضر المؤتمر سبع وعشرون مندوبا ، منهم احد عشر مندوبا موالين لبريطانيا ، اثنان دون ارتباط سياسي ، اثني عشر مندوبا من انصار الامير فيصل والوحدة مع سوريا (١) .

٢ – الصراع العائلي والنزاع العشائري والتنافس على الصدارة السياسية ، عامل يعيق نجاح المؤتمرات وكانت محاولة التوفيق والتغلب على التناقضات الثانوية يأتي على حساب فعالية المؤتمر ووضوح قراراته وانسجام اعضاء لجانه التنفيذية ، مثال ذلك ان المؤتمر السابع الذي عقد في القدس في حزيران ١٩٢٨ اضطر الى انتخاب ثمانية واربعين عضوا في اللجنة التنفيذية كي يتمثل باللجنة كل تكتل عائلي وزعامة سياسية وطائفية ، ولذلك جاءت اللجنة التنفيذية وهي اسيرة تناقضاتها الداخلية .

٣ – لم تعتد القيادة الفلسطينية التقليدية على العمل السري وقيام المؤتمرات كان رهين موافقة السلطات البريطانية وما دامت المؤتمرات لا تخرج بقراراتاو انها تنذر بمحاربة بريطانيا ، فان الاخيرة تسمح بقيامها واذا ما شعرت العكس فان الادارة البريطانية كانت تمنع عقد المؤتمر وهذا ما حصل فعلا بالنسبة للمؤتمر الثاني الذي كان يزمع عقده في شباط ١٩٢٠ في يافا ولكن الادارة البريطانية منعت انعقاده .

٤ – عدم قدرة المؤتمرين على تحويل المؤتمرات الى اداة تنظيمية فعالة تنظم جماهير الريف والمدن او ان تخلق المنظمات الاقتصادية الفرعية الكفيلة بمحاربة النشاط الصهيوني الاقتصادي ، بل اقتصرت الصلة بين المؤتمر والجماهير على الكلمات والعواطف الوطنية والبيانات . الامر الذي اقنع اعضاء المؤتمرات انفسهم

---

(١) الكيالي ، د. عبد الوهاب ، تاريخ فلسطين الحديث ، بيروت ، ١٩٧٠ ، ص ١٢٥ . كما جاء في مكتب السجلات العامة – لندن ، ج.ن. كامب «المؤتمر الفلسطيني» ١٥–٢–١٩١٩ ، وزارة الخارجية ، رقم السلسلة ٣٧١ ، مجلد ٤١٥٣ .

بعدم جدوى اسلوب العمل بالمؤتمرات واتجهوا في الثلاثينيات نحو التنظيم الحزبي .

الاحزاب السياسية الفلسطينية

بدأ النشاط الحزبي للقيادة الفلسطينية التقليدية في نهاية مرحلة المؤتمرات التي باتت عديمة الفاعلية نتيجة النزاعات الداخلية وصعوبة الاتفاق على موقف سياسي واضح تجاه الادارة البريطانية. فأخذت كل كتلة او زعامة سياسية تنشىء حزبها الخاص . ونشأت في السنوات الخمس الاولى من الثلاثينيات ستة احزاب سياسية هي :

حزب الاستقلال العربي : تأسس في تموز ١٩٣٢ من عناصر سياسية سبق لها العمل في الحركة القومية العربية المتمثلة بحزب الفتاة والاستقلال ، ومن ابرز شخصياته عوني عبد الهادي ، عزة دروزه ، اكرم زعيتر ، صبحي الخضرا وعجاج نويهض واغلبهم من العناصر المثقفة. والحزب كما يقول دروزة اراد ان يطرح نفسه كبديل للزعامات العائلية والاطماع الشخصية . واراد الحزب ان يجعل من «النضال ضد الانكليز ومصارحتهم العداء واعتبار مداراتهم منافية للاخلاص والصبغة الوطنية» (١) شعار العمل السياسي . وقد جاء في منهاج الحزب ان مبادىء الحزب هي :

١ ــ استقلال البلاد العربية استقلالا تاما .

٢ ــ البلاد العربية وحدة تامة لا تقبل التجزئة .

٣ ــ فلسطين بلاد عربية وهي جزء طبيعي من سوريا .

وعلى الصعيد الفلسطيني طالب الحزب :

١ ــ العمل على تحقيق المبادىء الواردة في المادة السابقة بما يستطيعه بنفسه وبالاشتراك مع الهيئات الاستقلالية في الاقطار العربية .

٢ ــ الاحتفاظ بأرض البلاد ومنابع الثروة للعرب .

٣ ــ الغاء الانتداب ووعد بلفور .

٤ ــ اقامة حكم عربي برلماني في فلسطين .

٥ ــ انهاض البلاد سياسيا واقتصاديا واجتماعيا (٢) .

ان النزعة العربية والوحدوية تبدو واضحة في برنامج الحزب ، اما عن توجيه العداء لبريطانيا فهو امر لا يسمح بذكره في برنامج حزب علني خاضع للادارة البريطانية . لم يمر على الحزب عام ونصف حتى توقف عن النشاط وسبب ذلك كما يشرحه احد قادته وهو محمد عزة دروزة يعود الى الضائقة المالية وعدم

(١) دروزة ، محمد عزة ، حول الحركة العربية الحديثة، الجزء الثالث ، صيدا، ١٩٥١ ، ص ٩٨

(٢) علوش ، المقاومة العربية في فلسطين ، ص ٢١٢ .

اتساع قاعدة اعضائه وهذا يعود لشروط الانتساب الشديدة ، واخيرا يقول دروزة «على الرغم من عزيمة مؤسسي الحزب على عدم الاندماج في السياسات المحلية ومهاتراتها لم يخل الحزب من اعضاء ظهرت فيهم نقائض تلك الصفات ولم يستطيعوا ان يكونوا في نجوة من تلك السياسات فكان كل ذلك من اسباب فتور نشاطه»(١).

وهناك عامل اخر يفسر ضعف الحزب يعود الى كون الحزب يمثل العناصر البرجوازية المثقفة وهذه الطبقة محدودة العدد والنفوذ علما ان الحزب اتخذ موقفا سلبيا من بقية عناصر القيادة السياسية التقليدية مما عرضه لانتقاداتهم .

حزب الدفاع الوطني: تأسس في كانون اول ١٩٣٤ برئاسة راغب النشاشيبي عميد الكتلة النشاشيبية ويضم العناصر الموالية لكتلته والمعادية للحاج امين الحسيني . يبدو ان اسم الحزب كان يقصد به الدفاع ضد الصهيونية وليس الانكليز الذي كانت علاقتهم طيبة معهم، وسياسة الحزب تدعو لكيان فلسطيني برلماني تربطه معاهدة مع بريطانيا التي كان يأمل الحزب في اقناعها بتغيير موقفها من الصهيونية لصالح العرب .

الحزب العربي الفلسطيني : تأسس في اذار ١٩٣٥ برئاسة جمال الحسيني ويمثل الكتلة الموالية للحاج امين الحسيني . اهداف الحزب كما وردت في قانون الحزب هي :

«أ ــ استقلال فلسطين ورفع الانتداب .

ب ــ المحافظة على عروبة فلسطين، ومقاومة تأسيس وطن قومي فيها لليهود.

ج ــ ارتباط فلسطين بالاقطار العربية في وحدة قومية سياسية مستقلة استقلالا تاما .

د ــ تحسين حالة الامة العربية في فلسطين اجتماعيا واقتصاديا وثقافيا»(٢).

اكد الحزب العربي الفلسطيني على استقلال فلسطين بينما اكد حزب الاستقلال على فلسطين كجزء من سوريا الكبرى ، وتفسير هذا الموقف الاقليمي يعود الى حد كبير الى كون كتلة الحسيني برئاسة المفتي اكثر الكتل نفوذا وشعبية وهذا ما جعل الحزب العربي الفلسطيني يعتبر نفسه الوريث الشرعي لقيادة فلسطين ، وفلسطين المستقلة ستكون برئاسة الحاج امين الحسيني . كان هذا الطموح وراء اقليمية مواقف الحسيني ومطالبته فيما بعد الدول العربية بالاعتماد عليه من اجل انقاذ فلسطين بدلا من الاعتماد على جيوشها .

لم تعلن كتلة الحسيني والمعروفة باسم المجلسية ، نسبة الى المجلس الاسلامي الاعلى الذي يرأسه الحاج امين ، معارضتها الصريحة لبريطانيا بل سعى للتعاون معها ، وكان مستعدا لضمان مصالح بريطانيا في فلسطين مقابل تخلي بريطانيا عن الصهيونية . ولكن تحت تأثير الضغط الشعبي كما تجلى في اضراب

(١) دروزة ، الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، ص ١٠٤ .

(٢) علوش ، المقاومة العربية في فلسطين ، ص ٢٠٨ .

١٩٣٦ اخذ المفتي وكتلته يلحون على بريطانيا بالتخلي عن الصهيونية ، في وقت اخذت بريطانيا تتضايق من زيادة المعارضة العربية لها الامر الذي انتهى باصطدام المفتي وكتلته بالسلطات البريطانية في ١٩٣٧ منهيا الحوار الودي بين الطرفين .

الى جانب هذه الاحزاب الرئيسية الثلاث تشكلت خلال عام ١٩٣٥ ، احزاب أقل اهمية ونشاطا ، كحزب الاصلاح بزعامة الدكتور حسين فخري الخالدي وهذا يمثل تكتلا عائليا وسياسته لا تختلف عن سياسة العربي الفلسطيني خاصة بعد الالتقاء في موضوع انتخابات بلدية القدس . والحزب الاخر نتج عن تكتل مؤتمر الشباب الذي عقد في ١٩٣٥ وبرزت زعامة يعقوب الغصين في هذا الحزب . واخيرا تشكل حزب الاصلاح في نابلس بزعامة المحامي عبد اللطيف صلاح والتف حول الحزب مثقفو وبعض وجهاء نابلس وسلك الحزب سياسة الحياد في الصراع الدائر بين الاحزاب الاخرى . ودعمت الادارة البريطانية محاولة انشاء حزب معتدل يتعاون مع الادارة البريطانية ولا يعارض سياستها الخاصة بفلسطين ، وفعلا ظهر الى حيز الوجود في عام ١٩٢٣ الحزب المعتدل الذي غيَّر اسمه فيما بعد الى الحزب الوطني وكان برئاسة الشيخ سليمان التاجي الفاروقي ، كما جرت محاولة انشاء حزب يضم عناصر ريفية باسم حزب المزارعين يمثل البرجوازية الزراعية . الا ان كلا الحزبين فشلا في اثبات وجودهما ولم تجد السلطة مجالا لدعم بقائهما.

في محاولة سريعة لتقييم التجربة الحزبية للقيادة الفلسطينية التقليدية نلاحظ الامور التالية :

١ ـ كانت الاحزاب علنية مجازة من قبل السلطة البريطانية، الامر الذي يفرض بداهة ضيق مجال تحركها ، خاصة وان هذه الاحزاب لا تملك القدرة على العمل السري .

٢ ـ تفتقر الاحزاب الستة الى وضوح فكري واكتفت بخطوط عريضة او مبادىء عامة اما السياسة الفعلية للحزب فغالبا ما كانت تقررها مصالح قادة الاحزاب والظروف الآنية . والسؤال الدائم المطروح امام قادة الاحزاب هو ، هل نتعاون مع الادارة البريطانية وبأي شروط نقبل التعاون ؟

٣ ـ رضخت هذه الاحزاب ، ما عدا حزب الاستقلال العربي ، الى واقع التجزئة الذي فرضته سلطة الانتداب واخذت تنطلق من واقع اقليمي محلي.

٤ ـ استمرار الصراع العائلي والعشائري الذي اتخذ الان الصفة الحزبية فنجد كلا من عائلة الحسيني والنشاشيبي والخالدي تشكل حزبها الخاص ، الامر الذي كرس التناقضات الداخلية حتى غدت السلطة البريطانية بالنسبة للبعض حليفا في صراعها مع الزعامات الاخرى .

٥ ـ فشلت الاحزاب في تعبئة الشعب الفلسطيني، لا بل تخلفت عن المد الشعبي المعادي للصهيونية وبريطانيا . وغالبا ما كانت الاحداث الشعبية تفاجىء قادة الاحزاب مثال ذلك قيام الاضراب الكبير في ١٩٣٦ الذي اعلن دون ان تخطط له الاحزاب ولكنها ارادت بعد قيامه ان تسيطر على قيادته فألفت الاحزاب الستة

(اللجنة العربية العليا الفلسطينية) برئاسة الحاج امين الحسيني وعضوية ممثلين عن الاحزاب ، وهم :

احمد حلمي عبد الباقي ، عوني عبد الهادي ، جمال الحسيني ، راغب النشاشيبي ، الدكتور حسين فخري الخالدي ، عبد اللطيف صلاح ، يعقوب الغصين ، ويعقوب فراج كممثل عن المسيحيين الارثوذكس ، والفرد روك ممثل المسيحيين الكاثوليك .

هذا يقودنا الى بحث دور اللجنة العربية العليا الفلسطينية . كانت مهمة اللجنة تمثيل الشعب الفلسطيني الذي اعلن اضرابه العام في اذار ١٩٣٦ ودام ستة اشهر ، والعمل على تحقيق هدف الاضراب بمطالبة بريطانيا بتغير جوهري في سياستها يحقق منع الهجرة اليهودية الى فلسطين ، منع بيع الاراضي العربية لغير العرب واخيرا اقامة حكومة فلسطينية وطنية برلمانية . كان يبدو واضحا من طبيعة تكوين اللجنة وعناصرها انها ستسلك اسلوب العمل السياسي والمفاوضات مع السلطة البريطانية دون اللجوء الى العنف ، وفعلا تم ارسال وفد الى لندن يضم كل من جمال الحسيني وشبلي الجمل والدكتور عزت طنوس وعبد اللطيف صلاح لاجراء الاتصالات مع الحكومة البريطانية في محاولة لانتزاع تنازل بريطاني لصالح العرب . فشلت مفاوضات الوفد لعدم قبول بريطانيا بمطاليب الفلسطينيين ولم يكن بمقدور الوفد القبول بحل وسط نتيجة الضغط الشعبي والتهديدات التي اعترف بعض اعضاء الوفد باستلامها في حال تساهلهم مع السلطات البريطانية (١) .

كان في البداية يبدو ان الاضراب سيكون اداة بيد القيادة الفلسطينية التقليدية لتحقيق الضغط على بريطانيا لتغير سياستها لصالح هذه القيادة ، ولكن بمرور الوقت اصبح الاضراب عبئا على معظم افراد اللجنة المركزية فمن ناحية ظهرت عصابات شعبية مسلحة في الريف تهدد بتحويل الاضراب الى ثورة مسلحة الامر الذي لا ينسجم مع اسلوب اللجنة والقيادة التقليدية في العمل ، ومن ناحية اخرى استمرار الاضراب اخذ يؤثر على المصالح المادية للقيادة الاجتماعية التقليدية، اضافة الى اشتداد الضغط البريطاني ، التي عززت قواتها العسكرية ، على افراد القيادة الاجتماعية التقليدية واللجنة العليا لانهاء الاضراب . كل هذا دفع اللجنة العربية العليا الى التفكير بطريق لانهاء الاضراب دون تحقيق الاهداف التي قام من اجلها الاضراب ، شريطة ان تحفظ هذه الطريقة ماء وجه القيادة الفلسطينية امام الشعب . وهنا نجد اعضاء اللجنة العربية العليا يبدون في ايلول ١٩٣٦ للسلطة

(١) الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٣١٢ ، نقل عن مكتب السجلات العامة ، لندن. وقائع مقابلة ٢٣-٦-١٩٣٦ ، وزارة المستعمرات ٧٣٣-٣٢١ . في احد المقابلات ذكر الوفد الفلسطيني «بانهم اصبحوا الى حد كبير مرتهنين لدى الشعب واشاروا الى تهديدات تلقاها جمال الحسيني وعوني عبد الهادي بأن لا يبديا اي تساهل» .

استعدادهم «للحث على وقف الاضطرابات وحل الاضراب دون اي شرط مسبق اذا طلب منهم ذلك الملوك العرب» (١) . يتناقض هذا الموقف من رد اللجنة العليا على وساطة الامير عبد الله ونوري السعيد لانهاء الاضراب في آب ١٩٣٦ ، حيث اصرت اللجنة على تغيير سياسة بريطانيا قبل انهاء الاضراب . وعليه يأتي موقف اللجنة الجديد بمثابة تراجع ، ولاكمال المسرحية ذهب ممثلو اللجنة لزيارة الامير عبد الله والملك عبد العزيز والملك غازي وتمخضت هذه الزيارات بالاتفاق مع الانكليز على ارسال نداءات متفرقة من الملوك العرب بنص واحد تقريبا الى اللجنة يدعوهم لانهاء الاضطرابات ، وهذا نص نداء الملك عبد العزيز الى اللجنة العربية العليا ، بتاريخ ٨-١٠-١٩٣٦ :

« حضرة رئيس اللجنة العربية العليا .

الى ابنائنا عرب فلسطين لقد تألمنا كثيرا للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع اخواننا ملوك العرب والامير عبد الله ندعوكم للاخلاد للسكينة حقنا للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة لتحقيق العدل. وثقوا باننا سنواصل السعي في سبيل مساعدتكم .

عن عنيزة — نجد (٢)

٨ — ١٠ — ١٩٣٦ »

وردت اللجنة العربية العليا على هذا النداء بنداء يدعو الى انهاء الاضراب وقدم القادة الفلسطينيون شكرهم لمساعي الملوك العرب وعلق عزة دروزة ، احد قادة حزب الاستقلال قائلا :

«وقد اغتبط العرب بالنهاية التي خرجوا بها من الموقف خروجا كريما قويا خاصة وقد انطوى فيه دخول قضيتهم في نطاق القضية العربية العامة بعد ان كاد ينعدم املهم في ذلك» (٣) .

يعود اغتباط القيادة الفلسطينية التقليدية الى كسب الحكام العرب كحلفاء، وفاتهم ان وضع الحكام هؤلاء لا يختلف في طبيعته عن وضع القيادة الفلسطينية، فالحكام العرب آنذاك هم حكام نتيجة التقائهم مع السياسة البريطانية ومناصبهم صنعت في اروقة الـ Downing st. و White Hall ومن غير المعقول التضحية بمكاسبهم بمعاداة بريطانيا لصالح القيادة الفلسطينية . وامر متوقع ان يطلب الحكام العرب من اللجنة العربية العليا الثقة ببريطانيا وبعدالتها . وعلى الصعيد

(١) المصدر السابق ، ص ٣٢٠ — نقلا عن مكتب السجلات العامة — لندن ، وزارة المستعمرات ٧٣٣-٣١٤ بتاريخ ١٠-٩-١٩٣٦ .

(٢) دروزة ، عزة ، حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، ص ١٣٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٩ .

العملي كان لسان حال الحكام العرب يقول كما ذكر سياسي عراقي كبير «ان قضيتكم ... اتعبتني» ، وكما يقول زعيم مصري ناصحا في ١٩٣٦ ، «لماذا لا تتفقون مع اليهود ؟ اننا هنا اتفقنا مع الاقباط ... فلماذا لا تفعلون مثلنا» ، وقول مسؤول اقتصادي مصري عند زيارته للقدس في ١٩٣١ ، «عليكم بالتفاهم مع اليهود ان ذلك اجدى لكم وانفع» (١) .

ومع ذلك اراد القادة الفلسطينيون من حلفائهم الجدد ، الحكام العرب ، ان يحققوا بأساليبهم السياسية ما فشلوا بتحقيقه ، ولا ادري ما هو دليل القادة الفلسطينيين بقدرة الحكام العرب على تحقيق اي نجاح . ولكنهم ، اي القادة الفلسطينيون ، اتاحوا بذلك لبريطانيا الفرصة لتستفيد من نفوذها على الحكام العرب للضغط على اللجنة العربية العليا . وفعلا بعد انتهاء الاضراب برزت مشكلة مقاطعة اللجنة العربية العليا لنشاط اللجنة الملكية للتحقيق المعروفة بلجنة اللورد Peel . اتخذت اللجنة العربية العليا قرار المقاطعة نتيجة الضغط الشعبي واللجان القومية المحلية التي وجدت في اللجنة الملكية وسيلة للتسويف وتجميد مطالب الشعب الفلسطيني . الا ان اللجنة العربية العليا اضطرت بعد فترة الى الاتصال بلجنة التحقيق تحت ضغط الانقسام الداخلي في صفوف اعضاء اللجنة العربية العليا وتأثير الحكام العرب . ومرة اخرى ارتأت اللجنة العربية العليا كوسيلة لتبرير تناقض قراراتها ان يأتي قرار اللجنة العربية العليا برفع المقاطعة نتيجة نداء يرسله الحكام العرب بهذا الصدد . وقد جاء في نداء الملكين عبد العزيز وغازي :

«وبعد فقد وصل الينا وفد اللجنة العربية العليا وعرض علينا الموقف الحاضر في فلسطين والاسباب التي حملت لجنتكم على مقاطعة اللجنة الملكية وبعد استماعنا لكل ما ابداه الوفد الكريم من مبررات لموقف لجنتكم وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في انصاف العرب فقد رأينا ان المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والادلاء اليها بمطالبكم العادلة لان ذلك اضمن لحقوقكم وادعى لمساعدة اصدقائكم في حسن الدفاع عنكم ...» (٢)

وابان عمل لجنة التحقيق ازداد الخلاف بين اعضاء اللجنة العربية العليا حتى قرر كل من راغب النشاشيبي ويعقوب فراج الاستقالة في اوائل تموز بحجة انفراد الحاج امين الحسيني ، رئيس اللجنة العربية العليا ، بالقرارات . وبعد ايام اعلنت توصيات اللجنة الملكية الداعية الى تقسيم فلسطين الى ثلاث مناطق ، عربية ، ويهودية وثالثة تشمل الاماكن المقدسة والاستراتيجية تبقى تحت اشراف

(١) النشاشيبي ، ناصر الدين ، تذكرة عودة ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص ٢٤٢-٢٤٥ .

(٢) دروزة ، حول الحركة العربية الحديثة ، الجزء الثالث ، ص ١٥٠ .

بريطانيا . وبصدور هذه التوصيات ازداد المفتي وكتلته تصلبا تجاه بريطانيا الامر الذي جعل الاخيرة تعتقد بان لا مجال لتسوية المسألة الفلسطينية ما دامت هناك عناصر عربية قيادية متطرفة وباشرت في اعتقال بعض القادة الفلسطينيين المعارضين واستغلت مقتل حاكم الجليل الانكليزي في ايلول ١٩٣٧ لتوجيه الضربة النهائية للحاج امين الحسيني وبقية افراد اللجنة المؤيدين له ، فشنت حملة اعتقالات ونفي ، وتمكن المفتي من الهرب بعد ان جرد من كافة مناصبه وحلت اللجنة العربية العليا ، وعندها القى الحاج امين الحسيني وانصاره بكل ثقلهم مع الثورة الفلسطينية التي اندلعت في الريف واستمرت الى ١٩٣٩ . وخلال الثورة عمل الحاج امين الحسيني مع بعض الهاربين على تأليف اللجنة المركزية للجهاد مركزها دمشق لقيادة الثورة الفلسطينية . اما في داخل فلسطين فان قيادة الثورة آلت الى العناصر الشعبية والعشائرية المرتبطة بالريف امثال ابو ابراهيم الكبير في طبريا ، الشيخ عطية احمد والشيخ يوسف ابو درة في منطقة جنين ، الشيخ احمد محمد الحسن في طولكرم ، الشيخ حسن سلامه في اللد . وساهم في الثورة عناصر عسكرية عربية امثال سعيد العاص وفوزي القاوقجي . وبذلك نلاحظ ان ثورة ١٩٣٦ — ١٩٣٧ فرضت عمليا على القيادة الفلسطينية اتخاذ موقف نهائي من بريطانيا بينما اتخذت الاقلية موقفا سلبيا تجاه الاحداث واحيانا تعاونت مع السلطة البريطانية وهذه هي العناصر المعروفة بالمعتدلة والتي وصفها هربرت صموئيل في تقريره :

«انهم تواقون لحياة هادئة ولا يودون التورط في صراعات سياسية . فهم يرغبون في زيادة ثرواتهم ويعتقدون ان الادارة والسيطرة البريطانية في الوقت الراهن ، هما خير ما يمكن ان يجعل البلاد وانفسهم اكثر ازدهارا . وبعضهم مدفوعون الى مواقفهم هذه كما سبق ان ذكرت بدوافع اقوى ناجمة عن الحزازات داخل صفوف معسكر المعارضة وهناك من يعتقدون انهم قد يظفرون بمزايا وفوائد مباشرة او غير مباشرة من خلال الوقوف الى جانب الحكومة » (١) .

بقيت خلال الحرب القيادة الفلسطينية المعارضة لبريطانيا مشردة خارج فلسطين وراح الحاج امين الحسيني يدور البلاد العربية وزار المانيا الهتلرية سعيا وراء حليف ضد بريطانيا . ولم تبدر من عناصر القيادة الاجتماعية التقليدية في فلسطين اي مقاومة لبريطانيا خاصة وان اغلب هذه العناصر انشغلت في الاثراء بسبب ظروف الحرب المناسبة (٢) . وبعد الحرب بقيت القيادة الفلسطينية

(١) الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، ص ٢١٤ ، كما جاء عن مكتب السجلات العامة — لندن ، وزارة المستعمرات ٧٣٣—٦٣ . صموئيل الى توماس بتاريخ ٢٥—١—١٩٢٤ .

(٢) جاء في المذكرة التي قدمتها الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٧ الى لجنة الامم المتحدة الخاصة بفلسطين ، ترجمها الدكتور فاضل حسين في كتاب تحت عنوان تاريخ فلسطين السياسي تحت

التقليدية ممزقة بسبب خلافاتها القديمة الى جانب اختلافها حول مقاطعة لجنة التحقيق الانكلو — امريكية ، ثم ان العناصر الاكثر تصلبا تجاه بريطانيا بقيت تعيش خارج فلسطين . ولم تستطع القيادة الفلسطينية التقليدية من اعادة تنظيم صفوفها الا بدعم من الجامعة العربية التي اصدرت بعد عقد دورتها في بلودان قرارا بتشكيل الهيئة العربية العليا بتاريخ ١٢ حزيران ١٩٤٦ من جمال الحسيني نائب رئيس ، احمد حلمي ، حسين الخالدي ، اميل الغوري اعضاء، والرئاسة تركت بانتظار عودة الحاج امين الحسيني من اوربا . وهكذا دخلت فلسطين حرب التقسيم في ١٩٤٨ بقيادة فلسطينية هزيلة خاضعة لوصاية الحكام العرب .

تصورت الهيئة العربية العليا ان بامكانها تحقيق النصر في حرب فلسطين وانشأت لذلك جيشا للجهاد المقدس قوامه ١٠ آلاف مسلح منظم بقيادة عبد القادر الحسيني ، وارادت ان يضع الحكام العرب امكانياتهم لخدمة اهداف الهيئة العربية العليا التي تشمل ، بدون شك ، جعل الحاج امين رئيسا للدولة الفلسطينية . ولكن لكل الانظمة العربية آنذاك مصالح واطماع خاصة غالبا ما تتناقض فيما بينها فالهاشميون برئاسة عبد الله لا يريدون المفتي حاكما ، والسعوديون يخافون من توسع عبد الله على حساب فلسطين ، والمصريون يريدون ان ينالوا حصتهم من الغنيمة . وهكذا نجد الدول العربية تقرر في ١٢ نيسان ١٩٤٨ بدخول الجيوش العربية الى فلسطين بمجرد انتهاء الانتداب في منتصف ايار ١٩٤٥ ، متجاهلة قرار مجلس الجامعة العربية في السابع من تشرين الاول ١٩٤٧ بجعل عرب فلسطين اساسا للدفاع ومدهم بالعون والفنيين عند الحاجة وابقاء الجيوش العربية المرابطة على الحدود كاحتياط). وهكذا وجد المفتي نفسه معزولا لا يملك الا قوة صغيرة امتنعت الانظمة العربية عن مساعدتها. من هنا جاء اتهام القيادة الفلسطينية التقليدية وبالذات المفتي وكتلته للحكومات العربية بانها المسؤولة وليس الفلسطينيين عن ضياع فلسطين (١) .

الادارة البريطانية — بغداد ، ١٩٥٦ ، ص ٥٢—٥٥ .
ان الحرب سببت تضخما في عملة فلسطين حيث زاد حجم العملة المتداولة من : ٥،٥٠٩،١٣٤ جنيها فلسطينيا في نهاية ١٩٣٨ الى ٤٨،٤٣٨،١٤١ جنيها فلسطينيا في نهاية ١٩٤٥ .
وتوسع النشاط الاقتصادي بسبب انقطاع الطرق التجارية الاعتيادية ونشأت صناعات جديدة لسد الحاجات الاستهلاكية للمدنيين والعسكريين ، وكذلك نشط الانتاج الزراعي بصورة غير اعتيادية وارتفعت قيمة البضائع المصنوعة المصدرة فيما عدا منتجات النفط من ٩٨٣،٠٠٠ سنة ١٩٤٠ الى ٤،٤٩٦،٠٠٠ في سنة ١٩٤٤ .

(١) راجع على سبيل المثال ، اميل الغوري ، المعذبون في ارض العرب ، بيروت ١٩٦٠ وناصر الدين النشاشيبي ، تذكرة عودة ، بيروت ١٩٦٢ ، ص ٢٤٤ .

١ – تتحمل هذه القيادة المسؤولية الاولى في هزيمة ١٩٤٨ . صحيح ان جيوش الحكومات العربية هي التي خاضت الحرب وفشلت ، ولكن القيادة الفلسطينية التقليدية فشلت خلال ثلاثين عاما في انشاء حركة مقاومة كفيلة بدحر الغزاة الجدد. وكان اتجاه القيادة الفلسطينية الى الحكومات العربية في اواسط الثلاثينيات دليل ضعف وهزيمة ، والا كيف تعتمد قيادة تعد نفسها لمواجهة بريطانيا على انظمة سياسية خاضعة للنفوذ البريطاني .

٢ – كانت بريطانيا الدعامة الاساسية للوجود الصهيوني في فلسطين خاصة في مراحله الاولى، ومع ذلك لم توجه القيادة الفلسطينية نشاطها ضد بريطانيا واكتفت بمحاربة الصهيونية وسعت لكسب ود بريطانيا ضد الصهيونية بوسائل الاقناع . مثال على هذا الاسلوب عريضة الجمعية الاسلامية – المسيحية في فلسطين – نشرت في المقطم ، القاهرة ٨–١١–١٩١٩ .

«كنا اوضحنا للجنة الاميركية بأن رغائب ومصالح قضاء يافا لا تمتزج مع حكومة غير الحكومة البريطانية نظرا الى حركة صادراتنا مدة ثمانين سنة مع بريطانيا العظمى وخصوصا مصر وذلك للجوار الموجود بين بلادنا وبينها . وعليه فمهما قيل لكم ان الاهلين لهم اميال ورغائب لا توافق على وجودكم في البلاد كوجود احزاب ينتمون الى حكومة غير الحكومة البريطانية فهو عار عن الصحة لا يستحق التفاتكم .

كنا اقنعنا الاهالي بأن حكومة بريطانيا العظمى هي افضل حكومة تنظر في عمران بلادنا وترقيها وابنا لهم وجوب حمايتها للبلاد فطلب منا بل اكد علينا ببذل جهدنا لدى الحكومة لتوقيف مهاجرة الصهيونيين الى فلسطين ومنعها ولما كنا قد وعدناهم بالدفاع عن حقوق وطننا نعرض الان ما يأتي ...» ثم تستطرد العريضة موضحة حقوق العرب .

كانت القيادة الفلسطينية التقليدية مستعدة لتقديم الكثير من التنازلات لصالح بريطانيا شريطة ان تتخلى عن سياستها الصهيونية،وهذا يتجلى بوضوح في حديث موسى كاظم الحسيني رئيس اللجنة التنفيذية خلال وجوده في القاهرة سنة١٩٢١ للمفاوضة مع السلطات البريطانية .

«قال موسى كاظم ان اهداف الوفد الفلسطيني تشمل المطالبة بالاستقلال التام ولكن اذا لم يكن ذلك مستطاعا فان الوفد يطالب بان تكون السلطة الفعلية في يد الانكليز لا في يد اليهود كما انه يرغب في أن يكون للبلاد برلمانها الخاص » (١) .

(١) الكيالي ، تاريخ فلسطين الحديث ، ص ١٧٠ نقلا عن مكتب السجلات العامة – لندن ، وزارة المستعمرات ٧٣٣–٢ التقرير السياسي لشهر اذار ١٩٢١ .

واقصى ما طالبت به اللجنة العربية العليا في ١٩٣٧ هو الغاء الانتداب واقامة دولة فلسطينية مستقلة ترتبط مع بريطانيا بمعاهدة تضمن مصالح بريطانيا كما تضمن مصالح الاقلية اليهودية (١) . وعندما وجدت القيادة الفلسطينية التقليدية نفسها في نهاية الشوط وجها لوجه مع بريطانيا كان الزمن لغير صالحها فالحركة الصهيونية اشتد عودها وقوي نفوذها وبات من الصعب على بريطانيا ان تغير سياستها .

٣ – كانت القيادة الفلسطينية التقليدية عقبة امام نمو مقاومة مسلحة ضد بريطانيا خلال الفترة بين ١٩١٨ – ١٩٣٦. خلال انتفاضة ١٩٢٩ المعروفة بالبراق وقف الحاج امين الحسيني ضد فكرة تنظيم ثورة مسلحة وساعد السلطة في اخماد الاضطرابات (٢) ، ومرة اخرى في ١٩٣٥ رفض الحاج امين الحسيني تأييد ثورة القسام التي كانت محاولة للقيام بثورة مسلحة. ولم تنظم القيادة الفلسطينية التقليدية اي قوة عسكرية للطوارىء كما فعلت الصهيونية بتنظيمها للهاجانا والبالماخ .

٤ – طبيعة القيادة الفلسطينية الطبقية وضعتها في صف معاد للقوى اليسارية المحلية والعالمية ، الى درجة انها طالبت بريطانيا بمنع الهجرة اليهودية الى فلسطين باسم محاربة البلشفية، وهذا نص مذكرة لجنة المؤتمر العربي الفلسطيني الثالث بتاريخ ٨–٣–١٩٢١ :

«سعادة ناظر خارجية انكلترا :
طالما نبهنا حكومات الحلفاء بأن مهاجري اليهود الذين يؤمون فلسطين ينشرون مبادىء البلشفية في البلاد ويسببون وقوع الفتن فيها ولكن قبل لم نلق اذنا صاغية اما اليوم فقد اعترفت الحكومة بأن فتنة يافا قد تسببت وبدأت من قبل اليهود وان مهاجريهم ينشرون روح البلشفية في فلسطين لهذا نطلب مكررين ايقاف سير الهجرة اليهودية الى هذه البلاد حقنا للدماء ومنعا لسير نار البلشفية في الشرق» (٣) .

وفي مذكرة اخرى موقعة من قبل ممثل الاطباء ، ممثل الطائفة الارثوذكسية ،

(١) المصدر السابق ، ص ٣٣٣ ، وزارة المستعمرات ٧٣٣ – ٢٣٣ ، بتاريخ ١٣ – ٩ – ١٩٣٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٢٤٤ ، نقلا عن مكتب السجلات العامة ، الوزارة تقرير «الحالة في فلسطين» وزارة المستعمرات ٧٣٣–١٧٥ بتاريخ ٢٨–١١–١٩٢٩ ، ملحق رقم ٢ ص ٣ . وكذلك عرض شكيب وهاب القائد السوري الثوري تنظيم ثورة بواسطة عصابات مسلحة ولكن المفتي رفض الاقتراح .

(٣) وثائق المقاومة الفلسطينية العربية ضد الاحتلال البريطاني والصهيونية (١٩١٨–١٩٣٩) ، جمع وتصنيف عبد الوهاب الكيالي ، مؤسسة الدراسات الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٨ ، ص ١٩ ، رقم ١١ .

ممثل الطائفة اللاتينية ، ممثل الطائفة الكاثوليكية ، ممثل المحامين ، ممثل المزارعين ، ممثل الملاكين ، ممثل العمال ، ممثل الصناع ، ممثل التجار ، عن خدمة العلم الشريف ، النادي الوطني في طولكرم . احتجت المذكرة على وعد بلفور وجاء فيها :

«لما نعلمه تاريخيا من ان الامة اليهودية التي مضى عليها اكثر من الفي سنة ولم تمتزج بأي شعب ما لا نقدر ان نمتزج معها . فما عم الامر وبدأت تهاجر الى بلادنا حتى رأيناهم يظهرون ما يروى عنهم بأجلى بيان ، فقد شرعوا بنشر الدعوة البلشفية منذ وطئت اقدامهم بلادنا وطفقت الاخلاق المتأصلة في نفوسهم تتغلب على ما اعلنوا وصرحوا» (١) .

كانت مثل هذه الخلفية وراء اتجاه ابرز شخصية فلسطينية وهي الحاج امين الحسيني الى طلب معونة هتلر ، وفي لقاء له مع هتلر في برلين بتاريخ ٢٤ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤١ ، طلب الحاج امين دعم المانيا باصدار بيان الماني يؤيد وحدة سوريا وفلسطين والعراق وانهاء الوطن القومي لليهود في فلسطين ومقابل ذلك ابدى الحسيني استعداده لانشاء فرقة عربية من ابناء شمال افريقيا الاسرى والمسلمين لدعم المانيا في الحرب (٢) . مثل هذا الموقف اظهر الحركة الوطنية الفلسطينية بصف الرجعية الالمانية .

٤ ــ واخيرا ، بعد ان اتضحت امكانيات القيادة الفلسطينية التقليدية ، والتي هي دون مستوى تحقيق الاهداف المتمثلة بمنع الهجرة اليهودية لفلسطين ، منع بيع الاراضي العربية لغير العرب ، وايجاد حكم فلسطيني برلماني ، كان يتوجب على القيادة الفلسطينية التقليدية ان ترضى ببعض الاقتراحات البريطانية التي كانت دون تحقيق الهدف ولكنها تعطيهم على الاقل بعض الشيء ، وذلك كأقتراح قدمته بريطانيا في ١٩٢٢ باقامة مجلس تشريعي يتكون من ٢٣ عضو منهم ١١ عضو حكومي معين و١٠ عرب واثنان يهود . ولكن القيادة الفلسطينية التقليدية رفضت هذا الاقتراح واقتراحات مشابهة لها كالمجلس الاستشاري وتشكيل مكتب عربي له صلاحيات مشابهة لصلاحيات الوكالة اليهودية . صحيح ان هذه الاجراءات كانت دون مستوى تحقيق الاهداف ولكن هل كان بامكان القيادة الفلسطينية آنذاك ان تحقق اي شيء افضل من ذلك .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٢٠ ، رقم ١٢ ، احتجاج اهالي مقاطعة طولكرم ضد وعد بلفور وسياسة بريطانيا الصهيونية في فلسطين ـ طولكرم ١٧ـ٥ـ١٩٢١ .

(٢) Laquer. Walter, Ed. The Israel Arab Reader, P. 79, Documents On German Foreign Policy, 1918-1945, Series D, Vol, XIII London, 1964, pp. 881 ff.

عبد القادر ياسين

الاحزاب الشيوعية العربية وقضية فلسطين

تأتي اهمية هذه الدراسة ، من كون الاحزاب الشيوعية العربية ، تشكل فصائل رئيسية في الثورة العربية اولا ، وللفعالية الدولية التي تتمتع بها هذه الاحزاب .

وربما كان من الاجدى رصد موقف كل حزب على حدة .

الحزب الشيوعي العراقي

ا درج الحزب الشيوعي العراقي على الفصل بين الصهيونية واليهودية، واعتبر تكوين **دولة ديمقراطية** من العرب واليهود في فلسطين الحل الصحيح للمسألة الفلسطينية . وهذه جريدة الحزب السرية تحتج ، عام ١٩٣٥ «بقوة سواعد عشرات الالوف من عمال وفلاحي العراق ضد السياسة الغاشمة والطرق الاجرامية التي تتبعها السلطات الاستعمارية البريطانية تجاه رفاقنا شيوعيي فلسطين والاحرار الثائرين» (١) .

وفي عام ١٩٤٥ تبنى الشيوعيين من يهود العراق ، فكرة تكوين **(عصبة مكافحة الصهيونية)** ، وخرجت العصبة الى الوجود ، واصدرت جريدتها، وأسمتها **(العصبة)** .وكان يحرر فيها كل من يوسف زلخة ونعيم شوع ونعيم سليمان. وقد اوصى الحزب الشيوعي اعضاءه بالدخول في هذه العصبة وتشجيعها ، وجذب الناس اليها ، وخاصة اليهود منهم . ونشطت العصبة في اصدار العديد من الكراسات . وعقد الكثير من الاجتماعات الحاشدة .

---

(١) جريدة «كفاح الشعب» العدد الثاني ، السنة الاولى ، آب (اغسطس) ١٩٣٥ .

وضمن سلسلة (رسائل العصبة)، اصدرت عصبة مكافحة الصهيونية كراسا بعنوان **(نحن نكافح في سبيل من؟ وضد من نكافح؟)** ضمنته خطها السياسي، وربطت فيه الصهيونية بالاستعمار عموما، والامريكي بوجه خاص، واعتبرت الصهيونية توأما للامبريالية ومطية لها. وأكد الكراس على الفصل بين الصهيونية واليهودية، وأشار الى انه «ليس لليهود قضية منفصلة عن قضايا شعوبهم، وان الفاشية والصهيونية توأمان لبغي واحدة هي العنصرية..» (١).

وفي الصفحتين السابعة والثامنة من الكراس نفسه، حددت العصبة اهدافها فيما يلي:

(١ ــ **نحن اعداء الصهيونية**)ــ نحاربها في سبيل اخواننا اليهود.

٢ ــ .. ولأنها حاولت وتحاول خلق الفتن والعداء والعنصرية بيننا وبين شعبنا العربي، لكي تصرفنا عن النضال من اجل تحقيق قضايانا الوطنية الكبرى، الاستقلال والسيادة الوطنية، الجلاء، وانهاء التدخل الاجنبي.

(٣ ــ **نحن اعداء فكرة (الوطن القومي الصهيوني)**)، لانها تفرق بين اليهود وبين مواطنيهم في الوطن الواحد.

(٤ ــ .. ولأن ذلك يستهدف شطر فلسطين العربية عن جسم البلاد العربية وافناء شعبنا العربي.)

وفي فصل بعنوان (الصهيونية راسمالية استعمارية)، ذكر الكراس ان الصهيونية تظهر بشتى المظاهر والالوان امام الجماهير اليهودية. فهي دينية امام المحافظين، وقومية امام الشباب المتحمس، واشتراكية امام العامل، وهي في الحقيقة لا تملك من هذه المبادىء شيئا، فدينها نفاق ورياء، وقوميتها عنصرية اعتدائية، واشتراكيتها انتهازية، وأشارت الى ان للصهيونية نوايا ومطامع اقتصادية، وهي اغراق الاسواق بالبضائع لتشل الصناعة الوطنية والسيطرة على التجارة.

وقد ردت عصبة مكافحة الصهيونية وجود الصهيونية في فلسطين الى الاستعمار وجيوشه في الوطن العربي، ومن ثم فقد الحت العصبة على ضرورة التركيز على الكفاح ضد الاستعمار لطرده من الوطن العربي كله.

وفي ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٥، وبمناسبة ذكرى اصدار وعد بلفور، اصدرت العصبة بيانا، اعلنت فيه «باسم يهود العراق استنكارها لهذا الوعد واحتجاجها عليه» وأوضح البيان ان الصهيونية «لا تتورع عن اظهار وجهها القبيح في خدمتها للاستعمار». وأن الصهيونية تخلق من جماهير اليهود «حاجزا يختفي وراءه الاستعمار، فيحافظ على امتيازاته ويستمر في استغلاله وفي التطفل على دماء الشعوب العربية». وترى العصبة في بيانها «ان حل المشكلة اليهودية يتم

---

(١) رسائل العصبة (نحن نكافح في سبيل من؟ وضد من نكافح؟) مطبعة دار الحكمة، بغداد، ١٩٤٦، ص ٣.

بحل مشكلة البلدان التي يعيش فيها اليهود. اما (حل) فلسطين، فهو فضلا عن انه لا يحل المشكلة اليهودية، فهو اعتداء صريح غاشم على حقوق الشعب العربي..» وينتهي البيان الى دعوة «كل مواطن الى النضال من اجل استقلال فلسطين استقلالا تاما، **وتأليف حكومة ديمقراطية عربية** فيها، ومنع الهجرة الصهيونية الى فلسطين، وايقاف انتقال الاراضي الى الصهاينة» (١).

وفي فبراير (شباط) ١٩٤٦ وجهت عصبة مكافحة الصهيونية بيانا الى (الرأي العام العربي والديمقراطيين جميعا) اكدت فيه «.. ان مشكلة فلسطين يجب ان تفصل عن المشكلة اليهودية، لان المشكلة الاولى ما هي الا مشكلة شعب يناضل في سبيل حريته واستقلاله، فاذا كانت المشكلة اليهودية لا تربط بمشاكل الشعوب المناضلة الاخرى، فلماذا اذن تربط بمشكلة الشعب الفلسطيني العربي المناضل؟!» وأكد بيان العصبة على «.. ان العرب لا يمكن ان يحصلوا على حرياتهم واستقلالهم الا بالاعتماد على انفسهم وبالتعاون مع قوى الشعوب المعادية للظلم والاستعمار» ودعت العصبة في ختام بيانها رؤساء الحكومات العربية الى اثارة قضية فلسطين في مجلس الامن، والمطالبة **بالغاء الانتداب وبمنحها استقلالا تاما** (٢).

وفي مطلع ١٩٤٧، اغلقت الحكومة العراقية، مكتب العصبة وجريدتها.

اما النشاط العملي والفكري الذي كان يقوم به الحزب مباشرة بصدد المسألة الفلسطينية فقد اتسم بنضوج وفهم عميق للمسألة من كافة وجوهها. وهذا احد قادة الحزب يهاجم الحركة الصهيونية، مؤكدا ان خطرها لا يهدد فلسطين وحدها، بل البلاد العربية بأسرها، وانها «حركة استعمارية فاشية.. وأنها اداة رجعية بأيدي الدول الاستعمارية ضد الحركة التحررية العربية» (٣).

وقد اتهم **(فهد)** ــ سكرتير عام الحزب ــ حكومة نوري السعيد بأنها لا تحارب الصهيونية، مؤكدا ــ في نفس الوقت ــ ان القضاء على الصهيونية لا يتم الا بالقضاء على الارهاب واعطاء الحريات الديمقراطية وتأليف الجمعيات السياسية، ورفع النفوذ الاجنبي عن البلاد (٤).

وعند صدور قرار تقسيم فلسطين، في ٢٩ نوفمبر ١٩٤٧، طلب فهد الى مسؤول اللجنة المركزية خارج السجن **(مالك سيف)** «اعلان تأييد تقسيم فلسطين» (٥).

ومع بدء حرب فلسطين ارسل (فهد)، من سجنه، رسالة سرية الى (مالك

---

(١) اوردته مجلة «الفجر الجديد» القاهرية اليسارية، العدد الثالث عشر، منتصف نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٥.
(٢) «الفجر الجديد» العدد (٢٢) ــ ٢٠-٢-١٩٤٦.
(٣) حسين الشبيبي «الاستقلال والسيادة الوطنية» ١٩٤٥، مطبعة شفيق، ص ٢٩.
(٤) جريدة «القاعدة» السرية، ٢٢-١٢-١٩٤٦.
(٥) الشرطة العامة، التحقيقات الجنائية (موسوعة سرية خاصة بالحزب الشيوعي السري) ١٩٤٩ جـ١، ص ٦٧.

سيف) ، اوضح له فيها ان كون الاتحاد السوفياتي قد اخذ «بنظر الاعتبار بضعة مئات الالوف من اليهود الذين سبق واصبحوا من سكان فلسطين ، لا يعني انهم قومية ، كما لا يعني عدم الاهتمام بهم» . والح فهد في رسالته على وجوب استمرار الحزب في المطالبة (**بالغاء الانتداب البريطاني على فلسطين ، وجلاء الجيوش الاجنبية عن فلسطين وتشكيل دولة ديمقراطية مستقلة كحل صحيح(١)**) .

وعلى توجيهات قائد الحزب ، دعت اللجنة المركزية للحزب الى «استقلال فلسطين والعمل على احلال التفاهم بين الدولتين العربية واليهودية لتوحيدهما»(٢).

وفي رسالة سرية اخرى من فهد الى مالك سيف ، راى الاول في حرب فلسطين «مهزلة ووسيلة لتنفيذ اغراض استعمارية مفضوحة» (٣) .

وفي نفس الفترة، اصدر الحزب كراسا سريا بعنوان (**مغزى الحملة العسكرية في فلسطين**) ، جاء فيه ان مشاركة الدول العربية في حرب فلسطين قد اتت تنفيذا لمآرب المستعمرين، لاقتطاع القسم العربي من فلسطين ومنحه الى المستعمرة البريطانية (شرق الاردن) .. وأن البورجوازية اليهودية تريد تقوية نفسها ، وان تبرهن لواشنطن ولندن ان باستطاعتها الاعتماد عليها لمنفعة كل مشاريعها» (٤) .

كما طلبت قيادة الحزب الى اعضائها التركيز في نضالهم الجماهيري على شعارات «**اقامة حكومة ديمقراطية مستقلة**» في القسم العربي من فلسطين ، ومنع تمزيقه والحاقه» وختمت القيادة تعليماتها بشعار «يسقط الاستعمار الانكلو – امريكي وربيبته الصهيونية والرجعية العربية» (٥) .

وعندما انتقدت بعض العناصر الوطنية والقومية العراقية موقف الاتحاد السوفياتي من تقسيم فلسطين ، رد الحزب بأن «سياسة الاتحاد السوفياتي تتلخص في وجوب اعلان استقلال فلسطين وتمتع الشعبين العربي واليهودي بحق تقرير المصير ..» (٦) .

(وفي نشرة حزبية اخرى ، راى الحزب ان حل المسألة الفلسطينية لا يكون بغير **الحل الاشتراكي**) وضرورة «توحيد قوى حزبي التحرر الوطني العربي واليهودي لفضح شوفينية البورجوازية اليهودية والاقطاعية العربية المسيطرة الان على اغلب القوميين» . وانتهت النشرة الى المطالبة بتكوين دولة اشتراكية اتحادية (٧) .

(وفي عام ١٩٥٣ اصدر (الحزب الشيوعي العراقي) ميثاقه الوطني ، حيث

---

(١) المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٢ .
(٢) «القاعدة» ، يوليو –تموز– ١٩٤٨ .
(٣) الشرطة العامة ، المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٣٥ .
(٤) نشرة خطية «مغزى الحملة العسكرية في فلسطين» ص ١٢–١٣ .
(٥) منشور مخطوط «تعليمات للاعضاء من اللجنة المركزية» .
(٦) نشرة مخطوطة ، ص ٦ .
(٧) نشرة خطية بالقلم الحبر ، عثر عليها في المقر السري لجريدة «القاعدة» عام ١٩٤٩ .

شدد في البند (أ) من المادة (١٤) من الميثاق على ضرورة «التعاون السياسي بين شعوب البلاد العربية للنضال المشترك ضد المشاريع الاستعمارية الحربية ، وضد اساليب الحكم الاستبدادي لتحرير هذه البلاد من قبضة الاستعمار والرجعية . ولاقامة دولة ديمقراطية مستقلة في القسم العربي من فلسطين» (١) .

وشارك الحزب الشيوعي ، في اصدار ميثاق وطني مع (الحزب الوطني الديمقراطي) و(حزب الاستقلال)، كان بمثابة برنامج انتخابي لخوض انتخابات عام ١٩٥٤ البرلمانية في العراق . وقد نصت المادة السابعة من الميثاق المذكور على «التضامن مع الشعوب العربية واستقلال البلاد العربية **وتحرير فلسطين**» (٢) .

كما كتب السجناء الشيوعيون في (سجن بعقوبة) في نشرتهم السرية (**كفاح السجين الثوري**) ، عام ١٩٥٤ ، مقالا بعنوان (الموقف الوحيد الصحيح في حل قضية فلسطين) ، طالبوا فيه بضرورة «١ – الاقرار بالتقسيم .. ٢– حق تقرير المصير للشعب العربي ... باقامة دولة عربية ديمقراطية مستقلة محبة للسلم في القسم العربي من فلسطين .. ٣– طرد جيوش كلوب من القسم العربي من فلسطين .. ٤– ارجاع اللاجئين الى ديارهم .. » (٣) .

السوري اللبناني

(ظل الحزبان الشيوعيان السوري واللبناني يعملان متحدين حتى عام ١٩٥٨ ، حيث استقل كل منهما عن الاخر .

وفي الفترة من عام ١٩٣٦ حتى ١٩٣٩ ، اتسم موقف الحزب الشيوعي السوري اللبناني بالهجوم الشديد على «غلاة المستعمرين الانجليز والصهيونيين من اتباع جابوتنسكي الفاشستي») .. «ورفض التقسيم رفضا باتا» .. «ووقف الهجرة ومنع بيوع الاراضي ، واقامة نظام دستوري ديمقراطي» (٤) .

واشتد اهتمام وتركيز الحزب على المسألة الفلسطينية اثناء الحرب العالمية الثانية وفي أعقابها . وهذا فرج الله الحلو – احد قادة الحزب – يكتب مقالا في نهاية الحرب المذكورة بعنوان (فلتسقط الصهيونية المجرمة)، وصف فيه الصهيونية

---

(١) «الميثاق الوطني للحزب الشيوعي العراقي» – كراس مخطوط بعشر صفحات – اوائل اذار –مارس– ١٩٥٣ .
(٢) فاضل حسين «تاريخ الحزب الوطني الديمقراطي ١٩٤٦–١٩٥٨» ، مطبعة الشعب ، بغداد ، ١٩٦٣ – ص ٣٥٢–٣٥٤ .
(٣) «كفاح السجين الثوري» ، جريدة سرية مخطوطة – العدد الثالث ، السنة الثانية ، ٣٠ مايو –ايار– ١٩٥٤ .
(٤) مذكرة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني ، الى مؤتمر بلودان – نشر في جريدة «صوت الشعب» ١٥–٩–١٩٣٧ . واوردها س. ايوب (الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان) ص ٨٨–٨٩ .

بأنها «حركة استعمارية هدفها الاقتصادي تصدير الرساميل الى فلسطين وما جاورها من البلاد العربية ، وجعلها جميعا سوقا للاستثمار وتصريف البضائع ... وهي بحكم كونها حركة استعمارية تناقض اهداف العرب التحررية والاستقلالية على خط مستقيم ، فهدفها السياسي خلق نقطة ارتكاز اخرى ، وطابور خامس للاستعمار في بقية الاقطار المجاورة». وينتهي الحلو الى التأكيد على «ان نضال العرب في فلسطين ضد الصهيونية ، ليس نضالا بين عرب ويهود ، اي ليس نضالا عرقيا ولا دينيا ... بل هو نضال سياسي ، نضال وطني ضد شكل من ابشع اشكال الاستعمار الاجنبي» (١) .

وفي الخامس من مارس (اذار) ١٩٤٥ ، اصدر الحزب الشيوعي السوري اللبناني ، دراسة عن **(الحالة السياسية العامة في سوريا ولبنان)** ، اشار فيها الحزب الى ان مشروع سوريا الكبرى «يؤدي الى نتائج خطيرة على العرب ، اهمها: اولا : خلق منطقة جديدة لنفوذ استعماري معين . ثانيا : الاعتراف الرسمي بالصهيونية وتأليف دولة صهيونية على شاطئ فلسطين العربية تكون حصنا للاستعمار وخطرا على كل الشرق العربي» .

وهذا قائد اخر للحزب يرى «ان القضية الكبرى الموضوعة امام فلسطين هي قضية حريتها واستقلالها ، ومتابعة النضال لالغاء الانتداب والحكم المباشر ومكافحة الصهيونية والرجعيين من العرب الفلسطينيين الذين يساندونها بصورة مباشرة او غير مباشرة ، والكفاح لوقف الهجرة ، وازالة العراقيل التي تضعها الوكالات الصهيونية لمنع اليهود من الرجوع الى اوطانهم المحررة» (٢) .

وعندما اقترح الرئيس الامريكي (ترومان) ادخال مائة الف يهودي الى فلسطين ، عقدت اللجنة المركزية للحزب اجتماعا في دمشق في ١٥-١٠-١٩٤٥ ، خصصته لدراسة المسألة الفلسطينية ، وأصدر الاجتماع المذكور بيانا اكد على ان «حل قضية فلسطين حلا صحيحا هو في الغاء الانتداب عن فلسطين واعلان استقلالها التام ومنحها حريتها وسيادتها الوطنية ووقف الهجرة الصهيونية اليها ، مع السماح لليهود الذين يرغبون في ذلك بالرجوع الى اوطانهم المحررة في اوروبا ... واقامة حكم وطني ديمقراطي في فلسطين يؤمن الحرية والحقوق الديمقراطية العامة لجميع المواطنين» (٣) .

وبمناسبة ذكرى وعد بلفور اصدر الحزب الشيوعي السوري اللبناني بيانا ، في الثاني من نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٥ ، جاء فيه «.. واليوم تحاول الصهيونية من جديد ان تبني دولتها في فلسطين الشقيقة . ولكن السوريين واللبنانيين

(١) «صوت الشعب» ١٣ و١٤/٨-١٩٤٤ – العدد ٨٢٦ .
(٢) عبد القادر اسماعيل «صوت الشعب» من مقال (موقف الجامعة العربية من فلسطين) ١-٨-١٩٤٥ العدد ١٠٢٧ .
(٣) «صوت الشعب» ١٨-١٠-١٩٤٥ – العدد ١٠٦٧ .

والعرب في جميع اقطارهم يتضامنون كل التضامن مع شعب فلسطين في مقاومة هذا المشروع الاستعماري البغيض ، ويعتبرون قضية فلسطين قضيتهم . فان قيام دولة صهيونية في فلسطين يجعل تحت تصرف الاستعمار الاجنبي في قلب البلاد العربية نقطة ارتكاز عسكرية وسياسية واقتصادية ، متمكنة من متابعة الاشراف والسيطرة على هذه البلاد واستغلال حرياتها وعرقلة تقدمها ورقيها وابقائها في مهاوي التأخر والجهل والضعف تحت نير السيطرة الاجنبية» . وانطلاقا من هذا الموقف نظم الحزب في نفس هذا اليوم ، مظاهرة شعبية طافت أرجاء بيروت ، وسقط فيها **(ادوارد الشرتوني)** شهيدا (١) .

وفي اوائل عام ١٩٤٦ ، حضر **(نقولا شاوي)** – احد قادة الحزب الشيوعي السوري اللبناني ورئيس تحرير صحيفة (صوت الشعب) آنذاك – مؤتمر الحزب الشيوعي البريطاني المنعقد في لندن ، وقد اشار شاوي ، في خطابه ، الى « ان العالم العربي تهب عليه نسمة من الحرية.. وفلسطين تطلب الغاء الانتداب، ووقف الهجرة ، والغاء الوطن القومي ، واقامة حكم وطني دستوري قائم على الاستقلال والديمقراطية» (٢) .

وفي دمشق ، وبمناسبة عيد العمال العالمي لعام ١٩٤٦ ، القى **خالد بكداش** خطابا جاء فيه : «نحن لسنا اعداء لليهود بل **نحن اعداء للصهيونية** ، اعداء قدماء لها ، فهي **حركة استعمارية رأسمالية رجعية** ، مهمتها في الغرب محاولة الغاء الشقاق والتفرقة بين العمال اليهود وغيرهم من العمال في كل قطر ، ومحاربة الاشتراكيين ، ومهمتها فيما يتعلق بفلسطين خدع العمال اليهود وجرهم الى خدمة مآرب غريبة عن الديمقراطية والاشتراكية ، هي مآرب الاستعمار البريطاني والرأسمالية الصهيونية المندمجة بالرأسمال الانجليزي والامريكي... ان في اعناقنا جميعا لا واجب التأييد لفلسطين ، بل واجب النضال جنبا الى جنب مع فلسطين ضد **الانتداب وضد الصهيونية وضد الوطن القومي الصهيوني في سبيل استقلالها وقيام حكم ديمقراطي صحيح فيها** ... فما فلسطين في نظر المستعمر والمنتدب وحليفته الصهيونية سوى (رقبة الجسر) للاحتلال والاستعمار والاضطهاد ضد الحركات الوطنية العربية ، ضد الحركات الديمقراطية العربية ، ضد الحركات النقابية العربية ، ضد العمال العرب وجميع النقابيين العرب ، وجميع العمال والفلاحين العرب ، قضية فلسطين هي قضية العروبة بأسرها في كل اقطارها وديارها » (٣) .

وفي اواسط فبراير (شباط) ١٩٤٧ ، اصدرت اللجنة المركزية للحزب

(١) الحزب الشيوعي اللبناني «خمسة وعشرون عاما من نضال الحزب الشيوعي اللبناني في سبيل الاستقلال الوطني والديمقراطية والاشتراكية» ص ٥٦ .
(٢) عن مجلة «الفجر الجديد» القاهرية ، ٢٧-٢-١٩٤٦ ، العدد ٢٣ .
(٣) «صوت الشعب» – ايار –مايو– ١٩٤٦ ، العدد ١١٣٩ .

الشيوعي السوري اللبناني مجموعة من القرارات في مجالات مختلفة . وبصدد فلسطين اقرت اللجنة ضرورة «.. متابعة النضال بالتضامن مع جميع الوطنيين العرب لتأييد الشقيقة فلسطين في نضالها **ضد مشاريع التقسيم الاستعمارية ، ولاجل الجلاء والاستقلال ، وقيام حكم دستوري وطني ديمقراطي في فلسطين ، وايقاف الهجرة الصهيونية**» لان في ذلك لا مصلحة فلسطين وحدها ، بل مصلحة جميع الشعوب العربية في نضالها الوطني الصاعد للتخلص من الاستعمار ، ولاجلاء جيوشه ، وتحقيق التحرر الوطني» .

وعشية صدور قرار التقسيم ، وفي ١٧ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٧ ، اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني ، بيانا اكدت فيه «بان حل قضية فلسطين هو في **الجلاء والاستقلال والغاء الانتداب ورفض مشروع التقسيم** رفضا باتا .. لان من الممكن ان يعيش العرب واليهود في فلسطين في ظل **دولة ديمقراطية مستقلة واحدة**» (١) . وطالب البيان «الوطنيين الديمقراطيين العرب ، في نضالهم ضد التقسيم ، ان يقاوموا بقوة وحزم جميع المحاولات التي تحمل لواءها بعض الاوساط الرجعية المرتبطة بالاستعمار في الاقطار العربية ، تلك المحاولات الرامية الى اخراج حركة التضامن العربي مع فلسطين من نطاق النضال ضد الاستعمار والاحتلال والصهيونية، وتحويله الى نضال عرقي عربي يهودي»(٢).

ثم عادت اللجنة المركزية للحزب ، واستنكرت «دعايات انصار الدولة الصهيونية في فلسطين» ودعا البيان الذي اصدرته بهذا الصدد الى «حماية فلسطين من المؤامرات والمشاريع الانجليزية الامريكية ، ومن مطامع الصهيونية ، وبرفض كل مشروع يرمي الى التقسيم» .

وحدث التحول في موقف الحزب ، بعد صدور قرار التقسيم ، في ٢٩-١١-١٩٤٧ . وفي وقت لاحق وصف **(كريم مروة)** ، احد قادة الحزب الشيوعي اللبناني الان ، تأييد التقسيم وقت صدوره الى ان الحزب كان قد نظر الى القضية الفلسطينية في الماضي والى التآمر الاستعماري الصهيوني عليها نظرة ضيقة . «اي ان الحزب لم يستطع ان يقدر كما ينبغي الابعاد الحقيقية السياسية والقومية التي يمكن ان يؤدي اليها على المدى البعيد ، نجاح المؤامرة على فلسطين بأنشاء كيان غريب مصطنع على ارضها» (٣) . وفي تفسيره لذلك ، قال الحزب الشيوعي اللبناني ـ في مجال الانتقاد الذاتي ـ ان الحزب كان قد نظر الى القضية الفلسطينية «من زاوية المساعي الاستعمارية المحمومة لابقاء فلسطين في حالة التبعية ، واستغلال القضية الفلسطينية لتثبيت مواقع الاستعمار في الشرق العربي ، وربطه بالمشاريع العدوانية ... وادى بروز تواطؤ بعض الحكام العرب

(١) «خمسة وعشرون عاما» ص ٥٧ .
(٢) «صوت الشعب» ١٩ و٢٠-١٠-١٩٤٧ .
(٣) كريم مروة «الحزب الشيوعي .. سياسته واهدافه» ، منشورات المحرر ، ١٩٦٩ ، ص ٣٢ .

ومسايرة البعض الاخر للدول الاستعمارية ، والاستعداد للعمل لتنفيذ مشاريعها ، الى انعكاسات قوية في سياسة الحزب ونشاطه ، مضادة للمشاريع الاستعمارية بوصفها الخطر الاكبر والداهم» . ويرى الحزب ان هذا الجانب رغم صحته «ما كان له ان يحجب الوجه الاخر للقضية الفلسطينية ، الوجه القومي» . ويصف الحزب نظرته هذه بأنها كانت نظرة ضيقة (١) .

وفي أعقاب صدور قرار تقسيم فلسطين ، تقدمت امريكا الى الامم المتحدة باقتراح يقضي بوضع فلسطين تحت الوصاية ، وتصدى **فرج الله الحلو** ـ احد قادة الحزب ـ للمناورة الامريكية ، وكتب في اوائل ١٩٤٨ ، يقول «ان وضع فلسطين تحت الوصاية معناه منع الجلاء عن فلسطين ، وفرض السيطرة الامريكية البريطانية عليها وجعلها مركزا عسكريا امريكيا بريطانيا موجها ضد الشعوب العربية وضد الاتحاد السوفياتي» . كما يرى الحلو ان التقسيم «يصبح اسهل تنفيذا حين توضع فلسطين تحت الوصاية ، اي تحت الاشراف الامريكي البريطاني، اذ يجري عندئذ هذا التقسيم كما يريده الانكليز والامريكيون ، اي مع بقائهم وبقاء جيوشهم وسلطتهم ، وسوف تفتح ابواب الهجرة الصهيونية واسعة في فترة الوصاية » (٢) .

وبعد دخول الجيوش العربية الى فلسطين ، مايو (ايار) ١٩٤٨ ، اصدرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوري اللبناني بيانا ، اعتبرت فيه حرب فلسطين حربا دينية عنصرية ، وانتهت الى مطالبة الجيوش العربية ان تنسحب من فلسطين فورا .

وفي يوليو (تموز) ١٩٤٨ ، اصدر الحزب الشيوعي في سوريا ولبنان ، بيانا بعنوان (الى الاتحاد في جبهة وطنية جبارة) ، اكد فيه ان الحرب ليست الا «مؤامرة فظيعة هائلة هدفها ، اولا : منع قيام الدولة العربية المستقلة في القسم العربي من فلسطين ، والحاق هذا القسم بمستعمرة شرق الاردن البريطانية» .
وفي برنامج خالد بكداش الانتخابي لعام ١٩٥٤ ، مادة تقول بضرورة السعي «لحل قضية فلسطين بمعزل عن تدخل المستعمرين الامريكيين والانكليز ، على اساس ان حل هذه القضية مرتبط ارتباطا تاما بالقضاء على سيطرة الاستعمار في الشرق العربي وعلى حكم عملائه وعلى الصهيونية الرجعية صنيعة الاستعمار الامريكي» .

وفي مايو (ايار) ١٩٥٦ ، صدرت عن اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في سوريا ولبنان مجموعة قرارات ، جاء فيها «.. قامت اسرائيل من اساسها على العدوان والاغتصاب وبقوة حراب الاستعمار ..» ودعا كراس اللجنة المركزية هذا «للوصول الى حلول لقضية فلسطين تتفق مع مبادىء الديمقراطية والعدالة وتتضمن

(١) «خمسة وعشرون عاما» ص ٦١ .
(٢) المصدر السابق ، ص ٦٠ .

حقوق العرب» ووصف الكراس اسرائيل بأنها «قاعدة للاستعمار وأداة في يده للضغط والتوسع» .

المنظمات المصرية

تعددت المنظمات الشيوعية في مصر ، حتى بلغت عام ١٩٥٥ ثلاثة عشرة منظمة،. وهذه منظمة **(الفجر الجديد)** الشيوعية تصدر مجلة علنية ، عام ١٩٤٥ ، تحمل نفس اسم المنظمة. وتغطي المجلة نشاط **(عصبة التحرر الوطني)** الفلسطينية، كما ترحب بعضوي العصبة مندوبي فلسطين العائدين من مؤتمر النقابات العالمي المنعقد في باريس عام ١٩٤٥ ، واللذين ذهبا ليمثلا **(مؤتمر العمال العرب)** بفلسطين. وهما **مخلص عمرو وبولس فرح** . وبعد عودته الى فلسطين ، ارسل مخلص عمرو الى **احمد صادق سعد** ، عضو قيادة الفجر الجديد ، مجموعة من الكتب والصحف والنشرات ، استخرج منها صادق سعد مادة كتابه القيم الذي صدر عام ١٩٤٦ يحمل عنوان **(فلسطين بين مخالب الاستعمار)** . وفي اواسط حزيران (يونيو) ١٩٤٥ نشرت مجلة «الفجر الجديد» مقالا ، بدون توقيع ـ علمت انه لصادق سعد ـ بعنوان **(من كفاح فلسطين الوطني الديمقراطي)** قال فيه ان كفاح فلسطين الوطني الديمقراطي يتجه «الى الحصول على الاستقلال ، والتخلص من الطغيان الصهيوني» . ويرى صادق سعد ان الحركة الوطنية الفلسطينية «لا تطالب فقط بهذه المطالب المادية لتحسين حالة الشعب (النقابات العمالية ، المدارس ، وفرض الضرائب التصاعدية) بل تطالب بالدرجة الاولى بحكم ديمقراطي تمثيلي» . ويقدم صادق سعد تقييما صائبا للصهيونية ، فيصفها بأنها «حركة استعمارية ليست في الواقع سوى شكل قديم جديد لتصدير الرأسمال والاستيلاء على الاسواق واحتكار اكثر ما يمكن من منابع المواد الاولية لحساب الشركات الاستعمارية الضخمة ، والصهيونية بطبيعتها ، التي اشرنا اليها ، معارضة حركة العرب الديمقراطية ... وهي تستثمر ١٠ ملايين من الجنيهات في فلسطين لحساب أمثال **شركة البوتاس وشركة الكهرباء وروتشيلد** وغيرها من المؤسسات الرأسمالية التي تعتصر الشعب الفلسطيني كلما استطاعت الى ذلك سبيلا ... والصهيونية تجد سندا قانونيا في تصريح بلفور وغيره من الرسميين البريطانيين ويربطها هذا بالانتداب» (١) .

وتضمن (برنامج مندوبي نقابات مصر في مؤتمر النقابات العالمي المنعقد في باريس) في بنده السابع «مناصرة فلسطين العربية في كفاحها ضد الاستعمار والصهيونية ، باعتبار هذه الاخيرة نوع من انواع الفاشية» . ومن المعروف ان هذا الوفد كانت تسيطر عليه الحركة الشيوعية المصرية .

وفي العام نفسه اسس بعض النقابيين الشيوعيين المنتمين الى منظمة (الفجر

(١) «الفجر الجديد» العدد الثالث ، ١٦-٦-١٩٤٥ - ص ١٨ .

الجديد) تنظيما علنيا حمل اسم **(لجنة العمال للتحرير القومي)** ، واعتبروها **(الهيئة السياسية للطبقة العاملة)** . وقد جاء في الفقرتين ـج ـ ، ـد ـ من برنامج اللجنة ، انه يجب : « (ج) تحويل الجامعة العربية الى اداة ديمقراطية ضد الاستعمار ، وذلك باشراك البلاد العربية الغير مستعمرة والمستعمرة لمساعدتها في كفاحها الوطني الديمقراطي . (د) مكافحة الصهيونية وتأييد الشعب الفلسطيني في نضاله الوطني الديمقراطي» (١) .

واختطت مجلة (الضمير) ، لسان حال لجنة العمال للتحرير القومي ، نفس خط زميلتها (الفجر الجديد) ، فتبنت عصبة التحرر الوطني ونشرت انباءها وبعض نشراتها ، كما رحبت بمندوبيها العائدين من باريس ، ونشرت حديثا لبولس فرح (العدد ٢٧٥ ، ٢٤-١٠-١٩٤٥) .

وكتب **محمود محمد العسكري** ، عضو قيادة اللجنة المذكورة ، مقالا في (الضمير) دلل فيه على حسن تنظيم الطبقة العاملة المصرية وفهمها الصحيح للقضايا الوطنية ، واستشهد «على ذلك بيوم ٢ نوفمبر (تشرين الثاني) .. يوم تصريح بلفور المشئوم . فقد قررت جميع الهيئات والمنظمات النقابية والعمالية الاحتجاج الى الجهات ذات الشأن» . وأوضح العسكري ان الطبقة العاملة المصرية فعلت ذلك «لانها تفهم ان الصهيونية هي الخطر المباشر الذي يهدد الشعب الكادح في شقيقتنا فلسطين العربية الحرة ، بل تهدد حياة الشعوب الكادحة في الشرق الاوسط بصفة خاصة وشعوب العالم بصفة عامة بل وتهدد قضية السلام العالمي» . ولدى تقييمه للصهيونية يرى العسكري انها «الرأسمالية اليهودية الاستعمارية المتعفنة ، التي تضلل الشعب الاسرائيلي الكادح من عمال صناعيين وزراعيين لتستغلهم استغلالا بشعا في جوهره ، مزركشا في مظهره ، تضع لهم السم في العسل باثارة النعرة العنصرية المضطهدة ، لتستغلهم هذا الاستغلال القذر ، وتعمي أبصارهم عن الحقيقة لمصلحة حفنة من الرأسماليين الصهيونيين المستبدين» (٢) .

وفي حديث **لمحمد يوسف احمد المدرك** ـ رئيس لجنة العمال للتحرير القومي ومندوب نقابات عمال مصر في الاتحاد العالمي لنقابات العمال ـ قال ان «مصر وسوريا ولبنان وفلسطين العربية وايران وكل منظماتها العمالية تشك في ان منظمة (الهستادروت) ليست منظمة عمالية بالمعنى المفهوم .. لانها منظمة رأسمالية تملك كثيرا جدا من المؤسسات الصناعية التي تستغل جهود المنتسبين اليها تحت تأثير فكرة الصهيونية» . وأوضح المدرك «ان هذا الوضع كان غامضا على كثير من اعضاء الوفود الذين حضروا مؤتمر لندن . كما صبغت الهيئة الصهيونية مشكلتهم بصبغة العنصر المضطهد ، مما استدر عليهم عطف الكثير من وفود مؤتمر لندن ،

(١) «برنامج لجنة العمال للتحرير القومي» ٨ اكتوبر ١٩٤٥ ، ص ٦ .

(٢) محمود محمد العسكري «الضمير» من مقال «لا عنصرية بين العمال» ، العدد ٢٧٧ ، ١٤-١١-١٩٤٥ ص ٤ و٨ .

فحصلوا على قرار خاطىء قد تلافاه مؤتمر باريس ، بفضل نشاط وفود عمال البلاد العربية ، الذين تمكنوا من شرح قضية فلسطين العربية والوطن القومي اليهودي شرحا واقعيا ، كشف الستار عن مغالطة الصهيونية في حقيقة المشكلة .. » (١) .

وفي عام ١٩٤٧ ، اصدرت منظمة شيوعية مصرية اخرى ، هي **(الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني)** ، مجلة اسبوعية علنية ، حملت اسم **(الجماهير)** . ولم تخل أعداد المجلة المذكورة من مقالات وأخبار عن فلسطين ، وها هي تقول في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٤٧ «ان هدف الديمقراطيين في مسألة فلسطين هو **تكوين دولة عربية يهودية موحدة مستقلة** ... وأن هذه الوحدة لن تأتي الا بتعاون الجماهير العربية واليهودية» وأوضحت المجلة «ان محبي السلام والشعوب وأعداء الاستعمار قد قبلوا حل التقسيم كأساس لاعلان استقلال فلسطين» (٢) .

وفي عدد اخر نشرت الجماهير مقالا بعنوان (الطريق الوحيد لاستقلال فلسطين هو الكفاح ضد الرجعية العربية واليهودية) قالت فيه ان الرجعية اليهودية «عملت ولا تزال تعمل على تقوية مركز الاستعمار في فلسطين ، فاستفزازات جماعة **(الأرجون زفاي ليومي)** ، وأعمالها الارهابية (مذبحة حيفا ، مهاجمة مطار اللد ، نسف البيوت وفندق سميراميس) تساعد على تقوية مركز المستعمر وعلى عرقلة انسحاب قواته والغاء الانتداب». واستشهدت (الجماهير) بما كانت جريدة **(صوت الشعب)** ، لسان حال الحزب الشيوعي اليهودي في فلسطين ، قد كتبته من «ان الشعب يجب ان يكافح ضد السياسة التعصبية التي تسلكها الرجعية العربية واليهودية من اجل تحطيم قرار هيئة الامم المتحدة . ونحن نحذر الجماهير اليهودية من استفزازات (الأرجون) التي تساعد الاستعمار . ونهيب بها ان تكافح هذه الاتجاهات التي ترمي الى الانتقام والعنف ضد المواطنين العرب الابرياء .. ولا نخفي على احد ان هذا الموقف من جانب الرجعية اليهودية يخدم الاستعمار في بقائه في فلسطين . ألم يصرح المندوب السامي البريطاني ان القوات البريطانية لن تجلو عن فلسطين والحالة مضطربة فيها ؟؟» (٣) .

وفي اواسط فبراير (شباط) ١٩٤٨ ، نشرت «الجماهير» خبر سحب رخصتي جريدتي «الشعب» و«الاتحاد» العربيتين الفلسطينيتين ، والثانية كما هو معروف هي لسان حال (عصبة التحرر الوطني) ، وبينت (الجماهير) ان «اهم سبب تقدمت به حكومة الانتداب لهذا الاجراء التعسفي هو الاخلال بشروط المراقبة الصحفية » (٤) .

---

(١) «الضمير» العدد ٢٧٦ — ٧-١١-١٩٤٥ — ص ٢-٣ .
(٢) «الجماهير» العدد ٣٠ — ٢٣-١١-١٩٤٧ .
(٣) «الجماهير» العدد ٣٨ — ١٨-١-١٩٤٨ .
(٤) «الجماهير» العدد ٤٢ — ١٥-٢-١٩٤٨ .

ومن المعروف ان المنظمات الشيوعية المصرية قد ايدت قرار التقسيم عند صدوره .

وفي ٢٩ يوليو (تموز) ١٩٤٨ ، اصدرت الحركة الديمقراطية للتحرر الوطني، والمعروفة اختصارا باسم (حدتو) ، بيانا اكدت فيه «ان الاستعمار البريطاني المجرم هو الذي خلق مشكلة فلسطين» واستنكرت حدتو ارسال الجيش المصري الى فلسطين ، وترك مصر ترزح تحت أقدام القوات الاستعمارية» . وأشار البيان الى ان «الاستعمار البريطاني والاستعمار الامريكي يباركان هذه الحرب في السر والعلانية » . ويتوقع بيان الحركة الديمقراطية بأن تتخذ هذه الحرب «وسيلة امام الهيئات الدولية لتبرير بقاء القوات البريطانية في فلسطين وفتح الباب لدخول قوات امريكية في ارض فلسطين الشقيقة» . ورأت حدتو في بيانها ان حرب فلسطين قد اتخذت «طريقا لتحقيق المؤامرات الاستعمارية التي عجز الاستعمار عن تحقيقها بالطرق العادية . فالجيش الاردني الذي يسيطر عليه البريطانيون يعمل اليوم على تنفيذ مشروع سوريا الكبرى» .

وهذه منظمة شيوعية مصرية اخرى ، هي **(المنظمة الشيوعية المصرية)** المعروفة باسم (مشمش) ، ترى في حرب فلسطين مجرد حرب عنصرية ، أملاها الاستعمار البريطاني ليدافع عن مركزه في الشرق الاوسط . وأن هذه الحرب تخدم البورجوازية العربية بكبت البروليتاريا الصاعدة والتقدمية . اي «ان هذه الحرب هي حرب البورجوازية العربية ضد بروليتاريتهم» . ويرى المقال نفسه (ان حرب فلسطين تقدم للحكومات الرجعية العربية «١ — **حلا سياسيا** : القيام بحملة عنصرية تحول الشعوب العربية عن الحركات الوطنية ، وتمهد لتغلغل الايديولوجية الفاشية في الشعب. ٢— **فرصة حكم الارهاب** ، عن طريق الاحكام العرفية الموجهة ليس ضد الصهيونية وانما ضد التقدميين في مناطق العمال . ٣ — **ستار مناسب** : لتحقيق التحالف مع بريطانيا في الوقت الذي يتحول فيه تفكير الشعب الى مشكلة فلسطين . ٤ — **حل اقتصادي** : لحل مشكلة البطالة وتشغيل آلاف العمال ، اما في الجيش او الاعمال المتعلقة به»). وعندما تأسس **(الحزب الشيوعي المصري)** ، في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤٩ ، نشر سكرتيره العام **(خالد)** كراسه **الشهير (تطور الرأسمالية وكفاح الطبقات في مصر)** ، وعقد خالد فصلا كاملا في كراسه ، عن حرب فلسطين ، قال فيه ان هذه الحرب قد ارادتها البورجوازية والاقطاع في مصر ، لاسباب : اولها : النزاع الاقطاعي الاستعماري بين فاروق وعبد الله .. وثانيها : رغبة البورجوازية والاقطاع في مصر في شغل الشعب عن مشاكله الحقيقية . وانتهى الكراس الى المناداة «بضرورة **انهاء الحرب** في الحال ، والانسحاب منها مع قيام **دولة عربية ديمقراطية مستقلة** في الجزء من فلسطين الذي قررت هيئة الامم تركه للعرب» (١) .

---

(١) الحزب الشيوعي المصري «تطور الراسمالية وكفاح الطبقات في مصر» بقلم الرفيق خالد ، ١٩٤٩ ، ص ٤٨-٥٠ .

واليـــوم

منذ حرب ١٩٤٨ وحتى عدوان ١٩٦٧ ، ظلت الاحزاب الشيوعية العربية متمسكة بشعار (تنفيذ قرارات الامم المتحدة الخاصة بقضيـــة فلسطين) . الا ان عدوان ١٩٦٧ قد جاء ليحدث تعديلا واضحا في مواقف هذه الاحزاب ، بل وتباينت مواقفها بشكل واضح .

فهذا برنامج **(الحزب الشيوعي السوداني)** يرى «ان بقاء اسرائيل يهـــدد مباشرة الثورة العربية ، فاصبح لزاما عليها ان تناضل بحزم بين الجبهة الواسعة المناوئة للاستعمار العالمي ، لتهيئة الظروف المناسبة **لتصفية هذا الكيان** ، وليتمتع شعب فلسطين بحقوقه الثابتة على اراضيـــه **بقيام دولة عربية تقدمية** علـــى ارضه » (١) .

هذا في حين يرى **(الحزب الشيوعي اللبناني)** في برنامجه «ان الحل النهائي للقضية الفلسطينية يجب ان يعتمد المواقف المبدئية وينطلـــق من الاعتراف **بحق** العرب الفلسطينيين الذي لا ينازع في ارضهم ووطنهم» (٢) .

وفي تحديده لموقف حزبه من حركة المقاومة الفلسطينية ، كتب **نقولا شاوي** ـ السكرتير العام للحزب الشيوعي اللبناني مؤكدا انها «تحتل مكانا خاصا في حركة التحرر في العالم العربي .. وهي جزء لا يتجزأ من هذه الحركة»). واشار شاوي الى محاولات البعض «معارضة الفصائل الاخرى للحركة التحريـــة في البلدان العربية بحركة المقاومة الفلسطينية ، مما يعني عزل هذه الاخيرة ويعـــود بالضرر عليها اولا ، وعلى مجمل حركة التحرر في بلداننا» . ويشير الى ان الحزب قد قام «بتشكيل الحرس الشعبي لحماية الحدود اللبنانية والمشاركة في منظمة **(قوات الانصار)** التي تشكلت في الاردن كأحدى فصائل حركة المقاومـــة الفلسطينية» . وانتهى سكرتير عام الحزب الشيوعي اللبناني الى المطالبة بضرورة «وحدة فصائـــل المقاومة الفلسطينية فيما بينها ، ووحدتها مع القوى التقدمية العربية الاخرى... وتطوير نضال حركة المقاومة التحرري واساليبها الكفاحية» (٣) .

هذا في حين يرى **كريم مروة** ـ احد ابرز قادة الحزب الشيوعي اللبناني ـ ان من بين مهام النضال الوطني الديمقراطي في لبنان ضرورة «انتهاج سياســـة خارجية مستقلة معادية للامبريالية ، سياسة تعاون وثيق مع الدول العربيـــة المتحررة من اجل **تصفية آثار العدوان الاسرائيلي الاخير** ، ومن اجل استعادة كامل

(١) الحزب الشيوعي السوداني «دستور الحزب الشيوعي السوداني» المقر في مؤتمره الرابع في اكتوبر ـتشرين الاول ـ ١٩٦٧ ، ص ١٨ .
(٢) «برنامج الحزب الشيوعي اللبناني» اقره المؤتمر الثاني للحزب في تموز ـيوليو ـ ١٩٦٨ .
(٣) نقولا شاوي «اللينينية وبعض قضايا الحركة الثورية في البلدان العربية» ـ مجلة الوقت ، العدد ٥ـ١٩٧٠ ـ السنة الرابعة عشرة ـ ص ٤٣ـ٤٤ .

الحقوق المشروعة للشعب العربي الفلسطيني ووطنه» (١) .

اما **(الحزب الشيوعي الاردني)** فقد ظل متمسكا بشعار (ازالة آثار العدوان) وتلكأ كثيرا في المشاركة في الكفاح المسلح ، نتيجة هيمنة العناصر الانعزالية عليه زمنا طويلا ، ولخروجه ـعام ١٩٦٧ـ مثخنا بالجراح نتيجة عشرين عاما مـــن الاضطهاد والمطاردة . وقد وصل الامر بأحد هؤلاء الانعزاليين **(فهمي السلفيتي)** الى حد نشر مقال في مجلة **(السلم والحرية والاشتراكية)** التي تصدرها الاحـــزاب الشيوعية في العالم من براغ . وقد تفجر الخلاف داخل اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاردني ، وتعرض السلفيتي لحملـــة انتقاد شديدة داخل الحـــزب وخارجه (*) . وفي لبنان قال كريم مروة «ان المقال لا يعتبره الحزب الشيوعـــي الاردني معبرا عن رأي اللجنة المركزية» (٢) . واصدرت اللجنة المركزية للحـــزب الشيوعي الاردني بيانا في اواسط اذار (مارس) ١٩٦٩ ، اشادت فيه بالمقاومـــة المسلحة ، ولاحظت قيادة الحزب الاردني «ان نضال الجماهير الشعبية في الاراضي المحتلة يدخل في الوقت الراهن مرحلة جديدة ، وهي تتميز باسترداد الجماهير ثقتها بنفسها واخذها قضيتها بأيديها ، وبتنامي استعدادها للبذل والتضحيـــة وتصميمها على مواصلة النضال الذي لا هوادة فيه بمختلف الاشكال لطرد الغزاة بما في ذلك العمل المسلح الذي اخذت بوادر الاستعداد لتقبله وممارسته تتشابك وتمتزج مع اشكال النضال الاخرى» . ودعا بيان الحزب الاردنـــي جميع القوى الوطنية والتقدمية الى «دفع خلافاتها الى المؤخرة والعمل بجد واخلاص على وحدة صفوفها وتلاحم قواها في مجرى مقاومة الاحتلال وطغيانه ومخططاته الالحاقيـــة والتوسعية والاستعبادية » . ودعا بيان الحزب الاردنـــي الى «اكتشاف اساليب تنظيم ونضال ملائمة لظروف وامكانيات المرحلة الجديدة لتطوير المقاومة بجميـــع اشكالها بما في ذلك حماية المقاومة المسلحة الناشئة وتنميتها وتنظيمها وتوحيدها. والعمل الجاد لجذب اوسع الجماهير الشعبية في المدن والريف الى ميدان المعركة مع العدو المحتل لارغامه على التراجع والانسحاب» . وانتهى الحزب في البيان الى الدعوة «لاقامة جبهة شعبية ثورية تضم في الاساس ممثلين عن الاحزاب والمنظمات الثورية التي تمثل العمال والفلاحين ومختلف فئات الكادحين والطلاب والمثقفين الثوريين» كما دعا الى «لقاء جميع الاحزاب والقوى الثورية والمنظمات الفدائية في الضفة الشرقية لتكون جبهة شعبية ثورية الى جانب التجمع الوطني ، تكون مهمتها دعم المقاومة في الاراضي المحتلة وتقديم العون المادي والمعنوي لها ، وتنسق العمل بين قطاعي المقاومة في الاراضي المحتلة والضفة الشرقية» . ويعتبر البيان النضال

(١) كريم مروة «الحزب الشيوعي .. سياسته وأهدافه» ص ٢٣ .
(*) راجع مجلة «السلم والحرية والاشتراكية» العدد ١٠ـ١١ ١١ـ١٩٦٨ ـ وردنا عليه ، مجلـــة «الكاتب» القاهرية ، مارس ـاذار ـ ١٩٦٩ .
(٢) كريم مروة ـ المصدر السابق ـ ص ٤٤ .

لتصفية الاحتلال الاسرائيلي هدفا مباشرا ، وهو لا يعني تنازل الشعب الفلسطيني عن «حقوقه التي تغتصبها اسرائيل منذ عام ١٩٤٨ وعودة اللاجئين الى اراضيهم وديارهم ، وحقه في تقرير مصيره بحرية تامة». ويرى البيان «ان تصفية الاحتلال الاسرائيلي ستفتح الطريق لمواصلة النضال لحل القضية الفلسطينيـة حلا عادلا لمصلحة الشعب العربي الفلسطيني وحركة التحرر العربية» .

وفي يونيو (حزيران) ١٩٦٩ قرر الحزب الشيوعي الاردني المشاركة فـي المقاومة المسلحة ، وبدأ في اجراء الترتيبات السرية لذلك ، مـن تدريب عناصره وشراء الاسلحة .

وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦٩ عقد الحزب الشيوعي الاردني مؤتمـرا سريا ، جرى فيه انتخاب لجنة مركزية جديدة . وكان قد سبق ذلك اعلان جريدة الحزب الشيوعي الاردني في الضفة الغربية انه «لم يعد من سبيل امام شعبنـا لتحرير ارضه والدفاع عن كيانه غير تشديد المقاومة واستخدام اعلى اشكـال النضال ..» (١) وبعد عام من مؤتمر الحزب انشق فهمي السلفيتي عن الحـزب معارضا خط الحزب الجديد . متهما القيادة الجديدة للحـزب بالانجرار وراء الحركة الوطنية الاردنية ، التي انجرت بدورها لحركة المقاومة الفلسطينية ، كمـا اتهم قيادة الحزب باليمينية !!

وفي سوريا اوضح سكرتير عام الحزب ، قبل اكثر من ثلاث سنوات ، ان «اسرائيل لها وضع خاص يتميز بأن الامبريالية العالمية ، وخصوصـا الامريكية ، تضع يدها بشكل كامل على هذه الدولة اقتصاديا وسياسيا وعسكريا ، فهي مطرقة رجعية في يد الاستعمار الامريكي ، وليس هناك اية دلائل على ان وضع اسرائيل هذا سوف يتغير في المستقبل القريب ... فان ميزان القوى الطبقية في اسرائيل لا يعطي اية امكانية للتنبؤ بتغيير وضع دولة اسرائيل في السنوات القادمة» (٢) .

وفي العراق يرفع الحزب الشيوعـي هناك شعـــار **(حق الشعب العربي الفلسطيني في تقرير مصيره على ارض وطنه))** .) في حين يضع القسم المنشق عن الحزب ، والمعروف باسم (القيادة المركزية)، هدفا له في مجال القضية الفلسطينية «ازالة كيان دولة اسرائيل .. وقيام دولة فلسطين الديمقراطية الثورية» . وترى القيادة المركزية ان ذلك «يستلزم اسقاط الانظمة العربية الرجعية في البلــدان المجاورة لاسرائيل وضرب مصالح الاستعمار ... وتطور حركة المقاومة الفلسطينية المسلحة الى حرب تحرير شعبية حقيقية قوية وشاملة ، وذات قيادات ثورية كفؤة،

(١) جريدة «الوطن» السرية ـ اواخر نوفمبر ـتشرين الثاني ١٩٦٩ .
(٢) خطاب خالد بكداش في اللقاء الاستشاري للاحزاب الشيوعية والعمالية في بودابست ، المنعقد في مطلع مارس ـاذارـ ١٩٦٨ ـ اوردته «نضال الشعب» جريدة الحزب الشيوعي السوري ـ اواسط مارس ـاذارـ ١٩٦٨ ـ العدد ١٠١ .

وبرنامج تقدمي ثوري ..» (١) .

وفي مارس (اذار) ١٩٧٠ جرى الاعلان عن (قوات الانصار) كمنظمة عسكرية للاحزاب الشيوعية في الاردن وسوريا ولبنان والعراق . وفـي بيانها الاول قالت (قوات الانصار) انها تقاتل «من اجل تحرير فلسطين . وفي الوقت نفسه ، تعارض وتقاوم كل الحلول والمشاريع والمؤامرات الانهزامية والاستسلاميـــة والتصفوية التي تسعى قوى الاستعمار والصهيونية والرجعية فرضها على شعبنا» . ومنـــذ انشاء قوات الانصار وخط الاحزاب الشيوعية في المنطقة لم يتراجع عما نوه بـه البيان المذكور .

وبعـد ،

فأن الاشهر القادمة تتطلب تشديد النضال ، وزيادة اسهام كافة القـوى الوطنية والتقدمية في المجال الوطني والقومي . ذلك ان المرحلة النضالية الحالية، والتي بدأت عشية مذابح سبتمبر (ايلول) ١٩٧٠ في الاردن ، ستكون من اقسى المراحل التي مرت بالحركة الثورية العربية ، وأحلكها سوادا .

(١) نشرته «الجبهة الشعبية الديمقراطية» بعنوان «وثائق .. الحزب الشيوعي العراقي ـ القيادة المركزية» والمسألة الفلسطينية ص ٧ .

ـ استقيت بعض المعلومات من الكتب التالية :

١ ـ (تاريخ الاحزاب السياسية في العراق) رسالة ماجستير ـ عبد الرزاق المطلق ـ جامعة القاهرة ١٩٧٠ .

٢ ـ (تاريخ الاحزاب الشيوعية في الوطن العربي) ـ الياس مرقص ـ دار الطليعة ، بيروت ١٩٦٤

٣ ـ (الشيوعية المحلية ومعركة العرب القومية) ـ الحكم دروزة ـ بيروت .

الاممية الشيوعية وقضية فلسطين

جمعها وترجمها وقدم لها : فواز طرابلسي

فيما يلي اربع وثائق رسمية صادرة عن الاممية الشيوعية (الكومنترن) تتعلق بقضية فلسطين ، تضيء جانبا ما زال مغمورا من تاريخ العلاقة بين الكومنترن وقضايانا العربية . واذا كان يرمي من وراء نشرها شيئا فهو ان تعيد الاعتبار لصفحات مشرقة من حياة الاممية الشيوعية التي يشكل نضالها التراث المشترك لجميع الشيوعيين والتقدميين والوطنيين في العالم اجمع .

١ ـ المؤتمر الثاني للاممية الشيوعية ـ آب ١٩٢٠

صدر عن هذا المؤتمر اول نص رسمي للاممية الشيوعية يتعلق بالصهيونية وقضية فلسطين . وهو النص المتضمن في **«موضوعات حول المسألة الوطنية ومسألة المستعمرات»** الذي تقدم به لينين واقره المؤتمر بعد ادخال عدد من التعديلات املتها الحاجة الى الاخذ بعين الاعتبار وجهة النظر المعارضة التي حملها الزعيم الشيوعي الهندي م.ن. روي ، خاصة فيما يتعلق بطبيعة الثورة في المستعمرات ودور البرجوازية الوطنية فيها .

تكمن الاهمية الاضافية لهذا النص في انه النص الوحيد المقرون باسم لينين الذي يتضمن ادانة مباشرة للصهيونية على دورها في فلسطين ، في حين كانت المساجلات السابقة تشدد على دورها الانقسامي داخل حركة الطبقة الروسية والاوروبية عامة .

احيلت «الموضوعات» الى لجنة ضمت مندوبي الاحزاب الشيوعية في روسيا وبلغاريا وفرنسا والمانيا والمجر والولايات المتحدة والهند والصين وكوريا وبريطانيا ، برئاسة لينين . ويشدد لينين ، في تقريره امام المؤتمر، على ان اللجنة

اقرت جميع التعديلات بالاجماع (١) . ومن هذه التعديلات اضافة مقطع حول الصهيونية في فلسطين على الفقرة السادسة من الموضوعة الحادية عشرة ، بحيث باتت كما يلي :

«يتوجب علينا ان نفضح باستمرار عملية الخداع التي تمارسها القوى الاستعمارية ، بمساعدة الطبقات صاحبة الامتيازات في البلدان المضطهدَة، على جماهير الشغيلة في العالم اجمع وفي الاقطار المتخلفة خاصة ، حيث يتظاهر الاستعمار بمنح بعض الدول استقلالها السياسي لينشيء شتى مؤسسات الدولة والحكومة التابعة له عمليا تبعية كاملة ـ اقتصاديا ، ماليا وعسكريا . وكمثال صارخ على عملية الخداع هذه ـ التي تمارسها على الطبقة العاملة في البلدان المضطهَدة قوى «الحلفاء» الاستعمارية وبرجوازيات هذه البلدان ـ نذكر مشروع الصهاينة في فلسطين حيث تعمل الحركة الصهيونية ـ بحجة انشاء دولة يهودية في فلسطين التي يشكل اليهود نسبة لا تذكر من سكانها ـ على اخضاع السكان الاصليين من الكادحين العرب لنير الاستغلال الانكليزي . ان اتحاد الجمهوريات السوفييتية هو السبيل الوحيد الى خلاص القوميات المستضعفة والمقهورة ، في الوضع العالمي الراهن» (٢) .

٢ ـ مؤتمر باكو لشعوب الشرق ـ ايلول ١٩٢٠

بعد انتهاء جلسات المؤتمر الثاني في موسكو ، انعقد في مدينة باكو وبدعوة من الاممية مؤتمر خاص بشعوب الشرق دعي المؤتمر الاول لشعوب الشرق. وكانت باكو قلعة المصالح النفطية في العهد القيصري ولكنها ايضا بؤرة نضالات العمال والاقليات المضطهدة ضد هذا العهد .

حضر المؤتمر ١٨٩١ مندوبا ، بينهم ١٢٧٣ شيوعيا و٥٥ امرأة . وكانت الغالبية من الاتراك (٢٣٥ مندوبا) والايرانيين (١٩٢ مندوبا) ومن الاقليات المسلحة في روسيا السوفييتية . وبلغ عدد المندوبين اليهود ٤١ مندوبا ، ولم يتمثل العرب الا بثلاثة مندوبين . وحضر المؤتمر عدد من قادة الاممية الشيوعية بينهم زينوفييف وكارل راديك وبيلاكون (زعيم الثورة السوفييتية المجرية) . والثلاثة من اصل يهودي .

وقدمت للمؤتمر ثلاث وثائق تخص القضية الفلسطينية : بيان حول فلسطين

---

(١) لينين ، **المؤلفات الكاملة** ، الترجمة الانكليزية ، الجزء ٣١ ، ص ٥٦٤ و٢٤٠ .

(٢) Thesis of the Communist International (as adopted by the Second Congress held in Moscow, August 1920), Publications of the CPGB, London 1921, P. 11 .

صادر عن **المكتب المركزي للفروع اليهودية في الحزب الشيوعي الروسي** ، وبيـان **للحزب الشيوعي اليهودي** (بوعالي تسيون) حول القضايا الوطنيـة والكولونيالية ، واخيرا بيان باسم **اليهود الجبليين** (١) لكنها وثائق لم تضـم الى محاضر جلسات **المؤتمر . فما زالت مفقودة حتى الان** . الا انها تركت اثرا واضحـا على المقررات الختامية الصادرةعن المؤتمر الذيوجه «نداء الىشعوبالشرق» يهيببهم الىالوحدة والجهاد ضد الاستعمار البريطاني كوسيلة وحيدة لتحررهم من السيطرة والقهـر والاستقلال . وتضمن النداء ادانة للصهيونية تشدد ، لاول مرة ، على سمتيهـا المتلازمتين : كونها مشروعا استعماريا قائما بذاته (الاستعمار الاستيطاني لفلسطين) وحركة في خدمة الاستعمار البريطاني :

«ما الذي تقدمه بريطانيا لفلسطين ؟ ارضاء لحفنة من الراسماليين اليهود والانكليز ، طردت العرب من اراضيهم ومنحتها للمستوطنين اليهود . ولكي تؤمن ، في الوقت ذاته ، متنفسا لتذمر العرب ، سلّطتهم على المستعمرات اليهودية التي انشأتها هي نفسها ، زراعة الخلاف والتذمر والبغضاء بـين جميع القبائل ، مضعفة كلا الطرفين لكي تنفرد هي بالسيطرة» (٢) .

٣ ـ مسألة بوعالي تسيون وتأسيس الحزب الشيوعي الفلسطيني

في الواحد والعشرين من ايلول ١٩٢٠ ، عقدت اللجنة التنفيذية للامميـة الشيوعية دورة ناقشت فيها ، فيما ناقشت ، طلبا تقدم به **حزب بوعالي تسيون** (الاتحاد العالمي لعمال صهيون) للانضمام الى الكومنترن . ايدت اللجنة التنفيذيـة نشاطات الحزب بشكل عام ، لكنها شددت على انه لم يتخلص بعد من الترسبات القومية البرجوازية (محاولته المزاوجة بين الماركسية والصهيونية) . واتخـذت اللجنة توصية تطلب فيها من بوعالي تسيون تطبيققرارات المؤتمر الثاني للكومنترن وتغيير اسمه كشرط للبت بامر انضمامه (٣) .

عندما انعقد **المؤتمر الثالث للكومنترن** (٢٢ حزيران ـ ١٢ تموز ١٩٢١) ، لم يكن بوعالي تسيون قد نفذ توصية اللجنة التنفيذية . وعلى الرغم من ذلك ، فقد تقرر قبول مندوبين عن هذا الحزب يحضرون المؤتمر بأصوات استشارية (٤) .

(١) انظـر L'Internationale Communiste, le **Premier Congrès de Peuples de L'Orient, Bakou 1920**, Petrograd 1921, pp. 162-163 .

(٢) نشر هذا النداء في «الاممية الشيوعية» لسان الحال الرسمي للكومنترن ، عدد ٢٠ ، كانـون الاول ١٩٢٠ . انظره في :
I. Spector, The Soviet Union and the Muslim World 1917-1958, P. 292 .

(٣) The Communist International 1919-1943, ed. Jane Degras, London 1965, vol. 1, P. 365 .

(3) **The Third Congress of the Communist International**, CPGB, London, 1922, P. 42 .

وتعرض زينوفييف ، في تقريره العام امام المؤتمر ، الى مسألة انضمام بوعالـي تسيون ، طالبا من المؤتمر البت بالامر . خلال النقاش ، تحدث **تيراشيني** ، احـد قادة الحزب الشيوعي الايطالي ، معترضا على التناقض في مواقف اللجنة التنفيذية من الاحزاب اليهودية ، معترضا على حضور بوعالي تسيون المؤتمر وهو لا يستوفي شروط العضوية في الكومنترن . وقال :

«لقد سُمح للصهاينة بحضور المؤتمر بصوت استشاري ، علمـا بانهم لا يستوفون الشروط الاولية للانضمام الى الكومنترن التي تنص على اشتراك جميع العمال ، بما فيهم العمال اليهود ، في حزب شيوعي واحد في البلد الواحد . يجب طرح هذا الشرط على الصهاينة بشكل حازم وعدم منحهم حق التصويت قبل استيفائه» (١) .

وفي ختام النقاش لم يكن المؤتمر قد توصل الى قرار حاسم حول بوعالـي تسيون ، فتقرر احالة كل هذه القضايا لتدرس في لجنة فرعية خاصة تابعة للجنة التنفيذية (٢) .

وفي اول اجتماع لها بعد المؤتمر الثالث ، قررت اللجنة التنفيذية ان تطلب من بوعالي تسيون ان يعقد مؤتمرا يقرر فيه حل نفسه وانضمام اعضائه ، خلال مهلة لا تتعدى الشهرين ، الى الفروع القطرية للكومنترن . كما طلبت اللجنـة التنفيذية من المؤتمر ان يقطع كل صلاته بالنظريات والاتجاهـات الصهيونية وان يدين المشاريع الصهيونية الاستعمارية في فلسطين المسخرة لخدمـة الاستعمار البريطاني (٣) .

وبالفعل ، غيَّر بوعالي تسيون اسمه الى **الاتحاد الشيوعي** ودعا الى مؤتمر يناقش حل الحزب والانضمام للكومنترن . الا ان غالبية المندوبين قررت عـدم الانضمام ، فانشقت عن الحزب اقلية تمثل الفروع الروسية والبولونية بالدرجة الاولى ، وانضمت افراديا للاحزاب الشيوعية القطرية . فعلقت اللجنة التنفيذية للكومنترن على ذلك ببيان صدر في ٢٥ تموز ١٩٢٢ كان اهم ما ورد فيه الفقرات التاليـة (٤) :

(١) المصدر ذاته ، ص ٦٧ـ٧٠ . من مفارقات الامور ان تيراشيني كان من الشيوعيين الايطاليـين القلائل الذين وقفوا بعد حزيران ١٩٦٧ يدافعون عن اسرائيل ويعارضون تأييد حركة المقاومـة الفلسطينية . وقد خاض في سجال طويل مع انصار الثـورة الفلسطينية على صفحـات «الاونيتا» ، لسان الحال المركزي للحزب الشيوعي الايطالي .

(٢) المصدر ذاته ، ص ١٦٣ .

(٣) Degras ، الجزء ١ ص ٣٦٥ .

(٤) Degras الجزء الاول ، ص ٣٦٥ـ٣٦٦ . نشرت ترجمة لهذه الوثيقة عن الفرنسية في «الحرية» ، العدد ٤٩٧ ، في ١٢ـ١ـ١٩٧٠ .

الى شيوعيي العالم
الى البروليتاريا اليهودية

ان مؤتمر **الاتحاد العالمي لعمال صهيون (بوعالي تسيون)** قد حدد موقفه من شروط الانضمام الى الامية الشيوعية بعد نقاشات مشتركة بين اللجنة التنفيذية للامية الشيوعية وممثلين عن جناحي الاكثرية والاقلية في الاتحاد المذكور . وقرر المؤتمر رفض هذه الشروط .

الوضع جلي الان. منذ المؤتمر الثالث والعناصر البرجوازية الصغيرة والقومية والانتهازية في جناح الاكثرية في مؤتمر الاتحاد تقف في وجـه محاولات العناصر البروليتارية والشيوعية التي تريد الانضمام الى الامية الشيوعية ...

ان احد شروط الانضمام الى الامية الشيوعية هو التخلي عن مشروع فلسطين القومي والانتهازي ، وحل الاتحاد العالمي ، وانضمام العناصر البروليتارية الشيوعية اليهودية الى الفروع القطرية للامية الشيوعية – الاحـــزاب الشيوعية . وكانت اللجنة التنفيذية للامية قد اعربت عن استعدادها لتقديم المزيد من التنازلات في مجالي الدعاية والتنظيم مناجل تسهيل عملية جذب القطاع المتخلف من البروليتاريا اليهودية نحو الشيوعية ...

وترى اللجنة التنفيذية للامية الشيوعية الان انه بات من واجب الفـــروع القطرية ان تبادر الى اتخاذ الاجراءات الحاسمة ضد الانعزاليين البرجوازيـــين الصغار . ان المشروع الفلسطيني – اي محاولة صرف انظار الجماهير الكادحـــة اليهودية عن الصراع الطبقي بالترويج لفكرة الاستيطان اليهودي الواسع النطاق في فلسطين – ليس مشروعا قوميا برجوازيا صغيرا وحسب ، وانما هو ايضا مشروع معاد للثورة من حيث نتائجه في حال تحمس جماهير واسعة له وصرف انظارهـا عن النضال ضد مستغليها من اليهود وغير اليهود . كما يجب على الفروع القطرية للامية الشيوعية ان تؤيد جناح الاقلية في الاتحاد العالمي لعمال صهيون (بوعالي تسيون) في نضاله ضد جناح الاكثرية – ذلك ان جناح الاقلية هذا قد وافق على شروط الانضمام للفروع القطرية للكومنترن ... اما الموقف الوحيد الذي يمكـن للشيوعيين اتخاذه من اتحاد عمال صهيون بعد رفضه شروط الانضمام ، فهـــو موقف العداء النهائي والسافر ...»

وما ان انتهى عام ١٩٢٣ ، حتى كانت المجموعات الشيوعية في فلسطين قد اندمجت في حزب شيوعي موحد قدم طلبا رسميـــا للانضمام الى الكومنترن . فعينت اللجنة التنفيذية لجنة فرعية خاصة لدراسة الطلب ، ما لبثت ان قررت قبول الحزب كفرع للكومنترن مؤكدة على الشرط الحيوي الذي سيحكم مستقبل علاقة الكومنترن بفرعه الفلسطيني : **ضرورة تعريب الحزب :**

«اكدت اللجنة على الحزب الشيوعي الفتي ضرورة اقامة صلات وثيقة مع

اوسع الجماهير العربية بغية تحويل الحزب من منظمة للعمال اليهود الـــى حزب اقليمي فعلي . كما اعلنت انه يتوجب على الحزب الشيوعي ان يدعـم حركـــة التحرر الوطنية للسكـــــان العرب ضد الاحتـلال البريطانـي – الصهيوني» (١) .

٤ – تقييم الكومنترن لانتفاضة عام ١٩٢٩

ان احداث القدس في ٢٣ آب ١٩٢٩ والانتفاضة الوطنية التي انطلقت قـد صادفت الانعطاف الجديد في خط الامية الشيوعية القائم على شعار «طبقة ضد طبقة» ، والذي عبَّر عن نفسه ، في المستعمرات ، بالتصلب ضد «البرجوازيات الوطنية» وغيرها من الحركات الاصلاحية (كما عبر عن نفسه في الغرب برفـــض التحالف مع الحركة الاشتراكية – الديمقراطية والدعوة الى محاربتها بوصفها حركة «اشتراكية – فاشية») . ومن ابرز وثائق هذه المرحلة النص التالي الذي تقيِّـم فيه اللجنة التنفيذية للكومنترن انتفاضة عام ١٩٢٩ وتنتقد سلوك الحزب الشيوعي الفلسطيني خلالها :

قرار السكرتارية السياسية للجنة التنفيذية حول الحركة الانتفاضية في المشرق العربي (١٦ تشرين الاول ١٩٢٩)

«ان انتفاضة الجماهير العربية في فلسطين ، واحـــداث بلاد العـــرب («عربستان») (٢) عامة ، تؤكد صحة التحليل الذي قدمه الكومنترن فـي مؤتمره السادس ومجلسه الموسع العاشر بصدد تزايد حدة الصراع بـين الاستعمار والجماهير الكادحة في المستعمرات ، وبصدد المد الجديد لحركة التحرر الوطني في الاقطار المستعمَرة وشبه المستعمرة . كما تؤكد صحـة تقييمه للحكومة «العمالية» في بريطانيا ، ولتحوُّل الامية الثانية الى امية اشتراكية – فاشستية واشتراكية – استعمارية .

المجموعة الاولى من الاسباب المؤدية الى اندلاع الحركة الثوريـــة هي : حرمان العرب من وحدتهم القومية ، وتجزئة بلاد العرب الى عدد من الاقطار الصغيرة التي تتقاسم شتى البلدان الاستعمارية السيطرة عليها ، والانعدام الكامل للحقوق السياسية لدى السكان المحليين ، والاستيطان الصهيونـــي القسري ، وتزايد وطأة الاستعمار البريطاني والفرنسي على الاقطار العربية.

(1) **The Communist International, From the 4th to the 5th Congress,** CPGB, London 1924, pp. 66-67 .

(٢) كذا في النص . والمعني بلاد العرب ، وعلى الاخص المشرق العربي .

اما المجموعة الثانية من الاسباب الكامنة وراء احداث فلسطين فهي نهب اراضي الفلاحين العرب لصالح الاستعمار الصهيوني وملاك الارض الكبار من العرب (الذين غالبا ما يعملون يدا بيد مع الاستعمار الصهيوني) والرأسماليين الاجانب ... وتزايد وطأة الاستغلال من جراء ارتفاع الايجار والضرائب وتسلط المرابين ، والنمو السريع نسبيا للاقتصاد البضاعي والمالي ... والنمو السريع نسبيا للتمايز الطبقي بين قبائل البدو .

ومن بين العوامل التي اسرعت في انضاج الازمة الثورية : تفاقم البطالة ... واخفاق الموسم الزراعي عام ١٩٢٨ ، والغليان السائد في الاقطار العربية ، وحل البرلمان السوري، والازمة الوزارية العراقية ... والتظاهرات والاضرابات العمالية في فلسطين وسوريا ، والمعاهدة البريطانية ـ المصرية الجديدة ... ومداهمة خطر العدوان الذي تشنه الصهيونية ـ هذه الحركة المفلسة فكريا التي سقط عنها قناعها الاشتراكي لتبرز على حقيقتها كوكالة من وكالات الرأسمالية (وهذا ما تجلى في القرارات الصادرة عن مؤتمر زيوريخ الصهيوني في تموز ١٩٢٩) .

طبيعة الحركة

ان السمات المميزة للحركة الثورية تتلخص بما يلي :

١ ـ تصادف انتفاضة فلسطين وانتشار اللهيب الثوري في اهم مراكز الهند الصناعية ، كما تصادف الازمة التي اصابت معسكر الردة المضادة للثورة في الصين ، وصعود مد الحركة العمالية الثورية في الغرب .

٢ ـ عمت هذه الحركة بلاد المشرق العربي باسرها واتسمت بميسم قومي عميق . وهي آخذة بالانتشار بسرعة هائلة الى الاقطار العربية الاخرى.

٣ ـ ان الحركة تتعرض لتحولات سريعة . وهي الان في طور الانتقال الى مستوى ارقى من مستويات النضال . واذا كان رجال الدين والاقطاعيون المسيطرون على «المجلس الاسلامي» قد تمكنوا من تحويل الانتفاضة ، في ايامها الاولى ، الى نزاع قومي بين العرب واليهود ، فان الجماهير ما لبثت ان ارتدت عفويا ضد المفتي وضد «الهيئة العربية العليا» ، مستنكرة خيانتها واستسلامها للاستعمار ... هذا يعني ان الحركة آخذة بالتحول سريعا من نزاع صهيوني ـ عربي الى حركة فلاحية وطنية تساهم فيها ايضا البرجوازية الصغيرة المعادية للاستعمار في المدن . اما انشط المساهمين في الحركة الثورية فهم الفلاحون ، والبدو على الاخص .

٤ ـ وقفت الطبقة العاملة من الحركة الثورية وقفة مستكينة الى حد ما . ومهما يكن من امر ، فانها لم تتحرك كقوة مستقلة ، ناهيك بمحاولتها تسنم قيادة الحركة . وقد وقعت قطاعات من العمال العرب واليهود تحت

نفوذ البرجوازيتين العربية واليهودية وشاركت كل منهما في النزاع القومي ـ الديني تحت هيمنة «برجوازيتها» وقيادتها . غير ان الامر لم يخلُ من حالات بطولية افرادية عبَّر فيها العمال العرب واليهود عن تضامنهم الطبقي . وهكذا فبالرغم من ان الحركة الثورية كانت ردة فعل ضد استفزاز بريطاني ـ صهيوني ، فقد حاول الرجعيون العرب ، من اقطاعيين ورجال دين ، الرد على الاستفزاز بالتحريض على ارتكاب مذبحة ضد اليهود . وبالرغم من ان الحركة كانت تحت قيادة رجعية في اطوارها الاولى ، فانها تبقى حركة تحرر وطني ، حركة عربية شاملة مناهضة للاستعمار ، وهي في الاساس حركة فلاحية من حيث تكوينها الطبقي .

٥ ـ اندلعت الانتفاضة ووزارة ماكدونالد «العمالية» في سدة الحكم ببريطانيا . واذا بهذه الحكومة ـ يساندها «حزب العمال المستقل» ـ تلعب دورها السافر كجلاّد لثورة المستعمرات .

٦ ـ وتبيّن الحركة الثورية ايضا احتدام التناقضات بين الاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي في نزاعهما للسيطرة على الشرق الاوسط .

طبيعة الثورة في المشرق العربي وقواها الدافعة

ان الموقف العام الذي اتخذه الكومنترن حول طبيعة الثورة وقواها الدافعة في فلسطين والمشرق العربي ، قد صمد امام امتحان الحركة الجماهيرية الثورية ، واثبتت التجربة صحته . ان المحتوى الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للثورة هو الاطاحة بالاستعمار وتحقيق الوحدة القومية بين جميع الاقطار العربية وانجاز الثورة الزراعية وحل المسألة الوطنية . وهذا ما يجعل منها ثورة برجوازية ديمقراطية بالمعنى اللينيني للتعبير . اما قواها الدافعة الرئيسية فهي الطبقة العاملة والفلاحون . ذلك انه يستحيل انجاز مهام الثورة البرجوازية الديمقراطية بدون شن نضال ثوري ضد البرجوازية . ومما لا شك فيه ان هذه الثورة البرجوازية الديمقراطية سوف تتحول الى ثورة اشتراكية . لكن المقولة التي يطرحها البعض حول الطبيعة البروليتارية للثورة في الاوضاع الراهنة بفلسطين تتنافى كليا والواقع التاريخي ، وتعبِّر عن ايديولوجية «الثورة الدائمة» التروتسكية . وهي تعني بالدرجة الاولى ، في ظروف فلسطين المخصوصة ، قيام دكتاتورية تمارسها حفنة من العمال اليهود على اوسع الجماهير العربية .

دور مختلف الطبقات في الحركة

لعبت البرجوازية الاستعمارية الصهيونية واذنابها دور العملاء المباشرين للاستعمار البريطاني ... وقد انضم «اليسار» الصهيوني ـ بوعالي تسيون ـ الى الفاشست اليهود ، وانحاز كليا الى معسكر الاستعمار البريطاني

والبرجوازية الصهيونية .

اما ملاك الارض الكبار من العرب ، والاقطاعيون ، وكبار رجال الدين الممثلين في «المجلس الاسلامي» ، فقد استسلموا منذ زمن بعيد للاستعمار البريطاني ولعبوا دورا استفزازيا مضادا للثورة وخائنا لها .

واما «الهيئة العربية العليا» التي كشفت خلال السنوات الاخيرة عن وجهها القوي – الاصلاحي السافر ، فلم تلعب دورا مستقلا ، وانما انضم جناحها اليميني الى المعسكر الرجعي : معسكر الاقطاعيين ورجال الدين .

وكان الفلاحون ، والبدو على وجه الخصوص ، هم القوة الدافعة الرئيسية للحركة . لكن الحركة الفلاحية لم تصادف نشاطا طبقيا مستقلا ومنظما من طرف البروليتاريا في المدن . هذا بالاضافة الى ان الحركة الفلاحية نفسها كانت تفتقد الى التنظيم وتعاني من البعثرة والتفكك .

منجزات الحزب واخطاؤه

ان الحركة الثورية العربية قد كشفت بوضوح تام السمات الايجابية لنشاط الحزب الشيوعي الفلسطيني مثلما كشفت مكامن الضعف عنده .

١ – اخذت الانتفاضة الحزب على حين غرة ، لانه مكوّن اساسا من العناصر اليهودية ويفتقد بالتالي الى صلات وثيقة تشده الى الجماهير العربية عامة والفلاحين خاصة .

ولقد اكدت الانتفاضة عمليا مقدار صحة موقف **اللجنة التنفيذية للاممية الشيوعية** الذي تتضمنه تعليماتها المتكررة حول ضرورة تعريب الحزب . ذلك ان نواقص الحزب الشيوعي الفلسطيني ، والاخطاء التي ارتكبها خلال الانتفاضة ، ناجمة عن عجزه عن سلوك نهج جريء وحازم باتجاه تعريب الحزب من الاعلى الى اسفل . في الماضي ، كان الحزب يوظف قواه وامكاناته على نحو خاطيء ، اذ ركز نشاطه على العمال اليهود خاصة ، بدلا من توظيف اكثرية قواه وامكاناته في العمل بين جماهير العمال والفلاحين العرب . وقد فسّرت عملية تعريب الحزب على انها عملية ضم آلية لعدد من الرفاق العرب الى اللجنة المركزية . فتعذر على الحزب انشاء منظمات حزبية قوية في اوساط العمال العرب وداخل المنظمات النقابية العربية المحلية . وقد ساد جو من التشاؤم والتشكك حول امكان القيام بعمل ناجح في اوساط الفلاحين والبدو ، ادى في بعض الاحيان الى موقف متزمت وسلبي ، والى استصغار الامكانات الثورية الكامنة في المشرق يقابله تضخيم للنفوذ الذي تتمتع به البرجوازية الرجعية بين الجماهير العربية ...

٢ – لم يلاحظ الحزب – خاصة في الايام الاولى للحركة ، عندما كانت واقعة كليا تقريبا تحت تأثير احداث القدس وبعض المدن الاخرى – ان

النزاع القومي – الديني آخذ بالتحول الى انتفاضة فلاحية وطنية مناهضة للاستعمار . فعجز بالتالي عن رفع شعارات الاستيلاء على الارض ، وتكوين اللجان الثورية للفلاحين والبدو ، والثورة الزراعية ، والوحدة القومية للاقطار العربية، كما عجز عن القيام بالدعاية اللازمة لشعار «حكومة العمال والفلاحين العرب» – وما من تفسير لهذا التقاعس غير التذبذب اليميني الانتهازي الذي عانى منه الحزب في الماضي حول هذه القضية . كذلك لم يطرح الحزب شعار تكوين فصائل مشتركة من العمال العرب واليهود ، وتسليح العمال ، والدعوة للتظاهرات اليهودية – العربية المشتركة ، وللاضراب العام المشترك ... وبالاضافة لذلك كله ، فان فضح الدور الاجرامي الذي لعبته الحكومة «العمالية» البريطانية ، وممارسة النقد الثوري تجاه الاحزاب والمنظمات السياسية العربية واليهودية – وبخاصة تجاه اعضاء حزب «بوعالي تسيون» حول موقفهم من الانتفاضة – كل ذلك لم يكن بالدقة المطلوبة .

ولكن ينبغي التأكيد في الوقت ذاته ان الحزب الشيوعي الفلسطيني قد برز كمنظمة متماسكة من الثوريين المتفانين الذين يطمحون الى ممارسة واجباتهم الثورية على نحو مشرّف . ومن المؤكد ان الحزب الشيوعي الفلسطيني يمثل مركزا مرموقا من حيث مستواه النظري واخلاصه للشيوعية ...

مهام الحزب

يتعين على الحزب الشيوعي الفلسطيني وعلى فروع الكومنترن في الاقطار العربية الاخرى استخلاص دروس هذه الانتفاضة .

١ – ان اخطر مهمة تواجه الحزب هي ضرورة انتهاج طريق حازم ونشيط باتجاه تعريب الحزب من الاعلى الى اسفل . كما يتعين عليه ، في الوقت ذاته ، بذل ما يلزم من جهد لانشاء نقابات عربية او عربية – يهودية مشتركة ، والسيطرة على ما هو قائم منها حاليا والعمل على توسيعها .

٢ – ينبغي ان يتبدد ، باي ثمن ، جو التشكك والاستكانة السائد في اوساط الحزب بصدد المسألة الفلاحية ... ويتوجب عليه وضع برنامج زراعي يأخذ بعين الاعتبار المطالب الجزئية للفلاحين والبدو .

٣ – ينبغي على الحزب مواصلة نشاطه بين العمال اليهود داخل النقابات الصهيونية – الاصلاحية وفي اوساط العمال غير المنضمين الى النقابات . والمهمة الرئيسية الان ، كما كانت في السابق ، هي فضح الصهيونية ، وبخاصة جناحها اليساري ، بوصفها وكالة استعمارية . وهذا ما بينته الدروس الملموسة التي يمكن استخلاصها من الانتفاضة .

٤ ـ ينبغي على الحزب ان يفضح «المجلس الاسلامي» ... بوصفه العميل المباشر للاستعمار البريطاني . كما انه لا بد له من ان يفضح ، بنفس الدرجة من الحدة ، النزعة القومية الاصلاحية المتمثلة بـ «الهيئة العربية العليا» ...

٥ ـ يجب على الحزب ، وعلى فروع الكومنترن الاخرى ، ان يضع على رأس اهتماماته تنظيم حملة لمقاطعة اعمال اللجنة المكلفة بالتحقيق في الاحداث (...)

٨ ـ ان دروس الانتفاضة تبيّن بوضوح تام الحاجة الى توثيق العلاقات بين الاحزاب الشيوعية في مختلف اقطار الشرق العربي ومصر . وافضل شكل يمكن ان تتخذه هذه الصلات هو اقامة اتحاد للاحزاب الشيوعية في الاقطار العربية . ومن شروط قيام هذا الاتحاد تعريب الحزبين الفلسطيني والسوري ، وتقوية الاحزاب الفلسطينية والسورية والمصرية ، الخ . وينبغي اتخاذ اجراءات فورية لتعريب الحزب الشيوعي السوري وتأمين تحويل الشيوعيين السوريين الى حزب شيوعي مستقل قادر على تجاوز النزعات التصفوية والانتهازية .

٩ ـ لا يمكن تحقيق هذه المهام الا بشن نضال حازم وحاد ضد الانحراف اليميني في الحزب . هذا الانحراف الذي سينمو ويتطور تحت ضغط الارهاب المضاد للثورة وبسبب تأثير الهزيمة الآنية التي منيت بها الانتفاضة . وان الانحراف اليميني في الحزب الشيوعي الفلسطيني يعبّر عن نفسه في الاستخفاف بالامكانات الثورية ، وبالمقاومة الضامرة او السافرة لتعريب الحزب ، وبالتشاؤم والتشكك حول امكان العمل في اوساط الجماهير العربية ، وبالدهرية والسلبية تجاه المسألة الفلاحية ، وبالعجز عن ادراك الدور المخصوص للرفاق اليهود بوصفهم قوى مساعدة للحركة العربية وليس بوصفهم قيادة لها . وبتضخيم النفوذ الذي تمارسه البورجوازية الرجعية وملاك الارض الكبار ورجال الدين على الجماهير العربية ، وبموقف تسووي تجاه الاخطاء الانتهازية ، وبالعجز عن فهم الحاجة الى ممارسة نقد ذاتي حيوي وجريء للاخطاء التي ارتكبها الحزب ، وبميل الى الهجرة بدون استئذان اللجنة المركزية ـ ولا معنى لذلك سوى الهرب من ساحة المعركة ـ واخيرا بمقاومة شعار «حكومة العمال والفلاحين» . ان تقييم الانتفاضة على انها مذبحة ضد اليهود («بوغروم») والمقاومة غير المباشرة لتعريب الحزب يعبّران عن تأثير الايديولوجية الصهيونية والاستعمارية في اوساط الشيوعيين . وان القضاء على مثل هذه الانحرافات هو الشرط الضروري لتقدم الحزب في المستقبل ...»

اثار موقف الكومنترن الرسمي اعتراض عدد من الاعضاء اليهود في الحزب الشيوعي الفلسطيني ممن انكر وجود حركة ثورية عربية فعلية . وكتب احدهم

ابو زيام (آفيرباخ) في مجلة **نوفي فوستوك** (الشرق الجديد) يقول ان جماهير البدو والفلاحين العرب يخوضون نضالا ضاريا ضد الاستعمار البريطاني لكنهم قد يتحولوا الى ادوات بيد عملاء هذا الاستعمار ذاته لرفضهم الانصياع الى الانضباط الطبقي والسياسي : «ان المسألة الرئيسية للحركة الثورية في المشرق العربي هي مسألة استخدام الطاقة الثورية الضخمة الكامنة في القبائل البدوية من اجل خوض الصراع الطبقي الثوري ضد الاستعمار وضد البرجوازيين والاقطاعيين المحليين وربط هذا الصراع بحركة الفلاحين المفقرين والبروليتاريا» (١) . وينهي ابو زيام مقاله بادانة بوعالي تسيون ، بما فيها جناحها اليساري ، لانها تحولت الى منظمة شوفينية مسخرة لخدمة المستوطنين واصحاب المزارع ، كما تدين النقابات لانها تضحي بمصالح العمال على مذبح الصهيونية .

وتفيد مقالة كتبها **نداب** في صحيفة **ريفوليوتسيوني فوستوك** (الشرق الثوري) عام ١٩٣٣ ان جميع الشيوعيين الذين اعتبروا انتفاضة عام ١٩٢٩ على انها مجرد مذبحة ضد اليهود قد فصلوا من الحزب .

هكذا ينتهي العقد الاول من علاقة الكومنترن بقضية فلسطين . وتبدأ مرحلة التعريب الجدي للحزب الشيوعي الفلسطيني .

(١) المصدر ذاته ، ص ٧٧

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح)

اجرت اسرة تحرير «دراسات عربية» هذه المقابلة مع الاخ ابو اياد ، عضو اللجنة المركزية في حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) .

هناك العديد من القضايا والتساؤلات المطروحة حول حركة المقاومة (واقعها ومستقبلها) ، وتتعدد وجهات النظر حول هذا الموضوع في الاوساط الوطنية العربية ، مما يجعل من الضروري معرفة وجهة نظر المقاومة ذاتها في هذه القضايا ، والتساؤلات ، وقد حاولنا قدر الامكان ، جعل الاسئلة الموجهة في هذه المقابلة شاملة للقضايا الرئيسية والهامة .

السؤال الاول يتعلق بالوضع الراهن لحركة المقاومة ، حيث تقول بعض الآراء ان حركة المقاومة قد سقطت وانتهت ، فما رأيك في مثل هذا القول ؟

ج — في رأيي ان المتشائمين ، والمتفائلين ، في هذه المرحلة ، قد يقعون في خطأ كبير . ذلك لانه من الخطأ القول ان حركة المقاومة سقطت او انها لم تسقط لعدة اسباب :

١ — تاريخيا ، نحن نعرف كثيرا من الثورات مرت بمرحلة تراجع ، وسواء اعتبرنا هذا التراجع منظما او غير منظم ، فالمهم انه تراجع ، امام قوى رهيبة مضادة للثورة تتآمر عليها ، وتجعلها في وضع لا بد من التراجع فيه . من هنا يحس المرء ان المتشائمين والمتفائلين ، بالنسبة لحركة المقاومة الفلسطينية ، يقعون في خطأ كبير عندما يقررون من الان ، وخاصة في هذه الظروف ، ان حركة المقاومة انتهت .

قبل ان نقرر هذه الموضوعة او ننفيها ، علينا ان نقيم واقع الهجمة الامبريالية الرجعية في ايلول ، ونقيم في نفس الوقت اوضاع حركة المقاومة الذاتية ، قبل حصول هذه الهجمة وبعدها . فاذا قيمنا اولا واقع الهجمة الاستعمارية نلاحظ ، ان قوى عربية رجعية — وغير رجعية ، للاسف اشتركت مع الامبريالية الامريكية في محاولة ضرب الثورة الفلسطينية ، وباختصار ، ان هذه المؤامرة كانت محكمة من زواياها النفسية والمادية ، فكانت من الشراسة بحيث لم تستطع قوى الثورة الذاتية ان تستوعبها . من هنا تأتي اهمية الحديث عن قوى الثورة الذاتية قبل ، واثناء مواجهة الهجمة ، وبعدها .

كانت المقاومة موزعة القيادات ، موزعة الاتجاهات ، وحتى موزعة الارادة ، اذا صح هذا التعبير . هناك قسم من حركة المقاومة لم يحس قبل ايلول ، ان هذا النظام العميل يمكن ان يهاجم الثورة الفلسطينية ، في الوقت الذي كانت قوى تستعجل هذا الصدام بشكل طفولي وشعارات طفولية .

اذا جمعنا بين عدم الحسم ، وبين المغامرة ومحاولة الجر الى المعركة ، بالاضافة الى ان بنية المقاومة فكريا ، وسياسيا ، وماديا ، لم تكن في وضع يسمح لها بمواجهة مثل هذه الهجمة البربرية . هذا واقعنا .. واقع المجزرة التي وقعت في ايلول . ماذا حدث بعد ايلول ..؟ بعد ايلول ، كان المفروض (كما جرت العادة في كل الصدامات والمؤامرات التي تواجه الثورات في العالم) ان يجري تقييم لما حدث ثم يستفاد من الاخطاء ومن التجربة الماضية، ليسير الجميع في اتجاه واحد. والواقع ان حركة المقاومة لم تجر مثل هذا التقييم ، ولم تقم باية محاولة للاستفادة من الاخطاء التي حدثت قبل ايلول . على سبيل المثال وبصراحة : كانت اللجنة المركزية لحركة المقاومة ، كعادتها قبل ايلول ، تعقد جلسات تعذيب ، جلسات لا يحكمها العقل ولا المنطق ، ولا يحكمها ، ما يحكم عادة الجلسات التاريخية . كان مطلوبا منها ان تقرر وتبت الكثير من الامور .

من هنا كان التخبط ، والفردية ، وكانت القرارات غير الجادة ، والتي ادت الى مزيد من التراجعات . في رأيي ان النظام كان يحاربنا ويتعامل معنا حسب خطة محكمة ، بينما كنا بعد ايلول ، لا نواجهه باي مخطط مقابل . وعلى سبيل المثال لا الحصر : النظام لم يترك فرصة لجماهير الاردن بالذات ، وهي صاحبة المصلحة ، لتقييم ما حدث والاستفادة منه ، فقد سارع النظام بذكاء لتحويل القضية من قضية مشاعر ، ومجزرة ايلول ، الى قضية اطلاق نار متبادل في عمان ، والى قضية امن ، ثم الى قضايا فرعية صغيرة . من هنا وقعت جماهير الاردن ، والجماهير والانظمة العربية ، في فخ النظام ، الذي حول كل مآسي ايلول، الى موضوع طلقات والغام هنا وهناك ، وبالتالي صور القضية للرأي العام كله ، وكأنها قضايا امن . وتحت وطأة قضايا الامن هذه ، حدثت مجمل التراجعات ، واخطرها ، في رأيي ، اتفاقية نزع سلاح المليشيا . واقول اخطرها لا من باب المزايدة على احد ، وانما اعتبر ان تجريد المواطنين من السلاح ، يعرف النظام اننا لن نلتزم به . صحيح ان ما جمع من السلاح لا يساوي شيئا ، ولكن هذه الاتفاقية اعطت الحكومة حقا قانونيا بموافقتها وتوقيعها ، الا يكون من حق المواطن اقتناء قطعة سلاح ، هذا اخطر ما في الموضوع ، لقد تحولت مراكز الميليشيا الى متاحف اسلحة . واقول ان ما اعقب هذه الخطوة من خطوات كان لا بد ان يحدث كنتيجة طبيعية لهذه الخطوة .

طبعا لا يريد الانسان ان يحمل المسؤوليات للاخرين ، او يتهرب من المسؤوليات ، وان النقطة المركزية ترجع الى عدم تقييم ما حدث في ايلول ، وتقييم ما قبل ايلول ، وهو اكثر اهمية مما حدث في ايلول . ثم عدم مواجهة السلطة بمخطط واضح .

نأتي الان الى وضعنا الراهن ، انا لست من المتشائمين ولا من المتفائلين ، واقول انه لا زال امام المقاومة فرصة قوية للاستفادة من التجارب الماضية . ولكي تستفيد من هذه التجارب لا بد من عناصر اساسية تحكم المسيرة المقبلة . اول هذه العناصر وجود ايمان حقيقي بالوحدة الوطنية بحيث لا تكون تكتيكية ، وانما استراتيجية . وليس مهما ان نحمل هذه المنظمة او تلك مسؤولية عدم وجود الوحدة ، المهم ان يكون الجميع مخلصين لقضية الوحدة . العنصر الثاني ، وهو هام ايضا ، هو اخذ خط واضح بالنسبة للاردن . ماذا نريد منه ؟ هذا الخط الواضح اذا اقريناه واتفقنا عليه جميعا وسرنا فيه ، قيادات وافرادا ، وبممارسات حقيقية وليس بالشعارات ، لاننا تعلمنا من الشعارات قبل ايلول . اذا اخذنا هذا الخط الواضح ، ثم اتجهنا من الوضع في الاردن الى الوضع العربي والجماهير العربية ووضعها من الثورة ، ثم وضعنا شعارات حقيقية ، يعني ان نرفع شعارين ونعمل على تطبيقهما ، خير من رفع مائة شعار لا نستطيع ممارسة وتنفيذ شعار واحد منها.

العنصر الثالث المهم ايضا ، هو انه عند مراجعة مسيرتنا فعلا ، لا بد ان نقيم الاخطاء ونحاسب عليها حسابا عسيرا ، سواء على صعيد التنظيمات منفردة ، او على صعيد المنظمات مجتمعة، لانه اذا حكمت مسيرتنا الفوضى التيكانت سائدة في الماضي لن نستطيع ان ننطلق في مسيرتنا القادمة .

العنصر الرابع ، وهو مهم ايضا ، هو ان نحدد صلتنا بهذا العالم . نحن مع من وضد من ؟ من معنا ومن ضدنا ؟ والقضية في نظري ليست قضية فلسفية ، ولا قضية يسار ولا يمين ، انما الاساس فيها ، ان العقل الوطني العادي يقول ، اميركا تدعم اسرائيل والصهيونية ، وتدعم النظام الاردني الذي يقاتلنا يوميا باسلحتها . اذن المنطق هو اننا في صف ، واميركا في صف آخر . كل انسان وكل نظام في العالم يحارب الامبريالية الامريكية هو بالضرورة معنا . من هنا نحس ، اذا كنا حركة تحرر وطني حقيقية ، اننا في تيار هذه الانظمة التي ترفض التعايش مع الامبريالية الامريكية وحلفائها ، وترفض مهادنتها ، وترفض السير في ركابها ، وبالتالي نشعر ان ثورتنا ، اردنا او لم نرد ، هي متصلة بخيط واحد مع الثورة في الهند الصينية ، وفي كل مكان بالعالم ، وخاصة في امريكا اللاتينية وافريقيا .

العنصر الخامس والاخير ، هو ان نحسم موضوع الحلول السلمية . قد نقول مثلا اننا لا نستطيع ان نخرب الحل السلمي ، وان هناك قوى كبيرة ، وان اللعبة الدولية سواء من المعسكر الشرقي او من المعسكر الغربي ، لا تريد ان تتفجر في هذه المنطقة حرائق كبيرة تقود الى حرب عالمية ، كما يقول اصحاب هذا المنطق . في اعتقادي ان هذا لا يمنع الثورة الفلسطينية ان تأخذ خطا مبدئيا في هذا الموضوع وتقاتل من اجله . واعتقد ان طاقات الجماهير العربية ، اذا وجدت مثل هذا الخط الواضح ، خاصة امام التعنت الصهيوني – الامبريالي ، لا يمكن الا ان تقف وتصنع شيئا . واذ آمنا ان معركتنا طويلة ، وطويلة جدا ، فان مثل هذا الخط لن يضرنا ، بل بالعكس سوف يعطي الثورة نفسا جديدا ، واسهما جديدة .

هذه العناصر هي الفرصة وهي الطاقة المفتوحة امام المقاومة ، اذا اخذت بها بسرعة ، واخذتها كعناصر اساسية تحكم مسيرتها ، لا كعناصر تكتيكية ، نستطيع ان نقول ان المقاومة لم تنته ، ولن تنتهي . وانا كما قلت ، من المؤمنين ، لست من المتشائمين ولا من المتفائلين ، واقول انه ليس في الدنيا شيء اسمه التفاؤل ولا التشاؤم، انما هناك قضايا اذا استطعنا ان نطبقها، ونسير فيها بايمان يمكن انتحكم مسيرتنا . انا ضد الثرثارين من الاتجاهين ، من الذين يقولون ان المقاومة انتهت ، او الذين يقولون انها لم تنته ، انما واجبنا في هذه المرحلة ان نؤكد على العناصر الاساسية التي يمكن ان تفتح لنا الطاقة لننطلق من جديد وبشكل اقوى ، ومن الجائز ان تصبح كثيرا من التراجعات التي حصلت تفيدنا في مسيرتنا القادمة ، لانها قضت على سلبيات كثيرة كنا لا نستطيع ان نقضي عليها .

س – انت اذن اخ ابو اياد تطرح قضيتين اساسيتين : القضية الاولى هي قضية التقييم – تقييم وضع المقاومة ، قبل ايلول ، وتقيم ما حدث في ايلول ، وما بعد ايلول واستخلاص النتائج والدروس من ذلك ، ثم تطرح خطوطا عامة لبرنامج سياسي يحدد وضع حركة المقاومة وعلاقاتها فلسطينيا وعربيا ودوليا .

لماذا تأخر ذلك حتى الان ، مع ان المجزرة حدثت في ايلول – وما هي العوائق التي تقف في طريق تحقيق ذلك . مع اننا نستطيع ان نقول بان البرنامج السياسي الذي اقر في المجلس الوطني يتفق في كثير من النقاط مع الخيوط التي طرحتها .

ج – اذا اعتبرنا ما حدث فيايلول، وبعد ايلول، وجملةالتراجعاتالتي حصلت، هي عبارة عن (اذا اردنا ان نسميها) هزيمة سياسية للمقاومة ، عقب اي هزيمة يحدث نوع من التوتر ونوع من الاتهامات المتبادلة ، ثم نوع من الفوضى ، هذا اذا كان يواجه الهزيمة نظام او ثورة واحدة او تنظيم واحد ..

فما بالك في وضع كوضع الثورة الفلسطينية التي تضم تنظيمات مختلفة كما اشرنا في اول الحديث ؟

اولا : حصلت على صعيد كل تنظيم نوع من الخلخلات التي قد نستطيع ان نسميها ، نوع من الاتهامات المتبادلة ، وتحميل المسؤوليات والتنصل من المسؤوليات مما زاد من الارتباك الذي حصل في كل تنظيم وانعكس بالتالي على حركة المقاومة ككل . هذا سبب ، والسبب الآخر هو ان هناك عقليات في داخل قيادات المقاومة (بدون استثناء) ، اما بدافع التسلط على المراكز القيادية او التمسك بها بشكل او بآخر سبب وجود هذه العقليات التي كانت قبل ايلول واثناء ايلول والتي هي مستمرة حتى الان ، انا احملها المسؤولية الاساسية ولا استثني احدا وانا واحد منهم . اقول هذا فلسطينيا ، مما يؤكد اننا بحاجة الى مراجعة . وجزء من التقييم الذي اشرنا اليه قد يمس هذه العقلية الموجودة في المقاومة . طبعا انا لا اتهم كافة

القيادات ، وانما اقول هناك عقليات قيادية في كافة التنظيمات ، يهمها المحافظة على مواقعها اكثر من محافظتها او اهتمامها بمسيرة الثورة واعادة الصف . واي تقييم قد يمس هذه القيادات ويزحزحها عن المكان الذي كانت فيه ، ولا اريد ان اذكر امثلة لاننا في وضع ، كما قلت ، في حرب نفسية قد تستغل الاجهزة المعادية ، هذه الحقائق . لان الانسان يستطيع ان يقول بصراحة ان الادوار بعد ايلول انقلبت والموازين انقلبت واصبح هناك نوع من القيادات التي لا تستحملها المرحلة واصبح هناك ممارسات لهذه القيادات لا يمكن ان تسمح بها المرحلة ايضا ، ويدخل كل هذا في باب التقييم وفي مرحلة التقييم . وفي اعتقادي ان القيادات اذا لم تسرع الى اجراء هذا التقييم فسوف يفرض عليها فرضا . وهذا سيكون خطرا لانه لن يكون عملية سهلة ، انما ستكون عملية ان صح التعبير ، ثورة في داخل الثورة ، ولا اريد ان اسميها عمليات انقلابية . واملي ايضا ان هذه الطاقة التي تحدثت عنها قبل قليل والمفتوحة امام المقاومة وامام قياداتها ان تستغلها ، والوقت والزمن ليس في صالحنا ، وخاصة في الاردن ، فنحن امام نظام فيه مجموعة من العملاء التي لا تخجل من قلب الحقائق . والمنظمات والجماهير قد تستطيع ان تصمد وهي الان صامدة ، وفي رأيي ان الجماهير جماهيرنا بالذات في الاردن ، هي اعلى بمراحل من قياداتها . ولذلك صمدت هذه الجماهير حتى الان وعبرت عن مشاعرها في اكثر من مناسبة في تأييد الثورة ، سواء في الوحدات يوم ١٥ ايار او بعد نسف النصب التذكاري ، او قبل ذلك في مواقف كثيرة ، هذه الجماهير لغاية الان مؤمنة بالثورة، مؤمنة بمسيرتها ، ولكن لا يدري الانسان الى متى تظل هذه الجماهير على هذا الحال . وعندنا تجارب كثيرة في منطقتنا العربية دلت على ان الجماهير تظل متماسكة ، ومؤمنة ، ولكن اذا وصلت الى مرحلة اليأس ، هنا الخطر الكبير ، وما يجريه النظام الاردني من عمليات عسكرية محدودة ، او من حرب نفسية ، انما لايصال الجماهير الى مرحلة اليأس ، واذا وصلنا الى مرحلة اليأس يصبح من الصعب اعادة مسيرة المقاومة ومسيرة الثورة الفلسطينية من جديد .

س ـ قلت في حديثك ان قرار سحب الاسلحة من الميليشيا هو اخطر قرار اتخذ ، وان الخطوات اللاحقة كانت مترتبة على هذا القرار ـ فكيف اتخذ قرار سحب اسلحة الميليشيا ـ وفي اي الظروف ؟ وهل اتخذ هذا القرار من قبل حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) وحدها ، ام ان هذا القرار والقرارات اللاحقة اتخذت بموافقة اللجنة المركزية لمنظمة التحرير التي تشارك فيها كل المنظمات ؟

ج ـ ان هذا الموضوع من الاشياء المؤلمة والمحزنة لان العلاقات داخل حركة المقاومة مشوبة في كثير من تصرفاتها وأحاديثها بالتنصل من تحملها للمسؤولية. لان الانسان يفهم ان يتحمل مسؤوليات قرار اي قرار اتخذ سواء كان هذا القرار خطأ ام صوابا ، في رأيي بالنسبة ـ لفتح ـ لا يستطيع الانسان ان ينكر انها عامود فقري واساسي في حركة المقاومة ، وانها تتحمل مسؤولية كبيرة بالنسبة لكافة القرارات التي ستتخذ ، ولكن بنفس الوقت وخاصة بعد ايلول حصل ان الكثير من

القيادات لم تتواجد في عمان وتركت مسؤولية المنظمات الاخرى ـ غير فتح ـ لعناصر ثانوية او لنقل من الدرجة الثانية في قيادتها ، وفي نفس الوقت ترك الامر لبعض القادة المستقلين ان يمارسوا اتصالات حكومية وغير حكومية ، لكن المؤكد ان كافة هذه القرارات كانت تستشار فيها المنظمات . وانا اعرف ان قرار الميليشيا مثلا ان بعض قادة المنظمات حتى ما يسمى ـ او ما تسمي نفسها منظمات يسارية او الاكثر يسارية ، كانوا ينظرون للعمل ويحاولون اخراجها وتنظيرها بشكل يعجز منه اي انسان يتحدث في موضوع خطير كهذا الموضوع ..

اثناء اتفاقية الميليشيا انا لم اكن موجودا في عمان (ومعذرة اذا تحدثت باشياء شخصية) ومع ذلك الذي استطيع ان اقوله ان ما سمعته وفهمته من كافة العناصر الموجودة ، ان كافة التنظيمات وافقت على هذا القرار . وكان الانسان شاعرا ، رغم ان له ظروفه الخاصة التي لا يستطيع التحدث فيها الان . الا ان الحقيقة ان السؤال منصب حول هل تتحمل المسؤولية منظمة واحدة ام كافة التنظيمات ؟ استطيع ان اقول بكل صراحة ، ان كافة التنظيمات كانت موافقة على هذا القرار ، وان كان بعض القياديين في اكثر من منظمة ، لم يكونوا موافقين على هذا القرار وما تلاه من خطوات . برأيي قد يكون القرار الاخر الذي اخذ ضجة كبيرة ، هو موضوع الاسلحة في عمان ، وهذا القرار بالذات فهم وفسر بعكس المقصود منه . ومن هنا يستطيع الانسان اولا ان يقرر ، ان هذا القرار بالذات (وانا كنت موجودا في عمان) اتخذ بموافقة كافة المنظمات الفدائية ، وانا اتحدى ان تقول اي منظمة او تدعي بانها لم تشترك في اقرار هذا القرار ...

الشيء الثاني ان هذا القرار ليس جديدا ، المفروض ان ما حدث في عمان كان يجب ان يحدث بعد قرارات اللجنة المركزية في جلساتها المنعقدة في ٥ ـ ١٢ والتي اقرت فيها كل الخطوات التي جاءت في عمان . الشيء الثالث ان ما جرى في عمان في رأيي قد يكون هناك اختلاف في التوقيت قد يكون هناك اختلاف في استغلال الاعلام الذي استغله ، وفي الطريقة التي اخرج بها . انما يظل اذا اردنا ان نواجه سلطة عميلة ، موازين القوى المادية بيننا وبينها ، (اكرر المادية) اقوى منا كان لا بد ان تأخذ مثل هذا القرار . والذي يؤسف له ويؤلم ان كثيرا من التنظيمات حاولت التنصل من هذا القرار وتدعي ان لا علم لها به . وعندنا محاضر جلسة كاملة واكثر من جلسة كان القرار فيها باجماع جميع التنظيمات . اما ما جرى بعدها في الصحف والاحاديث والشعارات وما اليها جميعا نعرف ان بعض المنظمات لا تعيش الا على مثل هذه المزايدات والتي نعرفها كلنا وندركها ، ولا اعرف اذا كنت قد اوضحت المعنى .

س ـ فيما يتعلق بالنظام بالاردن ، تحس جماهير الشعب في داخل الاردن ، ويحس كل المراقبين بان النظام يقوم بهجمة شرسة متواصلة مدروسة لتصفية المقاومة تصفية نهائية ، وذلك من اجل صلح منفرد ، او حل اتفق النظام عليه مع الولايات المتحدة الامريكية ودولة الاحتلال الصهيوني فما رأيكم في ذلك ؟

ج ـ قد يكون الانسان بعد ايلول عاش فترة في الاردن لايجاد محاولات لوقف نزيف الدم ، ويستطيع ان يقرر بتجربة حقيقية بان النظام بادواته القمعية التي تستهلك معظم ميزانيته المعلنة وغير المعلنة ، يستهدف قتل الروح المعنوية عند الجماهير ، وتاريخ النظام معروف لدينا منذ زمان وليس جديدا على اي انسان ، معرفة حقيقة هذا النظام . الا ان الجديد ان الانسان قد يفهم او يحاول ان يفهم ضرب النظام للجماهير في حالة انتفاضاتها حرصا على العرش ، او حرصا على كيان النظام . ولكن لا يفهم من خلال هذه الهجمات المتواصلة الشرسة التي تطلق لمواجهة ثورة ، حددت لها هدفا منذ البداية هو قتال العدو الصهيوني . وحاولت ان ترفع منذ البداية شعارات كلها تشير الى ان البنادق جميعا يجب ان تتوجه نحو العدو الصهيوني ، وفي رأيي من التجربة القاسية المريرة ان كل المحاولات التي كانت تستهدف وقف نزيف الدم في الاردن ذهبت هباء . لان هناك عناصر اساسية في النظام لا تقبل بالتعايش مع الثورة ، وهي التي ترفض التعايش ، وهذا الكلام ليس جديدا ، وقد قلته في عمان ، واقوله الان وفي كل مكان ، ان المنظمات الفدائية جميعها ارادت ان توقع وثيقة تطلب من النظام ان يتعايش معها ، ورفض هذا النظام ان يتعايش معها . وذلك يعود الى اسباب تاريخية والى اسباب تكوين هذا النظام منذ الاساس ، ولا يدري انسان متى ستكون الهجمة الاخيرة للنظام على هذه الجماهير الصامدة الصابرة ، وعلى هؤلاء الفدائيين الابطال .

اذا لاحظنا الان سجون المخابرات ، ومعتقلات الجفر والمعتقلات الجديدة المستحدثة ، وجميع سجون عمان والاردن نلاحظ ان فيها خيرة الشباب المناضل الذي يعاني اقسى انواع العذاب ، والنظام لا يستطيع الا ان يصنع ذلك لان في اعتقادي يقبض الثمن على كل هذه الجرائم ، وفي اللحظة التي تقف اجراءاته التعسفية واجراءاته القمعية ضد اي مناضل ، سوف لا يستطيع قبض الثمن .

اذا لاحظنا بالنسبة للاردن ليس هناك اي مبرر لهذه المساعدات الكبيرة التي تأتي ، انما اذا اردنا مبرر مادي او اقتصادي مثلا السعودية فيها بترول او اي دولة فيها بترول او فيها اشياء صناعية انما الاردن ليس فيها شيء من هذا انما فيها اداة قمعية هي التي تستحق هذه الاجرة من اجل اذلال الشعب ، ومنع اي ثورة او اي طلائعيين حقيقيين من القيام بثورة داخل الارض المحتلة . من هنا اقول ان النظام نفسه قرر ان لا يتعايش مع المناضلين الحقيقيين .

س ـ هنالك احاديث تحاول ان تؤكد ان هنالك مشروعا لدولة فلسطينية وبان محاولة التصفية الحالية لحركة المقاومة مرتبطة بهذا المشروع ، وبان اوساطا فلسطينية في داخل حركة المقاومة وخارجها تؤيد مثل هذا الحل ، فما مدى صحة مثل هذه الاشاعات وما رأيك فيها ؟

ج ـ موضوع الحل السلمي بالاساس هو موضوع يحتاج الى تحليل لاوضاع منطقتنا العربية ، ثبت بالدليل القاطع بعد هزيمة حزيران ان منطقتنا العربية تخضع

للصراع الدولي الموجود ، وهذه حتمية لا يمكن ان ينكرها الانسان . انما كيف تستطيع ان تقف في هذا الصراع الدولي موقفا في صالح الجماهير ومعها متوقف على الانظمة العربية منها ومدى صلاتها بالجماهير ، وتعبئتها لهذه الجماهير . وفي واقعنا العربي الحالي يظهر ان هناك انقساما حقيقيا بين الجماهير والانظمة ، وبالتالي الانظمة تعتمد على الاساليب الكلاسيكية اكثر من اعتمادها على الجماهير . ومن هنا فان دورها في الصراع الدولي هو دور ثانوي وليس دورا اساسيا . هذه المقدمة تجعلنا نفهم لماذا تأخر الحل السلمي كل هذه السنوات ، تجعلنا نفهم لماذا لا تريد الولايات المتحدة بالذات ان تضغط على اسرائيل من اجل الانسحاب ، رغم التنازلات المستمرة من جانب الانظمة العربية . وهذا ايضا يجعلنا نفهم لماذا تحارب المقاومة باعتبارها الوحيدة (بغض النظر عن كل سلبياتها) التي لا تدخل حلبة هذا الصراع او غير داخلة فيه ليس بحكم ارادتها هي فقط وانما بحكم منطقها وشعاراتها التي رفعتها وبحكم انها لا تملك شيئا تخاف عليه . هذه الاشياء تجعلنا نقول ان الحل السلمي يتوقف على عدة عوامل .

اولا : بالنسبة لمصر لا بد من تحقيق ثلاثة اشياء فيها حتى يطبق الحل السلمي

اولا ان يتأمن لاسرائيل سيطرة على مناطق العبور المصرية في حالة عبور اي قوات مصرية او تفكير اي قوات مصرية في عبور اسرائيل ، وهذا يعني ان جزءا من الارض المصرية لا بد ان يكون تحت السيطرة الاسرائيلية هناك صلة بهذا الموضوع ، بان سيناء يجب ان تكون فيها اسلحة من نوع معين وهو نوع غير هجومي وغير فعال.

الامر الثاني: هو موضوع شرم الشيخ. فاسرائيل تصر على ان يكون لها تواجد في شرم الشيخ وهي لا تقبل حتى بالتواجد الدولي ، وانما تريد ان تكون مشاركة مع تواجد دولي .

الامر الثالث هو حل المشكلة الفلسطينية او القضية الفلسطينية من جذورها وانهائها لانه ما يزال على جدول الامم المتحدة شيء اسمه القضية الفلسطينية ، الى الان لم يشطب ، رغم ان القضية تعرض في كل عام كقضية لاجئين ، الا ان القضية الاساسية هي قضية فلسطينية ، موضوعة على جدول الامم المتحدة ، وقد حاولت اسرائيل وامريكا في اكثر من مرة ان تشطب او تغلق هذه القضية وتنهيها . هذا المطلوب من مصر ولا يستطيع اي انسان ان يقرر مدى صلابة او مدى استعداد مصر لهذه التنازلات او عدم استعدادها .

بالنسبة للاردن ليس هناك مشكلة .

بالنسبة لسوريا الوضع المطلوب هو ان لا تكون الجولان او لا تعود الجولان الى سوريا ، او اذا عادت تكون المرتفعات بالذات تابعة لاسرائيل . وكل تصريحات المسؤولين الاسرائيليين تشير الى ذلك وان الاردن ليس مشكلة ، لانه مستعد ان يتنازل عن الضفة الغربية كلها اصلا . ولكن هناك قضية وهي قضية الفلسطينيين وهي شيء مشترك بين الاردن وبين مصر وسوريا . الاردن وضع حلا لقضية الفلسطينيين بكبتهم وضربهم وقتلهم وجعلهم عبارة عن قطيع تابع للنظام الاردني

وهو يريد ان يقنع امريكا بذلك ، وما حدث في ايلول وما يحدث بعد ايلول وما سيحدث في المستقبل اذا لم تقف المقاومة على اقدامها مواقف صلبة هو عبارة عن شواهد عملية تريد ان تؤكدها الاردن لامريكا بانها تستطيع ان تقتل الفلسطينيين وتنهي قضيتهم . وهذه اتجاهات وصفي التل الحالية بانه يرى بان الفلسطينيين يمكن ان يقمعوا ولا داعي لموضوع الدولة الفلسطينية اطلاقا .

امريكا بذكائها تريد ان تعطي للفلسطينيين دولة وهذه الدولة يتحقق فيها كل ما هو موجود فيشرق الاردن، من اداة قمعية تقمع ايحركة مستقبلة للفلسطينيين، وفي نفس الوقت يحصل هؤلاء الفلسطينيون على ارض ولهم شكل دولة ، وفي نفس الوقت ليس لهم دولة . في رأيي ان هذا المشروع يدغدغ احلام امريكا بشكل كبير . والذي لاحظ وراقب محادثات روجرز في عمان انه رغم كل ما جرى في المحادثات ، اخطر شيء جرى هو الحوار بين وصفي التل وروجرز ، وكان حول الفلسطينيين ، ان روجرز قال لا بد ان نوجد للفلسطينيين كيان او شيء من الكيان طبعا الكيان كما تفهمه ، وتريده امريكا ، وهنا موضوع الاشاعة له اساس ، واعتقد ان اسرائيل نفسها ترحب بان يكون للفلسطينيين شيء من هذا ، وقد بدا ذلك في كتابة اكثر من كاتب منهم خاصة افنيري والذي يقول ان الفلسطينيين معذبون ولا يريدوا بان تعود عقدة اليهودي التائه الى الفلسطينيين ، هذا من ناحية التحليل العام نأتي الىالمعلومات .. حسب ما ادري، وحسب ما اعرفلم تعرضهذه الدولة بطريقة مباشرة علىاي فصيل من المقاومة، واتكلم بالنسبةلفتح، اما بطريقغير مباشر فان كثيرين من المسؤولين العرب في حالات تصوير انتهاء المقاومة ، في حالات البكاء على المقاومة ، يطرحون شيئا من هذا كبديل لعملية الدماء التي تنزف من المقاومة في الاردن . هل المقاومة ترضى بهذا او لا ترضى ؟ وانا لمجرد السؤال اقول لمجرد ان تقبل المقاومة ان تناقش مثل هذا الموضوع انتهت عن كونها مقاومة واصبحت نظاما رابع عشر او خامس عشر ما عليها الا ان توقع على عذاب الشعب الفلسطيني وعذاب الامة العربية مع الشعب الفلسطيني خلال اكثر من عشرين عاما . من هنا ان هذا الموضوع اعتقد انه ليس مطروحا ، وانه يجب ان لا يكون مطروحا . هناك شيء آخر في بعض الدول الاشتراكية ، ولا بد من الاشارة لهذا الموضوع تطرح هذا الموضوع في المرحلة الحالية وتطرحه باعتباره مرحلة من مراحل الحل وان على الفلسطينيين ان يكونوا واقعيين وان لا يورطوا العالم بالدمار والخراب . انا لا اعتقد بان مثل هذه الدولة هي التي تمنع الحرب وتمنع الصهيونية وتمنع الامبريالية من مواصلة احلامها — ولذلك فالطرح الطبيعي ، والطرح الصحيح هو ان يساندنا — وتساندنا الدول الاشتراكية وغيرها من الدول التي تؤمن بحق الشعب الفلسطيني حقا في مواصلة الكفاح لاقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية .

س — ان حديث الوحدة الوطنية ما زال مطروحا وقد ذكرت بانه اساس من الاسس التي يجب ان يقوم عليها الخط العام للحركة الوطنية الفلسطينية فاين وصل

موضوع الوحدة الوطنية الفلسطينية الان ، ما هي العقبات التي تقف في طريق تحقيق وحدة فلسطينية حقيقية ، وما دور منظمة التحرير والمجالس الوطنية في تحقيق او تعطيل هذه الوحدة ؟

ج — مصيبة كل الذين يتحدثون عن الوحدة الوطنية ويمارسون عدم ايمانهم الحقيقي فيها . وانا اعتقد بان كل المنظمات الفدائية ، ولا استثني تنظيما واحدا ، لو كانت مؤمنة ومخلصة لقضية الوحدة الوطنية لصارت الوحدة الوطنية . وهنا ليس دفاعا عن فتح ولا اتهاما لها . اقول انه ليس صحيحا ان فتح هي المسؤولة وحدها عن عدم تنفيذ الوحدة الوطنية ، وان كانت فتح هي التي تستطيع ان تدفع اتجاه الوحدة الوطنية الى التحقيق اذا اخلصت له بشكل اكثر وضوحا واكثر قوة وتدفعه دفعا حقيقيا . لكن ليست هي المسؤولة وحدها عن عدم تحقيق الوحدة الوطنية .

في الساحة الفلسطينية ، اردنا ام لم نرد ، هناك منظمات تمثل رأي الدول العربية جيشالتحرير الفلسطيني ملتف حولهبعض المستقلين وهذا الجيش ليسمحرر الارادة ، ونعترف اننا لا نستطيع للاسف او لم نستطع ، لا ان نحرر ارادته ، ولا ان نحرر كيانه . وهذا الجيش موزع على اكثر من دولة عربيةوبحكم هذا التوزع ، فهو يأتمر بامرها ويلتف حول هذا الجيش ، حسب البلد المتواجد فيه ، مستقلون يدعمهم ويدعمونه ، ثم ان هناك منظمات مستقلة فعلا ، وهي في واقع تصرفاتها تتصرف بحرية الى حد ما ، وحتى يكون تعبيرنا صحيحا من هنا تعطيل الوحدة الوطنية وعدم الاخلاص لها وكما اشرت في الحديث شيء منه ذاتي ، وشيء من تأثير الغير . واذا لم تتحرر الارادة الفلسطينية من تأثيرات الانظمة العربية من جهة ، وتتحرر من الخوف على المواقع الذاتية لكثير من قياداتها ، وهذه مشكلة اساسية في عدم تنفيذ الوحدة الوطنية ، واذا لم تستطع فتح ان تفرض ، واقول تفرض ليس بالقسر ولا بالقوة وانما بالاخلاص لقضية الوحدة — والعمل بها بجدية وفرضها فرضا ، اذا صح التعبير ، الفرض الديمقراطي الذي يحمل في ثناياه الخط السياسي الواضح الذي يجمع كل الناس حوله ، اذا لم تستطع فتح ولم تتحرر الارادة الفلسطينية في كثير من التنظيمات ومن الجيش الفلسطيني والمستقلين الذين يدورون حوله ، اعتقد اننا سندور في قضية الوحدة في فراغ ، ولن نأتي بنتيجة .

شيء اساسي ممكن ان يفرض الوحدة اذا استطاعت جميع قواعد التنظيمات ان تتجاوز قياداتها المتشنجة نحو الوحدة ، وتفرض هذه الوحدة ، وفي رأيي ، هذا سيكون هو الحل الاخير ، اذا لم تنتبه القيادات المتشنجة لقضية الوحدة وتسلك المسلك الصحيح والسليم ، بالنسبة للمؤسسات الموجودة ليس مهما اسمها : منظمة التحرير الاطار يمكن ان يتغير الاسم ، لكن المهم المضمون ، تستطيع منظمة التحرير ان تكون الاطار ، لكن بالصورة التي تكونت عليها منظمة التحرير، وبالتشكيلاتالتي يحتويها النظام الاساسي ، في رأيي بحاجة الى تغيير واكبر هذه التشكيلات هو المجلس الوطني ما زالت عقلية القادة ، وتقسيم اعداد الذين يدخلون المجلس موجودة

ولم يستطع اي تنظيم ان يتجاوز هذه النقطة .

مع اننا لو استطعنا ان نضع اسماء من يصلحون ، ويكون التنظيم على اساس الجهد المقدم الفعلي للثورة ، واصبح لا يهم فتح او الديمقراطية او الشعبية او غيرها ، كم عدد اسماء الموجودين عندها ، بقدر ما يهم تقديم عدد فعال الى المجلس. اذا لم يحصل هذا فستكون المجالس الوطنية عبارة عن فراغ في فراغ تتفق المنظمات وتذهب الى المجلس وتفرض ما تريده سواء كان هذا الاتفاق مبني على اسس سليمة او غير سليمة وغالبا ما يكون على اسس غير سليمة . اذا ظل الواقع هكذا اعتقد ان هذه المجالس الوطنية سوف تنتهي الى الفشل ولن تأتي بأي نتيجة، وربما لا يحس الانسان بتفاؤل في المجلس القادم ، لهذه الاسباب يمكن ان يكون طريق الخلاص من هذا المأزق الذي يحتوي تشكيلات المنظمة وبنيانها هو ان ننسف كل العقلية المكتبية والعقلية البيروقراطية داخل المنظمة بما فيها المجلس الوطني ، ونعيده الى مؤتمرات الثورة الفلسطينية روح المؤتمرات الثورية التي عرفناها وقرأنا عنها في الثورات هذا تقريبا بايجاز .

س ــ عندما اعلنت فتح انطلاقتها سنة ١٩٦٥ اعلنت انها حركة فلسطينية القلب عربية الامتداد وهذا كان يعني فلسطينية الوجه عربية الامتداد وهذا كان تعبيرا او شكلا من اشكال التعبير عن ارتباط الثورة الفلسطينية بالثورة العربية ولكننا نلاحظ بان الثورة الفلسطينية خلال مسيرتها في السنوات السابقة على الرغم مما استقطبته من تأييد الجماهير العربية لم تستطع ان تحول هذا الاستقطاب الى عمل عربي منظم ، الى مشاركة عربية منظمة . ما هي في رأيك العلاقة الحقيقية بين الثورة الفلسطينية والثورة العربية ، والجماهير العربية ، ولماذا لم تستطع الثورة الفلسطينية حتى الان ان تحول التأييد الجماهيري العربي الى عمل عربي منظم ؟

ج ــ كل انسان يدرك ان شعب فلسطين وحده ولو جمع كافة قدراته وامكاناته لا يستطيع بطبيعة الحال ان يحرر فلسطين او حتى يستمر في عملية التحرير ، وذلك لسبب بسيط ان واقع الثورة الفلسطينية يختلف عن واقع اي ثورة ، مثلا واقع الثورة الفيتنامية او الثورة الجزائرية او غيرها . من هنا كان البديل الطبيعي ، الطبيعة الجغرافية للارض الفلسطينية اولا ، والعلاقات القومية للجماهير العربية من جهة ثانية ، وطبيعة القوة المساندة لاسرائيل والصهيونية من جهة ثالثة كان لا بد ان تعمق الثورة الفلسطينية مفهوم الشعار الذي رفعته في الاول ، وتجعل لهذا الشعار مضامين حقيقية . من حيث المبدأ اعتقد ان جماهير الامة العربية المعبأة ثوريا والمعبأة من اجل المعركة هي القادرة او هي الوحيدة التي تستطيع ان توازن القوى التي تواجه الثورة الفلسطينية . شيء بديهي في نظري لا يحتاج الى تقرير ولا الى ادلة والى براهين ، انما الشيء الذي يمكن الحديث عنه ، لماذا لم تحاول او لماذا فشلت الثورة الفلسطينية في تنظيم مشاعر الجماهير العربية الحقيقية والعفوية ، وتحويلها الى طاقة بيد الثورة تستعين بها وتطورها مع الزمن لتصل بها الى النتيجة التي يستطيع الانسان ان يقدر بكل سهولة انه كانت ستوصلنا الى اول طريق التحرير ؟

السبب الاول يعود الى اوضاع المقاومة الذاتية ، حيث كان اكثر من تنظيم يتنازع مشاعر الجماهير العربية ، وبالعكس ، اكثر من ان يتنازعها ، كان يوترها ، كان يجعلها تعيش في الاوهام بين طرح غير مفهوم لبعض الشعارات لا بد ان اسميها «عدم التدخل في الشؤون الداخلية» ، وبين شعار فهمت منه الجماهير ، ان الثورة الفلسطينية بديلة عن الثورة العربية ، وليست جزءا منها . والتبست عملية التداخل عملية التثوير ، او التعريب الفوقية ، واقصد في هذا ، معظم المنظمات التي طرحت نفسها وكأنها تستطيع ان تعلم الجماهير العربية . من هنا القول ان اوضاع المقاومة الذاتية ، وشعاراتها المختلفة والمتناقضة ، هي التي جعلت الضباب يلف كل الجماهير العربية وطاقاتها وجعلها تفهم شيئا فشيئا ان دورها في الثورة الفلسطينية، دور دفع المال او دور التأييد والدعاء .

هذا سبب ، وهناك اسباب اخرى ، يجب ان لا نقلل من اهميتها ايضا ، كان المفهوم ان يحدث نوع من الامتزاج بين حركة الثورة الفلسطينية وحركة التحرر العربية ، وهنا لا بد ان نتحدث عن حركة التحرر العربي نفسها انها كانت في واقع سيء ، وهذا الواقع السيء جعل من التمازج بينها وبين الثورة الفلسطينية غير واضح وغير مبلور ، سواء السلبيات التي تتعلق بالثورة الفلسطينية ، او السلبيات التي تتعلق بالثورة العربية ، الذي يتبين للانسان ان هناك نقصا في كثير من الجوانب . ثم العيب في ذلك يعود للانظمة نفسها التي تحارب فكرة ان تكون هناك جماهير منظمة ، وجماهير معبأة من اجل المعركة ، هذه هي الاسباب كلها ، ولكن في رأيي ان هذه الاسباب كلها يجب ان لا تقف او ان لا تكون جدارا فتسلم بأنه لا فائدة من تنظيم هذه الجماهير ، ولا يمكن تنظيمها وتصل الى الحتمية الخاطئة التي يحاول الكثير من الناس ان يوصلنا اليها ، لان الوصول الى هذه الحتمية يعني انه ليس هناك معركة يمكن ان تحرر فلسطين . اذن النضال كما يناضل الثائر الفلسطيني والثائر العربي الملتزم بالثورة الفلسطينية من اجل تصعيد الثورة وحمايتها والوقوف بها على ارض صلبة كما يناضل اي مناضل من اجل هذه المبادىء يجب ان يناضل ايضا من اجل التحام الثورة الفلسطينية بالثورة العربية، وبالجماهير العربية . كيف يكون هذا ؟ انا اعتقد ان اول الطريق لي هو اقامة علاقة وثيقة وقائمة على اسس غير تكتيكية ، على اسس استراتيجية مع حركة التحرر العربي وان تحاول الثورة الفلسطينية بقدر امكانياتها ان تقلص علاقاتها بالانظمة وان تتجه الى الجماهير اكثر فاكثر لان كلما اتجهت الثورة الى الجماهير وقلصت علاقتها بالانظمة كلما صار الالتحام اكثر . ولا يستطيع الانسان ان يقول ان في مرحلة الثورة ببدايتها كان يبرر كثير من التداخل بين الثورة وبين الانظمة لكن لا يستطيع ان يبرر هذا التداخل على حساب علاقة الثورة بالجماهير العربية . فمن هنا نقطة البداية : هو ان تكون حركة التحرر العربية وحركة الثورة الفلسطينية في التحام كل منهما يعطي القوة للاخر ، وبالتالي ينعكس هذا على الجماهير العربية .

س ــ ولكن اخ ابو اياد الا تعتقد بأن الحركات الوطنية العربية او الحركة

الوطنية العربية مطالبة بأن تلعب دورا اساسيا في تحقيق الالتحام بين الجماهير العربية وبين الثورة الفلسطينية وبأن هذه الحركة الوطنية العربيةبفصائلها المختلفة، لم تستطع ان تحقق هذا الالتحام وبأن المسؤولية لا تقع على الثورة الفلسطينية وحدها ؟

ج ـ قد يكون هناك اشارة في حديثي الى تقصير حركة التحرر العربي في صلتها بجماهيرها اولا ، وبتنظيم صفوفها ثانيا ، وصلتها بالثورة ثالثا ، فحركة التحرر العربي لا يكفي منها مجرد انزال البيانات والتقارير عن الثورة الفلسطينية سلبياتها واخطائها واحيانا عن ايجابياتها ، ولا يكتفى ايضا من حركة التحرر العربي ان تساند الثورة الفلسطينية في البيانات والمقالات واحيانا في المناسبات ، لان هذا ليس هو الدور الحقيقي لها . انما في رأينا ان حركة التحرر العربي ذاتها بحاجة الى اعادة النظر في كل ممارساتها السابقة لكي تتغلب على عوامل التفكك الذاتية التي فيها ، وبحاجة الى اعطاء الجماهير صورة حقيقية . اي وضع برنامج محدد للجماهير تستطيع من خلاله ان تلف الجماهير حوله ، وان تمنع عنها كل اسباب الانحلال والتفكك التي تعيشها ، ومن المؤسف اننا نشاهد في اكثر من قطر عربي عملية التفكك والانقسامات الموجودة في الحركة الوطنية في حركة التحرر العربي حتى في الحزب الواحد او في الجبهة الواحدة اكثر من تيار واكثر من جهة ، هذا بالاضافة الى عوامل الاضطهاد التي تمارسها الانظمة على هذه الحركات وكما قلنا للأسف ان كل الحركات الوطنية في الوطن العربي وحركات التحرر ، لم تتعلم من دروس الماضي وتستفد منه . ففي كثير من الحالات كانت الرجعية العربية تنقض على هذه الحركات او هذه الجبهات ، ومع ذلك لا تستفيد الحركات الوطنية من دروس الماضي ومن دروس الحاضر . ومن هنا اي قوة للثورة او لحركة التحرر العربي هي بالضرورة قوة للثورة الفلسطينية ، كما انه لا يمكن ان ننكر انه كلما صلحت اوضاع الثورة الفلسطينية انعكست على حركة التحرر العربي ، ولكن بالاساس حركة التحرر ذاتها يجب ان تكون اوضاعها سليمة ومتماسكة وتبعد عنها اسباب الفرقة وهذا لا يعني التجميع العددي الكبير انما المهم هو الاتفاق على برنامج واضح سواء في اوضاع هذه الافكار الداخلية او في علاقة حركة التحرر بالثورة الفلسطينية ومدى محاولة هذه الحركات جر الجماهير الى محاربة ومعاداة الصهيونية والامبريالية .

جبهة التحرير العربية
او التجربة القومية في العمل الفدائي

لا يمكن فهم جبهة التحرير العربية وظروف ولادتها بمعزل عن فهم ثلاثة خصائص كانت تلازم فكر حزب البعث وتنظيمه وممارساته السياسية والنضالية، لان العلاقة بين الجبهة والحزب هي علاقة وطيدة وحميمة رافقت الجبهة منذ ولادتها ، فنموها ، فوضعها الراهن .

اول هذه الخصائص نظرة البعث القومية الشاملة الى المعارك الاساسية التي تخوضها الامة العربية ، وعلى رأسها معركة تحرير فلسطين والتي اعتبر ان القضية العربية كلها ملخصة فيها .

ان هذه النظرة تعتبر ان خوض هذه المعركة بنجاح والخروج منها بانتصار حاسم يشترط دخول الامة العربية كلها في هذه المعركة ، ودخول الامة يتطلب وجود تنظيم قومي مفتوح لكل المناضلين العرب من كل الاقطار يلتزم عقيدة ثورية واضحة ، ويرسم استراتيجية عربية شاملة للمعركة ، ويعبىء طاقات الجماهير العربية كلها في نطاق تحقيق هذه الاستراتيجية .

ان قومية التنظيم كانت صفة مميزة لحركة البعث عن سائر الحركات القومية والوطنية منذ نشوئها ، وشرطا اساسيا عندها لانتصار الثورة العربية على اعدائها. وقومية التنظيم ايضا كانت سمة مميزة لجبهة التحرير العربية ، من سائر المنظمات الفدائية ، منذ نشوئها ايضا .

وثاني هذه الخصائص ان حزب البعث كان ايضا منذ ولادته يعتبر ان حمل السلاح للدفاع عن قضايا الجماهير وتحررها هو امر من طبيعته ومرتبة عليا من مراتب نضاله ، ولهذا فهو لم يتلكأ لحظة عن حمل السلاح والتطوع للدفاع عن ثورة الكيلاني في العراق سنة ١٩٤١ ، رغم انه لم يكن حينذاك اكثر من دعوة ثورية يلتف حولها العشرات من الشباب العربي آنذاك .

وكذلك وجدناه يدعو شبابه لحمل السلاح والتطوع في سلك الدرك (الذي كان القوة المسلحة الوطنية الوحيدة آنذاك في سوريا) من اجل الدفاع عن استقلال سوريا ليواجه حمم القنابل الفرنسية في ايار ١٩٤٥ .

وفي سنة ١٩٤٨ ذهب البعثيون بقيادة مؤسسي حزبهم الى فلسطين ليقاتلوا على ارضها بعد ان ادركوا قبل ذلك بسنوات بان «فلسطين لن تحررها الحكومات».

واثناء العدوان الثلاثي عام ١٩٥٦ وخلال انتفاضة لبنان ١٩٥٨ ، وابان مقاومة العهد القاسمي الديكتاتوري في العراق (١٩٥٩ – ١٩٦٣) ، كان البعثيون في طليعة من يحمل السلاح دفاعا عن قضية الجماهير .

وحتى في مجال العمل الفدائي ، فقد انشأ الحزب سنة ١٩٦١ جبهة تحمل الافكار نفسها والتوجه ذاته الذي تحمله الان جبهة التحرير العربية ، وقامت هذه الجبهة ببعض عمليات الاستكشاف في الارض المحتلة ، كما طلبت من بعض الرفاق البعثيين الفلسطينيين ترك اعمالهم والتفرغ لهذه المهمة ، وكانت جميع هـذه التنظيمات المسلحة تعمل آنذاك تحت اشراف الرفيق المرحوم خالد اليشرطي ، والذي كان عضوا في القيادة القومية للبعث ومسؤولا عن التنظيم الفلسطيني فيه.

ولكن تسلم الحزب للحكم سنة ١٩٦٣ في العراق ثم في سوريا ومشاغل الحكم ومشاكله وبعض الآراء والافكار التي برزت على مستوى السلطة آنذاك حالت دون استمرار وتطوير هذه التجربة . وبسبب انهيار هذه التجربة ، فقد انضم بعض افراد هذه المنظمة الى «العاصفة» سنة ١٩٦٥ وكانوا من اوائل مقاتليها . ولعل من ابرزهم ، الرفيق الشهيد جلال كعوش الذي قتل تحت التعذيب في السجون اللبنانية في مطلع عام ١٩٦٦ .

كذلك فان موقف الحزب من انطلاقة العمل الفدائي في مطلع عام ١٩٦٥ كان موقفا متميزا عن مواقف سائر الحركات والقوى الوطنية والانظمة الوطنية والقومية آنذاك ، فقد تبنى الحزب تلك الانطلاقة بكل امكانياته وكانت صحيفته «الاحرار» الجريدة العربية الاولى التي ابرزت اخبار العمل الفدائي ودافعت عنه امام تشكيك وهجوم بعض الاقلام والقوى .

ان هذه الفترات المشرقة في تاريخ البعث النضالي ، تؤكد بان تلك الحركة على عكس ما كان مألوفا في العمل السياسي في العقود الثلاثة الماضية ، كانت تعتبر ان الكفاح الشعبي المسلح هو شيء طبيعي وتلقائي في مسيرتها وان « الامة العربية موجودة حيث يحمل ابناؤها السلاح» » وان ما ظهر فيها من تخلف او تقصير او عدم استمرارية في هذا المجال ، انما كان بفعل تغلب عوامل الضعف والمرض على عوامل القوة والصحة في الحزب في مراحل معينة من تاريخ الحزب والتـي تعرض لها الحزب بشكل موسع في تقييمه لازمته في المؤتمر القومي التاسع .

اما الخاصة الثالثة فهي ان حزب البعث كان دائما من خلال تحليله لطبيعة المرحلة التي تعيشها الامة العربية ، لطبيعة التحدي التاريخـي المفروض عليها ، ولضخامة الغزو الاستعماري الصهيوني الذي يهدد وجودها ، يدرك بان التصدي لهذه المهام الجسيمة بنجاح هو مهمة كل الجماهير العربية ، وكل الطبقات الوطنية المعادية للاستعمار وبالتالي مهمة كل القوى والفئات القومية والوطنية في الامـة العربيـة .

ان هذا الادراك من جانب الحزب كان يترجم نفسه باستمرار باصرار الحزب على اعتبار العمل الجماهيري المنظم هو الاساس في العملية الثورية ، وان الانفتاح على هذه الجماهير وتنظيمها وتعبئتها وافساح المجال امامها هو مفتاح انتصارات الحزب في مهماته النضالية . ومن هنا فقد كان شعار الجبهة الوطنية او القومية او التقدمية ، او لقاء القوى الثورية حاضرا باستمرار عبر مسيرة الحزب النضالية وفي كافة الاقطار التي ناضل بها (في سوريا الجبهة الوطنيـــة قبل الوحدة ، والتحالف مع القوى الوحدوية بعد الانفصال ، وفي العراق الجبهة الوطنية قبل ثورة ١٤ تموز ١٩٥٨ ، والجبهة القومية ضد الحكم القاسمي ، وفي الاردن الجبهة الوطنية في اواسط الخمسينات ، وفي جنوب اليمن جبهة التحرير ، وفي لبنان عدة جبهات في مراحل مختلفة ... وكذلك في تونس والسعودية والمغـرب والسودان والبحرين الخ ....) ...

ان هذه المقدمة التاريخية الطويلة نسبيا عن حزب البعث كانت ضرورية جدا لكي يتضح وبشكل قاطع بان جبهة التحرير العربية لم تكن تصنعـا او افتعالا او مسايرة للتيار السائد بل كانت امتدادا طبيعيا لنظرية البعث الثوريـة ولتصوره الاستراتيجي لطبيعة المرحلة العربية الراهنة . ومن هنا فالجبهة لا يمكن ان تكون امتدادا لنظام عربي معين ، كما يحلو للاتهامات الظالمة ان تقول ، بل هي كما يقول مؤسس حزب البعث وامينه العام الاستاذ ميشيل عفلق : «صيغة تجدد الحزب وانبعاثه ، وفي هذه الامور لا يمكن التسويات ، لاننا لم نقصد ان نضيف منظمة فدائية الى عديد من المنظمات الموجودة ، وانما اردنا ان تكون الجبهة هي المنظمة الحقيقية التي منها يتجدد الحزب ، واذا تجدد الحزب تتجدد الثورة العربية» .

فالعلاقة اذن بين حزب البعث وبين جبهة التحرير العربية اريد لها منـذ البداية ان تكون علاقة حاجة متبادلة ، وسد نقص ، فالحزب بحاجة الى اطـار للكفاح الشعبي المسلح يجسد افكاره ويبلور رؤيته ، ويعمق مسيرته ويجدد ولادته، ويسد النقص فيه ، والجبهة بحاجة الى حركة تاريخية ثوريـة ترشد طريقها وترعى تنظيمها ، وتعطيها الشمول القومي ، وتغنيها بالتجارب النضالية ، وتربطها بالتراث الوطني والقومي للامة، وتعمق مضامينها الاجتماعية والتقدمية والانسانية.

ومثل العلاقة بين حزب البعث وجبهة التحرير العربية كانت العلاقة بـين جبهة التحرير كجزء من حركة المقاومة وبين حركة المقاومة ككل .

فاذا كانت الجبهة هي تعبير عن حاجة الثورة العربية ، ممثلة بحركة كبيرة من حركاتها ، الى اعتماد اسلوب الكفاح الشعبي المسلح ، فانها ايضا تعبير عـن حاجة الكفاح الشعبي المسلح الفلسطيني الى الافق القومي الذي تحمله حركـة الثورة العربية .

لقد كان «النقص القومي» في العمل الفدائي نقصا قاتلا ، وان لم يكن ذلك واضحا في السنوات الاولى له ، سنوات الالتفاف الرسمي العربي عليه ، سنوات اغداق الانظمة الاعلامي والمالي عليه . ولكن هذا النقص لم يكن من الصعب رؤيته

من خلال منظار التحليل العلمي لحقائق الواقع العربي ، والتي تؤكد بان في اللحظة التي تتحول فيها حركة المقاومة الى قوة حقيقية وذات وزن سياسي وجماهيري وعسكري فان تلك القوى والانظمة التي احتضنتها في البداية لاسباب واعتبارات مختلفة سرعان ما تنفض عنها وتنقلب عليها ، وتتسابق على نحرها . ذلك ان الكفاح الشعبي المسلح اذا ما قوي واتسع اصبح يشكل حركة تغييرية وشاملة تهدد كافة الانظمة والقوى والطبقات المستفيدة من الواقع العربي الراهن .

ومن هنا فقد كان من الواجب استباق هذا «الانقلاب» المنتظر في موازين القوى عن طريق تلاحم قوى المقاومة مع القوى الشعبية العربية التي لا تتناقض مصالحها مع استمرار المقاومة بل على العكس تجد ان استمرار المقاومة هو تدعيم لمواقعها وقوة لنضالها ودفع لحركة تحررها وتقدمها .

من هنا فقد كان نقص المقاومة الاساسي هو في اغفالها لاهمية «تعريب» نفسها وتنظيماتها واستراتيجيتها منذ البداية ، كوسيلة وحيدة لحماية نفسها من التصفية ، ولتحولها الى ثورة عربية شاملة هي وحدها القادرة على الاطاحة بالتحالف الاستعماري الصهيوني الرجعي وانهاء الوجود الاسرائيلي من الارض العربية .

وللتاريخ ، حين قامت جبهة التحرير العربية في مطلع عام ١٩٦٨ ، كانت جميع فصائل حركة المقاومة ، «بيمينها ويسارها» ، بالفلسطيني المنشأ منها او القومي المنشأ ، بالقديم والجديد ، تشكو من ذلك النقص ، ولو بنسب متفاوتة ، وكانت الاشكال التنظيمية لكل تلك الفصائل اشكالا قطرية لم تتعد في احسن الاحوال الساحة الاردنية – الفلسطينية .

وبالطبع كان لدخول الجبهة ساحة العمل الفدائي اثر هام في تعميق الافق القومي لحركة المقاومة ، وفي لفت النظر الى النقص الفادح الذي استطاعت كل القوى المعادية للعمل الفدائي ان تنفذ منه لتخلق النعرات الاقليمية والقطرية بين العرب الفلسطينيين والعرب الغير فلسطينيين .

وكانت البادرة الايجابية الاولى في هذا المجال لفتح التي اعلنت في اوائل اذار ١٩٦٩ عن افتتاح معسكرات للمتطوعين العرب في العمل الفدائي ثم تبع ذلك تغييرات وتعديلات تنظيمية واستراتيجية في المنظمات الاخرى بهذا الاتجاه ... الا ان هذا التيار لم يصبح تيارا اساسيا في حركة المقاومة بل بقيت تلك الحركة بمجملها اسيرة الكيانية الفلسطينية التي كان العمل من خلال منظمة التحرير الفلسطينية واجهزتها ابرز تعبير عنها .

ومن هنا فقد كانت الفكرة الرئيسية من قيام جبهة التحرير العربية هو ان تشكل الاطار الذي يصب فيه الشيئان الايجابيان والرئيسيان في المرحلة الراهنة.

١ – العقيدة العربية الثورية القائمة على الترابط العضوي بين النضال القومي والنضال الاجتماعي والمرتكزة على تنظيم ثوري يجسد هذا الترابط من خلال اتساعه القومي وتركيبه الطبقي من الجماهير الشعبية الكادحة .

٢ – العمل الفدائي القائم على فكرة التصدي الجماهيري المسلح للغزو الاستعماري الصهيوني والذي يعطي لشعب فلسطين بسبب ظروفه الموضوعية دورا طليعيا في عملية التصدي هذه .

فهل استطاعت جبهة التحرير العربية خلال تجربتها النضالية القصيرة ان تشكل هذا الاطار الثوري المنشود ؟

ان الاجابة على هذا السؤال تتطلب استعراض جملة قضايا بعضها يشير الى تخلف الجبهة ، وبعضها الاخر يشير الى نجاح الجبهة ، واستعراض هذه القضايا بموضوعية وتجرد يشكل باختصار الملامح الرئيسية لتجربة الجبهة ولتقييمنا لها.

ان جوانب تخلف الجبهة في غالبيتها يجمعها عامل مشترك واحد هو انها جميعها تبين استسلام الجبهة لكثير من نواقص واقع العمل الفدائي والواقع الثوري العربي ايجابا او سلبا دون ان تتمكن من تجاوزها تجاوزا ثوريا واعيا .

بينما تنطلق جوانب النجاح البارزة في تجربة الجبهة من قوة الفكرة التي حملتها الجبهة ، وتماسك هذه الفكرة وقدرتها على ان تحفر لنفسها مجرى عميقا في مسيرة حركة المقاومة لا يمكن تجاهله او تجنب تأثيراته الايجابية او السلبية .

فما هي الملامح الرئيسية لجوانب التخلف الذي عانت منه جبهة التحرير العربية في تجربتها النضالية القصيرة ؟

١ – علنية العمل الفدائي :

لقد كانت لعلنية العمل الفدائي التي برزت بوضوح على اثر معركة الكرامة في ٢٢ اذار ١٩٦٨ ، وعلى اثر فشل المحاولات المتتالية لتصفية حركة المقاومة في الاردن (ت٢ ٦٨ ، شباط ٧٠ ، حزيران ٧٠) وفي لبنان (ت٢ ٦٨ ، نيسان ٦٩، تشرين ٦٩ ، اذار ٧٠) اسباب موضوعية وظروف تاريخية ونفسية مرتبطة بطبيعة المعركة ضد العدو الصهيوني من جهة ، وبواقع الجماهير الفلسطينية بشكل خاص والجماهير العربية بشكل عام خلال عقود السنين السابقة .

فمن جهة نجد الطبيعة الاستيطانية الاجلائية للوجود الاسرائيلي في فلسطين والانظمة العسكرية والارهابية المفروضة على الاقلية العربية الباقية في الارض المحتلة ، قد اضطرت حركة المقاومة الى ان تجعل جزءا هاما من عملها العسكري ضد القوات الاسرائيلية ينطلق من خارج الارض المحتلة . وهذا الانطلاق بحاجة الى قواعد في الارض العربية المجاورة لفلسطين ، كما ان القواعد بحاجة الى مراكز تموين وادارة واتصال ، كما انها ايضا بحاجة الى تنظيمات جماهيرية ترفدها بالمقاتلين كما تشكل سياجا واقيا لها من كل الضربات .

ان هذا الظرف الموضوعي المتصل بطبيعة المعركة مع العدو قد جعل من شعار حرية العمل الفدائي : حرية تحركه وانطلاقه واتصاله ، شعارا هاما من الشعارات التي يجب النضال من اجل فرضها وترسيخها .

كذلك فان الظروف والاجواء الارهابية القاسية التي تعرضت لها الجماهير الفلسطينية بوجه خاص ، والعربية بوجه عام ، على ايدي الانظمة العربية قبل الخامس من حزيران ، بالاضافة الى الشعور بالتشرد والتشتت عند الفلسطينيين قد جعل المنظمات تشعر بالحاجة الى درجة من العلنية تساهم في ازاحة كابوس الارهاب عن هذه الجماهير لكي تندفع بحرية وسهولة في تيار حركة المقاومة لا يلجمها خوف او تحفظ او وجل ...

وبالاضافة الى هذه الظروف الموضوعية والذاتية في حركة المقاومة ، نشأ داخل الانظمة العربية المعادية للعمل الفدائي شعور بالعجز عن قمع المقاومة بسبب سريتها وقوتها الجماهيرية ، لاسيما بعد الخامس من حزيران ، مما جعلها تعتبر ان اخراج المقاومة من اوكارها ومخابئها هو افضل طريقة للتعرف على قواها الحقيقية وكوادرها الاساسية ، بالاضافة الى ان اخراج المقاومة الى العلنية سيسمح اكثر بظهور اخطائها ونواقصها امام الجماهير ، لا بل سيسمح للسلطة المعادية ان تدس بعض عناصرها للقيام بتصرفات مؤذية لسمعة المقاومة وتحسب هذه التصرفات على حركة المقاومة امام الجماهير .

وعلاوة على تناقض العلنية مع ابسط مبادىء حرب العصابات التي تعتمد اسلوب المفاجأة وجهل الخصم للقوى الذاتية للثورة ، فقد ادخلت العلنية ايضا الى داخل حركة المقاومة الممارسات البيروقراطية (المكاتب المتعددة ، والاجهزة ، والروتين ، والموظفين) التي تتناقض مع ابسط المفاهيم الجماهيرية التي تنطلق منها فكرة المقاومة المسلحة . وباتت الروح الثورية الاصيلة داخل حركة المقاومة في كثير من الاحيان سجينة هذه الاطر البيروقراطية التي لم تستطع مع الاسف حتى الان ان تقدم للمقاومة حسنات البيروقراطية من تنظيم ودقة ، الخ ...

واذا كانت ظاهرة البيروقراطية في حركة المقاومة وليدة العلنية في جانب منها فقد كانت ايضا وليدة (العسكرة) التي اصيبت بها حركة المقاومة وهذا ما سنعالجه في مكان اخر .

على ان شر التضخم البيروقراطي في حركة المقاومة الاساسي كان في اضطرار حركة المقاومة من اجل الانفاق على هذا الجهاز البيروقراطي المتفاقم ، ان ترزح تحت اعباء مادية كبيرة جعلتها مرهونة الى الانظمة العربية صاحبة القدرة على الدفع ، ولكنها في الوقت نفسه صاحبة المصلحة في لجم حركة المقاومة وتدجينها لا بل تسييرها في خطة التصفية النهائية للقضية الفلسطينية .

ولقد اكتمل احكام اخطبوط العلنية على العمل الفدائي حين استطاع ان يحصره في مجموعة من القواعد العسكرية الثابتة المعروفة للسلطة الرجعية اولا ، والمعروفة للعدو ثانيا ، كما في مجموعة من المكاتب المنتشرة في المدن التي اصبحت اهدافا سهلة لهجمات السلطة ، كما اصبحت بديلا عن طرق التنظيم السرية في الاتصال والاستنفار والاجتماعات السرية التي تجري بعيدا عن الاضواء والعيون .

وهكذا بالقدر الذي كانت فيه العلنية في بعض جوانبها حاجة من حاجات العمل الفدائي كانت في اغلب جوانبها فخا نصبته القوى المعادية للعمل الفدائي فوقع فيه .

وكان الخطأ الرئيسي لممارسات حركة المقاومة بكل فصائلها انها لم تميز بين المكاسب الهامة التي تحملها حرية العمل الفدائي وبين المخاطر الكبيرة التي تتضمنها علنية العمل الفدائي ، فمسحت الفرق بين الحرية والعلنية ، متجاهلة في ذلك ابسط قوانين حركة المرحلة ، وهو قانون حتمية الصدام مع السلطة الرجعية المعادية ، لاسيما وان تاريخ نظام كالنظام الاردني معروف بأساليبه في التراجع امام المد الوطني حتى تنكشف قواه وعناصره ثم يعود فينقض عليه بقصد تصفيته بشكل نهائي .

امام هذا الواقع وجدت الجبهة نفسها ، رغم وضوح هذه المخاطر لديها من الناحية النظرية ، ورغم تصريحها في عدة مناسبات ومجالات بان «لا تعايش بين الثورة والنظام» ، مدفوعة بعوامل الاستسهال والمسايرة والتقليد ، عاجزة عن انتهاج سلوك مغاير ، فوقعت في كافة المحاذير التي يحملها هذا الواقع دون ان تتمكن من الخروج من شباكه .

ظاهرة عسكرة العمل الفدائي :

المدرسة الحربية في البلدان العربية وبشكل عام ، قليلا ما تريد ان تخرج الضابط الثوري الملتزم بقضية الجماهير والتحرير ، بل غالبا ما تطمح الى ان تخرج الضابط لتوظفه في خدمة النظام بعد ان تعبئه بالروح العسكرية الفوقية المعادية للروح المدنية وبعد أن تملأ نفسه بالاحتقار للعمل الحزبي او الشعبي المتميز – برأي هؤلاء العسكريين – بعدم التنظيم ، الفوضوية ، العشائرية ، وسوء التنفيذ . وهي سمات مناقضة للعمل العسكري المتميز بالتسلسل التنظيمي ، النظام الصارم ، الانضباط الاعمى ، والاحترام الكلي من المرؤوس للرئيس .

ومرد هذه التربية العسكرية التيتشحن بها نفوس العسكريين الى ان المدارس الحربية العربية في غالبيتها لم تستطع الخروج –رغم محاولات بعضها– من دائرة الثقافة العسكرية الغربية المغرقة في المظاهر الاستعلائية والمتمسكة بالقيم البورجوازية التي رسخها الاستعمار قبل جلائه الشكلي .

وعندما يدرس تركيب العمل الفدائي يلاحظ الباحث ان الكثير من الضباط السابقين المسرحين – ومعظمهم من الثوريين الذين انخرطوا في هذا النضال الشعبي ، لم يستطيعوا التخلص من الرواسب التي ترسخت في نفوسهم ابان دراستهم العسكرية ، فأدخلوا في اغلب الاحيان اسوأ ما في العسكرية الى العمل الفدائي الذي هو حركة شعبية وبداية حرب الشعب ، فعوضا عن الاندماج الكامل بين المقاتلين اصبحت الرتب تفصل بينهم .

وبدلا من المسؤولية الذاتية تترسخ في نفس كل مناضل اصبحت المسؤولية ملقاة على عدد من القادة الامر الذي انهك المبادرة الذاتية وعطل الكثير من البطولات والامكانيات الفردية .

وبدلا من ان يمضي العمل الفدائي في تشكيل النموذج الصحيح للمقاتل العربي الحديث ، الذي يجمع بين القدرة العسكرية والحس الشعبي ، فقد ضعف العمل الفدائي وبدرجات متفاوتة(كمنظمات) امام الشكليات العسكرية التي تستخدم المظاهر الفوقية البراقة لتخفي عجزها القتالي .

وبدلا من ان تتصاعد قدرات العمل الفدائي العسكرية والتنظيمية بحيث تترك اثرها وتفاعلاتها على الجيوش العربية ، التي تتكون بغالبيتها من الطبقات الكادحة، فتتطور فاعلية هذه الجيوش بما ينسجم مع انتماءاتها وآمالها الطبقية ، فقد اتبع العمل الفدائي اساليب عسكرية كلاسيكية لا تتفق مع ثورته ولا مع منطلقه لمقاومة الهجمات الداخلية ، او لعمليات الانقضاض على العدو . ففي معركة ايلول استخدم العمل الفدائي ـ بالنتيجة ـ حرب المواقع . وذلك خطأ ناتج عن العقلية الدفاعية ازاء النظام الاردني . وهو خطأ اساسي بالدرجة الاولى .

فطبيعة النظام الاردني مناقضة لطبيعة الثورة، والقيادات العليا للجيش الاردني هي تربية غلوب باشا بالدرجة الاولى . وكان دورها على الدوام ضرب حركة التحرر العربية خارج الاردن وداخله . فالارض العربية الاردنية لم تكن ارضا محايدة ولا السلطة كانت سلطة صديقة . وتلك اخطاء سياسية كان لها نتائج عسكرية قاسية على الثورة .

وهذا يؤكد ان النظرية الثورية هي الاساس ، فغيابها يؤدي الى مواقف رد الفعل واتخاذ المواقع الدفاعية او الخاطئة . وبوجود النظرية الثورية الكاملة التي تعبر عن آمال ومصالح الجماهير عبر استراتيجية واضحة المعالم وبرامج مرحلية، فان جملة المواقف العسكرية التي تتخذها الثورة تكون بالضرورة منسجمة مع التحليل السياسي ومهما كانت نتائجها الموضوعية فانها بالنهاية ستفيد الثورة . فاحراز النصر يحفز المقاتلين لانتزاع انتصارات اخرى والانتكاسات تتحول الى خبرات ومنطلقات جديدة للتقدم مرة ثانية .

ومن هنا يمكننا القول ان الضعف النسبي لفعالية العمل الفدائي العسكرية مرده الاساسي فقدان النظرية الثورية التي تستطيع تعبئة كل الجماهير عبر تنظيم ثوري موحد (جبهة) .

فعندما انطلق العمل الفدائي كانت انطلاقته انطلاقة عسكرية بسيطة : كناية عن عمليات استطلاع وزرع الغام وتفجير العبوات الناسفة في المنشآت الاسرائيلية ولاسيما منشآت تحويل نهر الاردن . لم تكن هنالك قواعد بالمعنى المتعارف عليه اليوم . كان المناضلون ينطلقون من اماكن عملهم . يضربون ويعودون لممارسة اعمالهم ، الشهيد جلال كعوش مثلا . لم يكن ينالهم اذى العدو بل اذى السلطات المحلية . وسائل القتال كانت متواضعة ، ودور المقاتل كان هو الاساس . بعد

الشعبية العارمة التي نالها العمل الفدائي وتدفق المناضلين للالتحاق بالثورة ، وبعد التفاف الانظمة حول الثورة ، لكسب السمعة امام الجماهير من جهة والامساك بالثورة من الداخل من جهة اخرى ، تطورت امكانيات العمل الفدائي البشرية والمادية . وهنا لم تستطع القيادة ان تختار الصيغة المناسبة للمزج بين هذين العنصرين ، فنشأت ظاهرة الاتكال على السلاح (القصف بالصواريخ) واهمال العنصر البشري الذي هو الاساس في حرب التحرير .

وفي حين كانت الثورة في مراحلها الاولى (الاغارة على العدو والاختفاء عند الصديق) ولقصور في النظرة الستراتيجية والسياسية اخذت الثورة تتصرف وفق اساليب متقدمة على هذه المرحلة . وتمثل هذا الاسلوب بالمظاهر التالية :

١ ـ القواعد المكشوفة للصديق المزعوم والعدو القادر .

٢ ـ الانتقال الى حرب المواقع رغم ان المرحلة الاولى لم تستنفذ نفسها ولم تحقق اغراضها . وهذا الانتقال هو الذي خلق الحاجة الى التنظيم المتبع في الجيوش والحاجة الى الضباط وما يلحق ذلك بالضرورة مما ادى الى عسكرة العمل الفدائي .

٣ ـ التناقض بين الادعاءات الاعلامية عن قدرة الثورة وقدرتها الفعلية الامر الذي كان يؤدي ، وراء كل معركة الى زعزعة الثقة بالمقاومة .

٤ ـ اتباع الاسلوب العلني في التنظيم والعمل دون الانتباه الجدي الى المخاطر الواضحة لهذا الاسلوب .

٥ ـ الاعلان عن المعارك او العمليات ضد العدو بطريقة ادت الى كشف الكثيرين من المناضلين .

وهكذا نلاحظ ان ظاهرة عسكرة العمل الفدائي قد سارت يدا بيد مع العلنية لتنقل حركة المقاومة من جوها الشعبي السري الى جو بيروقراطي علني حولها في اغلب الاحيان الى تنظيمات عسكرية فيها كل مساوىء الجيوش النظامية دون حسنات تلك الجيوش (التدريب ، الانضباط ، الخ ....) .

ان جبهة التحرير العربية لم تستطع ايضا بشكل حاسم ان تخترق هذه الظاهرة وان تعتمد اسلوبا اخر لها ، بل غرقت فيها في معظم الاحيان ، ومارستها ايضا بدافع من التقليد والاستسهال . الا ان الجبهة كانت بالمقابل تحاول اقامة تجارب محدودة تعتمد فيها الاسلوب السري والشعبي وتصر على الاعتماد على ابناء القرى الحدودية ذاتها في الاضطلاع بمهام القواعد الفدائية . الا ان هذه التجارب لم تكن اكثر من جزر صغيرة في بحار واسعة من العلنية والاساليب العسكرية المكشوفة .

ان هذه الجزر مرشحة اليوم لان تصبح هي الاساس في العمل العسكري لحركة المقاومة ، اذا اريد لهذه الحركة الاستمرار والنمو رغم كل الظروف .

العلاقة مع الانظمة العربية :

يقول البيان السياسي لجبهة التحرير العربية : «ان الانظمة العربية كما كانت دائما لا تريد ان تترك الثورة العربية في فلسطين تصل اليها والى اوضاعها الاجتماعية والسياسية وهي لذلك تستخدم حصر القضية بالفلسطينيين كأسلوب رشوة ترد به عن نفسها تفاعلات هذه الثورة .

«ولا تختلف بعض الانظمة العربية التقدمية وبعض الحركات اليسارية العربية عن الانظمة الرجعية من حيث منطقها في قضية فلسطين الا بالكم والدرجة وليس بالنوع . وهي تبني يساريتها الزائفة بل تطرفها في هذه اليسارية على سكوتها المشبوه والمتآمر عن هذا الارتباط العضوي بين قضية فلسطين وبين الوحدة ، وتسليمها بواقع التجزئة والعمل القطري هو التعبير عن هذا السكوت» .

بهذه النظرة البسيطة الحاسمة للانظمة العربية دخلت الجبهة ساحة العمل الفدائي ، لكن لتجد ان هذه الانظمة قد دخلت ساحة العمل الفدائي بقوة ، وانها قد ربطت حركة المقاومة بشبكة من العلاقات السياسية والمادية والاتفاقيات البروتوكولية ، اصبحت معه حركة المقاومة اسيرة الواقع العربي بكل امراضه ونواقصه ، بدلا من ان تكون طليعة تغييره والانقلاب عليه .

وادركت الجبهة ان النظرة السلبية الحذرة والمتوجسة شرا من الانظمة العربية التي كانت تطبع مرحلة ولادة العمل الفدائي لم تكن وحدها كافية لكي تسمح لحركة المقاومة ان تحفر لنفسها مجرى مستقلا وواضح المعالم في حركة التغيير العربية .

لا بل سمحت هذه النظرة السلبية الانفعالية المتشابكة مع العقلية القطرية ان تخرج حركة المقاومة من اول نتيجة تصادم جدي مع الواقع العربي بدرس وحيد هو التعامل مع الانظمة العربية والتفاعل معها بدلا من ان يكون هذا الدرس هو الانفتاح على الجماهير العربية والتفاعل معها وتنظيمها وتعبئتها وتدريبها .

ولقد نبهت الجبهة في حديث لممثلها في الجامعة الاردنية في ٢-١١-٦٩ بان «من المخاطر التي بدأت تتجلى نتيجة انتشار المنطق القطري في العمل الفدائي هو فقدان التمييز بين الانظمة العربية والجماهير العربية» (الطريق القومي لتحرير فلسطين ص ١٤٣) .

ولقد درست الجبهة في احدى وثائقها الداخلية بعد مجزرة ايلول «تطور العلاقة بين الانظمة العربية وحركة المقاومة» ، واظهرت من خلال هذه الدراسة ان هذه العلاقة قد مرت بدورة كاملة ابتدأت بالقمع المباشر لحركة المقاومة في اول انطلاقها وانتهت بمثل ما بدأت به ، ولكن بعد ان مرت بمراحل متعددة كالانفتاح فالاحتواء ، فالتقييد ثم القمع .

ولقد كانت الانظمة العربية على التفاوت الكبير بينها ، خلال كافة مراحل هذه العلاقة هي الطرف الاقوى، رغم ما كانت تتمتع به حركة المقاومة من قوى جماهيرية

وتاريخية ضخمة ، لانها هي التي كانت تفرض في كل مرحلة من مراحل العلاقة شروطها وتصورها ومخططها نحو حركة المقاومة .

«وفي الوقت الذي استطاعت فيه هذه الانظمة ان تنفذ الى صلب بنيان حركة المقاومة سواء من خلال انشاء منظمات تابعة لها ، او من خلال اغراق البعض الاخر بالاعتماد عليها ، فشلت المقاومة في استخدام نقطة قوتها الاستراتيجية : الجماهير العربية، التي عجزت عن ترجمة تجاوبها مع حركة المقاومة الى قوى مادية ملموسة.

لقد كان المظهران الرئيسيان لتفاعل حركة المقاومة مع الجماهير العربية هما:

١ — اقامة تنظيم جماهيري عربي واسع لتحرير فلسطين .

٢ — الاعتماد الكامل على الجماهير العربية في مواردها ووسائل دعمها واستمرارها .»

واذا كانت جبهة التحرير العربية قد استطاعت ان تحقق الشرط الاول من دون سائر المنظمات الفدائية، فانها لم تستطع ان تضع خطة شاملة لتحقيق الشرط الثاني ، رغم ان هذا الامر كان واضحا في استراتيجية الجبهة وفي استراتيجية حزب البعث ذاته في مؤتمره القومي العاشر :

«في هذه الامور لا يمكن التسويات ولا يمكن الاحتيال . اما جبهة ثورية واذن قوتها الاساسية ومصدر قوتها هو الشعب ومقدار تجاوب نضالها مع ارادة الجماهير الشعبية واماني الجماهير وثقة الجماهير ، واما جبهة واجهة للسلطة وطريقها مسدود . وهذا شيء معروف لدينا جميعا لم يمنعنا من ان نعتمد في البداية على ما تقدمه سلطة الحزب في العراق . ولكن كنا ايضا عارفين بوضوح ان هذا الشيء مؤقت ولا يجوز ان يطول امده ، ولا يجوز ان يستمر والا فقدت الغاية الاساسية من الجبهة» (ص ١٠٢ — ١٠٣) .

لقد قامت الجبهة ببعض المبادرات المالية لتضمن اعتمادها على ذاتها لاسيما في القطرين اللبناني والعراقي ، ولكن هذه المبادرات بقيت مقصرة عن تحقيق الهدف المطلوب ، وان كانت المرحلة الاخيرة قد شهدت تزايدا ملحوظا في هذا المجال ، رغم الصعوبات العديدة التي يلاقيها هذا النشاط في جو يشهد تراجع حركة المقاومة من جهة ، ويشهد اكبر حملة تزوير وتضليل وتشويه ضد الجبهة.

اما موقف الجبهة من تدخل الانظمة العربية في شؤون حركة المقاومة ، فقد كان باستمرار واضحا وصريحا ومبادرا في كل لحظة يبدأ تحرك هذه الانظمة باتجاه فرض الوصاية على العمل الفدائي .

ومن هنا فقد اخذت الجبهة موقفا صريحا ومبادرا ضد محاولات الوصاية التي حاولت فرضها اللجنة الرباعية المنبثقة عن مؤتمر طرابلس على حركة المقاومة، وكان ذلك اوضح تعبير عن مواقف الجبهة ضد مخططات الانظمة العربية تجاه حركة المقاومة .

الاعلام في حركة المقاومة :

ما من امر يعكس حقيقة الترابط بين الوسيلة والغاية في العمل الثوري

كالاعلام... فالاعلام هو وسيلة من الوسائل التي تستخدمها الثورة للتعريف بذاتها ، ولربط الجماهير بها ، ولطرح مواقفها ومواقعها النضالية بشكل متواصل في خدمتها ، لكي يصبح عاملا من عوامل التأثير فيها وفي نظرة الجماهير اليها .

ضمن هذا الادراك لطبيعة الاعلام ، ومن ضمن نظرة حية الى واقع الاعلام في العمل الفدائي اختطت الجبهة لنفسها منذ يومها الاول سياسة اعلامية اثارت العديد من التساؤلات وحركت الكثير من المحاولات التي استهدفت النيل من الجبهة والتقليل من شأنها .

ولقد حرصت هذه السياسة الاعلامية على ان تتميز بمجموعة من المنطلقات والاسس تضع الاعلام في خدمة الثورة وتتجنب الانزلاق الى المواقع التي تضع الثورة في خدمة الاعلام .

فلقد كانت الجبهة تدرك ان من واجبها ان تحافظ باستمرار على نوع من العلاقة بين اعلامها واعمالها ، فلا تجعل اولا الاعلام يسبق الاعمال ، ولا تجعل ثانيا الاعلام يضخم الاعمال ، ولا تجعل ثالثا الاعلام يحدد طبيعة الاعمال .

فلقد ادركت الجبهة اولا ان الوقوع في «شرك» البروز الاعلامي رغم ما له من مغريات ، وربما بسبب ما له من مغريات ، سيقود الجبهة الى مجموعة من المنزلقات والاخطار التي تؤثر على مسيرتها النضالية الطويلة نفسها .

فتفوق حجم الاعلام يقود المنظمة الثورية الى ان تصبح اسيرة هذا التفوق لاهثة وراءه ، متحركة باتجاه تلبية متطلباته ، ضاربة عرض الحائط الاعمال ذات الفعالية الحقيقية ، ومتجهة نحو الاعمال ذات الطابع الضوضائي والدعائي .

كما ان هذا التفوق يقود الجبهة الى المنزلق الثاني ، وهو اللجوء الى التضخم الاعلامي كسبا للسمعة والتأييد . ورغم ان هذا التضخم قد يقود فعلا في مرحلته الاولى الى بعض النتائج على بعض المنظمات ، ولكن سرعان ما يبدأ الشك يساور النفوس في صدق اعلام هذه المنظمات ، ثم يبدأ التشكيك في فعالية العمليات ، ثم تصرف الجماهير آذانها وعيونها عن اخبار المقاومة لعلمها ان فيها الكثير من المبالغة.

ان خطر التضخم الاساسي يتجسد بانه ينزع الثقة بالعمل الفدائي اولا من الجماهير، ثم من اعضاء التنظيمات انفسهم .

كذلك ادركت الجبهة ثالثا ان فقدان العلاقة الواضحة بين الاعلام والعمل وضياع المعادلة الدقيقة التي تربطها ببعض سيكون سببا من اسباب تأثير مقتضيات الاعلام على مصلحة العمل وطبيعته .

فالسرية الضرورية لاي عمل ثوري تتراجع امام اللهف المتعطش الى اضواء الاعلام الراكضة بصحفييها ومصوريها ومذيعيها الى المراكز الحيوية ، وهي تحمل بينها العديد من عيون العدو او التي تقدم معلومات مجانية للعدو كان يضطر في الحالات العادية الى بذل الكثير حتى يحصل على بعضها .

والاعمال الفعالةالتي لا يرافقها الضجيج المغري تتراجع امام الاعمال الهامشية ولكن القادرة على احداث قرقعة واسعة في الاوساط العربية والعالمية حتى ولو

كانت هذه القرقعة على حساب سمعة العمل الفدائي والقضية .

والتراكض على السباق الاعلامي في بعض عمليات الداخل ، وابراز المستندات والمعلومات كأدلة تثبت صحة ادعاء المنظمات ، كلها لا تخدم الا العدو الذي ينطلق من المنظمة اولا ، ثم هذه المستندات ثانيا ليضرب جدارا من الارهاب حول العناصر التي يعتقد انها وراء العمل فيعتقلها ويضربها حتى ينتزع منها المعلومات التي تفيده في عملية قمعه لحركة المقاومة من الداخل .

على انه بالاضافة الى كل هذا نشهد في بعض الاحيان ظاهرة سلبية ، وهي عدم ربط الاعلام بالتثقيف ، وعدم استخدام الوسائل الاعلامية التي تمتلكها حركة المقاومة لاحداث تثقيف ثوري حقيقي بين الجماهير يتجاوز وبشكل واضح ذلك النمط من التحريض السطحي الذي مارسته الاذاعات والاجهزة العربية طيلة السنوات السابقة للهزيمة مشجعة في المواطن العربي استسهال الضحالة والابتعاد عن التحليل المعمق العلمي للاحداث التي يواجهها .

من ضمن هذا التصور كله انطلقت الجبهة لتؤكد بان المطلوب هو ثورة في الاعلام وليس ثورة الاعلام .

وربما غالت الجبهة في رد فعلها على الظواهر السلبية السابقة ، فاهملت الاعلام اهمالا شبه كامل تمثل بعدم اذاعتها لاي بلاغ عسكري طيلة الاشهر الاربعة من اطلاق رصاصتها الاولى ، رغم انها كانت ترسل بلاغات بها الى قيادة الكفاح المسلح ، وبعدم تشكيل مكتب اعلامي خاص طيلة الاشهر العشر الاولى من ولادتها، حتى حاول البعض تفسير هذا الاحجام كدليل على عدم قيام الجبهة باية عمليات عسكرية طيلة تلك الفترة .

وبعد نهاية شهر آب ١٩٦٩ بدأت الجبهة تذيع بلاغاتها بشكل دوري ، كل شهر في الفترة الاولى ، ثم كل نصف شهر ، ثم اسبوعيا بعد ان تكاثر عدد العمليات تكاثرا ملحوظا حيث اصبح الاسبوع الواحد يحمل معه اكثر من خمسةعشر عملية قتالية على امتداد خطوط وقف اطلاق النار من الجليل الاعلى الى جنوب البحر الميت .

وكانت الجبهة في كافة بلاغاتها تتجنب ذكر اي تفصيل قد يستفيد منه العدو في الاستدلال على مواقع ثوار الجبهة وطبيعة تسليحهم ومراكز انطلاقهم واماكن كمائنهم الخ .. ولهذا كان يأتي بلاغها الاسبوعي مقتضبا يحدد عدد العمليات ويقدر الخسائر اللاحقة بالعدو ، ويعترف بالاصابات بين ثوار الجبهة .

وبالنسبة الى عمليات الجبهة في الداخل فقد استمرت سياسة الجبهة في عدم الاعلان عنها ، مهما كلف الامر ، نتيجة شعورها بمخاطر الاعلان عن عمليات الداخل من جهة ، ومن اجل تشجيع المنظمات الاخرى على الابتعاد عن هذا الاسلوب الذي لا يفيد الثورة بقدر ما يفيد العدو .

كذلك حاولت الجبهة ان تسير اكثر فاكثر على طريق فهم الاعلام كوسيلة للتثقيف والتوعية ، فوزعت اكثر من ملصق يحمل كلمات من بيان الجبهة السياسي

او يوحي بافكار نابعة من فكر الجبهة .

ان التزام الجبهة بهذا الفهم لدور الاعلام جعلها باستمرار تظهر باقل من وزنها ودورها الحقيقيين ، ولقد انكشف هذا الامر بشكل واضح ابان عدوان العرقوب على لبنان ، حين التزمت الجبهة الصمت ازاء دورها ، ولكن لتفاجيء الجماهير بشهدائها الابطال الذين قاتلوا قتالا شجاعا في العرقوب بشهادة المنظمات الاخرى .

ظاهرة التفاعل مع مجتمعات واقطار انطلاق حركة المقاومة :

لقد كان ايضا من سلبيات حركة المقاومة انها لم تحاول ان تدرس طبيعة المجتمعات التي تعمل فيها ، وتنطلق من اراضيها ، وتحلل هذه المجتمعات تحليلا علميا من اجل رسم سياسات وخطط تمكنها من التفاعل مع هذه المجتمعات وتشديد الاواصر مع طبقاتها الوطنية والثورية .

ان انطلاق المقاومة من قطر من الاقطار لا يمكن ان يفهم كحدث معزول عن التأثير العميق في ذلك القطر ، بل ان هذا الانطلاق سيكون محركا لتفاعلات عديدة في داخل القطر ذاته .

ان هذه التفاعلات لا تنحصر في ردود الفعل التي يحدثها هذا الانطلاق في جانب العدو ضد القطر الذي تنطلق منه العمليات الفدائية فحسب بل ايضا في كون وجود تجربة شعبية مسلحة في بقعة من الارض في ذلك القطر لا بد وان تخلق تفاعلات في بقاع اخرى .

ان الوسيلة الوحيدة التي تمكن حركة المقاومة من ان توجه هذه التفاعلات والتأثيرات لمصلحتها ، بدلا من ان توجه من قبل القوى المضادة ضد حركة المقاومة، هو ان تفهم هذه الحركة المجتمعات التي تنطلق فيها وان تصيغ على ضوء هذا الفهم والتحليل برنامجا وطنيا يستقطب جماهير تلك الاقطار حول المقاومة ويلبي طموحاتها ، ويوجه تلك التفاعلات في الاقنية الصحيحة .

ان هذا البرنامج الوطني يمكن ان يتراوح بين برنامج تحرر وطني ديمقراطي يتناول تغيير نظام الحكم ، وبين برنامج صمود وطني يحدد المهام الواجب اتباعها لرفع مستوى الصمود الاجتماعي والاقتصادي والسياسي في تلك الاقطار .

لقد كان مثل هذه البرامج والتحليل والفهم العلمي ، غائبة عن حركة المقاومة غيابا شبه كامل ، في حين كانت القوى المضادة تنفذ برامجها بدقة وسرعة ونجاح وتخلق الهوة بين حركة المقاومة وجماهير تلك الاقطار .

لقد انكشفت هذه المسألة بوضوح في الاردن ، وهي مرشحة للانكشاف ذاته في لبنان ، ولن تنفع بعض المبادرات والاجراءات والقرارات التنظيمية التي تجري هنا وهناك في سد هذا النقص الاساسي .

اما جبهة التحرير العربية فهي لم تخرج بشكل عام عن هذه الظاهرة المشتركة

في كل فصائل المقاومة ، الا انها في لبنان قامت بدراسة عامة «لمهمات الحركة الفدائية في لبنان» حددت فيها ملامح برنامج للصمود الوطني في لبنان .

وحاولت جبهة التحرير العربية ان تخطو خطوات في هذا المجال ، مجال تطبيق هذا البرنامج ، فعمدت الى تشكيل «المؤتمر الوطني لدعم الجنوب» مع بعض الهيئات والشخصيات الوطنية ليكون اداة تنفيذ هذا البرنامج .

الا ان المؤتمر بسبب ظروف ذاتية فيه وبسبب ظروف موضوعية مرتبطة بضخامة المهام الملقاة على عاتقه ومحدودية الامكانيات المتوفرة له لاسيما وان المنظمات الاخرى لم تشارك فيه ، لم يتمكن حتى الان من القيام بدور هام في مجال تنفيذ برنامجه ، الا انه قام ببعض المبادرات وابرزها انشاء بعض الملاجيء لابناء القرى الامامية من خلال عمل شعبي قام به اعضاء المؤتمر واهالي تلك القرى .

ظاهرة ضعف العمل في الداخل :

أن من النواقص الاساسية لحركة المقاومة الفلسطينية انها لم تستطع ان تحقق توازنا ناجحا بين حجم عملها خارج الارض المحتلة وبينه داخل تلك الارض لاسيما في الضفة الغربية .. ولقد ادى هذا الامر الى خلل واضح في تركيبها جعلها اكثر انكشافا وتعرضا لهجمات القوى المعادية .

ولئن كان الاستطراد في الحديث بهذه المسألة من القضايا الحساسة التي يستفيد منها العدو ، فانه من الضروري ارجاع النقص في العمل داخل الارض المحتلة الى مجموعة عوامل ليست جميعها من مسؤولية المنظمات الفدائية الذاتية:

١ — ان حركة مقاومة الاحتلال في اي قطر تنبع بالدرجة الاولى من الحركة الوطنية والتقدمية في ذلك القطر ووضع تلك الحركة ومستوى فعاليتها هو الذي يحدد الى درجة كبيرة قدرتها على انجاح المقاومة ضد العدو .

فماذا كانت حالة الحركة الوطنية في الارض المحتلة ولاسيما في الضفة الغربية في الخامس من حزيران ؟

لقد كانت تلك الحركة في حالة من الانهاك والضياع والتمزق والانهيار الذاتي نتيجة التمزق العام في حركة التحرر العربية آنذاك ونتيجة الظروف القمعية الشديدة التي تعرضت لها الحركة الوطنية في الضفة الغربية على يد الحكم الهاشمي . ان ذلك النظام لم يسلم الاحتلال الاسرائيلي حركة شعبية منهكة منهارة مسجونة فحسب ، بل سلم ذلك الاحتلال كل المعلومات اللازمة عن تنظيمات تلك الحركة وخلاياها وانصارها وعناصرها النشيطة المتحركة . تلك المعلومات التي كان العدو يحتاج لسنوات حتى يتمكن من جمعها وترتيبها والاستفادة منها . لا بل سلم النظام الهاشمي وريثه الاسرائيلي جهازا كاملا من المخبرين الذين انتقلت خدماتهم لمصلحة «الحاكم الجديد» .

لقد كانت هذه «الهدية الغالية» من المخابرات الاردنية الى «زميلتها» المخابرات الاسرائيلية هي من اهم العوامل التي كانت تساعد سلطات الاحتلال على كشف الخلايا الفدائية اثر العمليات التي كانت تقوم بها .

٢ ـ لقد ادى قيام قواعد قتالية مكشوفة على طول حدود وقف اطلاق النار على نهر الاردن الى لجوء العدو الى عملية تحصين شديدة على تلك الحدود استخدم فيها القوات المسلحة والكمائن والدوريات والاسلاك الشائكة والمكهربة والالكترونية وحقول الالغام الشديدة الانفجار .

ان عملية التحصين هذه لم تقلل من فعالية العمليات العسكرية لحركة المقاومة فحسب بل جعلت امكانية ادخال الاسلحة والذخائر وتسلل الافراد الى الارض المحتلة عملية في منتهى الصعوبة .

لقد خسرت معظم المنظمات عددا كبيرا من مناضليها في عمليات العبور والتسلل تلك ، كما ان جبهة التحرير العربية قد فقدت تسعة مناضلين دفعة واحدة كانوا ينقلون السلاح الى داخل الارض المحتلة ليسلموه الى افراد التنظيم في الداخل . وقد استشهد الرفاق التسعة في حقل الغام على بعد اكثر من ٥ كيلومترات داخل الارض المحتلة .

لقد كان على حركة المقاومة ان تضع خطة دقيقة توازن بين العمل في الداخل والعمل من الخارج كي لا يعطل احدهما امكانية نمو الاخر وتطوره .

٣ ـ لقد ادى التنافس الاعلامي بين المنظمات على عمليات الداخل الى مجموعة ثغرات ساهمت في الحاق ضرر ملحوظ في العمل الداخلي .

فمن جهة ادى التسابق الى ابراز الوثائق والمستندات من المنظمات للتأكيد على انها هي صاحبة العملية دون غيرها الى تقديم معلومات مجانية لاستخبارات العدو استخدمتها في تقصي الشبكات الفدائية الداخلية .

كذلك ساهم اعلان المنظمة عن عملياتها الداخلية الى مساعدة العدو في تحديد دائرة تقصيه بمن يشتبه بهم بانهم من انصار تلك المنظمة ، بدلا من ان يترك العدو ضائعا في خضم الجماهير الفلسطينية لا يدري اي وجهة يتجهها في التحقيق .

كما ان رغبة المنظمات بالقيام بعمليات في الداخل ، بأي ثمن لاغراض اعلامية دفعها الى ان تستقبل كل من يعرض «خدماته» التخريبية عليها ، بدلا من ان تقرر هي وعلى ضوء معلومات دقيقة وموثوقة ، العناصر التي يمكن استخدامها في تلك العملية .

ان هذا الاسلوب كان يحمل معه الى المنظمات في كثير من الاحيان المرتزقة والثرثارين ، بل كان يحمل معه ايضا عناصر الاستخبارات الاسرائيلية التي تستطيع وخلال فترة وجيزة ، من كشف بعض خلايا الداخل لتلك المنظمات من خلال اتصالها بها .

٤ ـ الجو الارهابي والعسكري الشديد الذي كان يفرضه العدو على اي تحرك

او على اية قرية او مدينة يحصل فيها عمل ذو طبيعة عسكرية .

ان تصاعد هذا الجو كان الى حد كبير يشل من حركة تنظيمات الداخل وفعاليتها وقدرتها على تعبئة الجماهير .

٥ ـ ضعف الاتصال بعرب الارض المحتلة عام ٤٨ ، وذلك بالطبع ناتج عن عوامل عديدة ذاتية وموضوعية .

ان هذه الاسباب تشكل بمجملها عوائق تقدم العمل الفدائي داخل الارض المحتلة ، والذي استطاع ، رغم كل شيء ، ان يقوم ولا يزال بعمليات بطولية خارقة لاسيما في قطاع غزة ، التي تشكل الان الجذوة الرئيسية الملتهبة في المقاومة .

اذا كانت تلك بمعظمها جوانب تخلف حركة المقاومة على مستوى الممارسة التنظيمية والسياسية التي لم تستطع الجبهة تجاوزها بشكل واضح فانه من الضروري الاشارة الى ان الجبهة على المستوى الفكري كانت الى حد كبير جبهة طليعية مبادرة متماسكة الى ابعد الحدود .

فلقد تميزت جبهة التحرير العربية منذ نشأتها بنظرة ثورية عميقة مكنتها من اتخاذ مواقف ثورية ثابتة ازاء مختلف القضايا المطروحة في ساحة المقاومة . كانت ارجلها في الارض الصلبة : ارض الفهم الثوري لطبيعة التآمر الصهيوني الامبريالي الرجعي من جهة وللآثار السلبية الخطيرة المتأتية من التجزئة والتخلف ومن اساليب الانظمة العربية في التمييع والاحتواء . اما نظرة الجبهة فكانت دوما مشدودة الى آفاق الثورة والتحرير والايمان المطلق بالشعب وبقدرته على تحقيق النصر على جميع الاعداء .

ان مقدرة فكر جبهة التحرير العربية على فهم دروس التجربة الثورية العربية المعاصرة والتفاعل مع الفكر الثوري العالمي واستيعاب تجارب الشعوب الاخرى في مقارعة الامبريالية والكولونيالية هو العامل الاساسي الذي مكن الجبهة من اتخاذ مواقف ثورية منسجمة ازاء القضايا والمشاكل التي واجهت حركة المقاومة .

منذ البداية اكدت جبهة التحرير العربية على اهمية الدليل النظري والستراتيجية الثورية المنبثقة عن دراسة الواقع وقوانين تطوره، كما نادت بضرورة الاعتماد على الذات وتعبئة الجماهير وخوض حرب الشعب عوضا عن الاتكال على الجيوش وحدها واعتمادها على اساليب الحرب الكلاسيكية في وجه عدو متفوق علينا تكنولوجيا . كذلك فان الفهم الصحيح لطبيعة التحدي التاريخي الذي تواجهه الامة العربية في فلسطين قاد الى رفض الحلول التصفوية والاستسلامية وجميع اشكال المساومة مع العدو الامبريالي ، ومن هنا رفضت جبهة التحرير العربية رفضا قاطعا وصريحا واضحا قرار مجلس الامن ومشروع روجرز والدولة الفلسطينية في الضفة الغربية في الوقت الذي جنح فيه البعض نحو التردد والغموض ازاء بعض المشاريع الخطيرة المطروحة .

لا بل كانت الجبهة تعتبر ان حركة المقاومة لم تقم بدورها في تعبئة الجماهير العربية ضد هذه المشاريع منذ الخامس من حزيران ، الامر الذي ترك الجماهير فريسة سهلة للتضليل الاعلامي الذي رافق مشروع روجرز ، ونجح الى حد ما في تحييد موقف الجماهير ضد ذلك المشروع لفترة من الزمن .

كذلك فان الجبهة قد تجنبت الكثير من المزالق والانحرافات بسبب النظرة القومية السليمة والفهم الثوري التاريخي لاهمية الوحدة العربية في نضال الامة العربية من اجل القضاء على العدو الامبريالي الصهيوني . لقد حذرت الجبهة من مغبة الوقوع في شراك المنطق القطري ، ذلك المنطق الذي استغله الاعداء من امبرياليين ورجعيين لعزل الثورة عن جماهيرها العربية الواسعة ، سياجها الذي يحميها من تآمر الانظمة ، ولعزل الثورة عن ينبوعها ومجراها ومصبها . اما النظرة الوحدوية فقد قادت الجبهة الى نقد كل حل يقضي بادامة التجزئة على اعتبار ان الوحدة العربية هي الضمان الحقيقي للاستقلال والتحرر والسيادة الشعبية . ومن هنا اعترضت الجبهة على شعار «الدولة» الديمقراطية في فلسطين ايمانا منا بان الديمقراطية لا يمكن ان تجد ضمانتها في التجزئة المتضمنة في كلمة «الدولة» . ولقد طرحت جبهة التحرير هدف الديمقراطية الوحدوية بديلا للدولة الديمقراطية انطلاقا من نظرة ثورية تقدمية تناهض جميع انواع التفرقة والتسلط . ومن تحليل علمي لطبيعة المسيرة التحريرية التي لا بد وان تنهار خلالها كل ركائز الاستعمار من تجزئة واستغلال واستعباد .

وكانت مبادرة الجبهة للاعتراض على هذا الشعار طليعية وقوية ساهمت في دفع عدد كبير من منظمات المقاومة الى توضيح موقفها منه بشكل يقارب موقف الجبهة ، كما ان هذا الشعار قد تراجع في اكثر من ميثاق موحد لحركة المقاومة (ميثاق ٦ ايار ١٩٧٠) حيث اصبح المجتمع الديمقراطي في فلسطين بدلا من الدولة الديمقراطية . ولقد اتضح بعد مجزرة ايلول بشكل خاص . ان شعار الدولة الديمقراطية الفلسطينية كان يشكل اساسا لكل استغلال وحديث عن الدولة الفلسطينية في الضفة الغربية او غيرها رغم ان نوايا اصحاب الشعار في رأينا لم تكن تريد ان يتحول هذا الشعار الى دعوة لتصفية قضية فلسطين .

اما على الصعيد الداخلي فقد دعت الجبهة الى وحدة المقاومة الفلسطينية كمقدمة لبداية حرب تحريرية شعبية ولجبهة عربية مشاركة ورفضت جميع انواع الكيانية والنظامية داخل العمل النضالي الفلسطيني . ولم تشكل الجبهة يوما عائقا في وجه هذه الوحدة بل كانت باستمرار تطرح المشاريع الكفيلة بتحقيقها .

كذلك قادت نظرية الجبهة الثورية الى فهم علمي وعميق للجيوش العربية ، فابتعدت بذلك عن الفهم المتشنج الطفولي الذي اراد وضع حركة المقاومة في وجه تلك الجيوش ، كما ابتعدت عن الفهم المتخلف الذي ينتظر تحرير فلسطين على يد

تلك الجيوش .

لقد رفضت الجبهة ان تنظر الى الجيوش بمعزل عن الخارطة الطبقية للمجتمع العربي وبمعزل عن الاماني القومية التي تحرك هذا المجتمع .

فقد اعتبرت الجبهة ان الجيوش العربية باغلبيتها كادحة ومؤمنة ، وهي بالتالي مستعدة للانخراط في صفوف المعركة ، لاسيما في المرحلة التي يتصاعد فيها المد الثوري والكفاحي في المنطقة كلها .

ولكن الجبهة اعتبرت ان المعركة اكبر من طاقة الجيوش العربية وحدها وهي بالتالي معركة الجماهير العربية كلها التي تشكل الجيوش جزءا منها ، كما ان هذه الجيوش بحكم ارتباطها بانظمة متآمرة او عاجزة لا يمكن ان تكون طليعة المعركة بل ان طليعة المعركة هي الطليعة الشعبية المسلحة القادرة على زج الجماهير كلها فيها وعلى تغيير الاوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة بما يتناسب مع متطلبات المعركة .

التجربة التنظيمية الذاتية للجبهة :

حين انطلقت جبهة التحرير العربية كانت تتحرك باستمرار من ضمن حرص واضح وصريح على امرين :

١ – ان لا تكون مجرد تنظيم فدائي او ذراع مسلح لحزب البعث بل ان تكون جبهة حقيقية تضم كل المناضلين العرب الشرفاء ويقودها حزب البعث بالمقدار الذي يقوم فيه الحزب بدوره في هذه القيادة .

«ان قيادة الحزب للجبهة لا يمكن اعتبارها قاعدة جامدة او نتيجة ميكانيكية بل تتحقق من خلال قيام الحزب بدور طليعي داخل الجبهة . ان انبثاق جبهة التحرير العربية من فكر الحزب وتنظيمه لا يعني ان الجبهة هي منظمة الحزب المسلحة او ذراعه الضارب بل هي للحزب بقدر ما يعمل الحزب فيها ويقدم لها من شبابه ونضاله» (التقرير السياسي للمؤتمر القومي العاشر لحزب البعث ص ١١٥).

لا بل كان الحزب يعتبر ان مشاركة منظمات اخرى وافراد مستقلين في الجبهة من اهم واجبات الحزب :

«ان اشراك المنظمات الاخرى والافراد المستقلين داخل الجبهة اشراكا فعليا في عملية النضال هو من واجب الحزب الذي اكد مرارا على انه ليس باستطاعة فئة ثورية ان تتحمل بمفردها تبعات النضال في هذه المرحلة، وعلى ضرورة الالتزام بالصيغة الجبهوية شرط ان تتبنى هذه الصيغة برنامجا قوميا تقدميا منطلقا من مبادىء الثورة العربية المعاصرة معتمدا على النضال الشعبي المسلح كأسلوب وحيد لتحرير الارض العربية وانسانها (التقرير السياسي) .

٢ – ان تكون تنظيما عربيا قوميا مفتوحا لكل المناضلين من كافة ارجاء الوطن العربي لان معركة تحرير فلسطين هي معركة الجماهير العربية كلها ، لا معركة

الشعب الفلسطيني وحده ؟

فهل استطاعت الجبهة ان تحقق هذين الشرطين بنجاح وهل تمكنت فعلا من تكوين التنظيم القادر على استقطاب المنظمات والافراد وان تضم بين صفوفها المقاتلين من كل اقطار الوطن العربي ؟!

ففيما يتعلق بالمسألة الاولى ، مسألة «جبهوية» الجبهة ، فلا بد من تأكيد بعض الملاحظات :

١ ـ ان الجبهة لم تولد في الفراغ ، وانما انبثقت عن حركة عربية واسعة عرفها النضال العربي لاكثر من ربع قرن .

ان هذا الارتباط بين الجبهة وحركة البعث كان مصدر قوة للجبهة في عدد كبير من النواحي (فكريا وسياسيا وتنظيميا) الا انه كان ايضا سببا في انسحاب الكثير من الرواسب السلبية السابقة التي كانت عالقة بين البعث والقوى الوطنية الاخرى على جبهة التحرير العربية . ان هذا السبب مع الاسباب الاخرى جعل الجبهة لا تستطيع خلال تجربتها في السنتين الماضيتين ان تكون مركز استقطاب للمنظمات السياسية العربية الاخرى .

ان العلاقة الجبهوية بمعنى قيام صلة جبهوية بين تنظيمات سياسية مختلفة كانت غائبة ، اما هذه العلاقة بمعنى قيام صلة تنظيمية بين افراد حزب معين وبين جماهير مستقلة غير ملتزمة بحركات سياسية معينة فقد كانت قائمة في الجبهة على اوسع نطاق .

الا ان تسجيل هذه الظاهرة لا يمنعنا من القول ان بعض الحركات السياسية كانت ترسل بعض اعضائها ليقاتلوا في صفوف الجبهة كما حصل مع جبهة التحرير الارترية (قبل انشقاقها) ، ومنظمة الاشتراكيين العرب في السودان ، والحزب الديمقراطي الكردستاني في العراق .

٢ ـ ان الجبهة قد شهدت قصورا من قبل بعض العاملين فيها ، حزبيين وغير حزبيين ، في فهم المعنى الحقيقي للعلاقات الجبهوية .

فبعض الحزبيين بسبب من نقص الثقافة الجبهوية عندهم ، او استمرارا لعقلية الاستئثار والتفرد التي طبعت مرحلة ما قبل حزيران ، فهم العلاقة الجبهوية فهما تبعيا ، اي انه كان ينظر الى غير الحزبيين كمجرد اتباع واعضاء من درجة ثانية في الجبهة ، بينما كان يعتبر البعثي بمجرد كونه بعثيا عضوا ممتازا مهما كانت مساهمته في نضال الجبهة مساهمة محدودة وضئيلة .

وبالمقابل سجلت تجربة الجبهة قصورا اخر عند البعض من غير الحزبيين كان يختلط الى حد كبير بالمصالح والمنافع التي تسربت الى بنيان حركة المقاومة ، بعد ان هوى هذا البنيان في اخطبوط البيروقراطية. فلقد كان البعض من غير الحزبيين ممن دخلوا الجبهة كأفراد وجماعات لا يفهمون الانتساب الى الجبهة الا مجالا للكسب والاخذ لا مجالا للعطاء ، والتفاعل . لا بل ان بعضهم كان يلجأ الى الجبهة بسبب مشاكل تنشأ بينه وبين منظمة فدائية سبق ان انتسب اليها . فيجد في

الجبهة ملجأ له من اقتصاص منظمته السابقة .

ان هاتين الظاهرتين رغم انهما كانتا باستمرار تهز العلاقات الجبهوية في الجبهة وتشوه معانيها الحقيقية ، الا ان الجبهة فعلا استطاعت بشكل عام ان تكون صيغة عمل جبهوية ناجحة تضم بين صفوفها الآلاف من غير الحزبيين الى جانب الحزبيين في روح رفاقية ونضالية عالية كانت تزداد متانة ووثوقا مع كل معركة نضالية تخوضها الجبهة .

اما المسألة الثانية ، وهي مسألة قيام جبهة عربية واسعة تضم ابناء الاقطار العربية المختلفة ، فلا بد من التقرير ان الجبهة كانت تضم بين صفوفها مناضلين من كل الاقطار العربية بدون استثناء ، وقد سقط لها في ارض المعركة شهداء من فلسطين وسوريا ولبنان والعراق والجزيرة العربية والجزائر والاردن وتونس .

الا انه لا بد من وضع بعض الملاحظات حول هذه المسألة :

١ ـ رغم قدرة الجبهة على استقطاب مناضلين من كل الاقطار العربية الا انه لاسباب عديدة كانت التجمعات الاساسية للمقاتلين تتركز في اقطار معينة ابرزها فلسطين ، الاردن ، العراق ، لبنان ، سوريا .

ولقد كان في رأس الاسباب التي حالت دون توسع الجبهة عربيا هو موقف الانظمة في كثير من الاقطار من قضية انتماء ابناء الاقطار التي تحكمها الى العمل الفدائي بشكل عام والى الجبهة بشكل خاص . ومن هنا فقد كان معظم المنضوين تحت لوائها من الافراد الموجودين خارج اقطارهم .

كذلك كان من ضمن الاسباب عدم وجود تنظيمات للجبهة فعالة وواسعة داخل هذه الاقطار ، تعمل بسرية على تجنيد مقاتلين ، والمستعدون للقتال في تلك الاقطار كثر ، كما ان البعد عن ارض المعركة كان يساهم ايضا في تعزيز هذه القيود والحواجز .

واذا كان استقطاب مقاتلين من تلك الاقطار يواجه كل هذه الصعوبة فبالتأكيد تجد قضية اقامة تنظيمات شعبية مسلحة (مليشيا) داخل تلك الاقطار صعوبات اكثر ...

ان هذه الحقيقة تدل فعلا على مدى حرص الانظمة العربية على حصر الثورة بالفلسطينيين، وتقطيع كل روابطها الحقيقية بالجماهير تمهيدا لتطويقها وتصفيتها.

٢ ـ لقد قاد التركيز على الطابع القومي للجبهة وعلى عروبة المعركة الى خطأ مضاد لاخطاء المنظمات الفدائية القطرية ، وهو خطأ اهمال الوجود الفلسطيني داخل الجبهة .

ان الجبهة كانت تعي باستمرار ـ على الصعيد النظري ـ انه رغم لزوم المشاركة العربية الفعلية في معركة تحرير فلسطين ورغم معرفتها بان قضية فلسطين ليست قضية الفلسطينيين وحدهم بل هي قضية كل العرب ، الا انها كانت تدرك ان للفلسطينيين نظرا لكونهم الاكثر تحسسا بالظلم والاكثر تعرضا للاضطهاد الاستعماري ، دور طليعي في معركة التحرير ، وان هذا الدور الطليعي

يجب ان يجسد داخل اطارات الجبهة نفسها .

على ان هذا الوعي من قبل الجبهة لم يكن وحده كافيا – على ما يبدو – لكي تتمكن الجبهة فعلا من ان تستوعب قطاعات واسعة من الشعب الفلسطيني وان يكون للمناضلين الفلسطينيين دور طليعي داخلها .

لقد كان لهذا القصور اسباب عديدة منها الموضوعي المتعلق بولادة الجبهة المتأخرة عن المنظمات الاخرى ، والمتعلق ايضا بارتفاع مستوى الحساسية القطرية عند قطاعات هامة من الفلسطينيين ومنها الذاتي المتعلق بعدم قدرة الجبهة على وضع وتنفيذ الخطط اللازمة لاستقطاب قطاعات واسعة من الجماهير الفلسطينية والمتعلق ايضا بان الجبهة قد ورثت عن حزب البعث تنظيما فلسطينيا محدودا لاسيما بعد ان التحق عدد كبير من البعثيين بمنظمات فدائية اخرى وعلى رأسها منظمة (فتح) .

ان هذه المحاكمة النقدية التي لا تخلو من القسوة لتجربة جبهة التحرير العربية وحركة المقاومة ، تكتسب اهميتها وفوائدها من انطلاقها من مواقع الممارسة النضالية داخل هذه الحركة ، لا من كونها محاكمة صادرة من اصوات خارج هذه الحركة تريد ان تستغل نواقصها واخطائها من اجل التعجيل في تصفيتها وانهائها.

ان المراجعة الثورية التي تحتاجها حركة المقاومة لكي تحمي نفسها من التراجعات ، تفترض بالدرجة الاولى وجود نقد ثوري قاس وصريح ، ولكنها تفترض ايضا ان لا يستخدم النقد في مجالات التشهير بحركة المقاومة او التبرير للتخلي عنها .

فموضوعيا ، لم تزل حركة المقاومة المسلحة كما كانت قبل اربع سنين . الشيء الجدي الاساسي الذي يتصدى للصهيونية والاستعمار والرجعية ، وبالتالي الشيء الذي يجب ان تصب فيه كل طاقات الامة وكفاءاتها وقدراتها بقصد تطويره ودفعه الى الامام .

ملخص الرؤيا السياسية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مرحلة ما بعد ايلول

في هذه الدراسة ملخص لوجهة نظر الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مرحلة ما بعد ايلول . وقد يجد القارىء او الناقد صعوبة في فهم بعض فقراتها ، وخاصة بالنسبة للبرنامج الخاص بهذه المرحلة . ذلك ان العديد من موضوعات الدراسة وفقراتها قد حذفت لضرورات الامن من جهة ولشعورنا بان الوقت ما زال مبكرا لتقبل الاطراف الاخرى عملية النقد الصريحة وستقوم الجبهة في وقت قادم بنشر وجهة نظرها كاملة .

ج.ش.ت.ف

الوضع السياسي الجديد وبرنامج المرحلة الراهنة

١ – بعد هزيمة حزيران ، ومن خلال نتائجها الموضوعية وتأثيراتها الذاتية ، تولدت ونمت ظاهرة المقاومة الفلسطينية ، واصبحت تشكل تدريجيا المجرى الذي تستطيع الجماهير الفلسطينية والعربية ان تصل من خلاله الى حسم تناقضها مع اعدائها وتحقيق اهدافها .

ولدت حركة المقاومة حالة ثورية بين الجماهير الفلسطينية، وبداية حالة تحريضية للجماهير العربية بشكل عام ، بدأت تترك تأثيراتها على حركة التحرر الوطني العربي، بداية ، لفتت اهتمام القوى الثورية على الصعيد العالمي، واصبحت تسبب ، ضمن حدود ، قلقا للعدو الاسرائيلي ، وتهدد النظام الرجعي في الاردن الذي شكل تاريخيا صمام أمن لمخططات الامبريالية في فلسطين ، كما باتت تشكل خطرا يهدد كل مخططات الامبريالية في تسوية القضية الفلسطينية بما يضمن تأمين مصالحها في المنطقة ، ومن خلال كل ذلك اصبحت قوة ضاغطة تفضح عجز الانظمة العربية الوطنية وتسارع في اسقاط المرحلة التي مثلتها تمهيدا لتبلور

وتصاعد مرحلة ثورية جديدة بقيادة طبقة جديدة تكون قادرة هذه المرة على حسم تناقض الجماهير العربية مع الوجود الامبريالي في المنطقة نهائيا وجذريا .

٢ ـ الان ... اصبح واضحا تماما وملموسا لدى الجماهير الفلسطينية والعربية ان حركة المقاومة ، منذ فترة ، وخاصة منذ ايلول ١٩٧٠ والفترة التي تلت ذلك ، تمر بأزمة خطيرة ، ومحشورة في مأزق صعب ، يرسم علامة سؤال حول كل مصيرها ومستقبلها وقدرتها على تمثيل الامل الذي علقته الجماهير عليها في الفترة السابقة .

٣ ـ ان مسؤوليتنا هي في الوقفة الدقيقة امام الوضع الجديد وفهمه بمختلف جوانبه ورؤية العوامل التي ولدته ، تمهيدا لاستخراج برنامج العمل الذي يخرج حركة المقاومة من هذا المأزق ، لتعود من جديد الامل الذي تلتف حوله الجماهير وتعبىء قواها لتحقيقه .

ان نقطة البداية هي في الرؤية الواضحة للامور . اي الرؤية الواضحة للوضع الجديد .

٤ ـ ما يفسر الوضع الجديد عاملان اساسيان :

الظروف الموضوعية الجديدة التي تبلورت مؤخرا بشكل اوضح من اية فترة سبقت . هذا اولا .

ثم الاوضاع الذاتية لحركة المقاومة ثانيا .

٥ ـ الظروف الموضوعية .... ما هي بشكل ملموس ؟؟

أ ـ النظام الرجعي في الاردن واستعادته لقواه الضاربة .

بعد هزيمة حزيران كان النظام الرجعي في الاردن في اضعف وضع ، مؤسسته العسكرية مهزومة ، ومشتتة ، ومبعثرة ، اسلحتها محطمة ومفقودة ، ومعنوياتها في الحضيض ، مما اضطر النظام الى الاعلان عن دفع راتب شهرين للجندي الذي يعود ويلتحق بالجيش .

ان الهزيمة وفقدان الضفة الغربية قد افقدت النظام اي سند شعبي ، حتى القوى الاجتماعية التي اعتاد النظام ان يستند لها في مواجهته لحركة الجماهير لم تكن مستعدة لاسناده في ضرب حركة المقاومة .

وهكذا كان النظام بدون مؤسسته العسكرية التي اعتادت ان تشكل تاريخيا اداة النظام القمعية ، وبدون اي سند شعبي مما اضطر النظام الى رفع الشعارات التكتيكية الخادعة : «الاردن بلد الفداء» ... الى اخر ما هنالك من شعارات المخادعة .

ان النظام الرجعي في الاردن هو في تحليلنا جزء من معسكر الخصم ، ومن الطبيعي ان يكون قوة معادية تستهدف ضرب حركة المقاومة منذ نشوئها ولكن النظام لم يكن قادرا على ذلك . لقد قام بمحاولات جس نبض كان يضطر للتراجع بعدها خوفا من ان تأتي نتائج المعركة عكس ما يريد .

اما الان ، في الوضع الجديد ، فالصورة تختلف . ان النظام الرجعي في

الاردن هو في اقوى وضع ممكن . لقد قطع النظام خلال السنوات الثلاث الماضية شوطا كبيرا في الاعداد العسكري والسياسي ، وفق مخطط ذكي ، مكنه من الوقوف قويا على قدميه ، ليس قادرا على الدفاع عن نفسه فقط ، وانما قادرا كذلك على مطاردة حركة المقاومة ووضعها في مأزق صعب .

ان النظام الرجعي الان يستند الى مؤسسة عسكرية تضم حوالي ٧٠ الفا ، مجهزين باحدث الاسلحة الامريكية ، بعضهم مدرب بشكل خاص لمقاومة رجال العصابات والمقاومة ، جرت تعبئتهم نفسيا وسياسيا بشكل جعلهم حاقدين على المقاومة بشكل يفوق الوصف، توفرت لهم الامتيازات المادية اذ ارتفع راتب الجندي من ٩ دنانير قبل حزيران الى ١٩ دينار . جرى اختبار هذه المؤسسة في الحملات المعادية للعمل الفدائي التي جرت قبل ايلول ، بحيث تم ابعاد كافة العناصر الوطنية او المتمردة في السير في مخططاته حتى النهاية من صفوف الجيش ، بحيث ضمن النظام استعداد المؤسسة العسكرية لضرب الجماهير دون اي اعتبار .

كذلك فان النظام الرجعي في الاردن استطاع عن طريق الامكانيات المادية من ناحية ، وعن طريق الافادة من اخطاء حركة المقاومة السياسية ، ان يعبىء ويجند غالبية مواطني الضفة الشرقية من الاردنيين ، ليقفوا الى جانبه في معركته ضد حركة المقاومة .

يضاف لكل ذلك الخبرة السياسية والعسكرية التي توفرها الامبريالية للنظام في مواجهة ومخادعة حركة المقاومة والمستمدة من كل تجارب الامبريالية في محاربتها للشعوب .

ان استعادة النظام الرجعي لقواه العسكرية والقمعية والمباحثية واستناده لكل قدرات الامبريالية وخبرتها وطاقاتها ، بالاضافة الى استناده للنعرة الاقليمية التي نجح في تعبئتها وتمكنه من خلال كل ذلك الى استعادة زمام المبادرة في معركته ضد المقاومة ، ان ذلك من ابرز سمات الوضع السياسي الجديد الذي نواجهه الان . ولا بد من تقدير ذلك حق قدره حتى يكون تصورنا للخروج من المأزق علميا صحيحا .

ب ـ الامبريالية والتصاعد في نظرتها لخطر المقاومة وبالتالي طبيعة وقفتها ومخططاتها تجاه حركة المقاومة .

من الطبيعي ان الامبريالية منذ البداية كانت تعتبر ظاهرة المقاومة خطرا لا بد من مراقبته . ولكنه من الطبيعي ايضا ان نظرة الامبريالية لخطر المقاومة في بداية الامر كانت مرتبطة ومتناسبة مع حجم وتأثيرات المقاومة في تلك الفترة . نظرة مراقبة حذرة ربما مستندة اجمالا او قريبة من نظرة اسرائيل للمقاومة في بداية الامر حيث كانت اسرائيل تعتقد انه سيكون بامكانها القضاء على حركة المقاومة خلال بضعة اشهر او التعايش معها لفترة سنوات طويلة دون ان تؤثر على الوجود الاسرائيلي الصهيوني في المنطقة .

ولكن حركة المقاومة ، خاصة خلال النصف الثاني من عام ١٩٦٩ وبداية عام

١٩٧٠ اصبحت تشكل موضوعيا قصة كبيرة في المنطقة ، اصبحت تلتف حولها الجماهير الفلسطينية بشكل عام ، والى حد ما الجماهير العربية ، اصبحت نموذجا يؤكد اهمية العنف الثوري في مواجهة الجماهير لاعدائها ، اصبحت تشكل ضاغطا على الانظمة الوطنية يمهد لانبثاق حركة وطنية جديدة تتجاوز هذه الانظمة ، اصبحت تشكل خطرا حقيقيا على مصالح الامبريالية وقواعدها في المنطقة، وخاصة قاعدة الامبريالية المتمثلة بالنظام الرجعي في الاردن ، اصبحت القوى اليسارية ، داخل حركة المقاومة ذات تأثير كبير في تحديد بعض مواقفها السياسية كالموقف من مشاريع التسوية مثلا . ومن خلال ذلك بدت المقاومة وكأنها قادرة على احباط كافة مخططات الحل السلمي ، ومن هنا لم يعد بامكان الامبريالية الاكتفاء بموقف المراقبة اذ شعرت بحقيقة خطر المقاومة شعورا دفعها لان تشرف بنفسها على عملية سحق المقاومة والتخلص من خطرها وسد الطريق امام فيتنام جديدة في المنطقة .

اصبحت منطقة الشرق الاوسط هي المنطقة رقم واحد بالنسبة للامبريالية حسب تصريحات نيكسون نفسه . وهذا ما يفسر تصريح نيكسون اثناء احداث ايلول بان تلك الفترة كانت احرج فترة في حياته ، وما يفسر كذلك وجود غرفة عمليات في القصر الابيض اثناء احداث ايلول تشرف على المعركة في عمان وتقدم كل ساعة تقريرا عن المعركة للرئيس الامريكي نفسه .

ان الامبريالية الامريكية انتقلت من موقف المراقب المشجع لاسرائيل والاردن على ضرب المقاومة ، الى موقف المشرف الاساسي والمسؤول الاساسي عن سحق حركة المقاومة . واننا اذا استثنينا انزال القوات الامريكية لتخوض معركة مباشرة ضد حركة المقاومة ، فان امريكا قد فعلت كل ما باستطاعتها ، لضرب المقاومة . لقد وقفت مستنفرة بكل امكانياتها واختبأت وراء الرجعية الاردنية وامسكت بيدها وباتت هي التي تحرك هذا البلد ، وفق كل ما تملكه من خبرات ، لضرب حركة المقاومة .

ان انتقال الامبريالية من موقف المراقب المشجع على ضرب المقاومة ، الى موقف المشرف مباشرة الداعم بكل قواه وطاقاته وخبراته، لسحق المقاومة هو ايضا من السمات الاساسية للوضع السياسي الجديد .

جـ ـ التغيير الذي طرأ على موقف الانظمة الوطنية اثر قبولها بمشروع روجرز.

خلال الفترة الاولى من عمر المقاومة (٦٧-٦٨-٦٩) كانت الانظمة الوطنية المنهزمة في حرب حزيران ، وغير القادرة على خوض الحرب ، وغير القادرة في الوقت نفسه على عملية مساومة معقولة مع اسرائيل ، ترى في المقاومة ورقة تكتيكية تساعدها في الضغط على اسرائيل للدخول في مساومة تضمن الانسحاب من الاراضي المحتلة مقابل الاعتراف باسرائيل وحقها في حدود آمنة وضمان حرية مرورها في الممرات المائية في المنطقة . ومن هنا وقفت هذه الانظمة اجمالا موقف التحالف مع حركة المقاومة .

كان من مصلحتها ان تبقى المقاومة ورقة ضاغطة على اسرائيل .

في منتصف عام ١٩٧٠ اصبحت الظروف مؤاتية لبداية الشروع الجاد في امكانية تطبيق قرار مجلس الامن . لذلك تقدمت امريكا بمشروع روجرز ووافقت ج.ع.م. عليه وبدأت تفكر جديا في خلق الظروف المؤاتية لتطبيقه .

ولما كانت المقاومة اجمالا ترفض مشاريع التصفية والتسوية السياسية ، ولما كانت كذلك قد وصلت في هذه الفترة الى مستوى من الفعالية السياسية والعسكرية يجعلها قادرة على ان تكون عقبة حقيقية في وجه هذه المشاريع ، ولما كانت القوى اليسارية داخل حركة المقاومة ، قادرة من خلال اتخاذها للمواقف السياسية الثورية التي تلف حولها الجماهير على فرض مواقفها على مجمل حركة المقاومة ، لذلك كله اصبح من مصلحة هذه الانظمة ترويض حركة المقاومة وكسر شوكتها وعنفوانها وارجاعها الى الحدود التي تبقيها ضمن اطار استراتيجيتها ، ومن هنا انتقلت هذه الانظمة من موقف التحالف والتساند مع حركة المقاومة الى موقف التعارض معها وموقف الراضي عن تقليم اظافرها .

ان ذلك يشكل ايضا عنصرا هاما في فهم الظروف الموضوعية الجديدة بالنسبة للمقاومة اذ انه يعني انتقال قوى معينة من موقف المساندة الى موقف المجابهة .

د ـ السوفييت وموقفهم من المقاومة :

كان السوفييت في بداية الامر يؤيدون حركة المقاومة، تأييدا كان يزداد تدريجيا مع نمو المقاومة وبداية صيرورتها قوة ضاغطة على اسرائيل من الممكن ان تكون عاملا مساعدا لتطبيق الصيغة السوفييتية للتسوية في المنطقة .

ولكن المقاومة في الفترة الاخيرة ـ نهاية ١٩٦٩ وبداية ١٩٧٠ ـ بدأت تتجاوز الحدود المقدرة لها . اذ اصبحت تهدد اجمالا امكانية التسوية السياسية للصراع العربي الاسرائيلي، فضلا عن ان تهديدها للنظام الرجعي في الاردن قد يستدعي تدخل امريكا في المنطقة ، الامر الذي يحمل امكانية تحول المنطقة الى فيتنام جديدة مما ينسف كافة الاسس التي تقوم عليها السياسة السوفييتية اليوم بالنسبة للمنطقة وبالنسبة للعالم بشكل عام .

من هنا ومع اقتراب امكانية التسوية السياسية على ضوء موقف ج.ع.م ، ومع بروز حركة المقاومة كقوة تهدد هذه التسوية اصبح موقف السوفييت كذلك حذرا تجاه حركة المقاومة ، يخشى نتائجها وتأثيراتها ، وبالتالي فانه امسى راض ضمنيا عن ترويضها وتقليم اظافرها .

هذه هي بايجاز شديد اهم معالم الظروف الموضوعية الجديدة التي يتسم بها الوضع السياسي الجديد الذي تعيشه حركة المقاومة والذي جعلها تواجه الان وضعا صعبا يختلف عما واجهته في السنوات الماضية .

كانت المقاومة تواجه في تصادمها الفعلي بالدرجة الاولى اسرائيل ، كما كانت تحظى بتأييد الانظمة الوطنية والسوفييت في تلك الفترة التي كان النظام الرجعي في الاردن كسيح غير قادر على التصادم معها ، كما ان الامبريالية كانت في وضع المراقب الحذر الذي لم يدخل المعركة بعد ، اما الان فان المقاومة تواجه وضعا

مختلفا ... فبالاضافة الى استمرار تصادمها مع اسرائيل فهي تواجه الان النظام الرجعي في الاردن الذي استعاد قواه وحشدها الى اقصى حد ، والذي نزل مباشرة لميدان الصدام الشرس مع المقاومة ، كما تواجه الان الامبريالية التي لم تعد تكتفي بمراقبة الوضع معتمدة على اسرائيل والنظام الرجعي في الاردن ، وانما نزلت لميدان الصراع لتقود بخبراتها وقدراتها الحرب ضد حركة المقاومة متسترة وراء الحكم الرجعي الاردني . كما تغير موقف الانظمة الوطنية والسوفييت من موقف التأييد الى موقف من يريد ان يروض حركة المقاومة ويقضي على عنفوانها وثوريتها ويضمن احتوائها ضمن سقفه ومخططاته .

لا شك ان مثل هذه الظروف الموضوعية التي تبلورت في بداية النصف الثاني من عام ١٩٧٠ هي التي تعطي جانبا اساسيا من تفسير الوضع الصعب الذي تعيشه حركة المقاومة .

٦ ـ الاوضاع الذاتية لحركة المقاومة :

ان الظروف الموضوعية لا تكفي وحدها لتفسير كل جوانب الازمة التي تعيشها حركة المقاومة .

ان الصورة القائمة لازمة حركة المقاومة لا تكتمل الا اذا وقفنا امام المقاومة نفسها واوضاعها الذاتية . اذ لا شك ان بنيتها وطبيعتها الطبقية ومواقفها وبرامجها ومخططاتها لعبت وستبقى تلعب دورا في هذا الشأن .

ان حركة المقاومة في واقعها الراهن لا تمتلك الشروط اللازمة التي من خلالها ـ كما دلت تجربة الانسانية في هذه الحقبة من التاريخ ـ تستطيع الصمود في وجه الامبريالية وتحقيق الانتصار عليها . ان حركة المقاومة لا يقودها **حزب ثوري** يمثل الطبقة العاملة ويعتمد نظريتها في مواجهة كافة قضايا **المعركة** اولا . كما انها تفتقر للنظرية الثورية التي توفر الرؤية الواضحة للمعركة ثانيا . وعدم وجود الحزب الجديد الذي يقود المعركة ، جعل قيام الجبهة الوطنية العريضة التي يقودها هذا الحزب والتي تعبىء كافة قوى الثورة الطبقية والسياسية بقيادة الطبقة العاملة وحزبها الثوري ، امرا متعذرا ، ثالثا . وقد انعكس فقدان هذه الشروط على ممارسة العنف الثوري وفق مبادىء حرب العصابات التي وحدها توفر الحماية للثورة في بداية نشوئها وتحميها من السحق ، انعكاسا كانت نتائجه سلبية على البناء التنظيمي الذي يبني الانسان الثوري بوعيه وانضباطه وفعاليته ومسلكيته تجاه الجماهير بحيث يشكل قدوة وقيادة تلتف قطاعات الجماهير حولها رابعا .

هذه هي صورة حركة المقاومة .

لقد كانت حركة المقاومة خاضعة لقيادة تحالف البرجوازية والبرجوازية الصغيرة اجمالا ، اما القوى اليسارية داخل حركة المقاومة فقد كانت غير مكتملة لتحولها اليساري اولا ، وغير موحدة في مواقفها ثانيا، وغير قادرة من حيث حجمها وفعاليتها على فرض مواقفها النظرية والسياسية والعسكرية .

هذه البنية ـ اي قيادة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة ـ للمقاومة ولدت مجموعة مواقف واخطاء يجب ان تأخذ حجمها في تفسير الازمة التي نعيشها الان:

اولا : موقف المقاومة ونظرتها للنظام الرجعي في الاردن :

ان بنية المقاومة اجمالا وقيادة البرجوازية والبرجوازية الصغيرة، لها جعلت حركة المقاومة تقع في خطأ كبير ـ لعدم توفر الرؤية العلمية لاوضاع الثورة ـ وهو عدم تحديد رؤية سليمة وموقف سليم من النظام الرجعي في الاردن .

ان المقاومة تركزت في قواها الاساسية في ساحة الاردن وعدم وضوح موقفها من السلطة القائمة على هذه الارض ، يعني اغراق في المثالية وعدم تحديد المواقف السياسية تجاه قضايا اساسية ملموسة .

ان النظام الاردني قد وجد اساسا ليشكل القاعدة التي يستند لها الاستعمار في تنفيذ مخططاته ومخططات الصهيونية في فلسطين . وكل تاريخه دليل على ذلك . فهو مرتبط ارتباطا عضويا كاملا بالامبريالية الانكليزية والامريكية ، وبالتالي فهو قوة بيدها لضرب الجماهير . انه جزء لا يتجزأ من معسكر العدو بالنسبة للثورة . ومع ذلك ، فان حركة المقاومة لطبيعة بنيتها الطبقية والايديولوجية ، وعدم توفر الرؤية الواضحة امامها ، ظنت ان النظام الاردني ـ بسبب عجزه عن التصدي لها بعد هزيمة حزيران ، وبسبب الشعارات الخادعة التي رفعها ـ يمكن ان يكون صديقا او محايدا . وان تصادماته المتقطعة مع المقاومة بين وقت وآخر سببها تعارضات جزئية او اخطاء من قبل المقاومة نفسها ، وبالتالي يمكن تلافيها.

على ضوء هذا التقدير المثالي الخاطىء ، بنت حركة المقاومة نفسها على ارض الاردن بشكل مكشوف . قواعدها العسكرية مكشوفة ، تنظيمها مكشوف ، قيادتها وكوادرها مكشوفة ، اماكن تواجدها مكشوفة .. كل شيء لها مكشوف .

وبالتالي ـ عندما استعاد النظام قوته العسكرية وفرض على المقاومة معركة ايلول ، اضطرت ان تخوض المعركة بشكل مكشوف ايضا . وهذا اخطر ما يمكن ان يحدث للثورات في مراحل نشوئها الاولى . ان ميزان القوى في بداية الثورة يكون لمصلحة العدو الامبريالي الذي يمتلك الطاقات والامكانيات العسكرية والتكنولوجية ، وسلاح الثورة في مواجهة هذا الوضع يكون عادة في خوض المعارك بطريقة معينة وفق مبادىء حرب العصابات متجنبة الخسائر الكبيرة نتيجة تفوق العدو . لا شك ان سبب الخسارة الكبيرة التي لحقت بحركة المقاومة اثناء احداث ايلول يعود الى طبيعة المواجهة المكشوفة في المعركة .

واننا لو حاولنا ان نتصور حركة المقاومة ، وهي تمتلك رؤية ثورية علمية وتحدد موقفا سياسيا سليما تجاه السلطة في الاردن باعتبارها جزء من معسكر الخصم ، وبالتالي بنت نفسها على اساس سري ، تحت الارض ، غير مكشوف لكانت النتائج تختلف بالتأكيد .

تختلف من حيث قدرة المقاومة على توجيه ضربات موجعة للنظام ، ومن حيث عدم قدرة النظام على التحكم بتوجيه ضربات كبيرة لها .

ثانيا : نظرة المقاومة وموقفها تجاه الجماهير الاردنية.

المقاومة ليس فقط لم تحدد موقفا ثوريا من النظام الرجعي في الاردن، وانما هي ايضا لم تحدد موقفا علميا وثوريا من جماهير الاردن .

كان مفروضا بعد ان اصبحت المقاومة تستند في وجودها الاساسي الى الساحة الاردنية ان تحدد رؤياها الواضحة لهذه الساحة التي تعمل فيها . من هو عدوها في هذه الساحة ؟ ومن هو صديقها الذي يزيد من قوتها ؟؟

المقاومة لم تقم بهذه العملية النظرية التحليلية الاساسية . لذلك بقيت تعمل على اساس انها ثورة الشعب الفلسطيني ضد اسرائيل والصهيونية . وكأن موقفها من كافة القوى في ساحة الاردن امر لا يعنيها . طرحت نفسها على اساس انها ثورة فلسطينية فقط ، لا تتدخل في الشؤون الداخلية للبلاد العربية ، حتى ولو كان هذا البلد العربي هو الاردن حيث توجد الثورة وحيث ان استمرارها يتوقف على ضمان بقائها في هذه الساحة .

لو كانت حركة المقاومة واضحة الرؤيا بشكل علمي وثوري لادركت ان السلطة في الاردن عدوة لها ، وان الشعب الاردني الذي يعاني الاستغلال والاضطهاد من قبل هذه السلطة هو حليفها الذي تستطيع من خلال تحالفها معه ان تجعل ميزان القوى لمصلحتها في مواجهتها للنظام العدو .

ان عدم تحديد رؤية سياسية واضحة وشاملة جعل حركة المقاومة تهمل هذه القضية المركزية وبالتالي وقفت الجماهير الاردنية موقفا عاطفيا فقط يساند حركة المقاومة في بداية نشوئها بحكم المشاعر الوطنية والقومية للشعب الاردني ، ولكن التعاطف العام شيء والتعبئة الثورية الواعية شيء اخر .

ان العاطفة الوطنية لم تصمد امام اخطاء حركة المقاومة التي عكست نفسها على حياة المواطنين الاردنيين من ناحية ، وامام مخطط السلطة الرجعية في اثارة النعرة الاقليمية وتشويه كل حركة المقاومة وتعبئة الجماهير الاردنية ضد الثورة.

ان الجماهير الاردنية لم تشعر ان هذه الثورة هي ثورتها هي ضد نفس العدو الصهيوني الامبريالي الرجعي الذي هو عدو الشعب الفلسطيني والشعب الاردني في الوقت نفسه .

ان التصور الدقيق لاثر هذين الخطأين السياسيين : عدم التنبه لعدو كامن واهمال صديق اساسي ، وعلى نفس الارض التي تعيش عليها المقاومة ، يبين لنا مدى دور هذه الاخطاء التي تفسر الوضع الصعب الذي تعيشه المقاومة الان .

هناك فارق كبير بين وضع تواجه فيه المقاومة النظام الرجعي في الاردن وهي مستندة الى تعاطف ومساندة شعبنا في الاردن وريف الاردن ، وبين الوضع الذي هي فيه الان حيث تواجه النظام الرجعي الذي استطاع ان يعبىء هذه الجماهير ضد حركة المقاومة .

لقد تصرفت حركة المقاومة وكأنها بديل للحركة الوطنية الاردنية دون ان تكون

في برامجها وتوجيهاتها البديل الفعلي القادر على اداء مهمات الحركة الوطنية الاردنية .

ثالثا : المقاومة والانظمة الوطنية

ان علاقة المقاومة مع الانظمة الوطنية العربية لم تقم على اساس رؤية علمية ثورية واضحة تحدد لها مواقفها التكتيكية والاستراتيجية بشكل سليم .

ان هذه الانظمة بحكم بنيتها الطبقية المعادية للامبريالية والصهيونية تجعلها حليفا لحركة المقاومة ـ تكتيكيا ـ في معركتها ضد اسرائيل والرجعية ـ ولكنها في الوقت نفسه وبحكم عجزها عن مواجهة الامبريالية واسرائيل باسلوب حرب التحرير الشعبية الطويلة الامد متناقضة مع حركة المقاومة استراتيجيا ، ومتناقضة معها بالنسبة للمواقف السياسية المصيرية التي تواجهها القضية الفلسطينية .

على ضوء ذلك فان طبيعة القانون الذي يحكم العلاقات مع هذه الانظمة ليس قانونا مبسطا سهلا . انه قانون الصراع والتحالف في الوقت نفسه. التحالف مع هذه الانظمة في المعركة ضد اسرائيل والرجعية ، والصراع معها فيما يتعلق ببلورة استراتيجية حرب التحرير الشعبية امام الجماهير العربية ، وفيما يتعلق بقضية الحل الاستسلامي للقضية .

ان حركة المقاومة لم تجسد قانون العلاقات هذا بقدرة ثورية علمية ... لقد كان تحالفها مع هذه الانظمة احيانا على حساب وضوح استراتيجيتها ومواقفها امام الجماهير ولدى محاولتها التعبير عن رفضها لمشروع روجرز ، تطرفت في موقفها لدرجة لم تأخذ بعين الاعتبار الربط الضروري بين الموقف الاستراتيجي المشروع والضروري وبين الموقف التكتيكي الذي يحصر المعركة ما امكن مع اسرائيل والرجعية العربية .

صحيح ان هذه الانظمة اصبحت في الفترة الاخيرة تريد تقليم اظافر حركة المقاومة ، واحتوائها واخضاعها لخدمة مواقفها السياسية ، ولكن حركة المقاومة تبقى مطالبة حتى في ظروف صعبة كهذه ان تتخذ المواقف التي تربط بين الاستراتيجية والتكتيك بشكل علمي سليم .

رابعا : طبيعة علاقة المقاومة مع الجماهير العربية :

علاقة حركة المقاومة مع الجماهير العربية وحركة التحرر الوطني العربي لم تقم على اساس رؤية ثورية واضحة لكافة ابعاد المعركة .

قد لا يكون هذا الموضوع واضحا من حيث نتائجه العملية كما هو واضح بالنسبة للساحة الاردنية وحركة التحرر الوطني الاردني . ولكن على الصعيد النظري ، وبداية انعكاسات ذلك على الصعيد العملي ، فالامر يجب ان يكون ملحوظا

لدى حركة المقاومة في عملية المراجعة التي من المفروض ان تقوم بها الان .

كان اهتمام حركة المقاومة بالجماهير العربية وحركة التحرر الوطني العربي ينطلق من زاوية ما يمكن ان تقدمه حركة التحرر العربي من اسناد اعلامي ومادي لحركة المقاومة ، وليس من زاوية طبيعة التحالف الاستراتيجي المتكافىء الذي يجب ان يقوم بين حركة المقاومة والحركة الوطنية في البلدان العربية ، واعتبار هذه الحركة هي الحليف العربي الحقيقي على المدى الاستراتيجي بمنظور الثورة العربية الواحدة .

خامسا : طبيعة علاقة حركة المقاومة مع الجماهير الفلسطينية :

لم تقم علاقة حركة المقاومة مع الجماهير الفلسطينية على اساس ثوري يستند الى الجماهير بالدرجة الاولى ويستهدف تعبئتها بالوعي السياسي والتنظيم ووضعها امام مسؤولياتها التاريخية .

– كانت التعبئة اعلامية وبشكل ديماغوجي .

وكانت العلاقات فوقية مع الجماهير .

كما اعتبرت العمل العسكري وكأنه بديل لنضال الجماهير بدلا من ان يكون تتويجا لهذا النضال .

كانت الجماهير الفلسطينية ملتفة اجمالا حول حركة المقاومة ، ولكن المقاومة لم تستفد كليا من هذا الالتفاف لترتفع به الى اعلى مستوى من القوة .

سادسا : عدم امتلاك المقاومة للعلم العسكري :

بقدر اهمية اتباع العنف الثوري في حسم تناقض الجماهير مع اعدائها الامبرياليين والصهيونيين والرجعيين ، بقدر ما هو هام واساسي كذلك امتلاك الفكر العسكري والعلم العسكري ومبادىء استعمال العنف الثوري في مواجهة العدو المتفوق عسكريا وتكنولوجيا .

ان ما يحمي الثورة في بداية عمرها من السحق على ايدي قوات العدو الكبيرة والمتفوقة هو مجموعة مبادىء عسكرية تتبعها الثورة في حماية نفسها وفي طريقة التصدي للعدو .

ان حركة المقاومة لم تكن مبنية عسكريا على هذا الاساس (الاختفاء الكامل ، عدم قدرة العدو على معرفتها وتحديدها ، الاستعمال الجيد للسلاح والتكتيك ، تجنب المواجهات ، طبيعة السلاح ، مستوى التدريب ...)

سابعا : طبيعة البناء التنظيمي لحركة المقاومة :

– ضعف البناء السياسي للمقاتلين .

– ضعف الانضباط .

– ضعف الفعالية السياسية والعسكرية .

– القيادات لم تبن علاقاتها مع القواعد على اسس سليمة .

– الفوارق في الامتيازات والشكليات بين القيادات والقواعد .

من كل هذا يتضح ان حديثنا حول قيادة حركة المقاومة وبنيتها الطبقية (البرجوازية والبرجوازية الصغيرة) وذهنيتها المثالية ، وما تفرزه هذه البنية من مواقف وممارسات خاطئة ليس موضوعا نتحدث فيه من باب الفذلكة ، وانما هو الاساس الذي يفسر كل واقع حركة المقاومة بكل سلبياتها وكل اخطائها وانحرافاتها التي تلعب دورا دون شك في تحليل وتفسير الوضع الذي تعيشه حركة المقاومة الان.

ويمكننا ان نشير الى العديد من الامثلة على تلك الممارسات الخاطئة : القيادات المكتبية البيروقراطية ، الترف والاسراف ، عدم مصارحة الجماهير بالحقائق ، الضجيج الاعلامي الفارغ ، الاخطاء السياسية ، بطء الحركة وعدم المبادرة ، التعصبات الحزبية التي عكست نفسها على الوحدة الوطنية ، اساءة استعمال السلاح ، ضعف التدريب ، الانجرار وراء المظاهر العسكرية ، اساليب القتال الخاطئة ، كل صورة الميليشيا ، الكسل في القواعد ، اضاعة الاوقات للمقاتلين سدى ، الفدائي الذي يسيء للمواطن ، ويعتدي على زرعه ، او يهين تقاليده .. الى آخر ما هنالك من امراض تجد تفسيرها في طبيعة البنية الطبقية والذهنية لحركة المقاومة .

ان حركة المقاومة موضوعيا تمثل حالة معادية للامبريالية واسرائيل والرجعية، التفت الجماهير الفلسطينية والعربية حولها ، وشكلت مرحلة اعلى من مراحل تصدي الشعب الفلسطيني والعربي لعدوه الامبريالي الصهيوني الرجعي ، وما زالت حتى الان في طليعة فصائل حركة التحرر الوطني العربي ، ولكن طبيعة بنية حركة المقاومة وكل ما نتج عنها يفسر طبيعة المأزق الذي تعيشه حركة المقاومة الان .

وماذا عن يسار حركة المقاومة ؟؟

لماذا لم يستطع يسار حركة المقاومة ان يغير من صورة الوضع الذاتي للحركة ؟

لقد كان هناك بالمقياس النسبي يسار في حركة المقاومة يطرح رؤية سياسية اوضح للمعركة ومواقف سياسية اكثر علمية وثورية تجاه النظام الرجعي في الاردن ، وتجاه علاقة المقاومة بالشعب الاردني والحركة الوطنية الاردنية ، وكذلك علاقة المقاومة بالجماهير العربية وحركة التحرر الوطني العربية ، كما كان يطرح صورة اكثر علمية وثورية تجاه موضوع الوحدة الوطنية والجبهة الوطنية العريضة التي يجب ان تقوم بين كافة فصائل حركة المقاومة ، ولكن هذا اليسار :

(١) لم يكن هو القيادة الفعلية لحركة المقاومة . وانما كانت المنظمات الاخرى بسبب طبيعة بنيتها تلقى التأييد من الانظمة العربية كلها بما فيها الانظمة الوطنية ، وكذلك بحكم مستوى الوعي لدى جماهيرنا الفلسطينية والعربية فقد كانت المنظمات

غير اليسارية هي التي تخاطب بديماغوجية عواطف هذه الجماهير . وقد حولت كل هذا الاسناد الى قوة مظهرية مكنتها في تلك الفترة ان تعتبر القـوة الرئيسية في حركة المقاومة .

(٢) كان اليسار غير موحد المواقف تجاه اليمين ومواقفه. فقد وقفت بعض قوى اليسار مواقف ذيلية لليمين بدلا من النضال لكي يشق اليسار طريقـه نحو قيادة حركة المقاومة وفرض فهمه بالنسبة للموقف مـن السلطة العميلة في الاردن والموقف من الوحدة الوطنية .. الخ .

(٣) يسار المقاومة حتى الان غير متبلور يساريا على صعيد الممارسة الفعلية . فهو لا يزال يعاني من عدم قدرته على الارتقاء بممارساته الى مستوى مواقفه النظرية وما يزال الفارق كبير بين مواقفه النظرية وبين ممارساته العمليـة . لم يستطع ان يشق بوضوح طريقا تنظيميا ونضاليا وعسكريا وسياسيا آخر امام الجماهير .

(٤) بحكم كون اليسار ما يزال في طريقه للتحول ، فانـه وقع في مراهقات نظرية وسياسية وعسكرية وتنظيمية ...

— الموقف من مشروع روجرز ، وبالتالي عدم القدرة على التوفيق بين الموقف الاستراتيجي والموقف التكتيكي من الانظمة الوطنية .

— عدم التقدير السليم لميزان القوى بالنسبة للمعركة من النظام الرجعي ، مما اوقعه في مواقف ومخططات غير سليمة تكتيكيا .

— مراهقات اعطت السلطة سندا تستند اليه امام الجماهير والانظمة العربية والعالم لتبرير مؤامراتها ضد حركة المقاومة (حادث خطف الطائرات ، شعار كل السلطة للمقاومة .. الخ) .

هذا هو واقع حركة المقاومة — بيمينها ويسارها — الذي واجهت به احداث ايلول والظروف الموضوعية الجديدة التي بدات تواجهها حركة المقاومة في عام ١٩٧٠ بشكل خاص .

معركة ايلول

ان طبيعة نشأة المقاومة وبنيتهـا والاخطاء السياسية والعسكرية والتنظيمية التي وقعت فيها هي التي حددت لها طبيعة معركة ايلول ونتائجها .

المقاومة وصمودها في ايلول .

كان صمود المقاومة انتصارا بحد ذاته . ولكن ذلك لا يجوز ان يخفي عن اعيننا الانتصار الذي حققته السلطة من وراء احداث ايلول ومدى الخسائر التي لحقت بالمقاومة .

اننا لا نقول ان حركة المقاومة لو كانت من بنية يسارية محسومة لاستطاعت في ظل كل الظروف الدولية والعربية ان تحسم ازدواج السلطة الذي كان قائما في الاردن قبل ايلول لمصلحتها كليا وبالتالي تسقط النظام كليا وتحرر الاردن ، ولكننا

نقول انه لو كانت حركة المقاومة تختلف في بنيتها لكانت خسائرها اقل ، وضرباتها للنظام اكثر ايلاما ، ومدى صلابتها بعد المعركة والتفاف الجماهير حولها اكثـر وضوحا ولاستطاعت ان تتابع بنجاح معركتها ضد النظام في ظل مساندة شعبية فلسطينية اردنية عربية .

ما بعد ايلول

ان احداث ايلول بالنسبة لتنظيم ثوري تفرض موقف مراجعة ثورية تستعرض فيه حركة المقاومة كل مسيرتها الماضية ، تستخرج اخطاءها الرئيسية ، تفهـم الوضع الجديد فهما عميقا جيدا ، تحدد مواقفها وبرنامجها ازاءه، تبدأ في النضال الحازم التنظيمي والجماهيري والسياسي والعسكري ، للخروج من ازمتها . ولكن بنية حركة المقاومة جعلت الصورة تختلف .

قسم من قيادات حركة المقاومة اعتبرت احداث ايلول هزيمة نهائية لحركة المقاومة ، وبالتالي امام صعوبة الظروف الجديدة بدات تفكر في قبول الاستسلام، لتصبح جزءا من مشاريع التسوية المطروحة للمنطقـة مثل مشروع الدولـة الفلسطينية .

قسم اخر من قيادات حركة المقاومة اذهلته صدمة احداث ايلول ولم يكـن قادرا على التفكير الا بالتراجع والرضوخ امام مخططات السلطة وضرباتها بعـد احداث ايلول .

قسم ثالث مذهول وضائع ولا يعرف ماذا يريد وتتراوح مواقفه بين التوترات الانفعالية في مواجهة النظام وبين التراجعات المذلة .

كانت صورة المقاومة اذن : فريق بدأ لديه استعداد للانحراف وفريق متخاذل متراجع ، وفريق لا يعرف ماذا يريد ، وفريق يبرر كل التراجعات ، والجبهـة الشعبية التي وقفت وقفة علمية بعد احداث ايلولولم تكن قادرة على تغيير الصورة.

في ظل هذا الوضع استطاعت السلطة ان تأخذ زمام المبادرة ، وتضـع مخططاتها التكتيكية ، ضربة وراء ضربة ، توجه للمقاومة ضرباتها ، ثم تميع الوضع، ثم تنتزع من المقاومة مكسبا وراء مكسب . وعلى سبيل المثال : احداث جرش ، جلعد ، احداث عمان الاخيرة .

اننا لا نقول ان حركة المقاومة كان بامكانها المحافظة على كل وجودها العلني بعد احداث ايلول كسلطة علنية ، ثانية في الاردن ، ولا نقول انه كان بامكان حركة المقاومة المحافظة على وجودها العلني في المدن . ولكن لو كانت قيادة حركة المقاومة من بنية ثورية لاستطاعت في ظل موقف دفاع استراتيجي ان تتخذ مبادراتها لاخفاء نفسها وتوجيه ضرباتها التكتيكية للنظام شكلا افضل ، وتشرح كل الوضع الجديد وبرامجها للجماهير لتكسب تأييدهم ، وتستمر في مقاتلتها للنظام دفاعا عن نفسها من ناحية ، وبهجومات تكتيكية من ناحية ثانية ، بشكل يجعل الرؤية واضحـة

امامها ، يحافظ على معنويات مقاتليها ، وتنظيمها والتفـاف الجماهير حولها ، وتأييد الجماهير العربية لها ، مما يجعل صورتها تختلف عما هي عليه الان .

رغم انها تمر في مأزق الا انها تتمتع بالوضوح والتصميم والتساند ، وعلو معنويات المقاتلين ، والتفاف الجماهير حولها مما يمكنها من احداث تصدعات كبيرة للنظام ويجعلها تشكل ضغطا عليه قد لا يستطيع احتماله والصمود امامه .

المعارك السياسية الجديدة التي تواجهها المقاومة على ضوء الوضع الجديد

١ ــ من الطبيعي ان يؤدي هذا الوضع الجديد بظروفه الموضوعية والذاتية الجديدة الى تغييرات اساسية في طبيعة مخططات كافة القوى والاطراف وبالتالي في طبيعة المعارك السياسية التي تواجهها حركة المقاومة .. ان حركة المقاومة الان تجد نفسا امام مجموعة معارك متشابكة ومتحركة لم تعد هي الآخذة لزمام المبادرة فيهـا .

٢ ــ ان اول نتيجة سياسية تترتب على هذا الوضع الجديد هي ازدياد فرص الحل السلمي في المنطقة .

ان القوى السياسية الفاعلة في المنطقة ــ الامبريالية، الصهيونية ، الرجعية، اسرائيل ، السوفييت ، الانظمة الوطنية ــ كلها بطبيعة الحال متجهة نحو وقف القتال ونحو التسوية السياسية رغم التناقضات القائمة داخل هذا المعسكر .

كانت حركة المقاومة هي العقبة الرئيسية امام مشروعات التسوية . تطرح طريق استمرار القتال وتحارب الاستسلام . والى جانب صحة موقفها السياسي وما يثيره في صفوف الجماهير العربية من التفاف حولها فانها كانت تمتلك مستوى من الوجود والفعالية يجعل منها عقبة تعترض كل هذا المجرى الذي تريده القوى السياسية الفاعلة في المنطقة .

ان الظروف الموضوعية الجديدة ، والضربات التي تلقتها حركة المقاومة ، وكل ميوعة وضعها الذاتي يضعنا الان امام معركة سياسية خطيرة هي معركة التوجهات الجادة من قبل كل هذه القوى لفرض التسوية السياسية .

اننا ندرك كل العقبات التي ما زالت تعترض طريق التسوية ممثلة بالدرجة الاولى بالموقف الاسرائيلي ، وندرك بطبيعة الحال كافة التناقضات القائمة بـين اطراف معسكر الحل السلمي ، وندرك ان فرض التسوية ما زال امامه فترة زمنية قد لا تكون قصيرة ، الا انه من الواضح تماما ان فرص التسوية قد ازدادت عن ذي قبل بما لا يقاس . وان هناك توجها بهذا المنحى اكثر جدية من اية فترة مضت ، وان مخططات كافة القوى اصبحت مكرسة للعمل الجاد في خدمة هذا الفرض ومنع نشوء اية ظروف جديدة تنسف احتمالات التصفية النهائية للحالة الثورية التـي تولدت بعد حزيران .

٣ ــ ترتبط بذلك كل الارتباط معركة سياسية اخرى بدات تواجهها حركة المقاومة ــ على ضوء الظروف الجديدة ــ وبشكل اكثر جدية من الفترة التي سبقت ايلول وهي معركة «الدولة الفلسطينية» .

ان الظروف الجديدة ، وحالة الضعف التي تعيشها حركة المقاومة ، خلقت كذلك الظروف المؤاتية للتفكير الجاد بتسوية نهائية لمشكلة الشعب الفلسطيني عن طريق اقامة كيان سياسي فلسطيني ينهي تاريخيا كل المعضلة الفلسطينية ومـا ولدته وما زالت تولده من مشاكل ومعضلات بالنسبة للامبريالية ومصالحها مـن ناحية ، وبالنسبة للسوفييت ومخططاته في المنطقة من ناحية ثانية .

وبقدر ما يوجد توافق بين الامبريالية من ناحية والسوفييت من ناحية ثانية حول الحل السلمي رغم ان كل طرف يريد بطبيعة الحال صورة معينة لهذا الحل، هناك نفس المدى من التوافق حول ضرورة اغتنام هذه الفرصة ــ فرصة الظروف الجديدة ــ لاقامة كيان فلسطيني رغم ان كل طرف يريد بطبيعـة الحال صورة معينة لهذا الكيان .

اننا ندرك بطبيعة الحال مدى الصعوبات التي ما زالت تعترض تحقيق مشروع الدولة الفلسطينية ، ومدى التناقضات التي ما زالت قائمة ، وبالتالي مدى الوقت المطلوب لتمرير هذه المؤامرة على ثورة شعبنا ، ولكن من الواضح ايضا ان هـذه المعركة اصبحت بعد احداث ايلول ، معركة سياسية حقيقية من معارك الشعب وحركة المقاومة .

٤ ــ ان فرض التسوية السياسية في المنطقة وتمرير مؤامرة الدولـة الفلسطينية يتطلب ترتيبا نهائيا لاوضاع حركة المقاومة يتناسب تماما وكليا مـع هذه المخططات . وهنا تجد حركة المقاومة نفسها امـام معارك محددة تستهدف افراغها من مضامين ثوريتها واحتمالات تطورها ، لتبقى مجرد وجود سياسي غير فاعل يأخذ شكلا يتلاءم كليا مع هذه المخططات .

وبالنسبة للمعسكر الامبريالي الصهيوني الرجعي فان هـذا الترتيب النهائي يتطلب قضاء حاسما وكاملا على المقاومة كظاهـرة عسكرية قتالية . ان المخطط الامبريالي الصهيوني الرجعي يريد سحقا تاما ونهائيا لكل الوجود العسكري الفاعل لحركة المقاومة والابقاء عليها كوجود سياسي مسخ متمثل بقيادات برجوازية منحرفة خائرة ترضى بكل مخططاته ولا يمكن ان تشكل مستقبلا اي خطر على اسرائيل او النظام الرجعي في الاردن او مصالح الاستعمار في المنطقة .

ان معسكر الامبريالية والرجعية واسرائيل يدرك تماما ان الظروف الجديدة تشكل فرصته السانحة والكبيرة ، وربما النهائية للقضاء التام والحاسم علـى كل الوجود العسكري الفاعل لحركة المقاومة ، وظاهرة العنف التي مثلتهـا والتي كادت في فترة سابقة تهدد مصالحه وتنسف كل مخططاته في المنطقة . وبعد ان استعاد هذا المعسكر زمام المبادهة فانه من الطبيعي ان تستمر محاولاته الواعيـة والمتصلة حتى يقتلع كل الوجود العسكري الفاعل للمقاومة من جذوره ، وحتى يجتث مـن

اذهان الجماهير كل ظاهرة العنف المسلح التي مثلتها المقاومة واقناع الجماهير نهائيا بعبث كل هذا النهج حتى لا يكون هناك عودة له في المدى الزمني المرئي . هذا يفرض ان نتوقع محاولات جديدة ومتصلة في الاردن للقضاء على قواعد المقاومة في منطقة جرش والاغوار ، ومحاولات جديدة من قبل اسرائيل للقضاء على كل الوجود العسكري الفاعل للمقاومة في قطاع غزة والمناطق المحتلة ، وخاصة انها تشجعت كثيرا على ذلك بعد احداث ايلول ، كما يجعلنا نتوقع كذلك محاولات جادة من قبل القوى الرجعية في لبنان للقضاء على الوجود العسكري الفاعل لحركة المقاومة .

ان المعسكر الامبريالي الصهيوني الرجعي بكل اطرافه ومعه كافة القوى الرجعية المعنية سيكون في حالة استنفار تام لمتابعة معركته ضد حركة المقاومة حتى يقضي عليها نهائيا قضاء حاسما ، كما ان استمرار ايقاف اطلاق النار على كافة الجبهات من شأنه ان يساعد الرجعية الاردنية على الاستمرار في تنفيذ مخططها .

لا شك ان هناك اعتبارات تكتيكية تفرض على الرجعية الاردنية والرجعية اللبنانية اتباع اساليب معينة تتعلق بطبيعة المواجهة وتوقيتها وكيفيتها . اذ ان هذه القوى ستكون حريصة على ضرب حركة المقاومة دون ان تعرض اقتصادها للاهتزاز وباقل خسارة ممكنة ودون ضجة كبيرة تعرضها للعزلة محليا وعربيا مما يفرض عليها اختيار الوقت المناسب والفرصة المناسبة والاسلوب المناسب — الا ان ذلك لا يجوز ان يغيب عن اذهاننا ولا للحظة واحدة تصميم هذا المعسكر على سحق حركة المقاومة كوجود عسكري فاعل وظاهرة عنف مسلح .

اما بقاء المقاومة كوجود سياسي لا يستند الى اية قوة عسكرية فاعلة وغير قادر على ممارسة اي عنف مسلح فان هذا المعسكر — معسكر الامبريالية والصهيونية والرجعية — يفضل ذلك وقد يخطط له . اذ ان مثل هذه المقاومة الممسوخة والتي ستكون بطبيعة الحال بقيادة ممسوخة مهترئة منحرفة تحقق له كثيرا من المكاسب اهمها ايجاد كيان فلسطيني كحل تاريخي للمعضلة الفلسطينية دون ان يشكل هذا الكيان اي خطر على مصالحه وامنه ، وكذلك تمييع كل الحالة الثورية الناتجة عن وجود الشعب الفلسطيني خارج ارضه ووطنه دون اي كيان سياسي مسؤول عنه ، وكذلك ، فان القوى المعادية تسعى — وهذه نقطة هامة — لجعل حركة المقاومة سخرية امام الجماهير الفلسطينية تثير في نفسها القرف والاشمئزاز، وتبعدها مستقبلا عن كل استراتيجية العنف وحرب التحرير الشعبية التي كانت حركة المقاومة في فترة من الوقت بداية رمز لها .

ان هذا البطل الوطني سيتحول امام اعين الجماهير الفلسطينية والعربية الى اضحوكة مخزية .

وقد تكون بعض قوى النظام الرجعي الاردني تعارض حتى في بقاء المقاومة كقوة سياسية ، كما تعارض في ايجاد اي كيان للشعب الفلسطيني من اي نوع كان ، ولكن ذلك لا يؤثر بطبيعة الحال على مجمل الموقف الذي يتخذه هذا المعسكر اجمالا تجاه المقاومة .

٥ — اما بالنسبة للاتحاد السوفييتي والانظمة الوطنية ففي ذهنهم صورة اخرى لحركة المقاومة تتناسب مع تصورهم للتسوية السياسية ومشروع الدولة الفلسطينية ، ذلك التصور الذي يكون متلائما بطبيعة الحال مع سياسة السوفييت ومصالح هذه الانظمة .

ان السوفييت والانظمة الوطنية يريدون للمقاومة ان تكون قوة سياسية وعسكرية ولكن ضمن الحدود التي تجعلها غير قادرة على التمرد على مخططاتهم لتبقى حركة قانعة وراضية بالدور والمستقبل المرسوم لها . انهم يريدون حركة المقاومة قوة وطنية من نفس نمط تركيب الانظمة الوطنية في المنطقة وتصبح جزءا من هذا المعسكر الوطني المتحالف مع السوفييت . فعن هذا الطريق يضمن السوفييت حل المعضلة الفلسطينية عن طريق اقامة دولة وطنية فلسطينية ترضخ للامر الواقع المتمثل بالوجود الاسرائيلي والذي يخشى السوفييت ان يؤدي اقتلاعه الى حرب نووية عالمية ، ولكن في نفس الوقت تمثل وجودا وطنيا فلسطينيا مترابطا مع الوجود الوطني العربي الذي يناهض مخططات الامبريالية في المنطقة ضمن حدود معينة متناسبة مع حدود تناقضات مصالحهم مع مصالح الامبريالية في هذا الجزء من العالم .

ان الدولة الفلسطينية في هذه الحالة ستكون قوة وطنية لها وجودها وتأثيرها وليس مجرد كيان ذيلي تابع بشكل او بآخر للنظام الرجعي في الاردن تتهادن نهائيا وكليا مع الوجود الاسرائيلي الامبريالي في المنطقة .

ومن الواضح ان اوضاع المقاومة حتى الان لم تتبلور نهائيا بشكل يتناسب تماما مع هذا التصور . ومن هنا يجب ان نتوقع المحاولات التي تستهدف بلورة اوضاع المقاومة بهذا الاتجاه . وواضح ان خطوط هذه المحاولات ستسير باتجاه اضعاف القوى اليسارية داخل حركة المقاومة وتقوية القوى التي يمكن ان تتمشى مع هذه الصورة . ثم الضغط باتجاه اقامة وحدة وطنية تكون فيها السيطرة للقوى المتمشية مع هذا المخطط بحيث يسهل تطويق القوى اليسارية الرافضة ، وستلعب الانظمة الوطنية دورا في هذا الاتجاه وفي خلق تحالف قوي بين قوى المقاومة الراضية بهذا المخطط وتخفيف التناقضات فيما بينها وتقويتها عسكريا وتوجيهها باتجاه تحويل قواها المقاتلة الى جيش تقليدي ثم دفعها باتجاه السير في طريق دمج كافة المنظمات الاخرى تحت لوائها حتى ولو لزم الامر تحقيق هذا الدمج بالقوة والاقتتال مع المنظمات اليسارية .

هذه هي لوحة الوضع الجديد من حيث ظروفه الموضوعية الجديدة ، والصورة الذاتية لحركة المقاومة ، واتخاذ المعسكر المعادي على ضوء ذلك زمام المبادرة ، وانتقال حركة المقاومة الى موقع الدفاع والضعف ، والمعارك السياسية الجديدة التي ستبدأ حركة المقاومة في مواجهتها بشكل احد واقوى مما سبق ، والمخططات الموضوعة لحركة المقاومة من قبل معسكر الاعداء من ناحية ومن قبل معسكر السوفييت والانظمة الوطنية من ناحية ثانية حيث يتفق موقف هذين

المعسكرين تحت عنوان الحل السلمي والدولة الفلسطينية وحيث في الوقت نفسه يتعارضان حول تصورهما لمحتوى هذين العنوانين .
والسؤال الان : كيف تواجه حركة المقاومة هذا الوضع الجديد .

برنامج المرحلة الجديدة

١ ـ قبل البدء بتحديد الخطوط السياسية والعسكرية والتنظيمية التي نواجه بها المرحلة الجديدة بشكل محدد ، لا بد من تثبيت مجموعة بديهيات تنغرس عميقة في نفوسنا وفي نفوس جماهير الثورة . ان فهمنا لهذه البديهيات والممارسة الحقيقية على اساسها يشكل الارضية الاساسية لبرنامج المواجهة :

اولا : ان معركتنا معركة قاسية وصعبة ومعقدة . فبالاضافة الى قساوة وصعوبة معارك التحرير بشكل عام حيث تحاول الامبريالية بكل قواها المادية والاقتصادية والعسكرية وبكل تحالفاتها وخبراتها ان تدافع عن مصالحها وبقائها هناك خصوصية معركتنا بالذات من حيث طبيعة الاستعمار الاستيطاني الصهيوني الذي يدافع عن بقائه في معركة حياة او موت ، وهناك طبيعة المصالح الامبريالية في المنطقة واهمها البترول ، وبالتالي نظرة الامبريالية لهذه المنطقة ومدى استعداداتها للدفاع عن مصالحها بكل قواها وطاقاتها وامكانياتها ، وهناك التجزئة ـ ومشكلة الكيانات السياسية التي ترسخت منذ عشرات السنين والتي باتت تشكل حاجزا حقيقيا يعرقل التعبئة الثورية لكل امكانيات الامة العربية في مواجهة معركتها المصيرية .

ثانيا : اننا نؤكد على هذه الصورة لكي نؤكد بالتالي على ضرورة توفر النفس البروليتاري الثوري لمواجهة هذه الصعوبات . ان معركتنا طويلة الامد . هذه العبارة يجب ان تفهم فهما عميقا ، ويجب ان نمارس ونؤدي مهماتنا على اساسها . فليس هناك حل سهل لمشكلة صعبة .

ان محاربتنا للنفس البرجوازي الصغير الذي يتشاءم امام الصعوبات والذي يريد حلا فوريا سريعا وانتصارات جاهزة هو اولى مهماتنا .

ان الخروج من المأزق الذي تعيشه حركة المقاومة الان يتطلب جهدا طويلا صبورا دؤوبا وفق برنامج واضح يستند الى رؤية واضحة للمعركة . فكل عمليات «الندب» التي تقوم بها البرجوازية الصغيرة وكل انواع المغامرات التي يمكن ان تفكر بها الان لن تخرجنا من المأزق .

ثالثا : بقدر ما يجب ان نحدد بوضوح الظروف الموضوعية الصعبة التي تتسم بها هذه المرحلة وكذلك حقيقة الوضع الذاتي الصعب لحركة المقاومة ، كذلك يجب ان نرى بوضوح وعلمية الجانب الاخر من الصورة المتمثل بوجود يسار داخل حركة المقاومة ، والمتمثل كذلك بصمود حركة المقاومة حتى الان رغم كل ما واجهته من معارك ومؤامرات ، وكذلك ايضا المتمثل بالظروف الموضوعية المحلية والعربية

والدولية ، والتي تشكل بمجموعها ظروفا مؤاتية للثورة تضمن الانتصار في المدى الاستراتيجي .

فلسطينيا : ان الظروف الموضوعية التي تعيشها جماهيرنا الفلسطينية تشكل ارضا موضوعية مؤاتية للثورة .

وعربيا : فان ظاهرة عجز القيادات البرجوازية الصغيرة القائدة لحركة التحرر الوطني العربي يمهد الطريق علميا لمرحلة جديدة في عمر الثورة العربية تقودها الطبقة العاملة

وعالميا : فان الهجمة الامبريالية التي نشاهدها هذه الفترة هي في الوقت نفسه وليدة نمو حركة الثورة العالمية ، وستكون بطبيعة الحال في المدى الاستراتيجي مساعدة على انضاج الظروف الايجابية لثورتنا .

اننا بامس الحاجة ـ في مواجهتنا لهذه المرحلة ـ الى الاستيعاب العميق لحركة التاريخ وخط سيرها وللصراع الكبير القائم عالميا بين الشعوب والامبريالية عدوة الشعوب ، والانتصارات العظمى التي حققتها الشعوب على هذا الطريق (ثورة الصين ، كوبا ، فيتنام ، كوريا ، المعسكر الاشتراكي في اوروبا ، حركات التحرر الوطني في كمبوديا ولاوس وامريكا اللاتينية) ... استيعاب عميق للاسلحة النظرية والمعنوية والتعبوية والعسكرية التي من خلالها تحققت هذه الانتصارات والتي هي اقوى ـ علميا ـ من تفوق العدو التكنولوجي وجبروت آلة حربه وقدراته الاقتصادية .

فمن خلال الاستيعاب الكامل العميق لكل هذه الصورة نستطيع ان نضع حركة جماهيرنا في مجرى التاريخ ومجرى العصر ... عصر انتصار الاشتراكية ... وعندما تصبح حركة جماهيرنا جزءا لا يتجزأ من حركة العصر والتاريخ فان مستقبلها ومصيرها يصبح محتوما وهو الانتصار .

ان انشدادنا الدائم لهذه البديهيات والعمل على اساسها هو الذي يولد فينا وفي جماهيرنا الايمان بالنصر وبالتالي القدرة على خوض معركة معقدة طويلة الامد تتطلب مدى كبيرا من الصلابة والصبر والتضحية والمجهود الشاق .

٢ ـ العناوين الاساسية لبرنامج المرحلة :

(١) بناء الحزب الثوري الذي يقود الثورة .

(٢) الجبهة الوطنية الجديدة التي يتطلبها الوضع الجديد .

(٣) التعبئة الجماهيرية ـ الجماهير هي القوة الوحيدة القادرة على تغيير ميزان القوى الراهن . والعنف يجب ان يكون تتويجا لحركة الجماهير وليس بديلا لها .

(٤) العنف الثوري باسلوب جديد مستوعب للتجربة الماضية وقائم على مبادىء المقاومة السرية وحرب العصابات ، ومرتبط ارتباطا وثيقا برؤية سياسية واضحة هو اسلوب المواجهة الرئيسي في المرحلة القادمة . وعلينا ان نجيب على سؤال هام : كيف نفهم العلاقة الجدلية بين موضوعية العنف وموضوعية بناء الحزب ، والجبهة الوطنية ، والتعبئة الجماهيرية ؟

(٥) نظرة جديدة للعمل العربي الثوري ... الحل الاستراتيجي لازمة المقاومة.

(٦) تحالفات المرحلة الجديدة ... عربيا ، دوليا .

(٧) الثورة في فلسطين المحتلة .

(٨) معركة المقاومة ضد النظام في الاردن .

(٩) معركة المقاومة ضد التسوية ومشروع الدولة الفلسطينية والمخططات الموضوعة للمقاومة كي تصبح جزءا من هذه العملية .

(١٠) المقاومة خارج الارض المحتلة وخارج الاردن .

٣ ـ بناء الحزب الثوري :

أ ـ الاهمية الخاصة لبناء الحزب الثوري الذي يقود الثورة ... على ضوء عملية الاستعراض لمسيرة المقاومة وعلى ضوء الواقع الموضوعي والذاتي الذي تم استعراضه .

ب ـ التجارب الثورية الكبرى وتأكيدها لاهمية الحزب .

ج ـ البنية التنظيمية بشكل عام لحركة المقاومة .

د ـ البنية التنظيمية بشكل عام ليسار حركة المقاومة وللجبهة ، الذي ما زال يعاني من عدم تمييزه التنظيمي رغم تميزه السياسي والايديولوجي .

هـ ـ عملية بناء الحزب تتم من خلال الممارسة.. ممارسة قيادة الجماهير في معركتها الوطنية والطبقية . ان عملية بناء الحزب لا يمكن ان تتم الا من خلال الحالة الجماهيرية والقتالية القائمة الان ورسم المواقف والمخططات التي نواجه بها كافة الاخطار والمعارك المفروضة علينا، وأي تصور مدرسيمثالي لبناء الحزببعزلة عن واقع الجبهة الان ، وواقع حركة المقاومة ، والحالة الجماهيرية والقتالية والسياسية ، هو تصور بعيد عن الماركسية ـ اللينينية .

غير ان موضوعة بناء الحزب يجب ان تحتل في اذهاننا الان حجما خاصا وتأخذ من مجهوداتنا خطا خاصا كذلك .

و ـ ان عملية بناء الحزب تتطلب دليلا واضحا تسير عملية البناء على اساسه وتقدم الجواب العلمي والثوري لكافة الاسئلة والمشكلات التي تطرحها هذه العملية . وبدون هذا الدليل تصبح عملية بناء الحزب مجرد رغبة وامنية وشعار دون محتوى.

ز ـ توفر النظرية الثورية التي توجه النشاط العملي وتمنحه الثقة والقوة .

ح ـ برنامج البناء العسكري الذي يعد الحزب للمقاومة السرية وحرب العصابات والذي يوفر الفعالية العسكرية رغم ميزان القوى القائم والذي يضمن حماية النفس وهو اهم مهمة مركزية تواجهنا الان .. على ضوء كل التحليل السابق.

الجبهة الوطنية الجديدة التي يتطلبها الوضع الجديد

١ ـ اهمية موضوعية الحلف وخطورة تجاهلها .

٢ ـ الجبهة الوطنية ـ كما دلت التجارب الثورية الكبرى ـ خط استراتيجي

اساسي في الثورة الوطنية الديمقراطية .

٣ ـ في فترة ما قبل ايلول ، كانت الظروف الموضوعية ، وكذلك الظروف الذاتية لقوى المقاومة ، تجعل من يمين المقاومة القوة الاساسية في قيادة حركة المقاومة . ولم يكن بمقدور اليسار ان يطمح الى اكثر من تمييز نفسه وضمان نموه، والتأثير ضمن حدود على مواقف المقاومة بشكل يضمن له استمرار مسيرته لتهيئة نفسه لتحمل مسؤولية القيادة مستقبلا .

٤ ـ الظروف الموضوعية الجديدة ، كما دلت تجربة ما بعد ايلول ، كشفت بوضوح عجز يمين المقاومة عن قيادة المرحلة الجديدة ... المرحلة الجديدة تتطلب وضوحا نظريا وسياسيا وتنظيميا وممارسة ثورية على ضوء هذا الوضوح ... وهي عوامل غير متوفرة في يمين المقاومة .

٥ ـ النقطة المركزية اذن بالنسبة للجبهة الوطنية في المرحلة الجديدة هي ان يعتبر اليسار نفسه مسؤولا عن مجابهة الوضع الجديد ويبدأ بشق طريقه على هذا الاساس لتجميع كافة القوى والعناصر الوطنية الفلسطينية والاردنية .

ان يمين حركة المقاومة هو يمين وطني وبالتالي يجب استهداف احتوائه ضمن الجبهة الوطنية .

ان انتزاع القيادة من اليمين لا يجوز ان تؤدي الى خسارة قوة وطنية غير قادرة على قيادة المعركة ولكنها قادرة على الاسهام الوطني في مرحلة الثورة الوطنية الديمقراطية .

بطبيعة الحال يجب اسقاط العناصر التي كانت رمزا للتردد والميوعة والذعر ، والعناصر التي دفعتها صعوبة المعركة الجديدة الى معسكر الحل السلمي والدولة الفلسطينية ، والعناصر التي تآمرت مع النظام الرجعي او هي بحكم مواقعها عرضة للتآمر ، ولكن ما عدا ذلك فان الجبهة الوطنية الجديدة يجب ان تضم كافة القوى الوطنية بما فيها اليمين الوطني .

٦ ـ ان الثورة الان امام مهمتين منفصلتين ومتشابكتين في الوقت نفسه . المهمة الاولى هي القتال ضد اسرائيل تحت شعار تحرير فلسطين ، والمهمة الثانية هي القتال ضد النظامالرجعي في الاردن تحت شعار اسقاط النظام وتحرير الاردن من الرجعية العميلة .

ان هاتين المهمتين لا نستطيع التصدي لهما من خلال صيغة تنظيمية واحدة .

ان المهمة الاولى صيغتها جبهة تضم فصائل حركة المقاومة الفلسطينية مع استهداف تغيير في طبيعة برامجها ومواقفها وبنيتها على ضوء ما سبق . والمهمة الثانية صيغتها جبهة وطنية اخرى تضم الحركة الوطنية الاردنية مع فصائل حركة المقاومة التي تعتبر ان اسقاط النظام في الاردن اصبح بالنسبة لها مهمة مركزية .

٧ ـ ان الصيغة التنظيمية الاولى هي اللجنة المركزية لحركة المقاومة ، التي يجب ان يعاد تشكيلها على اساس برنامج سياسي وقتالي وتنظيمي ثوري يستجيب لطبيعة المرحلة الجديدة ويلبي متطلبات مهماتها ، اعادة تستهدف اسقاط العناصر

المترددة والمتراخية والمنحرفة والتي لعبت دورا في تراجعات المقاومة امام النظام ، والتي اصبحت ضمن معسكر التسوية السياسية والدولة الفلسطينية ٠.

٨ – المهمة الثانية تتطلب صيغة تنظيمية اخرى تتخذ شكل جبهة وطنية اردنية فلسطينية ، تتشكل من فصائل الحركة الثورية والوطنية الاردنية التي تستهدف اسقاط نظام رجعي يستغل غالبية الشعب : جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ... ويقف حائلا دون تقدمهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي بالاضافة الى فصائل حركة المقاومة التي لا ترى افقا لتحرير فلسطين الا من خلال تحرير ساحة الاردن والتي تنطلق من الايمان بوحدة الثورة العربية ٠.

٩ – من الطبيعي ان يكون هناك علاقة بين الصيغتين ... هذه العلاقة هي علاقة تنسيق في بداية الامر ... اما استراتيجيا فالعلاقة اساسها وحدة اداة الثورة الفلسطينية الاردنية .

١٠ – هناك بطبيعة الحال مجموعة مسائل اخرى تحتاج الى اجوبة .

انه من الصعب اعطاء اجوبة نهائية على كل هذه المسائل . المهم تحديد رؤيتنا التفصيلية على ضوء هذه الخطوط وعلى ضوء ما تفرزه الممارسة .

ان القضية المركزية الثابتة في تصورنا للجبهة الوطنية في المرحلة الجديدة هو تركيبها الجديد وبنيتها الجديدة وبرامجها الجديدة وصيغتها الجديدة .

١١ – من الطبيعي في مثل هذه المراحل التي تتطلب مراجعة جذرية لموضوع الوحدة الوطنية واعادة صياغتها لتتناسب مع المرحلة الجديدة الوضع الجديد ان نجابه تيارين خاطئين : تيار يمثل الانحراف اليساري والثاني يمثل الانحراف اليميني . ومن هنا تبرز اهمية النضال الحزبي لبلورة موقف الحزب حول وجهة النظر اليسارية العلمية ٠.

اننا في ممارستنا للموقف اليساري العلمي سنكون معرضين باستمرار الى انحرافات باتجاه اليمين واليسار ومن المفروض ان تصحح الممارسة هذه الانحرافات على ضوء انشدادنا اليومي الى الموقف العلمي السليم .

١٢ – اننا على ضوء واقع حركة المقاومة ، وعلى ضوء واقع اليسار داخل حركة المقاومة ، وعلى ضوء الدور الملقى موضوعيا على عاتق الجبهة في المرحلة الجديدة ، نعتبر انفسنا مسؤولين عن النضال لاقامة الجبهة الوطنية على ضوء التحليل والخطوط الواردة .

ولا يجوز ان نكتفي بموقف النقد للقوى الاخرى لمواقفها غير المبالية او غير المسؤولة ، او غير الواضحة تجاه هذا الموضوع .

التعبئة الجماهيرية

١ – على ضوء واقع ميزان القوى بين حركة المقاومة كما هي قائمة الان وبين معسكر العدو وطبيعة الظروف الموضوعية فان القوة القادرة على تغيير ميزان القوى

لمصلحة الثورة هي قوة الجماهير .

٢ – ان تعبئة جماهير الثورة واطلاق طاقاتها النضالية هو خط اساسي من خطوط مواجهة هذا الوضع الصعب . انها القوة الجديدة والكبيرة التي تنزل لميدان الصراع فتبدأ صورة الوضع القائم تتغير باتجاه مصلحة الثورة .

٣ – ان التعبئة العاطفية والاذاعية للجماهير لا تكفي . ولا تخلق من هذه الجماهير القوة الثورية الصلبة التي لا تنضب ولا تعرف اليأس ، ان المطلوب الان هو تعبئة الجماهير بالوعي السياسي الثوري وتنظيم طلائعها في الحزب ، وكذلك تنظيم قواعدها العريضة بالمؤسسات الجماهيرية والنقابية والنضالية المختلفة حيث يهم كل مواطن ، كل امراة ورجل وشاب وشابة ، اسهاما ملموسا واسهاما يوميا في خدمة المعركة عن طريق زيادة قوة الثورة وتعميقها وبلورتها وعن طريق محاربة قوى العدو واضعافها وزعزعتها وابادة اعمدتها .

٤ – ان العنف الثوري – العمل العسكري – لا يجوز ان يشكل في مواجهتنا للعدو ومخططاته بديلا لحركة الجماهير بحيث يصبح تفكيرنا لدى رؤية المعركة وتحليلها والتخطيط لها تفكيرا عسكريا من خلاله نحاكم قضايا المعركة وموازين القوى فيها ، ورؤية احتمالاتها ومستقبلها . ان العنف الثوري والنشاط العسكري يجب ان يكون تتويجا لحركة الجماهير وليس بديلا لها .

وبقدر ما هو اساسي جدا التأكيد على خط العنف الثوري باعتباره اسلوب المواجهة الرئيسي ضد العدو الذي لا يمكن القضاء على استعباده واستغلاله لوطننا وجماهيرنا الا بالقوة العسكرية وبالقتال وبالحرب فانه اساسي في الوقت نفسه ان ممارسة هذا العنف لا يجوز ان تتخذ شكلا مغامرا يسهل القضاء عليه ، بل يجب ان تستند هذه الممارسة الى جماهير معبأة تشكل القاعدة الصلبة والمعين الاساسي لحرب تحرير شعبية طويلة الامد من خلالها فقط يمكن استنزاف قوى العدو وبلورة قوة الملايين التي لا تقهر .

ان ممارسة العنف يجب ان تنبثق من خلال الصورة الذاتية المستكملة لمقومات الانتصار الرئيسية كما اثبتتها تجارب الشعوب وتجارب حروب التحرير الشعبية في هذا القرن : صورة الحزب الثوري الذي يقود جبهة وطنية عريضة تحيط بها مؤسسات جماهيرية واسعة ، من خلالها تعبأ كل جماهير الثورة بحيث تصبح الثورة مشروع عمل تاريخي كبير تقوم به الملايين من خلال ساعات جهد يومي ، تبذلها بشكل متصل لبناء قواها الذاتية وتنميتها وزيادة فعاليتها النضالية والقتالية ، وفي نفس الوقت اضعاف قوى العدو وزعزعتها ، وبعثرتها ، وابادة اعمدتها الرئيسية .

٥ – ان تعبئة الجماهير – بهذا المعنى وبهدف خلق القوة التي تغير ميزان القوى القائم لتشق المقاومة طريق الخروج من مأزقها ، تتطلب احداث انعطاف كبير في طريقة عملنا وفي ممارساتنا . ليس المطلوب مجرد تكرار عبارة الجماهير والتأكيد اللفظي على الخط الجماهيري للحزب . ان المطلوب هنا قيادة انعطاف في طريقة عملنا يستهدف ترجمة هذا الكلام . يجب ان يصبح من صلب تقاليد عملنا ان نكون

دائما بين الجماهير ... نفكر معها ، نخضع برنامجنا لقدراتها وطاقاتها .

في مثل هذه الظروف تصبح مهمتنا المركزية هي ان نضع الجماهير امام حقائق الوضع السياسي الجديد ، نشرح لها تحليلنا لهذا الوضع ، والاسباب التي ادت اليه ، وكيف نرى طريقة الخروج من هذا المأزق ... فنستمع الى آرائها وفهمها للامور .. فنسألها رأيها في برنامج العمل .. بحيث تكون الصورة واضحة تدرك معها الجماهير ان هذه المعركة هي معركتها وان القضية هي قضيتها هي قبل كل شيء ، وان كل مخططات العدو التي نتحدث عنها هي المخططات التي تستهدف الابقاء على وضعها وعلى الظلم والاستغلال والتشرد الذي تعيشه . وان التفكير المسؤول في هذا الوضع وكيفية الخروج منه يجب ان يصبح من صلب تقاليد عملنا اننا لا نستطيع ان نفكر او نخطط او نقاتل بمعزل عن هذه العملية الديمقراطية بيننا وبين الجماهير .

٦ — ان التعبئة الجماهيرية بهذه المضامين وبهذا الهدف ليست وسائلها الاساسية الاعلام الاذاعي والصحافي ، بل ان الوسيلة المركزية هنا هي اعضاء التنظيم المتغلغلين في صفوف الجماهير ، الذين يعقدون الندوات الصغيرة التي من خلالها نضع الناس امام مسؤولياتهم ومطالبتهم بالقيام بها وندلهم على الطريقة التي تتحول بها مشاعرهم الوطنية والطبقية الى جهد ونضال ثوري هو وحده الكفيل بتحقيق طموحاتهم واهدافهم .

٧ — ان المدخل الرئيسي لتعبئة القطاعات الواسعة من الجماهير للتصدي بالعنف لعدوها القومي والطبقي هو اتضاح الصلة بين مشكلات حياتهم اليومية وبين المعركة السياسية التي تستهدف التحرير وتأسيس السلطة الديمقراطية التي تعمل لمصلحة طبقات الثورة . ومن خلال اتضاح هذه الصلة يتم الربط الموضوعي بين نضالاتهم اليومية لحل مشكلاتهم — وهي النضالات التي تتوفر لديهم استعدادات خاصة لخوضها — وبين نضالهم في اطار استراتيجية حرب التحرير الشعبية التي تستهدف التحرير وايجاد الحل الجذري لكل هذه المشكلات . وذلك يؤكد اهمية المؤسسات الجماهيرية والنقابية من ناحية ، كما يؤكد اهمية البرنامج السياسي الذي تطرحه الثورة للجماهير ، والذي من خلاله ترى هذه الجماهير بوضوح ارتباط نضالها اليومي بالنضال السياسي الذي يستهدف التحرير والديمقراطية والوحدة.

ومن الطبيعي هنا ان تكون البرامج السياسية التي تتعبأ من خلالها الجماهير الفلسطينية والاردنية والعربية ، برامج مترابطة من ناحية بحكم وحدة معسكر الخصم ، ومنفصلة من ناحية ثانية بحكم خصوصية الكيان السياسي الذي تعيشه الجماهير العربية في كل دولة او كيان من الدول والكيانات العربية .

العنف الثوري

١ — ان الخطوط الثلاثة السابقة — بناء الحزب ، الجبهة الوطنية ، التعبئة الجماهيرية — لا يجوز ان تفهم او تمارس على حساب خط العنف الثوري وضرورة

استمراره ضد العدو الاسرائيلي والعدو الرجعي في الاردن . بل ان هذه الخطوط يجب ان تستهدف القدرة على استمرار ممارسة القتال المسلح ضد هؤلاء الاعداء وزيادة فعاليته . كما ان ممارسة العنف يجب ان تستهدف خلق الظروف المؤاتية لعملية بناء الحزب والجبهة الوطنية والتعبئة الجماهيرية . ان العلاقة الجدلية بين ممارسة العنف من جهة وبين بناء الحزب والجبهة الوطنية والتعبئة الجماهيرية من جهة ثانية يجب ان تبقى مرسومة في اذهاننا بكل وضوح .

٢ — ليس وراء الموضوع موقف عاطفي اساسه رومانسية السلاح او موقف مغامر ، وانما وراءه استراتيجية حرب التحرير الشعبية باعتبارها الطريق الوحيد للتحرير اولا ، ثم خطورة النتائج التاريخية التي يمكن ان تنتج فيما اذا انتهت ظاهرة الكفاح المسلح القائمة الان وكافة انعكاسات ذلك على الجماهير ثانيا ، ثم من ناحية ثالثة الموقع الذي سيكون به الخصم في حالة ضرب ظاهرة الكفاح المسلح نهائيا وتحكمه كليا باي تحرك جماهيري سياسي غير مسلح بحيث يبقى اي تحرك من هذا النوع تحت رحمته محدودا بالسقف الذي يحدده له وبالتالي لا يمكنه ان يكون قادرا على انجاز التحرير . واخيرا لان عملية بناء الحزب في هذه الحالة ستصبح مجرد عملية طلائعية اذ ان الجماهير الواسعة لن تلتف الا حول السلاح والعنف حيث تشعر ان نضالها يمكن ان يكون له جدوى وحيث تشعر كذلك انها قادرة على الرد على عنف العدو بعنف ثوري .

٣ — ان ممارسة العنف الثوري تدفع الخصم الى مواجهة ذلك باقصى انواع البطش والسحق . وفي ظل ميزان القوى القائم الان عسكريا ، فان امتلاك القوانين والاساليب والخبرات العالية في كيفية ممارسة العنف في ظل مثل هذه الاوضاع تصبح قضية اساسية ، وبقدر التأكيد على اهمية العنف الثوري كخط اساسي في مواجهة الوضع الجديد ، يجب ان نؤكد على ضرورة امتلاك مقومات عمل العنف الثوري كعلم عسكري نمارسه باعلى درجات القدرة والخبرة والكفاءة .

أ — تجنب المواجهات العسكرية الكبيرة .

ب — اعتماد الضربات المفاجئة والسريعة والاختفاء الكامل بعدها .

ج — اختيار الاهداف الموجعة للعدو والتي تلقى التأييد من غالبية الجماهير والتي لا تحدث اجتهادات شعبية حول شرعيتها وسلامتها .

د — فن التمويه والكمن والتخبئة ... كل شيء مخفي عن اعين العدو وبالتالي لا يستطيع ان يقبض على شيء للبطش به .. القيادات ، الكوادر ، المقاتلون ، مخازن السلاح .. الى آخره .

هـ — اعلى مستوى من البناء السياسي والمعنوي والعسكري للمقاتلين .

و — الكفاءة العالية في حرب المخابرات والحرب النفسية والاعلامية .

ز — الالمام العميق بكافة مبادىء حرب العصابات في الجبل والمقاومة السرية في المدينة والافادة من التجارب التاريخية الكبرى للشعوب ، مستخرجين منها ما يلائم طبيعة معركتنا .

٤ – ان حركة المقاومة التي بنت نفسها في الدول العربية التي تتحكم بها الرجعية وكأنها تعمل على ارض صديقة او محايدة ، وبالتالي بنت نفسها بشكل مكشوف ، مما اضطرها الى مواجهات مكشوفة ليست لمصلحتها عندما كشرت هذه الانظمة عن انيابها ، بحاجة ماسة وسريعة الى اعادة بناء نفسها من جديد بحيث تتجنب المواجهات المباشرة والضربات الكبيرة وتنزل تحت الارض بحيث لا تمكن العدو الرجعي من التحكم بها وفرض معاركه عليها ، وباسلوب لا تستطيع الانتصار فيه في هذه المرحلة من عمرها .

٥ – ان الثورة في هذه المرحلة هي في حالة دفاع استراتيجي ، هدفها الاول هو البناء والاستمرار في الوجود)، وبالتالي فان ممارسة العنف في هذه المرحلة ليس هدفه القيام بمعارك حربية كبيرة تجهز فيها نهائيا وخلال فترة قصيرة على كل قوى العدو . وبالتالي فان هدف العنف في هذه المرحلة هو بناء الحزب الحديدي وبناء الجبهة الوطنية والتعبئة الجماهيرية التي تغير ميزان القوى تدريجيا لمصلحة الثورة استراتيجيا . وبالتالي فاننا نمارس العنف ونحن مشدودون الى ان نسخر كل هذه العملية لبناء الحالة الثورية الجماهيرية القادرة على الانتصار .

٦ – ان حركة المقاومة ما زالت ضعيفة من حيث امتلاكها وتطبيقها لمبادىء واساليب ومستلزمات مقومات العنف الثوري في المراحل الاولى من عمر الثورة – حرب العصابات في الجبل والمقاومة السرية في المدينة – وبالتالي فان دراسة هذا الموضوع كعلم وفن يجب ان يشكل قضية اساسية لها في هذه المرحلة ... بالنسبة لقياداتها وكوادرها ومقاتليها .

العمل العربي الثوري

١ – ان حركة المقاومة ستبقى في وضع صعب اذا بقيت تجابه وحدها معسكر الصهيونية والامبريالية والرجعية . ان مطالبة الشعب الفلسطيني وحده ان ينتصر نهائيا على اسرائيل ومؤسستها العسكرية وعلى النظام العميل في الاردن ومؤسسته العسكرية ، ومن ورائهما الصهيونية والامبريالية والرجعية العربية بكل قواها وطاقاتها ، ليست عملية سهلة .

ان الصورة القائمة الان حيث يواجه نصف الشعب الفلسطيني – حوالي مليون – اسرائيل بكل طاقاتها وقدراتها وحيث يواجه النصف الثاني النظام الرجعي في الاردن الذي تستميت الامبريالية ومعها الصهيونية واسرائيل والرجعية العربية لحمايته ودعمه وتمكينه من تصفية المقاومة وضرب اي نشاط جماهيري ضده .. ان صورة الوضع القائم هذه تفرض على عملنا الثوري اتباع خط العمل العربي الثوري . فبقدر ما تشكل الخطوط السابقة بمجملها والمستهدفة بمجموعها تصحيح الاوضاع الذاتية لحركة المقاومة وتعبئة الجماهير الفلسطينية الى اقصى حد ، بقدر ما تشكل هذه الخطوط ، بداية الخروج من المأزق الذي تعيشه حركة المقاومة الان بقدر ذلك

يلعب العمل العربي الثوري دورا متمما . ان التجاوز الحقيقي والتاريخي لمأزق المقاومة رهن بنمو حركة التحرر الوطني العربية ، لتصبح المقاومة جزءا من حركة الجماهير العربية الواسعة والعريضة والتي هي قادرة على امتلاك العمق البشري والجغرافي الذي يمكنها من الانتصار .

٢ – ان حركة المقاومة ستبقى في وضع صعب ما دامت حركة التحرر الوطني العربية في حدودها الراهنة . ان حركة التحرر الوطني العربية القائمة تعطي للمقاومة دعما عاطفيا ومعنويا ودعما ماديا محدودا . ولكن تأمين ذلك ليس قادرا على تأمين الانتصار . كذلك فان عجز حركة التحرر الوطني العربية القائمة عن التصدي للعدو الامبريالي الصهيوني الرجعي بالعنف والقتال وحرب التحرير الشعبية ، وبالتالي تفكيرها امام هذا العجز بتسوية سياسية للمشكلة يهدد ثورة الشعب الفلسطيني لتحرير ارضه ويعقد الوضع بالنسبة للثورة ويزيد من متاعبها ومشكلاتها .

٣ – ان حركة التحرر الوطني العربية القائمة لم تعد قادرة على متابعة الثورة الوطنية الديمقراطية وتحقيق شروطها ، وبالتالي فان هذه الحركة بحاجة الى تثوير جذري او تأسيس جديد يجعلها قادرة على متابعة المسيرة وتحقيق مهمات مرحلة التحرر الوطني وعلى رأسها مهمة حرب التحرير الشعبية المستهدفة اقتلاع الامبريالية والصهيونية واسرائيل والرجعية من وطننا من الجذور . ان مثل هذه الحركة هي التي تعبىء الملايين بحيث تصبح حركة المقاومة مستندة الى هذا الزخم الثوري والى القوى البشرية التي تمكنها من الصمود والاستمرار والى المدى الجغرافي الذي يمكنها من حرية الحركة والمناورة رغم كل الصعوبات .

٤ – ان تثوير حركة التحرر الوطني العربية وتأسيسها من جديد عملية تاريخية كبيرة ليس هنا مجال الحديث عنها . وانما اساسها تغيير جذري في بنية هذه الحركة الايديولوجية والطبقية واسلوب مواجهتها للعدو القومي والطبقي .

ان قيادة حركة التحرر الوطني العربية اساسها حزب بروليتاري يعبىء الطبقة العاملة لتقود تحالف طبقة العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة ، من خلال جبهة وطنية عريضة ، تعبىء كل جماهير الثورة على ضوء برنامج سياسي مستمد من الدراسة العلمية للواقع السياسي والاقتصادي والاجتماعي القطري ، متجهة نحو الالتحام بحركة جماهير الامة العربية ، تعتمد العنف الثوري والقتال – استراتيجية حرب التحرير الشعبية – في حسمها لمعركتها ضد الامبريالية والصهيونية واسرائيل والرجعية وكافة القوى المعرقلة لممارسة هذا البرنامج .

٥ – ان حركة المقاومة من خلال تصحيح اوضاعها الذاتية تصبح احد العوامل المولدة لمثل هذه الحركة . وفي الوقت الذي لا تستطيع حركة المقاومة ان تنوب عن حركة التحرر الوطني العربية او تعتبر نفسها مسؤولة مسؤولية مباشرة عن تثويرها او تأسيسها الا انه من حقها وواجبها ان تطمح الى تسهيل ولادة مثل هذه الحركة والالتحام معها في حالة نشوئها تجسيدا لمبدأ وحدة اداة الثورة العربية ، ثورة الامة الواحدة .

تحالفات المرحلة الجديدة

١ – ان لوحة الوضع الجديد التي قدمها هـذا العرض تحدد طبيعة علاقات حركة المقاومة بشكل واضح . انها تخوض معركتها ضد اسرائيل والنظام الرجعي في الاردن والامبريالية التي تسندهما وتخوض من خلالهما معركتها ضد حركة المقاومة وما يمكـن ان تمثله ، وحركة المقاومة في هـذه المعركة تستند الى جماهير الثورة الفلسطينية وجماهير الثورة العربية والى كافة القوى الثورية على الصعيد العالمي التي تؤيد حركة المقاومة في معركتها حتى التحرير .

٢ – تبقى هناك طبيعة علاقة حركة المقاومة مع الانظمة العربيـة المتجهة نحو التسوية السياسية ومع الاتحاد السوفييتي الذي يؤيد هذا التوجه . وبطبيعة الحال القوى الفلسطينية والعربية المتأثرة بسياسة هذه القوى .

٣ – ان هذه الانظمة ومعها الاتحاد السوفياتي والقوى التابعة لا تريد سحق المقاومة ، بل هي تعارض هذا السحق علـى يد الرجعية واسرائيل والامبريالية ، ولكنها في الوقت نفسه تريد ترويض حركة المقاومة واستعمالها اداة فـي مشروع التسوية تضغط بها على اسرائيل حتى تقبل بالتسوية السياسية وفق قرار مجلس الامن ، ولتقيم كذلك بواسطتها مشروع الدولة الفلسطينية الذي يعفيها من تعهداتها المتكررة تجاه حقوق شعب فلسطين . وواضح ما يعنيه ذلك من خطر كبير بالنسبة للقضية ولحركة المقاومة كثورة تستهدف التحرير .. فكيف تكون العلاقة بين حركة المقاومة وهذه القوى ؟؟

٤ – ان التسوية السياسية رغم النوايا الحادة جدا باتجاهها ، ورغم القـوى الكبيرة التي تسعى لتنفيذها ، الا ان طبيعـة التناقض بـين اسرائيل ومطامحها في الارض التي احتلتها من ناحية وفي حرية التعامل الاقتصادي مع المنطقة بعد التسوية من ناحية ثانية ... ان التناقض بين اسرائيل والانظمة الوطنية يبقى تناقضا قائما لا يمكن حله بسهولة وسرعة . وبالتالي ستكون هناك فترة زمنية بين معركة تصفية حركة المقاومة التي تحرص الرجعية الاردنية ان تتم باسرع وقت ممكن وبين تصفية القضية التي تتطلب شيئا من الوقت ، بحكم التناقض بين الصيغة الاسرائيليـة الامبريالية والصيغة السوفييتية المصرية للتسوية . وبالتالي فان المقاومة تستطيع ان تستفيد تكتيكيا من هذه الفترة بحيث تحصر معركتها ضد اسرائيل والنظام الرجعي في الاردن مستهدفة تحقيق نمط من التحالف يمكن ان يفيدها في معركتها المصيرية ضد اسرائيل والرجعية الاردنية .

ان المقاومة تقع في خطأ اذا دمجت معركتها ضد اسرائيل والرجعية مع معركتها ضد كل القوى التي تستهدف التسوية السياسية .

٥ – ان تحالف حركة المقاومة مع هذه القوى قد لا ينتج عنه اكثر من عملية تهادن مؤقتة ، ومع ذلك تبقى حركة المقاومة في مواجهتها لهذا الوضع الصعب بحاجة ماسة الى مثل هذا التهادن .

٦ – حتى هذا الحد من التحالف لا يتوقف على حركة المقاومة وحدها . اذ ان هذه القوى، لجدية توجهها نحو التسوية، بقطعالنظر عن صعوبتها، ستسعى لتهيئة كل الظروف الملائمة لها ، وبالتالي قد تتخـذ هي مبادرات لاحتواء حركة المقاومة ضمن مخططاتها عن طريق تقوية يمين حركة المقاومة ودفعه لعملية توحيد كافة قوى المقاومة بقيادتها ، وفي هذه الحالة ستكون القوى الثورية مضطرة لتعارض بكل قوة مثل هذه المخططات . كما ان موضوع التسوية السياسية قد يبرز بين فترة واخرى كمشروع قريب التنفيذ او يبدأ في تنفيـذه فعلا ، وهنا ايضا لا تستطيـع حركة المقاومة الا مواجهة كافة قوى الحل السلمي ومن ضمنها الانظمة الراضية بالتسوية السياسية .

٨ – ان طبيعة علاقة حركة المقاومة مع هـذه القوى ستكون متحركة وليست ثابتة . وعلى حركة المقاومة ان تحدد هذه العلاقة بما يخدم تكتيكها واستراتيجيتها في نفس الوقت .

ان حركة المقاومة مطالبة بالسعي للتحالف مع هـذه القوى ولا تلجأ لمجابهتها الا دفاعا عن قضيتها وحرية حركتها السياسية والعسكرية ، شرط الا يكـون هذا التحالف ايضا على حساب علاقة المقاومة مع حركة التحرر الوطني العربيـة الاكثر ثورية وجذرية من هذه الانظمة . كما ان هذا التحالف في الوقت الذي يقيد عملية التحريض والتشهير بعجز هذه الانظمة الا انه لا يجوز ان يقيد عملية التحليل الثوري لقضايا المعركة بحيث تكون طريق الثورة واستراتيجيتها واضحة كل الوضوح امام الجماهير .

المقاومة في فلسطين المحتلة

١ – ان المعركة ضد اسرائيل وضد النظـام الرجعي في الاردن هي معركـة واحدة . جماهير شعبنا في فلسطين المحتلة تقاتل ضد اسرائيل وجماهير شعبنا في الاردن تقاتل ضد النظام الرجعي .

٢ – ان قتال المقاومة ضد اسرائيل وزيـادة فعاليته وارسائه علـى مقومات تاريخية مضمونة هو تعزيز لحركة المقاومـة في معركتها ضد الرجعية الاردنية وتعزيز لها في كافة معاركها السياسية الاخرى .

٣ – ان استمرار القتال ضد اسرائيل والعمل الجاد علـى زيادة فعالية هذا القتال يكتسب اهمية خاصة في هذه الفترة بالذات ، اذ انه يبقي بشكل واضحعلى الطابع الوطني للثورة مما يكسب حركة المقاومة التأييد العام من قبل اوسع قطاعات الجماهير العربية . ومثل هذا التأييد الواسع يفيد حركة المقاومة في كافة معاركها الاخرى .. في الاردن والساحة العربية بشكل عام .

٤ – ان قيادات حركة المقاومة المركزية المتواجدة خارج فلسطين المحتلة يجب ان تحذر كي لا يؤدي وجودها خارج الارض المحتلة الى عـدم تفاعلها الكافي مـع

نضالات الجماهير في المنطقة المحتلة . فبالقدر الذي تنشد فيه هذه القيادات الان الى المعركة ضد النظام العميل في الاردن يجب ان تبقى مشدودة كذلك الى واجبها كقيادة لثورة مليون او يزيد من ابناء شعبنا تحت الاحتلال الاسرائيلي . ان هذه الجماهير لا تستطيع ان تسهم بشكل مباشر في المعركة المصيرية الان بين المقاومة والنظام الرجعي في الاردن ، وبالتالي فان مهمتها تبقى مقاومة العدو الاسرائيلي واسناد المقاومة في معركتها ضد نظام الاردن من خلال نضالاتها ضد اسرائيل .

٥ — ان نقل المقاومة في فلسطين المحتلة الى مستوى اعلى يحقق متطلبات المرحلة الجديدة يتطلب فهما كاملا لمخططات اسرائيل في مواجهة المقاومة في الارض المحتلة اولا ، كما يتطلب وقفة مراجعة ونقد لتجربة المقاومة في فلسطين المحتلة ثانيا ، وعلى ضوء ذلك يتم رسم خطوط العمل للمرحلة الجديدة ثالثا .

٦ — ان النقطة المركزية في المخطط الاسرائيلي لمواجهة المقاومة في الارض المحتلة تستند الى خلق ظروف حياتية عادية بالنسبة لغالبية الجماهير بحيث يتوجه الناس نحو قضايا حياتها اليومية ، وتنحصر المقاومة كقوة طلائعية معزولة عن جماهيرها تستطيع اجهزة المخابرات والقمع ان تتولى معالجتها . ومن هنا تأتي سياسة الجسور المفتوحة وتشغيل الايدي العاملة ، وكافة السياسات المتنوعة بهذا الاتجاه والتي يستفيد منها الاقتصاد الاسرائيلي من ناحية ، وتخدم سياسة اسرائيل في اجهاض المقاومة من ناحية ثانية .

ان قيادات حركة المقاومة مطالبة بمتابعة كل المخططات الاسرائيلية هذه وفهمها وفهم اهدافها ومراميها ... فالثورة علم . اذ على ضوء ذلك تستطيع حركة المقاومة ان تقود الجماهير .

٧ — ان النقطة المركزية في عملية التقييم والنقد للمقاومة في الداخل انها بشكل عام اتخذت الطابع العسكري وبشكل بدائي .. اعداد مجموعات وتجهيزها حتى تقوم بضربات عسكرية .

٨ — ان تطبيق الخطوط الرئيسية الاربعة الواردة في هذا البرنامج : بناء الحزب ، الجبهة الوطنية ، التعبئة الجماهيرية ، ممارسة العنف ، وبالمضامين الواردة هو طريقنا نحو مستوى اعلى لحربنا ضد العدو الاسرائيلي يتناسب مع طبيعة المرحلة .

ان شعبنا يجب ان يتجه نحو تأسيس التنظيم الثوري الذي يقف امام العدو ومخططاته ، ويقف امام واقع جماهير شعبنا ، ويستخرج البرنامج السياسي والعسكري الملائم ، ليتجه على ضوئه في عملية تعبئة وحشد للجماهير المضطهدة المظلومة المستغلة التي يجب ان تقف لتتسلم قضيتها بيدها وتبدأ نضالا تاريخيا طويلا شاقا واعيا ، اساسه العنف الثوري ضد العدو الذي يحتل ارضها ويستغل خيراتها وثمرات عملها .

من خلال هذه الترجمة التفصيلية للخطوط الرئيسية الاربعة الواردة في هذا البرنامج ينتقل عملنا في الداخل من مستواه القائم الان الى مستوى العمل الثوري التاريخي .

معركة المقاومة ضد النظام الرجعي العميل في الاردن

١ — لقد حسمت الاحداث حسما قاطعا موضوع العلاقة بين حركة المقاومة والنظام الرجعي في الاردن . وقد دفعت المقاومة ثمن خطأها الكبير في ترددها وتذبذبها وميوعتها تجاه هذا الموضوع . والمطلوب الان ان تحسم حركة المقاومة ، او الفصائل الثورية منها ، هذا الموضوع ، وبشكل قاطع وعميق ، وليس بشكل ردود افعال مؤقتة يمكن ان تجهضها مناورات الحكم وخبراته الطويلة في اجهاض حركة الجماهير .

٢ — ان ترجمة الحسم القاطع والجذري تكون اولا بعملية النقد العلنية الواضحة لموقف المقاومة السابق ، وبالايمان العميق العلمي باستحالة التعايش بين الثورة والنظام الرجعي ، وبالاعلان جماهيريا عن هذا الايمان ، والانتقال من موقع الدفاع والمهادنة والتذبذب الى موقف الهجوم والوضوح بهدف اسقاط هذا النظام وعن طريق العنف الثوري باعتباره الاسلوب الوحيد القادر على انجاز هذه المهمة .

٣ — ضرورة التقييم الدقيق لاهمية معركة المقاومة ضد النظام الرجعي في الاردن باعتبارها المعركة المركزية من معارك المقاومة . فالاردن يرى الثورة هي التي تحول دون تنفيذ مخططات التسوية وبالتالي ترابط معركة الحل السلمي مع هذه المعركة المركزية . كما ان مقاومة الاحتلال الاسرائيلي وتصاعدها واستمرارها واضحة الارتباط بهذه المعركة المركزية .

وكما ان معركة المقاومة ضد النظام الرجعي في الاردن هي المعركة المركزية كذلك فان بقاء المقاومة وظاهرة الكفاح المسلح في الاردن هي العمود الفقري المركزي لبقاء كافة فروع المقاومة خارج الاردن ، ولبقاء ظاهرة الكفاح المسلح مولدا لحركة التحرر الوطني العربية الجديدة المتجاوزة كليا لبرامج ما قبل ٥ حزيران وما بعده .
ان مثل هذه النظرة للمعركة ضد النظام الرجعي في الاردن هي التي تولد المواقف السليمة والبرامج السليمة .

٤ — باعتبار ان المعركة اصبحت معركة تستهدف اسقاط النظام وليس انتزاع حقوق التواجد وحرية العمل وتنظيم العلاقات بين النظام والمقاومة ، فان مثل هذه المهمة لا تعود مهمة حركة المقاومة وحدها ، بل انها تصبح من مهمات جماهير هذا النظام ... اي مهمة الحركة الثورية والوطنية الاردنية ، وبالتالي فان الصيغة المتكاملة للاداة التي تقوم بهذه المهمة هي «جبهة وطنية اردنية فلسطينية» تضم القوى الثورية والوطنية الاردنية وكذلك قوى حركة المقاومة التي باتت تعتبر ان اسقاط النظام في الاردن بات من مهماتها المركزية .

٥ — على ضوء ذلك فان البرنامج السياسي لمثل هذه الجبهة لا ينحصر في كون هذا النظام اداة الامبريالية الان لضرب المقاومة وبالتالي ضرورة اسقاطه حماية للثورة ، بل ان البرنامج السياسي لمثل هذه الجبهة يجب ان يقدم للجماهير الاردنية والفلسطينية في الاردن تحليلا لطبيعة هذا النظام وتركيبه الطبقي وكيفية استغلاله

للجماهير ، وكونه العقبة التي تقف في طريق تقدم المجتمع ، بحيث تشعر طبقات الثورة : العمال والفلاحين والبرجوازية الصغيرة وقطاعات من البرجوازية الوطنية. ان ازالة هذا النظام هو الطريق الوحيد للتخلص من فقرها وبؤسها وتخلفها من ناحية ولمواجهة الاضطهاد والخطر الاسرائيلي الامبريالي من جهة اخرى .

٦ – على ضوء واقع الحركة الثورية والوطنية الاردنية فان جهدا نظريا وتنظيميا كبيرا ينتظرنا على هذا الطريق حتى تصبح هذه الحركة قادرة على تعبئة الجماهير في الاردن وبالتالي تشكل قوة اساسية – او بالاحرى القوة الاساسية – في الجبهة الوطنية الاردنية الفلسطينية المستهدفة اسقاط النظام .

٧ – ان معركتنا ضد النظام الرجعي في الاردن تتطلب وقفة خاصة امام الترجمة الدقيقة والتفصيلية للخطوط الرئيسية الواردة في هذا البرنامج – بناء الحزب ، الجبهة الوطنية ، التعبئة الجماهيرية ، العنف .

والنقطة الرئيسية التي نريد ان نؤكدها هنا انه في الوقت الذي نتجه فيه جديا نحو بناء الحزب والجبهة الوطنية ، والتعبئة الجماهيرية على ضوء البرنامج السياسي المستهدف تعبئة كافة قوى الثورة ، فان ممارسة العنف ضد النظام هو الخط المركزي الذي يمكننا من النجاح لربط هذه الخطوط جميعها. غير ان النظام، على ضوء الفارق الكبير في ميزان القوى القائم الان سيتخذ من ممارسة العنف مستندا للضرب بقسوة وفرض نظام بوليسي اسود رهيب يخنق من خلاله اي تنفس جماهيري ... وهنا يكون سلاحنا الرئيسي الطريقة التي نمارس بها العنف دون ان نسمح للعدو بسحقنا نهائيا ... وقبل كل شيء التصميم والصمود والصبر وكل المواصفات الذاتية المطلوبة لمعركة قاسية من هذا النوع .

٨ – وامام العمل الثوري والصمود الحقيقي في وجه موجة الارهاب الاسود القادمة على الاردن بكل عنف وبكل شراسة ، فان المعركة ستواجه بعد ذلك خطرا من نوع اخر .. وهو قيام النظام – الخبير جدا بالمناورات – بمناورة من نوع تشكيل حكومة وطنية شكلية يكون هدفها تمييع المعركة وشق صفوفها وشق الحالة الجماهيرية الملتفة حولها .

٩ – ان الموقف والبرنامج الذي نضعه للمؤسسة العسكرية في الاردن وكيفية التعاطي معها وربح قطاعات منها لمعسكر الثورة يشكل عاملا اساسيا في تقرير مصير المعركة . كذلك مدى نجاحنا في معالجة موضوع البدو والريف الاردني .

١٠ – اننا ندرك من الان ان اسقاط النظام في الاردن يحتم علينا التنبه لاحتمالات الموقف الاميركي والاسرائيلي . وعلى عملنا الثوري ان يستهدف انضاج الظروف الموضوعية التي من خلالها يتوحد العمل الثوري العربي ويكتسب مقوماته التاريخية . كذلك فان الثورة عندما تصل الى الحد الذي تكون قادرة فيه على اسقاط النظام العميل ، فانها تكون دون شك قادرة على الاستمرار في معركة التحرير في ظل الظروف الجديدة .

معركة المقاومة ضد مشاريع الحل السلمي والدولة الفلسطينية والمخططات الموضوعة لتصبح حركة المقاومة جزءا من هذه العملية المؤامرة

١ – ان خطر تصفية القضية قائم بطبيعة الحال منذ حزيران ١٩٦٧ اذ انه نتيجة محتملة للهزيمة العسكرية الكبيرة التي منيت بها الانظمة العربية في تلك الحرب . كما اتضح هذا الخطر بشكل اوضح منذ قرار مجلس الامن في تشرين ١٩٦٧ وموافقة ج.ع.م عليه . غير ان خطر تصفية القضية في هذه المرحلة اوضح واقرب للتنفيذ .. وذلك على ضوء حالة الضعف التي تعيشها حركة المقاومة منذ ايلول ١٩٧٠ اولا ، اذ كانت حركة المقاومة قبل ذلك التاريخ تشكل عقبة في طريق التسوية السياسية ، وعلى ضوء التغييرات التي شهدتها الانظمة الوطنية ، ثم على ضوء تمركز الجهود الدولية – والاميركية بشكل خاص – لتمرير التسوية مستفيدة من هذه الظروف حيث تدرك الامبريالية الاميركية – كما صرحت رسميا بذلك اكثر من مرة – بان هذه هي انسب فترة لايجاد تسوية سياسية نهائية للنزاع العربي الاسرائيلي .

٢ – رغم اقتراب خطر الحلول السلمية عما كان عليه قبل فترة من الوقت ، الا انه ما زالت هناك عراقيل تعترض بداية التطبيق الفعلي للتسوية. هذه العراقيل تتمثل في الموقف الاسرائيلي من ناحية ، وطبيعة التناقض بين القضايا الحيوية بالنسبة لاسرائيل والقضايا الحيوية بالنسبة للانظمة الوطنية بما فيها يمين هذه الانظمة من ناحية ثانية ، كذلك التناقض بين الصيغة الاميركية والصيغة السوفييتية للتسوية من ناحية ثالثة .

٣ – موقف المقاومة على ضوء مجمل هذه الصورة يجب ان يستهدف الافادة تكتيكيا من هذه الظروف المعيقة لتنفيذ الحل السلمي في المعركة ضد اسرائيل والنظام الرجعي في الاردن ومحاولة حصر المعركة مع معسكر الخصم الرئيسي بقدر الامكان . ولكن في الوقت نفسه التنبه اليقظ لقرب الحلول الاستسلامية ورسم خطوط مواجهتها وبداية ممارستها من الان .

٤ – ان حركة المقاومة مطالبة الان :

أ – بالوقوف بحزم في وجه كل محاولة لاحتواء حركة المقاومة واستعمالها اداة في مشروعات الحل السلمي والدولة الفلسطينية .

ب – بفضح وتعرية وعزل كافة العناصر او القوى ضمن صفوف المقاومة التي تريد ان تتخذ من الوضع الصعب فرصة لدفع حركة المقاومة في طريق الاستسلام ، او التي اذهلتها صعوبة الوضع الجديد فبدأت تفكر بالاستسلام بدلا من ان تفكر بالبرامج التي تجعل حركة المقاومة قادرة على البقاء رغم كل الصعوبات.

ج – بالتعبئة الجماهيرية المتصلة ضد الحلول التصفوية ومشروع الدولة

الفلسطينية بحيث تقترن هذه الحلول والمشاريع في اذهان الجماهير بالخيانة السافرة .

د – بالسعي لتشكيل اوسع جبهة وطنية عربية تسند حركة المقاومة وحقها في البقاء حتى التحرير .

واخيرا فان النقطة المركزية في مخطط حركة المقاومة لاحباط الحلول الاستسلامية هي بقاؤها فاعلة عسكريا وسياسيا في المنطقة المحتلة وفي الاردن . اذ انه لن يكون هناك تسوية سياسية مع الاردن – الثورة ، كما ان بقاء **المقاومة فاعلة في المناطق المحتلة باسرها يجعل اسرائيل لا ترى فائدة كبيرة لها من تسوية.**

٥ – ان صعوبة معركة الحل السلمي بالنسبة لحركة المقاومة ، والجبهة العريضة من القوى الساعية باتجاه الحل السلمي وفرضه على الشعب الفلسطيني والعربي ، وحالة الضعف التي تعيشها حركة التحرر الوطني العربية في هذه الفترة .. كل ذلك يجب ان يعني بالنسبة لحركة المقاومة وضع المخططات التي تحاول بكل جدية احباط هذه المؤامرات وبقاء حركة المقاومةرغم كل هذه المشروعات والقوى التي تسندها ، ولا يجوز بأي شكل من الاشكال ان تعني تسليما مسبقا بان الحلول الاستسلامية قادمة ولا فائدة من مقاومتها .

ان نظرتنا لمعركة التحرير يجب ان تكون نظرة تاريخية بعيدة المدى ، وعلى هذا الاساس فان نضال شعبنا نضال متصل باتجاه التحرير يحارب كل مؤامرة على قضيته اذ انه من خلال النضال المتصل تبقى قضية التحرير قائمة وتبقى المسيرة باتجاهها قائمة تحت كل الظروف . كذلك يجب محاربة كل نفس برجوازي صغير في رؤية المرحلة القائمة الصعبة ، الذي يحاول ان يصور بان الحل السلمي قادم وان كل شيء قد انتهى .

المهم تاريخيا ان تبقى مقاومة الشعب الفلسطيني المسلحة قائمة ومتصلة ضد اعدائه ، المهم ان تبقى في غزة وفي الضفة الغربية ومنطقة ٤٨ ، وفي الاردن ثورة تحمل السلاح سواء كان هذا السلاح في غزة موجها ضد الاحتلال الاسرائيلي ، او ضد اية سلطة خائنة اخرى ، فلسطينية كانت او اردنية ، يمكن ان تتسلط على الجماهير نتيجة مؤامرات التصفية .

انه من خلال هذا الموقف تبقى حركة المقاومة قائدة للجماهير .

ان ميزان القوى في معارك الشعوب التحررية يحدد تكتيك المعركة ولكنه لا يطرح اي سؤال حول خوض المعركة او عدم خوضها .

المقاومة خارج الارض المحتلة
وخارج الاردن

١ – ان الظروف الموضوعية الجديدة والمرحلة الجديدة التي ورد الحديث عنها حتى الان لا يمكن ان تبقى بدون انعكاسات على حركة المقاومة خارج فلسطين

والاردن ، ولا يجوز بالمقابل الا تترجم نفسها في مخططات جديدة بالنسبة للمقاومة .

٢ – من الطبيعي ان يكون مخطط الامبريالية القضاء على كل تفرعات حركة المقاومة ، والافادة التامة من هذه الظروف الصعبة ، حتى لا تكون هذه التفرعات منبتا لعودة المقاومة القوية في فلسطين والاردن ، وحتى لا تبقى هذه الفروع كذلك تشكل املا ولو ضعيفا للجماهير ودليلا على بقاء الثورة .

٣ – على حركة المقاومة ان تتوقع مخططا يستهدف ضربها في لبنان وانهائها في هذه الساحة . وعلى حركة المقاومة في لبنان ان تراقب الوضع بكل يقظة ، وان تستفيد كثيرا من تجربة المقاومة في الاردن ، وان تعيد بناء نفسها على ضوء هذا البرنامج ، وان تضع خطة المواجهة الواضحة التي تتحرك على اساسها دفاعا عن بقائها . وبقدر ما يجب ان تحرص المقاومة في لبنان على تجنب الصدام مع السلطة وفتح جبهة جديدة امام حركة المقاومة في هذه الفترة الصعبة . يجب ان تحرص كذلك على اتخاذ كافة الاجراءات التنظيمية والمواقف السياسية التي تضمن لها البقاء والصمود في وجه اي مخطط لضربها .

ان واجب فروع حركة المقاومة خارج فلسطين والاردن يتجاوز مخططات البقاء والدفاع عن النفس ، ان واجب هذه الفروع ان تضع المخططات التي تضمن بلورة ثوريتها ، والافادة من دروس المسيرة السابقة ، وزيادة فعاليتها وقوتها ، والتعويض النسبي عن الخسائر التي لحقت بجسم المقاومة في الفترة الاخيرة والاسناد الفعلي لحركة الجماهير الفلسطينية المركزية في فلسطين المحتلة والاردن.

حركة التاريخ واضحة
والنتيجة الحتمية لنضال جماهيرنا هي النصر

المقدم الهيثم الايوبي

وقفة نقدية امام المقاومة
قبل احداث ايلول وخلالها وبعدها

«ان افضل كتاب ، كتابنا الحقيقي في تعلم مادة الثورة ، هو التطور الثوري نفسه »
(فيديل كاسترو)

الحركة الثورية كائن حي ، خاضع لقوانين الحياة ونواميسها ، يولد عندما تتوفر ظروف ولادته ، وينمو ويزدهر وسط الشروط الملائمة للنمو والازدهار ، ويموت عندما يعاند قوانين الطبيعة والحياة . ولا تمتاز الثورة عن الفترات التاريخية التي تعيشها الشعوب الابديناميكية حركتها الداخلية ، وشدة تفاعلها مع ما حولها ، وارتفاع حرارتها التي تزيد سرعة نموها وتطور احداثها ، كما تزيد احتمالات وفاتها ايضا ... والثوريون بشر ككل البشر ، صحيح انهم بشر طليعيون ، يرون آفاق الامور بشكل اوضح ، ويحملون على عاتقهم مهمات تاريخية جسيمة ، ويضحون بكل شيء في سبيل دفع العجلة للسير بأقصى سرعة ممكنة. ولكنهم يبقون مع هذا بشر ، يعملون ضمن حدود امكاناتهم ، وطبيعة تكوينهم ، والظروف الداخلية والخارجية التي تمر بها البلاد ، وموازين القوى الاجتماعية الحقيقي ، وتاريخ طبقتهم الثوري واستعدادها القتالي . وهم يصيبون في عملهم ويخطئون . ويرتفعون بأعمالهم الى مستوى الاعمال الخارقة ، ولكنهم لا يجترحون المعجزات ولا ينقلبون ـ كما يتصورهم الاخرون ـ الى ملائكة ، فالملائكة لا يثورون، وان ثاروا فاننا لم نعلم بأخبار ثورتهم حتى الان .

ويعتبر تجريد الحركة الثورية من قدسيتها المزعومة ، والنظر اليها كعمل من اعمال البشر ، امر على غاية من الاهمية بالنسبة لكل من يود تقييم مرحلة من مراحلها ، والوقوف امامها وقفة نقدية جادة، تختلف في مضمونها ودوافعها عن

وقفات وصفي التل وشركاه ، والتي لم تخرج علينا الا ببولولات محمومة، وعنتريات لم نسمع بها عندما جاءت سرايا الجيش الاسرائيلي لاستلام الضفة الغربية بعد ان جردها الحكم الاردني من السلاح ، وأحاديث ديماغوجية استغلت «كرامة الضباط والجنود» ، و«أمن البلد» ، و«حرمة المساجد» ، و«رفـــع الاعلام الحمراء» ، و«الالبسة المرقطة»... الخ لتحيك دعاية مضادة، تلقفها كثير من البسطاء ـ وليس البسطاء بالضرورة من افراد الشعب العاديين ـ ورددوها ببغائية مضحكة تثير الشفقة .

صحيح ان اخطاء المقاومة كثيرة يعرفها كل من عاش التجربة بكل دقائقها المتشابكة ، عرف الحقيقة بكل نبضها الحي . وهي في الحقيقة اكثر مما يتصوره اولئك الذين تابعوا مسيرة المقاومة عن طريق تصيد الاخبار وقراءة البلاغات ، او حتى قراءة تقارير الاستخبارات . ولكن كثرة العثرات لا تعني ان علينا ان نخلط بين الخطأ والخطيئة . بين الخطأ الذي وقع ، وكان من الطبيعي ان يقع ، والخطيئة التي كان من المفروض ان لا تقع . لذا فانني سأتحدث من موقـع «النقد والبناء» عن العثرات الاستراتيجية والمبدئية التي وقعت بها المقاومـــة ـ او بالاحرى قياداتها ـ ، دون التعرض للاخطاء العادية المنبعثة من ظروف نشأة المقاومـــة وتكوينها ، وظروف الجماهير التي شاركت بها .

واذا تابعنا حملة الدعاية المضللة التي شنها وصفي التل وشركاه ، وكافـــة المرتلين في الجوقة البورجوازية، لوجدنا انها تتركز كلها على تجسيم اخطاء ارتكبتها جماهير عاشت منذ النكبة الاولى في جو غير صحي ، فلم تنضج سياسيا ، ولـم تنتظم بتنظيمات عصرية على مستوى المجابهة ، ولـــم تتح لها فرص التدريب العسكري (باستثناء جماهير غزة) ، ولم تتح لكوادرها فرصة الاعداد التقنـــي والسياسي اللازمين لقيادة حركة ذات أبعاد تاريخية كبيرة ، وحرمتها طبيعـــة الاحتلال الاسرائيلي وطبيعة الاوضاع العربية التي تلت عام ١٩٤٨ من العيش في بوتقة النضال السياسي والعسكري ، والتمرس بهما ، وتحقيق تراكم الخبرات النضالية والثورية التي عرفت ذروتين اساسيتين في ثورة ١٩٣٦ واحداث ١٩٤٨ . وبعد عشرين عاما من الاهمال ، والتجاهل ، والنسيان ، والكبح الذي وصل في بعض الاحيان الى درجة القهر ، وجدت هذه الجماهير نفسها فجـــأة ، وقبل اي اعداد تنظيمي وعسكري وايديولوجي كاف ، محط انظار الامة العربية ، ومعقد آمالها ومركز اهتماماتها الاعلامية وغير الاعلامية . فكان من الطبيعي ان يصيبهـــا شيء من الزهو ، وأن يؤدي احساسها المفاجىء بأهميتها الى دوار انعكس علـــى شكل اخطاء فردية ، وتجاوزات ، ومبالغات ... واذا سمحنا لانفسنا باستعارة تعبير تروتسكي كان بوسعنا ان نقول بأن هذه الاخطاء لم تكن «سوى ازمة مـــن ازمات النمو» (١) التي اعتبرها بعض المغرضين او المتشائمين مرضا عضالا لا شفاء

(١) تروتسكي «كتابات عسكرية» كيف تسلحت الثورة ، ص ٥٩ من الطبعة الفرنسية .

منه ، مع انها شيء اخر مخالف لذلك .

وعندما كنا نطرح هذه الافكار ، ونطالب بعدم النظر الى هذه الاخطاء بصورة تراجيدية ، واعتبارها اخطاء محتومة عضوية لا بد من علاجها ، كان البعض يعتبرون قولنا نوعا من «التبريرية» المرفوضة ، ويؤكدون بأن حمل الجماهير للكلاشينكوف يعني ان من الممكن تبديلها بلمسة عصا سحرية .... وكانت رغبتهم في حد ذاتها رغبة طيبة ، ولكنهم لم يكونوا يملكون ويا للاسف تلك العصا ! وهكذا كان على المقاومة ان تمر بتجربتها الخاصة . صحيح انها عملت كل ما بوسعها للاستفادة من التجارب والخبرات التي دفعت الشعوب الاخرى ثمنها من دمائها . ولكنه كان عليها ان تدفع الكثير من دمائها ثمنا لتجربتها ، ولنضجها السياسي ، وتمرسها القتالي ، في مدرسة النضال نفسها . وهناك مثل قديم يقول : «ممارسة الحدادة تجعل المرء حدادا» . ولكن بينما كانت المقاومة تتعلم الحدادة ، وبينما كانت تطرق محراثها لتجعل منه سيفا ، كان الكثيرون ، والكثيرون جدا ، يطرقون سيوفهم ليجعلوا منها محاريث .

وبعد هذا الاستطراد الذي حدد طبيعة الاخطاء التي لن تشملها هذه الوقفة النقدية لا بد لنا من الاشارة الى اننا سنسعى الى استقراء الاحداث لتحديد العثرات المبدئية ، والاستراتيجية ، والعملياتية التي اثرت على تطور المقاومة العام ، وحددت خط سيرها في كثير من المواقف قبل أحداث ايلول ١٩٧٠ ، وخلالها ، وبعدها .

قبل أحداث ايلول :

أ ـ **القيادة البورجوازية** : لقد كانت غالبية جماهير المقاومة ومقاتليها من الطبقات المدنية والريفية المسحوقة المعدمة . وكان من سوء حظ هذه الجماهير ـ وكل الجماهير اللاواعية في العالم ـ ان ظروف جهلها ، وعدم تنظيمها ، وانعدام خبراتها ، ونقص قياداتها وكوادرها الخاصة ، جعلها تختار معظم قياداتها من العناصر البورجوازية (تكوينا وايديولوجية) ، بكل ما تحمله هذه البورجوازية من عقلية توفيقية ، وضيق افق ، وتسلطية فردية ، وتجاهل لحجم دور الجماهير في قيادة المسيرة النضالية . ولقد انعكس وجود القيادة البورجوازية بمظاهر شتى اهمها :

١ ـ اعطاء اهمية مفرطة لكل اوجه نشاط العمل العسكري. وتجاهل التنظيم الحزبي والعمل السياسي اللازمين لاكتساب الفلاحين المعدمين وتأطيرهم . وتفاقم الامور في بعض الحالات الى وجود منظمات شبه عسكرية بحتة ، لا تكتفي باهمال العمل السياسي ، بل تقف منه موقفا عدائيا .

٢ ـ عدم بذل الجهود الملائمة لتوعية جمهرة مقاتلي المقاومة ورجال الميليشيا، وتثقيفهم سياسيا ، رغم ان الظروف الاقتصادية والاجتماعية السائدة ، ونقص

عدد البروليتاريا في البلاد ، جعلت غالبية المناضلين من العناصر الفلاحية وشبه البروليتاريا التي تحسن القتال داخل الارض المحتلة ، وتقدم الضحايا ، ولكنها تحتاج لتثقيف سياسي واسع النطاق .

٣ ـ اهمال الدعاية او تكوين الخلايا الثورية داخل صفوف جيش القمع . والتصرف ازاء هذا الجيش ككتلة متجانسة واحدة لا بد من الصراع ضدها ككل ، او اكتساب بعض ضباطها للقيام بانقلاب عسكري يجسد كل مظاهر المغامرة البورجوازية .

٤ ـ عدم الواقعية ، والمبالغة في تصور قوى الثورة الذاتية ، واستصغار حجم قوى العدو القومي والطبقي ، الامر الذي ادى الى القيام بعمليات داخل الارض المحتلة لا تتناسب مع طبيعة المرحلة او مع ميزان القوى . كما ادى الى عدم الاعداد الكافي لاحباط مشاريع الحسين الرامية الى تصفية المقاومة جسديا ، وبصورة نهائية حاسمة . والتصرف فوق الارض الاردنية بشكل مكشوف لا مبال، وكأنها ارض صديقة ، يسيطر عليها حكم مؤيد ، او ارض يسيطر عليها عدو مهلهل لا يحسب حسابه .

٥ ـ العشائرية التنظيمية بكل مظاهرها .

٦ ـ الفردية والانانية والتعصب للتنظيم . الامر الذي انعكس في اعتقاد كل تنظيم (مهما كان حجمه ، وصغرت فاعليته وجماهيريته) بأنه التنظيم الاوحد المنقذ الطليعي ... الخ ، وأدى الى عرقلة وحدة فصائل المقاومة ـ على اسس جبهوية ـ ولعل من اكبر الاضرار الناجمة عن انعدام وحدة المقاومة ـ التي ساعدت بعض الحكومات العربية على تكريسها ـ هو تعدد المخططات وتشتيت الجهود ، وتكاثر اجهزة (الامن والاعلام والادارة ... الخ) وتضارب نشاطاتها ووقوف كل تنظيم امام مماحكة يومية محتملة ، او تنافس لا يحمل دائما صفة رياضية ، بشكل حرم قيادات التنظيمات من معظم حرية عملها ، وقلص حدود امكاناتها في اختيار اهدافها وتسديد ضرباتها ضد العدوين الاسرائيلي والرجعي ، وأخضع المخططات والتصرفات لحذر مفرط معرقل لا لزوم له ، وما كان ليكون لولا تربص المنظمات لبعضها .

ب ـ **عدم وضوح الرؤيا** : وهو عيب اصاب اغلب القياديين، وجعلهم عاجزين عن تحديد ماهية العدو ، وتشابك المصالح الاسرائيلية ـ الامبريالية ـ الرجعية العربية ، وتبدل هذا التشابك، وتعقده مع تطورات الازمة وزيادة تشابك عواملها. صحيح ان النشرات والكراسات والمجلات كانت تتحدث عن «العدو المثلث» ، ولكن التصرفات كانت لا تتلاءم مع الاقوال . ولا تتطور مع تطور الموقف . فلقد بقيت غالبية القيادات ، وحتى اللحظة الاخيرة ، خاضعة لوهم امكانية التعاون مع الحكم الاردني بكافة مؤسساته رغم تبدل موقف هذا الحكم ، وتصفيته لمعظم العناصر الوطنية الفعالة في الجيش وأجهزة الامن ، واختلاف هدفه الاستراتيجي (الصلح مع العدو على حساب الشعب الفلسطيني) عن هدف المقاومة (الصراع ضد العدو حتى التحرير) ، وانزلاق قواته المسلحة بأسرها من موقع القوة العربية التي يمكن

تعبئتها في اية معركة تحرير مقبلة ، الى قوة تقف في معسكر الثورة المضادة .

وكان أمام هذه القيادات عشرات المناسبات والادلة التي تكشف خط التحول الناجم عن انقلاب الهدف الاستراتيجي (حادثة احتلال غور الصافي ، منع دوريات المقاومة من عبور نهر الاردن وضرب الاهداف الاسرائيلية ، خلق المقاومة الشعبية، تسليح البدو ... الخ) ولكنها كانت تغمض عينيها ، وتعتبر كل هذه الامور رد فعل تقوم به الحكومة الاردنية ضد تغلغل يسار المقاومة ، وامتداد نفوذه بين الجماهير . وتبرر اعتقادها بجمل محفوظة عن ظهر قلب «لقد كان الجيش الاردني في عام ٥٦ وطنيا !» لقد كان انعدام الرؤيا عند البعض يدفعهم الى الاعتقاد بأن عجلة التاريخ توقفت في عام ١٩٥٦ ، ولا تزال واقفة بانتظار قدومهم البطولي . وكان البعض الاخر يقدم امثلة اقرب مأخوذة من مطلع الستينات ، على حين يستند «المستنيرون» في احكامهم الى موقف الجيش في «معركة الكرامة» . حقا ، لقد كان موقف الجيش الاردني في «معركة الكرامة» بطوليا ومشرفا . ولكن ماذا حصل منذ «معركة الكرامة» ؟ وما هي التحولات التي طرأت على الاستراتيجية العليا ، وما هي المخططات التي رسمت في البنتاغون بكل تفصيل بغية صرف هذا الجيش عن موقفه ، وتبديل تكوينه وارتباطاته ومعتقداته نفسها ، حتى يكون أداة صالحة للاستراتيجية الجديدة ؟ ان جيش «الكرامة» لا يشبه في اي حال من الاحوال جيش «غور الصافي» . مع ان الموقف العسكري في الحالتين واحد . انه اغارة معادية تبغي احتلال جزء من ارض الوطن لفترة محدودة ... ولكن ضعف البصر يمنع رؤية الامور الواضحة ، كما ان ضعف الذاكرة التاريخية تجعل المرء ينسى كيف تبدل موقف قوات الكيومينتانغ الوطنية ازاء الجيش الاحمر الصيني، وكيف كانت برقية واحدة من تشرشل كافية لتبديل موقف القوات البريطانية في نهاية عام ١٩٤٤ ، وانقضاضها بقيادة الجنرال سكوبي على عصابات جبهة التحرير الوطني ، وجيش التحرير الوطني في اليونان ، بعد ان كانت خير سند لهما في صراعهما ضد القوات الهتلرية (١) .

ج ـ **فلسطينية المقاومة** : نحن نعرف بأن الخطوة الاولى لتحديد كل استراتيجية هو تحديد هدفها . ولقد قامت المقاومة بهذه الخطوة اذ انها طرحت منذ اندلاعها قبل حزيران ١٩٦٧ ، وفي فترة نموها ومدها بعد حزيران هدفا استراتيجيا اساسيا هو تحرير الارض المغتصبة)، وعبرت كافة المنظمات عن ذلك في شعاراتها (ثورة حتى النصر ، تحرير الارض والانسان ... الخ) وكان من الطبيعي ان تحدد المقاومة بعد ذلك اسلوب تحقيق هذا الهدف ، فاختارت اللجوء الى الحرب طويلة الامد ، واستخدام حرب العصابات (وهي اسلوب دفاعي استراتيجي) بغية استنزاف العدو ، وتعديل ميزان القوى المائل لصالحه، والانتقال

(١) راجع نص البرقية التاريخية التي ارسلها تشرشل ، والتي تشكل ادانة تاريخية لبريطانيا ، في مذكرات تشرشل ص ١٤٤٤ من الترجمة العربية .

بعد ذلك الى الهجوم الذي يدمر البنية العسكرية العنصرية الاسرائيلية ، وكان هذا الاختيار منسجما مع ميزان القوى وطبيعة العدو ، والاساليب الممكنة لمجابهة احتلاله وعدوانه . وكانت الخطوة الثالثة المطلوبة من المقاومة هي تحديد الوسائل اللازمة لتحقيق هذا الهدف . هنا وقعت قيادات المقاومة في خطأ فادح ، عندما اعتقدت بأن **الشعب الفلسطيني يشكل الاداة الملائمة للاستراتيجية الملائمة** . وأن بوسعه الوصول الى اغراضه اذا ما اكتفت الدول العربية بدعمه بالمال والسلاح وأجهزة الاعلام . فالهدف اكبر بكثير من امكانيات الاداة «الفلسطينية» . وضخامة «هدف الرهان» عند الطرفين المتحاربين ، ونسبة قوى وحجم الشعب الفلسطيني الى قوى وحجم رأس الجسر الامبريالي بشعبه «المستورد» المعبأ وامكاناته العسكرية ، لا تسمحان للمقاومة بالدخول في مسابقة الاستنزاف المادي والمعنوي، وتفرضان عليها البحث عن اسلوب افضل لتعديل ميزان القوى . ولم يكن هذا الاسلوب سوى «تعريب المقاومة» . وهذا لا يعني وضع اموال العرب ، واسلحتهم، واذاعاتهم في خدمة رجال المقاومة الفلسطينية ، **بل وضع الامة العربية بكل امكاناتها البشرية ، والاقتصادية والمعنوية ، ودعم اصدقائها وحلفائها ، في مجابهة مباشرة مع رأس الجسر الامبريالي، والامبريالية نفسها.** بهذا الشكل كان من الممكن تبديل ميزان القوى عبر حرب طويلة تستنزف العدو ، وبهذا الشكل كان من الممكن خلق **القوة الملائمة للهدف الملائم** ، اما الاصرار على تنفيذ هدف كبير بقوى صغيرة فهو «عناد استراتيجي لاعقلاني» يعني ان قيادة المقاومة فشلت في **حل التناقض القائم بين الذاتي والموضوعي** . وقد يؤدي هذا العناد الى الاشتباك ببعض الملاحم، وتسطير عدد من البطولات ، ولكنه عاجز عن صنع التاريخ .

خلال أحداث ايلول

من المؤكد ان كل ما ذكرناه عن عثرات المقاومة قبل أحداث ايلول جر نفسه بشكل او بآخر على الاحداث نفسها ، وصبغها بصبغة خاصة . وأن من المتعذر تحديد الحدود الزمانية والمكانية لضرر ناجم عن خطأ ما . ولكن نظرة تحليلية على سير الاحداث تؤكد حقيقة لا جدال فيها هي : ان عجز المقاومة خلال فترة الازمة التي سبقت الاحداث عن اتخاذ قرار حاسم، وتحديد موقف موحد من السلطة الاردنية ككل ، شل ديناميكية المقاومة ، وأعطى المبادهة للخصم الذي بدأ الضربة في الزمان والمكان الملائمين له .

ولقد كانت قيادة المقاومة تنتظر ضربة ما ، فماذا كان ردها ؟ هل لجأت الى الهجوم ؟ هل اخذت المبادهة ، هل سددت ضربات مفاجئة قاتلة نحو رؤوس اجهزة القمع ، وعقد الحياة الاقتصادية في البلاد ؟ هل قررت اسقاط السلطة ، وشنت انتفاضة مسلحة مفاجئة ، تشترك فيها الجماهير والمقاومة والميليشيا ؟ كلا . لقد كان كل ما فعلته هو زيادة التعزيزات والتدابير ذات الطابع الدفاعي البحت .

ويبرر البعض الامر بأن القيادات لم تكن تتوقع حجم الضربة ، ولم تكن

تعتقد بأن الحسين يجرؤ على تصفية المقاومة كليا وسط المناخ العربي العام . وأن المقاومة «قدس الاقداس» الذي لا يجرؤ قائد عسكري عربي على ضربه ، وان تجرأ خالف الجنود اوامره (!) ولكن رسم الخطط العسكرية المصيرية واعداد المعارك التي ترسم منعطفات التاريخ لا يتم بناء على توقعات واعتقادات وآمال ، بل على معلومات تكاد تقارب الحقيقة الملموسة ، وأقول تكاد تقارب الحقيقة لان معرفة نوايا الخصم امر متعذر ، ولكن توقع الاسوأ ، ووضع كافة الفرضيات والاحتمالات، ورسم الخطط المتعددة المتباينة لمجابهتها ، هي الاسلوب الوحيد لاعداد الصدام المسلح . ان الاشتباك مع العدو امر جاد، يتطلب تفكيرا جادا، مستندا الى معلومات جادة . انه لا يشبه لعبة الشطرنج التي يمكننا ان نشارك بها في كل وقت فاذا ربحنا لم نربح شيئا ، وانخسرنا كان بوسعنا القول : سنربح في المرة القادمة . **ان خسارة الاشتباك تعني اننا خسرنا كثيرا ، وربحه يعني قطع شوط بعيد على طريق تدمير العدو .**

وهناك تبرير اخر يقول : بأن ميزان القوى لم يكن يسمح بمثل هذه الخطوة، وأن ظروف اسقاط السلطة لم تكن متوفرة ، وأن «الصبر الثوري» يتطلب الانتظار والتحمل وضبط النفس والابتعاد عن اية مغامرة يسارية ، ريثما تنضج الظروف التي لم يكونوا يعملون سياسيا على انضاجها بشكل جدي دؤوب .

ولكن مثل هذا التبرير المتسم ـظاهرياـ بالحكمة والرزانة ، فقد كل معناه عندما شنت مشاة الجيش ودباباته ومدفعيته هجومها المفاجىء على مراكز المقاومة، والمخيمات ، والاحياء السكنية . لقد اطلق البورجوازيون الرصاصة الاولى وزجّوا في المعركة كل اسلحتهم ـ باستثناء الطيران ـ منذ اليوم الاول ، ونزلت الجماهير والمقاومة الى الشارع لمجابهة الغزو البربري . وسجل المقاتلون ورجال الميليشيا اروع البطولات في دوّار مكسيم ، وشارع بارتو ، وحي المصاروة... الخ. ولكنها كانت كلها بطولات دفاعية ، ضمن افق تكتيكي بحت . وكان على قيادات المقاومة ان تحسم امرها وتقرر السير في المعركة الى حدودها القصوى ـ اي الى اسقاط السلطة ـ وأن لا تكتفي باتخاذ القرار على الصعيد النظري ، بل ان تجسده بثلاث مظاهر فعلية هي :

١ ـ رفض ايقاف اطلاق النار ، واطالة مدة الاشتباكات الى اكبر حد ممكن وعدم البحث عن نصر سريع ، والحفاظ على حالة التوتر التي تنهك العدو ، وتعطل الحياة الاقتصادية في البلاد . والسير بالمعركة الى نهايتها المحتومة الظافرة ، رغم كل المآسي التي كان الشعب يئن تحتها ، على اعتبار ان ما يتحمله الشعب خلال القتال من مآس وآلام ، سيبقى اقل بكثير مما سيتحمله في حالة انتصار قوى القمع ، والبدء بعمليات التطهير والارهاب ، وهذا ما اثبتته الاحداث فيما بعد .

وليس في هذا القول ما يخالف مبادىء الحرب وقوانينها وطبيعة ديناميكيتها ... لقد كان تسليح السلطة الاردنية للعشائر الموالية ، وخلق المقاومة الشعبية في المدن والقرى ، واعداد قوات الصاعقة ، وتعبئة الجيش ضد المقاومة بناء على مخطط سيكولوجي مدروس ، تعني ان الخصم قد قرر الاشتباك مع

المقاومة بشكل حاسم ، وأن وجود المقاومة في الريف والمدينة ، والتفاف قطاع كبير من الجماهير حولها سيؤدي الى قلب الاشتباكات الى حرب اهلية لا مندوحة عنها . فما دام العدو قد قرر السير بالمعركة الى نهايتها ، فان اي تردد في الرد عليه يعني الهزيمة . فالصراع عنف متبادل ، ولا يمكن مجابهة العنف بتدابير نصف العنف ، «ففي موضوع خطر كموضوع الحرب ، تعتبر الاخطاء الناتجة عن طيبة النفس اسوأ الاخطاء . وكما ان استخدام القوة المادية لا يستبعد استخدام الذكاء، فان الذي يستخدم هذه القوة ولا يتراجع امام اي هدر للدم ، يتغلب على خصم لا يعمل بنفس الاسلوب ، وبهذا الشكل يملي عليه قانونه الخاص» (١) .

لقد ارادت السلطة شن الحرب الاهلية ، وأعدت لها ، وباشرت هجومها ، واستخدمت الاشتباك لتحقيق الهدف ولكن اسبابا عديدة جعلت هذا الهجوم ضعيف الفاعلية ، فلم يأخذ حسب تعبير كلاوزفيتز «شكل سهم منطلق بكل قوة» بل «شكل فقاعة صابون تنفجر من فرط انتفاخها» (٢) وكان بوسع المقاومة ان تستفيد من هذه السلبية ، وتعقّد الازمة ، وتسير الشوط كله ، ولا تتقاعس امام متطلبات الحرب الاهلية ومآسيها ومصاعبها ، وأن تعتبر هذه الحرب بوتقة تطهر الامة من ادرانها ، وأن يدفعها كل هذا الى الاستمرار في الصراع ورفض «السلم الاجتماعي» الذي يعني استسلامها .

٢ ـ قلب معارك المدينة الدفاعية الى هجمات ليلية مفاجئة واغارات متحركة واسعة النطاق على كافة النقاط العسكرية والاقتصادية الحساسة .

ان حرب العصابات بأسرها عبارة عن «دفاع استراتيجي» يمارسه الضعيف ضد القوي ، ريثما يتم قلب ميزان القوى من الداخل او الخارج . واذا كان هذا الدفاع يطالب بتأجيل الحسم على المستوى الاستراتيجي ، فانه يؤكد على ضرورة استخدام العمليات الهجومية التكتيكية خلال الدفاع الاستراتيجي ، والسعي لتحقيق الحسم خلال هذه العمليات ، لان مثل هذا السعي «صالح لكل الازمنة وفي جميع البلدان» (٣) وهو ممكن رغم عدم تناسب القوى العام لسببين هما :

١ ـ امكانية تحقيق التفوق المحلي .

٢ ـ التوتر الداخلي المرتفع لدى القوات الثورية وديناميكية حركتها .

ونحن عندما نتحدث عن الاغارات والهجمات الليلية المفاجئة لا نعني انه كان على المقاومة ان ترفض كل الدفاع ، وأن تشن الهجوم على نطاق واسع ، لان هذا القول غير موضوعي ، طالما ان ميزان القوى لا يسمح بذلك . ولكننا نعني انه كان على المقاومة ان تطعِّم الدفاع الاستراتيجي بهجوم تكتيكي حاسم سريع . اي قلب الدفاع الى دفاع ايجابي «فالدفاع الايجابي وحده هو الدفاع الحقيقي الذي يهيىء الانتقال الى الهجوم المعاكس والهجوم» (٤) . لقد تحدث ماركس في رسائله الى

---

(١) كلاوزفيتز «في الحرب» الجزء الاول ، الصفحة ٨١ من النسخة العربية .
(٢) كلاوزفيتز «في الحرب» الجزء ٣ ، الصفحة ١٥٧ من النسخة العربية .
(٣) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» ، الصفحة ١٨٢ من النسخة العربية .
(٤) ماوتسي تونغ «كتابات عسكرية» الصفحة ١٣١ .

كوغلمان حول كومونة باريس عن ضرورة شن الهجوم باستمرار فور البدء بالانتفاضة المسلحة ، والسير في الهجوم المتلاحق حتى تحقيق الهدف النهائي ، اي حتى اسقاط السلطة . وأكد بأنه «في الدفاع موت الثورة» وكان على المقاومة ان تفهم هذا الدرس التاريخي البليغ وأن تطبقه ضمن اطار الدفاع الاستراتيجي ، وان لا تكتفي بالصمود وحده «فمما لا جدال فيه ان الحرب لا تعني الاحتمال والصمود بصورة سلبية»(1) و«ان اروع لحظات الدفاع هي لحظة الانتقال السريع القوي الى الهجوم ... والطرف الذي لا يفكر في هذه اللحظة منذ البدء ولا يدخلها عند نشوب العمليات في مفهوم دفاعه لا يمكن ان يفهم ابدا تفوق الدفاع» (2) .

٣ ـ اشراك القوات شبه النظامية الموجودة آنذاك في الجبال المحيطة بعمان في عمليات هجومية ، واغارات على مؤخرات العدو المنقض على المدينة ، وطرق مواصلاته ، ومقرات قياداته .

تقول مبادىء حرب العصابات ان احتلال النقاط والمواقع والبقاء فيها لا يشكل هدفا في حد ذاته ، وما هو الا وسيلة تسمح بخلق الظروف الملائمة لفرص الاشتباك على العدو في افضل وضع . وكان على قيادات المقاومة ان تعي هذه الحقيقة ، فلا تترك قوات العصابات في مواقعها الجبلية ، فتحرم نفسها بذلك من بعض امكانيات نجاحها . ان دراسة التاريخ العسكري بكل فروعه ، وتحليل المعارك ، ومعرفة تفصيلاتها ، يؤكدان على ان سببا من اكبر اسباب الهزائم هو: **عدم قدرة القائد على استخدام كافة قواه في الزمان والمكان المناسبين** ، اي التأخر بزج القوى الاحتياطية ، او الاسراع في عملية الزج قبل الاوان ، او ترك جزء مجمد من القوى دون المشاركة بالمعركة عن طريق الاشتباك او التهديد بالاشتباك على الاقل . ولقد ارتكبت المقاومة هذا الخطأ الاخير ، وأحجمت عن استخدام كل رصيدها في المعركة ، فزادت اختلال ميزان القوى الذي لم يكن في الاصل لصالحها .

والسؤال هنا : ترى هل كان بوسع المقاومة ان تنتصر وتدمر الهجمة العسكرية الشرسة وتستولي على السلطة لو انها لم ترتكب كل هذه الاخطاء ؟ وماذا كان بوسع المقاومة ان تفعل ما دام الحكم الاردني ـ المرتبط عضويا بالاستعمار ـ قد اخذ الضمانات على بقائه قبل البدء بالمعركة ، وأكد الامريكيون والاسرائيليون خلال المعركة بأنهم لن يسمحوا بتبديل الحكم في الضفة الشرقية ولو ادى ذلك الى تدخلهم العسكري الفعلي ؟.

والاجابة على الشق الاول من السؤال هو : ان تطبيق كل مبادىء الحرب وعدم الوقوع في الاخطاء لا يعطي الضمانة النهائية والصك الاكيد للربح . فليس في الحرب اي حكم رياضي قاطع ، والامور مرهونة بالعدد العديد من العوامل

(1) كلاوزفيتز «في الحرب» الجزء الثاني ، الصفحة ١٣٣ .
(2) كلاوزفيتز المرجع السابق ، الصفحة ١٣٣ .

المادية والمعنوية التي يمكن حسابها دون ان يكون هذا الحساب صحيحا بشكل مطلق . ولكن تطبيق المبادىء الصحيحة يعني زيادة احتمالات النجاح وتحقيق عدد من الشروط اللازمة للنصر .

اما الشق الثاني من السؤال ، واحتمالات تدخل القوات الامريكية او الاسرائيلية في الصراع ، فانه احتمال قائم في كل لحظة ، ولا يحتاج الاسرائيليون (بصورة خاصة) لاية حجة للتدخل والاحتلال ، فلقد احتلوا غور الصافي، واجتازوا الحدود الاردنية واللبنانية اكثر من مرة ، وهم يعملون وراء دعم سياسي امريكي قوي يجعلهم قادرين على خرق اية حدود واختلاق اي عذر وشن اي عدوان رغم أنف المجتمع الدولي . فهل يعني هذا ان على الامة العربية ـ لا المقاومة وحدها ـ ان تعدّل ايقاع خطواتها حسب رغبات اسرائيل ؟ وهل يعني هذا ان بوسع اسرائيل ان تفرض نوع الحكومة في هذا القطر العربي او ذاك ؟ او ان تحدد نوع الدفاع الجوي والصواريخ المضادة خلف هذه الحدود او تلك؟ او ان تسمح بحجم نشاط المقاومة وامكانية انطلاقها من هذا القطر او ذاك ؟

ان كان الامر كذلك ، واذا كان الجواب ايجابيا ، فان هذا يعني ان العدو قد حقق النصر وفرض ارادته في حوار الارادات ، رغم عدم اعترافنا بذلك . وان المعركة قد انتهت ، وان ما نسمعه من انفجارات هو انفجار بقايا القنابل المرمية على الارض ، لا هدير المدافع المسددة الى معسكر العدو . وان كان الامر غير ذلك فان السؤال كله يبقى بلا معنى ، لان ما ينطبق على العرب جميعا ينطبق على المقاومة ايضا (!)

بعد الاحداث

منذ ان انتهت احداث ايلول ، والسلطة الاردنية تشدد ضغط قبضتها في محاولة مسعورة لاعتصار الربح الاقصى من كافة المعارك السابقة ، وهي تستخدم خطة اربية متكاملة تتلخص فيما يلي :

ـ تجريد الميليشيا من السلاح ، وعزلها عن جماهير المخيمات والمدن .

ـ تجميع قوات المقاومة في مناطق محدودة ضيقة ، بشكل يجردها من المبادهة ، ويجبرها على السلبية التي تصلها بها الى العقلية «الدفاعية» البحتة .

ـ شن دعاية محمومة غايتها عزل السكان الريفيين ـ رغم قلة كثافتهم ـ عن المقاومة ، وتطبيق اساليب العقيد وودهاوس القائلة بان «فن الانتصار على العصابات يتمثل ... بفن تعبئة السكان ضدها» .

وأخطاء المقاومة الاساسية في هذه المرحلة ، نابعة من الاخطاء السابقة وامتداد لها . ويمكن تلخيص اهمها بخطأين هما :

١ ـ الرغبة بالبقاء والتصرف على الارض الاردنية كما لو انها كانت ارض صديقة (اجازات ـ حركة بالآليات ـ اجتماعات علنية) متجاهلة بذلك أحداث ايلول الدامية وخطورة الهوة التي فتحتها السلطة بينهما . وكان على المقاومة ان تتعلم من

آلاف الضحايا . انها لا تعيش على ارض صديقة ، وأن من واجبها ان تتصرف بحذر ، وأن تستعد كل يوم لتلقي ضربة جديدة . وأن تعيش خلايا المدن وقواعد الجبال وكأنها داخل الارض المحتلة — لانها محتلة بالحقيقة بقوة معادية لا يخفف من عدائها كونها عربية .

٢ — قبول تسليم اسلحة الميليشيا ، واخلاء المدن من السلاح وهذا يعني تجريد المقاومة من كل امكانات الضغط المزدوج على السلطة لضمان حيادها «المؤقت الاجباري» بغية متابعة العمل ضد العدو الاسرائيلي .

ولقد كان على المقاومة ان ترفض هذا الانسحاب ، وتستعد لشن «العصيان المنسق» الذي يشكل التهديد الوحيد الكافي لكبح جماح السلطة المتآمرة .

ان تعاون «الخلايا الصدامية» في المدينة مع «عصابات الجبل» هو السبيل الامثل **لاحباط مؤامرات السلطة ، ووضعها امام معضلة مزدوجة ، واجبارها على تشتيت قواتها لتصبح ضعيفة في كل مكان** ، لان واقع الحكم الاردني وطبيعة تكوين شرق الاردن الاقتصادي ، وتمركز كافة القوى الاقتصادية والسياسية في المدن — والعاصمة بصورة خاصة — يجعل عمل «الخلايا الصدامية» في المدن كبير الفاعلية ، مهما صغر حجم هذه الخلايا ، وضعف تسليحها ، ومقاومة غزة مثال يحتذى ! انا اعرف بأن الكثيرين سيرفعون حواجبهم من الدهشة عندما سيرون انني اشبه المقاومة في عمان بالمقاومة في غزة ، ولكنني لن اطلب من هؤلاء سوى ان يبددوا دخان اوهامهم ، ويحدثونني عن الفرق بين سكين جندي البادية وسكين جندي المظلات الاسرائيلي عندما تنغرس هذه السكين بعمق بين أضلاع رجل المقاومة .

* * *

لقد مرت ايام طويلة منذ أحداث ايلول ولا تزال المقاومة باقية — رغم تناقص حجمها وفاعليتها — كصفعة في وجه التشاؤميين ، الذين كانوا بالامس من غلاة المتحمسين ، والذين اعلنوا وفاتها منذ امد بعيد ونسوا ان طريق الثورة مليء بالهزائم والانتصارات ، وحافل بالقمم والوهاد ، وأن سلسلة من الضربات العسكرية لا تحطم التنظيم الثوري ، وأن بوسع اي تنظيم ان يستعيد قواه رغم الضربات ، **طالما ان هيكله الاساسي ، وشبكاته العسكرية ، وكوادره الهامة قائمة حية فعالة .**

لقد عاشت المقاومة قبل ايلول وخلاله وبعده ، ولكن طبيعة ولادتها والظروف العربية التي احاطت بها خلال مرحلة نموها ، جعلتها تتعرض لكثير من العثرات. والرؤيا الواضحة هي السبيل الوحيد لتجنب العثرات من جديد ، والسير على سبيل أقل تعرجا ، وارساء قواعد وتقاليد ثورية راسخة ، والانطلاق من الخسارات السابقة الى انتصارات مقبلة ، على ان تكون الخسارات السابقة مدرسة تعلمها كيف ترسم استراتيجيتها من جديد بعد ان **تحدد العدو والاهداف الاستراتيجية التي ينبغي تحقيقها ، والوسائل والقوى اللازمة لتحقيقها .**

منير شفيق

معركة ايلول عسكرياً

حقا من الخطأ الحديث عن معركة ايلول عسكريا ، قبل الحديث عن الوضع السياسي ، والظروف الموضوعية والذاتية قبيل اندلاع المعركة. ولكن هذه الجوانب الاساسية يمكن تجنبها لان العديد من الدراسات في هذا العدد من «دراسات عربية» ستغطيها ، لذلك سيقتصر هذا البحث على تقييم تلك المعركة من زاوية عسكرية صرف .

قبل الدخول بالتفصيلات علينا ان نلاحظ ما يلي :

اولا : لقد فقد عنصرا المفاجأة والمبادرة قيمتهما الاساسية في معركة ايلول، لان كلا الطرفين كانا مستنفرين عسكريا استنفارا كاملا قبل عدة اسابيع من بدء المعركة . فقد كان البدء بالهجوم من قبل اي من الطرفين يعني ملاقاة الطرف الاخر مستعدا ومتأهبا للرد دفاعيا وهجوميا .

ثانيا : كانت الثورة الفلسطينية قد تطورت عسكريا الى حد تجاوز مرحلة حرب الغوار (الوحدات الصغيرة — وتجنب معارك المواجهة الخ). اذ اصبحت المدن الرئيسية تحت سيطرتها عسكريا ، كما اصبحت تمتلك قوات مسلحة كبيرة — خاصة اذا حسبت الميليشيا ويجب ان تحسب — الى جانب امتلاكها اسلحة جيدة سواء لحرب المدن او مقاومة الدبابات او مضادات الطائرات ، بالاضافة الى احتياطي جماهيري كبير .

ثالثا : ان المعركة بين الطرفين — تحت الظروف السائدة حينئذ — كانت تعني معركة مواجهة شاملة ، بما في ذلك معارك مكشوفة خارج المدن ، ومعارك دفاعية ضد اختراق المدن ، ومعارك شوارع وحرب غوار في المدن وخارج المدن. وبكلمة اشتراك كل الاسلحة وتطبيق كل اشكال الحرب ، بما فيها تلك التي تحمل طابع الحرب النظامية وتلك التي تحمل طابع حرب غوارية الخ .

واذا اردنا تشبيه وضع الثورة الفلسطينية في تلك الظروف ، بوضع اي من الثورات المسلحة ، فاننا نستطيع ان نشبهها بوضع الثورات المسلحة العامة في المرحلة الثانية ، اي بعد سيطرتها على المدن وبدء تكوين جيش الشعب ، مع فارق

واحد اساسي وهو ان القوى المضادة ما زالت تحتفظ ، ايضا ، بقواتها الضاربة الرئيسية في الثكنات وفي الضواحي . اي ان الثورة ، في هذه المرحلة ، لم تعد وحدات صغيرة من المقاتلين ، وانما دخلت مرحلة تكوين جيش الشعب ، اي مرحلة المعارك المكشوفة ومعارك المواجهة التي لا مجال فيها لمبدأ «اضرب واهرب» كشكل سائد في الكفاح المسلح . لذلك فان اي تخطيط عسكري يجب ان يتجه الى اخذ هذه الحقيقة بعين الاعتبار ، ويبني على اساسها كامل استراتيجيته وتكتيكه العسكريين هجوميا ودفاعيا . واذا راجعنا خطة غرفة العمليات في الجيش الاردني استراتيجيا وتكتيكيا ، وأسلوب قيادتها للعمليات العسكرية ، فسنجدها قد عاملت الثورة الفلسطينية على هذا الاساس . فقد طبقت كل الخطوط العريضة لتكتيك جيش نظامي يتقدم ليحتل بلدا فيه جيش وجماهير مسلحة .

خطة القوى المضادة للثورة :

اولا : تطويق عمان بفرقتين عسكريتين ولواء مدرع .. وبدء قصف مدفعي مركز لا يتوقف – مدفعية ميدان ثقيلة ومتوسطة – ومحاولة لاختراق نقاط الدفاع الامامية بالدبابات . مع استخدام رشاشات (٥٠٠) من عدة مواقع بالاضافة الى الرشاشات المحمولة .

ثانيا : الهجوم على الزرقاء بالطريقة نفسها .

ثالثا : بعد الانتهاء من عمان والزرقاء احتلال جرش والسلط والمفرق والتقدم لاحتلال اربد . وتصفية بقية جيوب المقاومة .

كان السلاح الاساسي الذي اعتمدت عليه خطة غرفة العمليات هو المدفعية والدبابات ، الى جانب خطة مدروسة لشن حرب نفسية عبر الاذاعة .

خطة الثورة الفلسطينية :

اولا : عدم السماح للجيش باختراق المدن والدفاع عنها (الخطة الدفاعية) .

ثانيا : تحريك القوات المقاتلة لفك الحصار عن عمان من الخارج مع القيام بعمليات هجومية (الخطة التعرضية) .

اما القوات الاساسية التي تمتلكها الثورة فهي قوات غوارية تستطيع القتال بوحدات صغيرة ، وبمجموعات من (١٠٠ – ٣٠٠) ، وهي قوات متفرغة شبه نظامية وتمتلك اسلحة جيدة – هاونات ، صواريخ ، ومدافع (ميم ط) – رشاشات سريعة (كلاشنكوف) – بنادق ومضاد للدبابات و(١٠٦) ، وقنابل يدوية – على اختلافها – والغام –على اختلافها– وهذه كلها متوفرة بكميات كبيرة بما في ذلك الذخائر . واذا اضفنا الى كل هذا مستوى التدريب والكوادر العسكرية المتخصصة والتجربة القتالية السابقة . (٢) قوات عسكرية احتياطية متواجدة في مواقعها ومعسكراتها في سوريا ولبنان والعراق ، بما فيها جيش التحرير (جيش نظامي)،

ويمكن نقل هذه القوات خلال ساعات لتشارك في المعركة او تفتح جبهات اضافية .

(٣) قوات الميليشيا وهي قوات شعبية مسلحة غير متفرغة كبيرة العدد نسبيا ومسيطرة على المدن ، وهي تتحلى بمزايا قتالية وخاصة ، في الدفاع عن المدن وحرب الشوارع . (٤) امكانيات واسعة لزيادة القوات المسلحة للثورة في اثناء القتال ، اذ هنالك احتياطي ضخم من جماهير شعبية ملتفة حول الثورة ومستعدة لدعمها وتأييدها .

اما من ناحية تحطيم الحرب النفسية التي يمكن ان يشنها العدو ، فقد كانت الثورة تمتلك اجهزة سياسية واعلامية –بما في ذلك ثلاث اذاعات– تستطيع افشال تلك الحرب والانتقال الى مواقع الهجوم في حرب نفسية مركزة تسهم في تحطيم معنويات القوى المضادة .

نظرة سريعة الى كل هذه المعطيات ، تؤكد لنا ان الثورة كانت تمتلك امكانات عسكرية كبيرة من الناحية المادية ، قادرة على تحقيق نصر عسكري لو توفرت لها القيادة العسكرية المؤهلة التي تستطيع استخدام كل الظروف المعطاة استخداما كاملا من الناحية العسكرية الصرف . ناهيك عن المناورة السياسية والتحريض الشعبي محليا وعربيا وعالميا .

ولنوضح هذه القضية بصورة تفصيلية اكثر :

ولنبدأ بالوضع العسكري والتكتيك العسكري من جانب القوى المضادة :

المزايـا :

١ – تمتلك سلاحا متفوقا ، وعلى التحديد سلاح المدفعية وسلاح المدرعات .

٢ – ضمنت ولاء مطلقا من القوى الضاربة الاساسية في الجيش .

٣ – كانت القوات تحت امرة قيادة واحدة مركزية .

٤ – كانت استراتيجية العمليات العسكرية ، واضحة محددة ، مقرونة بحزم وتصميم على تحقيقها ، مهما كلف الثمن . رغم ان القيادة لم تظهر اية موهبة عسكرية في قيادة العمليات .

٥ – مناورة عسكرية خارجية من قبل القوات الامريكية والاسرائيلية ، لمساندة القوى المضادة في الاردن عن طريق التهديد بالتدخل وامدادها بالسلاح والذخائر والاطعمة الخ .

واذا تناولنا هذه النقاط تفصيلا ، سيتضح لنا انها لا تستطيع كسب معركة فاصلة مع قوات الثورة للاسباب التالية :

سلاح المدفعية في حرب الشوارع .

مزايـاه :

١ – تحطيم المتاريس ودك البنايات ، وضرب اعشاش الرشاشات وتحصينات الدفاع . ولكن هذه المزية لم تؤثر على الوضع العسكري في عمان ، لان اهداف المدفعية لم تكن محددة ، وانما كانت تقصف المدينة، قصفا اعمى ، وقد ثبت عمليا رغم كثافة القصف واستخدام كل انواع المدفعية ، ان تأثيرها كان محدودا جدا على

القوات العسكرية للثورة ، ولو اتخذت بعض الاحتياطات الاولية البسيطة لكان تأثيرها على المدنيين قد هبط الى الحد الادنى . اي لو بنيت ملاجىء مناسبة ، وبأعداد كافية ، واحيطت الجماهير بمعرفة بسيطة في تلافي اخطار القصف المدفعي – وكان كل ذلك ممكنا تحت الظروف التي عاشتها الثورة الفلسطينية خلال السنوات الثلاث الماضية . ولا احد يستطيع ان يسوغ لقيادات المنظمات اهمال هذه الناحية ، وخاصة ، بعد تجربة شباط وحزيران في الاردن ، والاهم من ذلك تجربة اربد بالنسبة لعمليات الانتقام الاسرائيلية .

٢ – التمهيد المباشر لعمليات المشاة ، في اقتحام المدينة ، ولكن هذه القضية لم تجرؤ القيادة العسكرية للقوى المضادة على تطبيقها للاسباب التالية :

– مشاة الجيش – خاصة البدو وابناء القرى – لا يمكن الاعتماد عليها بقتال شوارع يأخذ شكل الالتحام بالسلاح الابيض والقتال من بناية لبناية ومن غرفة لغرفة وذلك يرجع لـ :

أ – قتال الشوارع يحد من مدى نيرانها .

ب – ثمة حد لامكانات تكبير احجامها .

ج – معرفتها في المدينة ضعيفة ، وخاصة ، المخيمات والاحياء الشعبية الفلسطينية .

د – سهلة الوقوع بمصائد الثوار وكمائنهم .

هـ – امكانات مساندة الاسلحة الاخرى لها تتدنى كثيرا في حالة قتال الشوارع .

و – عداء الجماهير لها ، وخوفها من بشاعة دخولها المدينة (نهب ، وتخريب ، واغتصاب الخ) يدفعها لان تقاتلها بقوة اذا ما قيدت الجماهير ببراعة عسكرية وحرضت جيدا .

ز – عندما تقاتل بمجموعات صغيرة تقل ثقة القيادة بولاء بعض عناصرها وبامكانية المحافظة على معنوياتها وانضباطها واتصالها بالمركز ، والاهم من هذا وذاك ان قتال الشوارع ، بمجموعات صغيرة يتطلب الاستقلالية والاعتماد على النفس والمبادرة والتضحية وهذهكلها متناقضة مع طبيعةالتربية البيروقراطية والرجعية التي تلقتها ، وخاصة اذا قضي على قادة تلك الوحدات .

– قوى الثورة المسلحة تمتلك مزايا متفوقة على المشاة في حالة الالتحام في حرب شوارع :

أ – قتالها من اجل قضية عادلة ، ووعيها السياسي .

ب – معرفتها الجيدة في المدينة .

ج – تسلحها المناسب جدا لحرب الشوارع .

د – صلتها بالجماهير منبع لقوة دائمة متعاظمة لا تنضب .

هـ – تتحلى بمزايا الشجاعة والاقدام والذكاء والمبادرة .

و – تستطيع القتال بمجموعات صغيرة وكبيرة .

ز – تستطيع تحصين الدفاع في المدينة وتحويلها الى مصيدة كبيرة للمشاة ، والانتقال الفوري الى الهجوم الخ ..

ولكن على اية حال كانت خطة القوى المضادة باستخدام المشاة في المرحلة الاخيرة اي بعد الاستسلام او اخلاء المدينة من القوات المسلحة الرئيسية .

٣ – على ان الدور الاهم للقصف المدفعي الثقيل الكثيف يتركز اساسا في تأثيره النفسي (السيكولوجي) وهذا ما اعتمدت عليه غرفة العمليات اعتمادا حاسما ، ولكنه لم يستطع عمليا ان يحدث ذلك التأثير المتوقع من قبل استراتيجيي غرفة العمليات في الجيش ، وكان بالامكان التقليل من تأثيره الى الحد الادنى لو اتخذت الاحتياطات المناسبة لوقاية الجماهير وتأمينها (بالماء والغذاء والدواء والملاجىء) ، بالاضافة الى عمل سياسي وتحريضي نشط مضاد للتأثير النفسي .

ونستطيع ان نجزم ان هذه الخطة التي اتبعتها قيادة القوى المضادة كان من الممكن تحويلها الى فشل ذريع ، وهزيمة كاملة لو اتخذت الاجراءات التالية :

أ – وسائل الاحتياط الوقائية :

١ – سيكولوجيا .

٢ – ماديا : (أ) بناء ملاجىء صغيرة ومتوسطة ولكن باعداد كبيرة جدا .

ب – تخصيص عدد كبير من هذه الملاجىء كمستشفيات لاستقبال الجرحى على ان تكون صغيرة ولكن منتشرة انتشارا واسعا جدا .

ج – اختزان مياه واطعمة في الملاجىء (وضرورة تزويد الملاجىء بمجار – وحفر لدفن القتلى) .

ب – اجراءات تعمية (كومفلاج) لمواقع الكمائن والدفاع .

ج – هجمات غوارية من قلب المدينة ومن خارجها على مواقع المدفعية وتدميرها ، وخاصة ، في الليل .

د – قصف مدفعي مضاد من قلب المدينة ومن خارجها (خاصة من خارجها) .

في الواقع ، ان كل هذه الاجراءات كانت في مدى امكانات المقاومة ان لم نقل، كانت امكانات المقاومةاكبر منها ايضا. فلو اخذنا مثلا الاجراءات الوقائية ١– الاعداد السياسي والسيكولوجي ، قبل وفي اثناء المعركة ، ضد القصف المدفعي ، فهذا امر كان سهلا جدا – وان كان قد مورس جيدا ، في اثناء المعركة ، خاصة من خلال اذاعة فتح المحلية في عمان ، ولكن المنظمات كلها قصرت في هذه الناحية قبل المعركة . واذا اخذنا مسألة بناء الملاجىء لحماية النساء والاطفال والشيوخ او الملاجىء المستشفيات ، واختزان المياه والاطعمة والادوية ، فان هذه كانت ممكنة التنفيذ تكنيكيا وبشريا وماديا ومن ناحية الوقت ، وطبيعة الارض – قامت فتح بحفر بعض الملاجىء ولكن على نطاق ضيق وليس في مستوى التحدي ، ناهيك عن مستوى مواجهة غزو صهيوني او قصف جوي صهيوني – وبهذه المناسبة ، يستحسن لفت النظر الى مرض خطير انتشر بين منظمات الثورة الفلسطينية ، وخاصة بفضل الجبهة الديمقراطية والجبهة الشعبية ، وهو سوء الفهم لمعنى العمل السياسي بين الجماهير والكوادر ، فقد تحولت الثورة الى منبر صراعات نظرية وسياسية عامة وحرب شعارات . اذ ظن ان العمل السياسي هو بحث نظري في

البرنامج ، ومناقشة للمواقف السياسية ، وتحديد مواقف سياسية جذرية ، وحديث عائم عن النظرية الثورية الخ . وهذا وهم خاطيء ومضر بالثورة المسلحة الى اقصى الحدود . طبعا لا يعني هذا انه ما كان يجب ان تناقش القضايا السياسية والنظرية ومسائل البرنامج الخ ، بل على العكس كانت مناقشتها ضرورية جدا ، وهي ضرورية دائما ، وفي كل الظروف ، ولكنها تتحول الى نقيضها والى مرض عضال اذا اقتصر العمل السياسي عليها . اذ ان هنالك عددا كبيرا من المسائل المتولدة عن الصراع المسلح ضد الصهيونية والرجعية والامبريالية ، وتلك المسائل تتخذ طابع تلبية حاجات المعركة العسكرية او قل حاجات حرب الشعب بصورة خاصة وعامة . ولكي اجعل رأيي حول هذه النقطة اكثر وضوحا ، فلنستعرض القضايا التي كانت تناقش بين المنظمات وفي الاجتماعات الجماهيرية ومع الجماهير .. فسنجدها كلها ، بلا استثناء ، تتخذ طابع التحريض السياسي الصرف والنقاش النظري . فمثلا لم يكن يعني اصحاب «النظرية الثورية» ان يناقشوا مسألة بناء الملاجىء .. وتأمين الجماهير وضمان مشاركتها في حالة اشتباك مسلح ـ حرب اهلية او عدوان صهيوني ـ ولم يكن يعنيهم ان يعبئوا الجماهير ضد القصف الجوي والمدفعي وضد الآليات ، وحتى ضد الحرب الكيماوية والجرثومية ، لم يكن يعنيهم بحث طرق الوقاية وطرق التحصين والمواجهة نفسيا وعسكريا . ان مثل هذه القضايا كانت تعتبر قضايا تافهة امام البحث في فائض القيمة وقوانين الصراع الطبقي ، وقضية عدم التدخل في الشؤون الداخلية للدول العربية ، ومسألة سياسة فتح ومواقفها السياسية الخ . ولم يكن يعنيهم مناقشة الحاجات الآنية لحرب الشعب ، مناقشة ينبثق عنها انتقال الاجتماع الجماهيري وكوادر الثورة الى تناول الفؤوس والمجارف وبدء عمل نشط مواظب ليل نهار .

واذا اخذنا النقاط (ب ، حـ ، د) اي تكتيك الدفاع والهجوم ضد المدفعية والدبابات ، فسنجد ان مثل هذه القضايا قد اهمل بحثها واهمل تكوين الكوادر والجماهير كمقاتلين اشداء وتشريبهم بالقواعد الاساسية لفن الثورة المسلحة مثل روح المهاجمة والمبادرة والاقدام والمناورة الخ وتدريسهم فن التكتيك العسكري في حرب المدن والقتال المكشوف والغواري . وبكلمة ان الاعداد السياسي والعسكري والتنظيمي للكوادر والجماهير قد اتخذ شكل خلق الثائر المجادل الذي تجده على استعداد ان يقضي عشر ساعات يناقش بالنظريات والسياسة وهو يحتسي القهوة والشاي ويدخن ، ولكنه على غير استعداد ان يحفر ساعة واحدة او يناقش قضية تتطلب منه ان يتصبب عرقا . مرة اخرى ، اشدد ـ لئلا يساء فهمي ـ على ان هذا النقد ليس ضد الحوار السياسي والنظري والاعداد السياسي والنظري ، بل على العكس لا بد من التشديد على اهمية هذه القضايا تشديدا حازما ، لان روح النقد مرتبط بها اعني تلبية الحاجات العملية والعسكرية لحرب الشعب . ان النقد موجه ضد تحويلها الى كل شيء وجعلها هي الشيء الوحيد والاساسي فقط . كما لا بد من التنويه ان هذا النقد لا يستثني كل المنظمات الاخرى ، بما في ذلك فتح، اذ ان الجميع غرق في هذا الاتجاه الخاطىء ، واهمل مجموعة من القضايا الاساسية

الهامة للمعركة العسكرية والحاسمة في بناء الكادر الثوري وجماهير حرب الشعب .

الدبابات : اعتمد تكتيك غرفة العمليات في الجيش الاردني على استخدام الدبابات استخداما رئيسيا الى جانب المدفعية .

مزاياها في حرب الشوارع :

١ ـ تستطيع المناورة بسهولة في الشوارع الرئيسية الواسعة .

٢ ـ تستطيع اختراق التحصينات وتدمير المتاريس .

٣ ـ لها مزايا المدفعية (لان الدبابات عبارة عن مدفعية متحركة ايضا) .

٤ ـ لها تأثير سيكولوجي شديد ، وخاصة الدبابات الثقيلة .

نقاط ضعفها في حرب الشوارع :

١ ـ توفر المدفعية المضادة للدبابات والصواريخ يبطل فاعليتها اذا احسن استخدامها . وخاصة لو استخدمت في الليل من خلف الدبابات اي من خارج عمان والزرقاء .

٢ ـ اذا مدت شبكة جيدة من الالغام الشديدة الانفجار وحميت ، بالقناصة من سلاح الهندسة .

٣ ـ يمكن مكافحتها (خاصة السكاوتات المصفحة والدبابات المتوسطة) عن طريق تحزيم رزم القنابل اليدوية (خمس او ست قنابل) او قنابل شديدة الانفجار وذلك بقذفها تحت الدبابة .

٤ ـ القاء قنابل محرقة او يدوية في قلب برج الدبابة من الاسطحة والنوافذ (وقد طبق هذا في حالات فردية في معركة عمان تطبيقا ناجحا) .

٥ ـ تحطيم الدبابة الاولى او حرقها يؤثر تأثيرا سيكولوجيا على بقية عناصر الدبابات الاخرى ، كما يرفع معنويات الثوار ويقلل من هيبة الدبابة في اعينهم .

٦ ـ تقدم الدبابات يصحبها تقدم «سكاوتات» (محملة برشاش ٥٠٠ مثلا) . ان ضرب هذه السكاوتات وهو اسهل من ضرب الدبابة الكبيرة يجبر الدبابات على التراجع ، واذا لم تتراجع تضعف مناورتها ويسهل تحطيمها .

٧ ـ بناء خنادق معماة (٣ امتار عرض وعمق ٤ امتار) خلف خطوط الدفاع الاولى .

ان كل ما قيل عن مواجهة المدفعية يمكن ان يقال هنا ايضا ، بالاضافة الى ميزة اخرى وهي امكانيات تحطيم الدبابة اكبر من امكانية تحطيم مدافع الميدان بعيدة المدى والمركزة خارج المدينة احيانا على بعد عشرة كيلومترات او عشرين ، لان الدبابة تأتي اليك ، وهي في الشوارع هدف كبير لا يُخطأ .

كانت خطة غرفة العمليات غبية ، او في احسن الحالات تقليدية لا جديد ولا مفاجأة من ناحية التكتيك العسكري فيها . ولولا النواقص العسكرية الاساسية في الثورة المسلحة الفلسطينية لتحقق نصر كامل عليها ، او على اقل تعديل ، لحدث تدخل اجنبي ، وهذا لا يلغي النصر العسكري على القوى المضادة ، اذ سيكون التدخل اعلانا بهزيمتها عسكريا . وهو من ناحية ثانية كان سينقل المعركة الى

آفاق اوسع تعود بالفائدة على الثورة العربية عامة والفلسطينية خاصة ، حيث كان من الممكن تحويل المنطقة الى دخول في مرحلة حرب ثورية عامة .

نعود لخطة غرفة عمليات القوى المضادة للثورة . ان تكتيكهم لم ينجح في السيطرة على عمان وتركيعها ، ولو اعدت الثورة الى شن هجوم عام شامل في اليوم الخامس – نضبت ذخيرة الجيش وقد انهك – لكان من الممكن قلب موازين القوى – خاصة انه كان بالامكان اضعاف الجيش جدا في الايام الاولى لو توفرت عملية دفاع مبرمجة مصحوبة بهجمات غوارية من الداخل والخارج في آن واحد. ولكن الذي حدث ان كل قوات الثورة خارج عمان والزرقاء ، وخاصة في جرش والوسط والشمال ولبنان وسوريا ، بقيت خارج المعركة ولم تلق بثقلها ، ولا بعشره في قلب المعركة . كيف يمكن تسويغ ذلك ؟ ما من احد يستطيع ان يسوغه مطلقا . لو كان في المنطقة كلها خمسة مسلحين ولم يلقوا بكل ثقلهم في المعركة ، فلن يستطيعوا تسويغ ذلك . لقد كانت معركة مواجهة شاملة .. معركة حياة ومصير. واذا اردنا ان نقيم المعركة عسكريا فلن تكون ثمة حاجة للدخول في تحليل تعقيدات تكتيكية ، لان النقص قد ظهر بفقدان ابسط المبادىء العامة للحرب . ولكي نوضح ذلك فلنلق نظرة سريعة على اعم قوانين الثورة المسلحة .

اولا : عدم اللعب بالثورة المسلحة ، ولكن ما ان تبدأ يجب المضي بها حتى النهاية .

ثانيا : القوات التي تواجهك تمتلك كل مزايا التنظيم والانضباط لذلك يجب ان تؤمن تفوقا ومزايا اقوى ضدها .

ثالثا : عليك الانتقال الى مواقع الهجوم بلا ادنى تردد .

رابعا : عليك ان تفاجىء خصومك وقواهم مبعثرة (هذا لا ينطبق على وضع الاردن في ايلول) ولكن كان يمكن تطبيقه في الوسط وجرش والشمال .

خامسا : ضرورة احراز انتصارات يومية ، ولو صغيرة لتحافظ على ارتفاع المعنويات .

سادسا : عليك ان تجبر اعداءك على التراجع .

سابعا : الاقدام .. الاقدام ثم الاقدام (1) .

اما القواعد الخاصة لاستراتيجية وتكتيك الثورة المسلحة العامة فهي باختصار:

١ – ضرورة توفر خطة عسكرية محكمة دفاعية هجومية او هجومية دفاعية ثم هجومية – (حسب الظروف ، بحيث تحدد اهم نقاط التحصين وأهم نقاط الهجوم، وضمان تنفيذها بحزم) .

٢ – ضرورة وجود قيادة مركزية للثورة المسلحة ، تخضع لها كل القوات خضوعا كاملا (ان كل التعليمات والاوامر التي اصدرها ابو عمار للقوات خارج عمان لم ينفذ منها شيء) .

٣ – ضرورة الاستيلاء على الشرايين الاقتصادية الاساسية في البلاد .

(1) حول هذه القواعد راجع ماركس ، مقالة : «فن الثورة المسلحة» ومقالة لينين «نصيحة مراقب».

٤ – هجوم كثيف شامل في وقت واحد يستخدم كل اشكال الحرب في وقت واحد ، ابتداء من حرب الشوارع وحرب المواقع والحرب المتحركة وانتهاء بحرب الوحدات الغوارية الصغيرة واعمال الاغتيال الفردية .

٥ – القتال المستميت واحتقار الموت ، الشعار الاساسي : «لن يمر العدو او نفنى حتى اخر رجل» .

٦ – توزيع القوات والتعاون فيما بينها والقائها في المعركة دون تردد .

واخيرا لا بد من وضع النقاط التالية :

اولا : لم تستغل الثورة الفلسطينية كافة امكاناتها العسكرية والسياسية والجماهيرية استغلالا جيدا ، باستثناء عمان ، بل يمكن القول انها لم تستغل عشر امكاناتها .

ثانيا : اعداد الثوار الابطال الذين صمدوا في عمان عشرة ايام متواصلة وحققوا نصرا كبيرا في الصمود واحباط محاولة الجيش احتلال المدينة عسكريا كانت اعدادا قليلة مما يدل على انه كان من الممكن فعلا تحقيق نصر عسكري لو استخدمت الثورة المسلحة كل امكاناتها قبل المعركة وفي اثنائها، وحضرت للمواجهة العسكرية تحضيرا جيدا .

ثالثا : كان صمود الجماهير رائعا جدا ، وكذلك الاستعداد للتضحية وبذل كل شيء لتحقيق الانتصار .

رابعا : لم يكن ثمة مفر من القتال على شكل حرب مواقع وحرب شوارع ولكن كان يجب ان يصحب بحرب غوارية من الداخل ومن الخارج ، بالاضافة الى الاعداد لهجوم عام مضاد في اللحظة الحاسمة بعد بدء المعركة .

خامسا : ضرورة الاهتداء دائما بالقواعد الاساسية لفن الثورة المسلحة ، الى جانب القواعد الخاصة بالثورة المسلحة العامة . واخضاع العمل السياسي والتحريضي والتنظيمي والعسكري لحاجات حرب الشعب ، وفقا لكل مرحلة من مراحل تطورها .

واخيرا ، من الخطأ القول ان معركة ايلول كانت هزيمة عسكرية للثورة ، اذ رغم كل النواقص والاخطاء ، لم يستطع الجيش ان يحقق نصرا عسكريا . ولكن ، للاسف ، كان من الممكن ان تحقق الثورة نصرا عسكريا ، ان لم يكن كاملا ، فشبه كامل على الاقل .

على ان المعركة لم تنته ، ويجب الا تنتهي ، بيد انها دخلت الان مرحلة جديدة تتطلب اشكالا جديدة في الكفاح المسلح ، ولا بد من النصر في نهاية المطاف لقضية الشعب العادلة .. ان القضية العادلة لا تهزم مطلقا .

العقيد محمد الشاعر

الاستراتيجية العسكرية الصهيونية في مواجهة العمل الفدائي

عندما نتجاوز التعاريف المتعددة للاستراتيجية العسكرية التي هي بمضمونها لا تتعدى بشكل عام وضع الخطط العسكرية وطرائق تحقيقها لكسب الحرب على مستوى الوطن ككل ، لا بد من التذكير والتأكيد بأن الاستراتيجية العسكرية مهما تعددت طرائق تخطيطها تعتبر جزءا مكملا للاستراتيجية القومية التي توضع على مستوى هذا البلد او ذاك ، متناولة وضع الخطط والاهداف القريبة والبعيدة لاهم الانشطة والمجالات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والعلمية والثقافية .

ان الاستراتيجية العسكرية عندما توضع بمعزل عن هذه الانشطة وخاصة الاقتصادية والسياسية منها تكون اشبه بخطة يضعها جماعة من المغامرين قصيري النظر بقصد تحقيق هدف بعيد المنال دون التفكير بالوسائل المادية والطرق المضمونة التي تضمن الوصول اليه اذ سرعان ما تصطدم المخططات الخيالية والتحركات الحماسية بجدار الواقع المادي ولغة الارقام . وعندها تقع الكارثة وترتفع اصوات الندم والاعتراف باخطاء الماضي ، التي كانت قبل وقوعها ظاهرة للعيان وواضحة وضوح الشمس الا انها كانت تختفي كما تختفي اليوم اكثر اخطائنا وتصرفاتنا الغير متوقعة بفعل الابتعاد عن القضايا المعقدة والصعبة بغية التمسك بكل ما هو بسيط وتافه ومريح .

— ان الاستراتيجية العسكرية الصهيونية ، منذ ان خطط لها الزعماء الصهاينة ، وقبل نشوء ما يسمى بدولة اسرائيل ، كانت وما زالت تستند على قاعدة اقتصادية تستمد قوتها من سياسات مرسومة بدقة تسير بموازاة مع مختلف الانشطة الاجتماعية والعلمية والثقافية والعقائدية . ومثل هذا الاسلوب في التخطيط الاستراتيجي ما يزال متغلبا على التخطيط الاستراتيجي العربي في مختلف المجالات . وعلة ذلك تشتت القوى العربية وتمزق الامة الى دول وممالك وبالتالي خلق المعوقات امام التقدم الاجتماعي والاقتصادي .

— لقد ادرك رجال الفكر والسياسة والقادة العسكريون في دولة الصهاينة، بأنه عند اعداد اي شعب من الشعوب من اجل القتال يجب ان يؤخذ في الحساب في نطاق التخطيط والتنظيم جميع المجالات التي تتعلق بالقضايا المدنية والعسكرية التي تتأثر في القتال ، والتي ستدمر بغية تحديد امكانية صمود الشعب عسكريا معتبرين كما اعتبر غيرهم ان الامور الاساسية التي تشكل قوة حربية في كل دولة هي خمسة :

١ — سكان الدولة .
٢ — الوضع الجغرافي الاستراتيجي .
٣ — الوضع السياسي محليا ودوليا .
٤ — القدرة الاقتصادية .
٥ — طبيعة النظام الاجتماعي .

ولقد ادرك هؤلاء المفكرون والقادة في دولة الصهاينة ان هذه القدرات تشكل بمضمونها كلا واحدا لا يتجزأ ، لانها بمجموعها تشكل القدرة العسكرية . الا انهم مع ذلك اعتبروا بأن عوامل القوة العسكرية يمكن ان تتطور تلقائيا ، اذا ما اقيمت على اسس سليمة واستغلت بعقلانية وبأسلوب علمي ، على اعتبار ان هناك عوامل يمكن قياسها وفرزها وتحديدها كقوة منفذة تؤثر في الحرب وكسب المعارك اكثر من غيرها . ولهذا ركزوا ودققوا على معرفة نسبة القوى نظرا لاهميتها ووضعوا تخطيطهم على هذا الاساس .

— لا شك بأن القادة الصهاينة عندما يقيسون نسبة القوى يخرجون بنتائج معروفة مسبقا ، وهي ان العرب في كل الاحوال سيظلون متفوقين عليهم في اربعة عوامل اساسية من اصل الخمسة عوامل المار ذكرها وهي (عدد السكان والوضع الجغرافي والاستراتيجي والسياسي والقدرة الاقتصادية والنظام الاجتماعي) وفي واحد منها فقط حسب اعتقادهم وهو جودة نظام الحكم الاجتماعي تتفوق اسرائيل على جاراتها .

والحقيقة ان هذا النظام بالرغم من بعده كل البعد عن النظرة الانسانية لبناء الدولة بمضمونها التقدمي ، وتمسكه بالقومية التعصبية ذات البنية الشوفينية يبقى متفوقا على الانظمة العربية حتى هذه الحقبة بعدة ميزات منها : الاستمرارية والثبات والحزم في معالجة مختلف القضايا الصعبة التي يواجهها السكان بمختلف فئاتهم ونزعاتهم ، واهم من هذا وذاك القدرة الفائقة على التنظيم والتخطيط وتعبئة كافة جهود وطاقات السكان من اجل الحرب ، وبناء قوة عسكرية اثبتت جدارتها وقوتها على الثبات والصمود وسرعة الحركة والمفاجأة والجاهزية القتالية العالية.

— ان الاستراتيجية العسكرية الصهيونية تتسم بعدة صفات تنبع من حقيقة موضوعية لها قيمتها وأهميتها في كسب الحرب ، فهي لا تعتبر اسلوب الحرب كأنه شيء سري محاط بأفكار ومفاهيم نادرة ، تعتمد على العفوية والحماس والحظوظ، بل ان الحرب وكسبها يعتمد بالدرجة الاولى على خطط وأساليب يمكن تعلمها وتفهمها بصورة اعتيادية ومنطقية ترافقها الرغبة والميل والطموح لتحقيق الاهداف

القريبة والبعيدة .

– ان الاستراتيجية العسكرية الصهيونية اثبتت حتى هذه الحقبة ، بأن العامل الواحد المار ذكره ، والذي تتفوق به اسرائيل له قيمته ، لانه يساعدها على التفوق وقت الحرب ويجعلها قادرة في كل الاوقات على ان تجد وتستخدم كل القوى البشرية والمادية والروحية الموجودة فيها مضافا اليها مساعدة يهود العالم والامبريالية العالمية وخاصة الولايات المتحدة . وبذلك لا تخلق اسرائيل توازنا مع العرب فحسب ، بل وتعمل باستمرار من اجل ترجيح كفة التوازن كما حصل ذلك في حروبها الثلاث ضد العرب .

– ١٩٤٨ – ١٩٥٦ – ١٩٦٧ .

– بعد هذا الطرح المقتضب عن الاستراتيجية العسكرية الصهيونية المعاصرة، وبعد ان طرق باب المقارنات والمحاولات المتعددة لدراستها على ضوء قوتنا العسكرية النظامية ، تبرز لنا مسألة ملحة وراهنة وهي دراستها على ضوء المقاومة العربية (او العمل الفدائي) في هذه المرحلة العصيبة التي تواجه حركة المقاومة العربية ، بعد ان وجهت لها ضربات قاسية في الاردن بهدف تصفيتها او اضعافها على اقل تقدير .

منذ ان نشأت حركة المقاومة وأمتدت بشكل واسع عقب حرب الخامس من حزيران اخذت ترافقها مفاهيم وأفكار خاطئة تستند في جملتها على المبالغة بحجمها ، وبما هو مطلوب منها ، وما يمكن ان تحققه خلال معارك ضارية مع العدو قد تؤدي فيما لو استمرت وتطورت كما ونوعا لخلق الظروف المؤاتية لحرب التحرير الشعبية على غرار ما جرى ويجري في دول جنوب شرق آسيا وغيرها من دول امريكا اللاتينية .

– ان المخططين السياسيين والعسكريين في دولة الصهاينة ادركوا مسبقا خطورة تطور حركة المقاومة العربية . لذا فقد اخذوا يعملون في السرية والعلانية على خلق كل الطرق والاساليب التي تكفل لهم ضرب المقاومة العربية من الداخل قبل ضربها من الخارج ، على اعتبار ان الارضية التي نشأت عليها هذه الحركة كانت وما تزال مهتزة وضعيفة ، نتيجة لتعدد الآراء وكثرة الخلافات الناجمة عن كثرة التنظيمات الفدائية ، وتعدد سياساتها وولاءاتها لهذا القطر او ذاك . كل ذلك ساعد ويساعد على سهولة النفوذ والتغلغل داخل صفوف المقاومة من قبل عناصر وفئات مدسوسة ، تمكنت بحنكة وذكاء من تصعيد نار الخلافات حتى وصلت لدرجتها العليا .

ونحن الان لسنا بصدد دراسة السبب والمسبب بقدر ما نحن بصدد القوى الخارجية التي اندفعت بفعل الصهاينة وحلفائهم الامبرياليين – داخل المقاومة العربية لتنهش في جسدها وتفت في عضدها .

– لقد اعترف العديد من قادة العدو ومنهم وزير الدفاع موشي دايان بأن حركة المقاومة عندما صعدت عملياتها في السنة الاولى التي اعقبت حرب الخامس من حزيران بأن دورها لا يقل خطرا عن دور الجيوش العربية ، على اعتبار انها

خلقت حالة من الذعر والفزع وعدم الاستقرار لدى معظم السكان في اسرائيل ، لدرجة ان الهجرة اخذت تبرز كظاهرة خطيرة تهدد الكيان الاسرائيلي . لهذا اخذ الاستراتيجيون الصهاينة يبحثون عن افضل الطرق والاساليب الكفيلة لضرب حركة المقاومة وعزلها عن الجماهير العربية ، وفي هذا الصدد يقول ييجال الون نائب رئيسة مجلس الوزراء :

« ان بقاء حركة المقاومة الفلسطينية لتعمل بحرية داخل اراضي اسرائيل سيؤدي قريبا الى اضعافنا محليا ودوليا . لذا يترتب علينا دراسة الموقف دراسة جدية والعمل بكل حزم من اجل انهاء هذه الحركة وضربها في الداخل قبل ان تتطور ويستفحل خطرها . وفي رأيي ان افضل الطرق هو ضربها من الداخل وعزلها عن الجماهير العربية وتحقيق ذلك يتم بعدة طرق ، يأتي في مقدمتها تصعيد الخلافات والمشاحنات بين قادة المقاومة من جهة ، وبينهم وبين السلطات الحاكمة في الدول العربية التي تنطلق منها قواتها ، والمملكة الاردنية تصلح لان تكون مجالا فسيحا ومكانا ملائما لتنفيذ مثل هذه الخطة» .

– ان تفسير مثل هذه الاقوال لا يحتاج لمحلل سياسي او باحث عسكري يعمل كل منهما على مستوى الاستراتيجية العليا ووضع الخطط المعقدة على اعتبار ان ابسط انسان يمكنه ان يدرك المعاني القريبة والبعيدة التي تحملها هذه الكلمات ، سيما وقد اثبتت صحتها الايام القليلة الماضية ، حيث برزت احداث الاردن الدامية وكشفت عن القوى الحقيقية التي حركت كما تحرك الان كل عمل تخريبي في قلب الوطن العربي ، من شأنه ابقاء النزاعات والصدامات العربية واشعال نار الفتنة هنا وهناك بهدف بعثرة الجهد العربي الموحد والهائه في المعارك الجانبية والصراعات الداخلية التي تعطي لدولة الصهاينة الفرص تلو الفرص من اجل كسب الوقت والاستمرار في تنفيذ مخططاتها التآمرية على مستوى الوطن العربي ككل .

– وبعد تبقى نقطة هامة يجب عدم اهمالها قبل الخروج من هذا الموضوع ، وهي نظرة العدو للعمل الفدائي ، وخاصة في المجالين التنظيمي والفكري على اعتبار ان خطرهما لا يقل شأنا عن التسليح والتدريب والعمليات . يرى الصهاينة بأن المنظمات الفدائية لا ينقصها المبادىء الفكرية ، الا ان هذه المبادىء تبقى متعددة ومتشعبة ويوجد لها كذلك احتياط كبير من القوى البشرية ، وخاصة بين صفوف اللاجئين الفلسطينيين الذين يستفيدون من المساعدات المادية والفنية ، ومن الدعم السياسي والادبي من قبل اوساط ذات تأثير كبير في العالم العربي والخارجي ، ومع ذلك يعتقدون بان هذه المنظمات عاجزة للوصول بحركة المقاومة لمستوى حركات التحرر الوطني في مضامينها السياسية والعسكرية ، وفي رأيهم ان ذلك يعود لعدة اسباب من جملتها :

١ – لم تتبلور بعد شخصية فلسطينية وطنية ترغب في التحرر الوطني .

٢ – ان سكان الضفة الغربية لن يتعاونوا بصورة جدية مع حركة المقاومة

بالرغم من ان الاخيرة تعمل من اجل تحريرهم .

٣ ــ ان المنظمات الفدائية ليست تابعة لحركة جماهيرية سياسية واسعة المدى ، ولو ان هذه المنظمات قد توسعت اخيرا .

ــ من هذه الزاوية واستنادا على هذه المفاهيم يخطط الصهاينة عسكريا وسياسيا من اجل القضاء على حركة المقاومة العربية بصورة عامة ، والمقاومة العربية الفلسطينية بصورة خاصة ، لهذا يتوجب علينا ان ندرس مثل هذه النوايا التي يضمرها عدونا ونحللها بكل دقة وعمق ، لان معرفة نوايا الخصم وأساليبه في العمل هي المنطلق الاساسي الذي يمكن القائد الناجح عند وضع الخطة من رسم الاسلوب الصحيح والطريق المضمون ، الذي يؤدي الى كسب المعركة وتحقيق النصر .

الياس مرقص

مرة اخرى حول
المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن

١ ــ ملاحظات حول التصريحات والتصحيحات الواردة في صحف ٢٠ ــ ٢٢ /١/ ١٩٧١

بعد مطالعتي لما ورد في «الاهرام» ، عدد ٢٠ــ١ــ٧١ ، و«اليوم» عدد ٢١ــ١ــ٧١ ، و«الانوار» عدد ٢٢ــ٢ــ٧١ (١) ، وبعد اخذي علما بان كل قادة المقاومة (عرفات ، بكر ، ابو غربية ، حبش ، حواتمه ...) او معظمهم يدينون صدامهم السابق مع الجمهورية العربية المتحدة وأوهامهم السابقة حول السلم الوشيك ، ويدينونها بألفاظ واضحة حادة معلنين ان الجمهورية العربية المتحدة هي الحليف الطبيعي او الحليف الاكبر الخ الخ ، وبعد ان فتشت في هذه المقالات عن عدد من المسائل والنقاط ، عبثا ، ونظرا لان هذا النقد الذاتي المتنوع لقيادات فصائل المقاومة لا يرجع الى الاصول ويحبط نفسه بنفسه عند عتبة التحديد الاخير ، ارى من واجبي ان اضيف ــدونما تأخرــ هذا الملحق لكتاب «المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن» .

ــ١ــ

حين يقول قادة المقاومة انهم اخطأوا في موقفهم العدائي ازاء عدد من الدول العربية التقدمية ولاسيما الجمهورية العربية المتحدة وانهم بالتالي لم يضعوا خطا فاصلا بين الدول التقدمية والدول الرجعية ، فاننا نقول :

أ ــ لا ، يا سادة ، الصحيح انكم لم تتخذوا موقفا عدائيا ازاء «عدد من

(١) مقال طلال سلمان وفيه احاديث قادة المقاومة .

الدول العربية التقدمية» ، بل اتخذتم موقفا عدائيا من الجمهورية العربية المتحدة.

ولكن لعلكم تقولون : اختلفنا واصطدمنا (في تلك الفترة) مع دول تقدمية اخرى ، مثلا مع ليبيا ، مع السودان .

فنقول : بالضبط ! اصطدمتم مع الجمهورية العربية المتحدة ، وجزئيا مع الدول التقدمية السائرة (جزئيا) في خط الجمهورية العربية المتحدة . (هل هناك دول اخرى تقدمية اصطدمتم معها في الفترة المعنية ؟ جولوا ببصركم على خريطة الوطن العربي ، شرقا وجنوبا وغربا !)

ب ـ وأصبحتم ، موضوعيا وبصرف النظر عن النوايا ، بحكم الايديولوجيا الشعارية ، اداة لدول اخرى تقدمية ورجعية ، والتي بادرت منذ زمن غير قصير الى حرب علنية وخفية ضد الجمهورية العربية المتحدة.

ـ٢ـ

حين يقول قادة المقاومة اصطدمنا مع الدول التي تؤيد قرار مجلس الامن والتي قبلت مبادرة روجرز ، فاننا نقول :

هنا مكمن الداء . اصطدمتم مع الدول التي تؤيد ... اي تحديدا مع الجمهورية العربية المتحدة ، مع الدولة العربية الوحيدة التي قاتلت من يوم ٥ حزيران ١٩٦٧ حتى يوم ٢٣ تموز ١٩٧٠ (او بعده بقليل) .

ومكمن الداء انكم اذن لا تلاحظون ـ لم تلاحظوا خلال تلك السنوات الطويلة والغنية بالتجارب ، ولاسيما بتجربتكم ، تجربة الاستشهاد والتضحيات والتفاني، والعجز ، ولا تلاحظون اليوم بعد مضي شهور على الحوادث ، حوادث هبَّتكم في اواخر تموز ضد القاهرة ، ومؤتمركم في اواخر آب ، وانجرار بعضكم وركض البعض الاخر الى مجزرة اواخر ايلول ـ ان كل هذه الصلابة المبدئية الراسخة الخ ضد قرار مجلس الامن التصفوي وكافة الحلول التصفوية الاستسلامية الانهزامية الخ الخ ليس لها عندكم سوى وظيفة موضوعية (رغم انف النوايا) واحدة ، الا وهي ان تجعلكم طوعا تغمضون عيونكم عن حقيقة ان مصر تقبل بقرار مجلس الامن وتقاتل وتضحي وتصمد وتتوجه الى القتال وان دول «الرفض» (رفض قرار مجلس الامن) هي فعليا دول الرفض (رفض القتال) .

بيد ان افضل وأقصى ما يصل اليه قادة المقاومة في مضمار اكتشاف هذه الحقيقة البسيطة التي تركض في الشارع العربي منذ سنوات هو ما يقوله اليوم ابراهيم بكر («الانوار») : «فالمتحدة حليف للمقاومة رغم تعارض موقفيهما السياسيين بينما تظل الحكومات الرجعية في مرتبة ادنى حتى لو حددت موقفا لفظيا يتماثل مع موقف المقاومة العملي» . ان هذا «التلطيف» لا يجوز ان ينسينا هذا «التحويل» . والفساد في الاساس : ايديولوجية المقاومة اي **لفظيتها** . لان الايديولوجيا كلها ، بحكم منطلقاتها ، تنتهي فورا الى اللفظية : حرب التحرير الشعبية اليومية الاذاعية ، والرفض اليومي للحلول التصفوية . عمليا هذا كله لم

يكن له سوى معنى واحدا : تبرئة الذي يردد معنا هذا الكلام ولا يعمل شيئا والانركاب من قبله ضد من لا يردد هذا الكلام ويعمل شيئا ، تحويل نظرنا والسعي الموضوعي (رغم حسن النوايا = بلاط الجحيم) لتحويل نظر شعوبنا نحو الاقوال بدلا من الافعال ، احلال معيار الاقوال محل معيار الافعال ، في الحكم على القوى العربية الكبيرة (الاكبر منا بكثير ، يا اخوان) .

ـ٣ـ

حين يقول ناطق بلسان «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» («اليوم») : ان المقاومة «تدرك ان الانظمة العربية الوطنية ومن بينها دول ميثاق طرابلس هي في المعسكر الوطني ، وعلاقة حركة المقاومة معها هي علاقات مبنية على التحالف والصراع في آن واحد» ، فاننا نقول له ولامثاله :

ان تكون «دول ميثاق طرابلس» (مصر ، سوريا ، السودان ، ليبيا) ومعها الانظمة الوطنية الاخرى (الجزائر ، جنوبي اليمن وشمالها ، العراق، وربما جمهورية موريتانيا او جمهورية تشاد . من يدري قصد الناطق ؟) «هي **في** المعسكر الوطني» الى جانب المقاومة ، يجعل المقاومة متحلية في نظركم بصفة التواضع ، اما في نظر الواقع فهو يكشف انها كما تمثّلونها حاملة الذاتية والتمحور على الأنا والعمى الذاتي والغرور ، كما لم تحمل هذه الاوصاف اية فصيلة في تاريخ الحركة الوطنية .

وأن تكون الجمهورية العربية المتحدة (التي لم يرد اسمها !) هي واحدة من دول ميثاق طرابلس التي هي من الانظمة العربية الوطنية التي هي من المعسكر الوطني فهذا تشخيص كامل للداء : العمى العادي .

وحين يبلغنا نبأ ان الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين المنشقة عن شقيقتها الشعبية بدأت تفاوض بغداد التي هي دولة في جملة (جملة) الانظمة العربية الوطنية فاننا نقول ونصرخ : ! Hola . قبل شهور كان هذا الود مع اقصى المشرق محصورا في الشعبية الخصمة . من يعش ايلول ير فول (١) .

ـ٤ـ

حين يقول الناطق الشعبي نفسه ـ لا فض فوه ـ ان «الجبهة الشعبية

---

(١) فول العربية ، وفول لعبة البوكر ، وفول الانكليزية الاخرى Fool . حسب اخر الانباء ، صدر بيان مشترك عن مفاوضات حواتمه في بغداد . وجريدة «الحرية» ، لسان حال م.١٠ل ـ ل.١٠ ـ ج.ش.د ، استغربت تصرف ج.ش.د. !؟؟ استغراب لا يضلل احدا ، ولكنه ضروري لاستمرار جماعة الونزو في بيروت ورفاقهم في الخليج العربي .

لتحرير فلسطين ستظل واقفة بالمرصاد لمؤامرة ما يُسمى بالحل السلمي والعمل على احباطها بمختلف الوسائل التي تستطيعها» ، فاننا نقول :

ــ هذا بالضبط ما تفعله «يوميا» منذ سنوات الجبهة الشعبية لتحرير شرقي الاردن وأخواتها ! هذا هو **قوام ، اي غطاء** كل الخط السابق !!

بيد ان ما يبرز في تصريحات او اعترافات جورج حبش («الانوار») هو ما يلي : «كنا في العديد من مواقفنا منساقين بردود الفعل ، واننا لم نملك الخط السياسي الذي يربط بين اهدافنا الستراتيجية وخطواتنا التاكتيكية» .

(ــ كلا ، لا هذه ولا تلك ولا ذلك !) . والحقيقة انه لما طرح المشروع (مشروع روجرز) اندفعنا ، نتيجة لتوهمنا انه سينفذ خلال فترة قصيرة من الزمن قدرناها بثلاثة شهور ، الى مواقف العداء للمتحدة .

ــ (بالضبط كنتم دائما «واقفين بالمرصاد لمؤامرة الحل السلمي» وحاولتم ان تفجروا السلام بتفجير طائرة اميركية في مطار القاهرة ...) ، وهو موقع ما كان ينبغي ان نسقط فيه ابدا في المرحلة الراهنة» .

ــ هذا هو «الغباء الديبلوماسي» بعينه . هؤلاء المحاربــون ضد مشروع روجرز ، تصوروا انه للتنفيذ . وقسموا البشر الى مع مشروع روجرز وضد مشروع روجرز . وهم على حق . فاتهم فقط ان يكمّلوا التصنيف : البشر ، القوى الفعلية في الساحة ، معسكران لا ثالث لهما : بعضها مع مشروع روجرز، وبعضها الاخر مع روجرز ، لان روجرز (اي اميركا) ضد «مشروعه» .

انتم لا تقفون بالمرصاد لمؤامرة الحل السلمي . وان شبح مؤامرة الحل السلمي يسكنكم ، يطاردكم ، ويقف لكم بالمرصاد .

ــ٥ــ

وحين نقرا ، في حديث ابراهيم بكر ، «الانوار» ، ما قالــه الرئيس جمال عبد الناصر لقادة المقاومة : «اعترضوا على سياستنا ولكن حذار من تحول هذه المعارضة الى هجوم على مصر . ان خصومكم سيستغلون اية فجوة في علاقاتكم بمصر للتسلل الى صفوفكم او لاستدراجكم بعيدا عن اهدافكم» ، فاننــا لا نقول شيئا ، لان القول من قبلنا نافل . انتم تقولون . وبالاستناد الى ما تقولون، ننتقل الى يومنا الحاضر !

هذا قاله الرئيس عبد الناصر قبل ايلول . بعد ايلول ، نقول لكم : حذار ان تعترضوا على سياسة مصر. انتم غير قادرين على تطبيق ما عرضه عليكم الرئيس: «اعترضوا ولكن ...» . لان القوى الكبرى صاحبة السلطان في هذا الكــون العربي الذي وراءه الكون العالمي (بعد صرفنا تواضع الناطق بلسان الجبهــة الشعبية) تفرض ان تجتازوا الحد ، ولان ايديولوجيتكم الوهمية كلها (المحــور والجبهة المساندة ، المقاومة البديل عن الجمهورية العربية المتحدة ، حرب التحرير الشعبية البديل عن الجيوش ، الرفض البديل عن العمل ، «هدف» التحريــر

«العام» البديل عن الستراتيجية والتاكتيك والخط السياسي) لا تحصنكم ابدا ضد هذا «التجاوز» الملموس يوميا .

بتعبير اخر : هذا ما قاله لكم الرئيس عبد الناصر قبل وقــوع الوقائع . وانتم تكشفونه على الملأ الان (بعد ان اوضحت اذاعة القاهرة رسميا هذا الموضوع ذاته في حينه ، في اواخر تموز ، في آب) . وتقولون كل شيء بصدق واخلاص وندم صريح . عليكم الان انتستخلصوا الدروس ، لا ان تنجرّوا ــبصدق وباخلاص يعقبهما ندم صريح ــ الى سياسة تمرير الجديد ــ القديم ، اي تمرير القديم في ثوب جديد .

ــ٦ــ

وحين نقرأ (في «الانوار») ان ياسر عرفات كان يريد الانسجام مع ما قالــه عبد الناصر ــ وهذه رواية مسموعة من قبل ، سمعناها من قبل (١) ــ ، فاننــا نقول : بالضبط حذار ! حذار ! فالرواية ــ كما سمعناها من قبل ــ تقول : حين كان عرفات يعرض على الشباب الثائر في مؤتمر آب بعمان حواره مع عبد الناصر، ما قاله له عبد الناصر (من حقائق بديهية) ، كان الجمهور (الشباب الثائر الفائر) يصرخ فيه : «ما هذا الكلام ، يا ابو عمار ، ما هذا الكلام ؟ خيانة ! خيانة !» ، وكان ابو عمار لا يستطيعالا ان يقول ويردد ، دافعا الالتباس : هذا ما قاله عبد الناصر ، اني اعرض عليكم رأيه هو (اي هذا ليس رأيي ، انا معكم ، انا ضد رأيه، انا اخوّنه مثلكم) . بالطبع، لا يستطيع احد ان يقول ما اذا كان لسان ياسر عرفات يتوقف عند القوس الاول ، او بعده بقليل ، او في منتصف ما بين القوسين ، او قبل القوس الثاني بقليل (٢) . ولكن ، حتى في الحالة اللسانية ما بعــد الاخيرة (اي في حال وصول اللسان الى نهاية الشوط) ، لا يستطيع احد ان يقول ايــن كان قلبه وعقله في تلك اللحظة ، او كيف انتقل القلب والعقل (او القلب فارض العقل وفارطه) بين اللحظة الاولى واللحظة الاخيرة ضمن تلك اللحظة الواحدة !

والرواية كما يعرضها طلال سلمان (في «الانوار» ٢٢ــ٢) بصورة متجــردة وهادئة ، اي ــهنــا مع تحسينها وتزويرها (٣) تعلمنا او تذكّرنا «بان ابا عمار قد

(١) وكانت اذاعة القاهرة ، في حينها ، قد نقلت تصريحا رسميا مصريا فيه تنويه بأن فتح ومنظمة التحرير قد رضختا لابتزاز المزاودين ، ضد قناعتهما (في رأينا : ضد قناعتهما الجزئية) .

(٢) نرجح ان للمؤتمر محاضر . ونرجح انها شبه ــ محاضر . افضل طريقة آلة التسجيل . ليس بقصد «كشف الجواسيس» ، بل بقصد منع المزاودات والتهريج واجبار الناس على التفكير قبل الكلام والصياح ، وبقصد معرفة الخطوط ، وكشفها ، تبيان صوابها وخطئها في ضوء التجربة (الجارية واللاحقة) ، وتلمس احتمالات الباقي «مسألة الجواسيس» في ضوء مسألة الخطوط .

(٣) التزوير بالمعنى الوارد في قول احد الصحابة : «زوّرت قولا اقوله لرسول الله» اي حسنته. الكلمة الاجنبية الفلسفية : Idealisation

لعب دورا بارزا لضمان صدور القرارات خالية من التهجم على المتحدة ، مع رفضها المطلق لمشروع روجرز» وهذا ما «يذكره الذين حضروا الدورة الطارئة للمجلس الوطني الفلسطيني في عمان في اواخر آب ١٩٧٠» .

ـ بتعبير اخر : لنسعد جميعا ولتسعد المقاومة بأن القرارات صدرت خالية من التهجم على المتحدة . اما ان هذه القرارات ـومثلها كثيرـ لا تقرر شيئا ، وبصورة أدق : اما ان «خلوّها من التهجم على المتحدة» لا يقرر ، بل «رفضها المطلق لمشروع روجرز» (!) هو الذي يقرر ، باعتبار ان هذا الكلام هو ـمؤولاـ المآل العملي للقرارات او بالاصح المآل اللفظي الصائر عمليا وفوريا وأصليا هجوما عمليا وفوريا وأصليا على القاهرة ، فهذا ما يبقى بعيدا عن طلال سلمان ومبعوثي «الاهرام» والاخوان والرفاق عرفات ، بكر ، ابو غربية ، حبش ، حواتمه وكل الطيبين الذين اشتركوا في الدورة الطارئة (!) للمجلس التي سبقتها هبّة عامة هي ايضا «طارئة» !!

ـ٧ـ

ولكن حيث نشده فعلا (!) فعندما يذكر طلال سلمان ما قاله نايف حواتمه في تلك الدورة الطارئة لاواخر آب . فقد قال «ابو النوف» وباسم الجبهة الديمقراطية :

«مع اعتراضنا المبدئي على قبول المتحدة للمبادرة الاميركية ، الا اننا لا نقول بضرورة انهاء العلاقة معها . ان النظام القائم في المتحدة هو الاكثر تقدما وتقدمية بين الانظمة السائدة في الوطن العربي ، وهو في هذه المرحلة حليف ضروري لنا . وقد تتعارض سياساتنا ولكن هذا التعارض لا ينبغي له ان يتحول الى تناقض ، اي الى عداء» (١) .

نعم ، تلكم هي الامور ، ايها الاخوان ، صحفيين وقادة مقاومين : ابو النوف هو ايضا ضد الهجوم على القاهرة ، مثل ابي عمار ، الديمقراطية مثل فتح كانت منسجمة مع ما قاله لكم الرئيس عبد الناصر . ومع ذلك!! ان كل هذا «الانسجام» لم يمنع لا وقفة اواخر تموز ضد القاهرة ولا المسيرة الراسخة الصلبة المنهجية المسلسلة الى كمين اواخر ايلول .

بتعبير اخر : ان الترقيع لا يجدي . تنسون ـ في جملة اشياء ـ ان القاهرة كانت ضد هذه المسيرة الراسخة الصلبة المسلسلة الى كمين اواخر ايلول، وانها كانت موضع اتهام وشائعات وتخوينات من لدنكم في القواعد والمخيمات والمكاتب والمقاهي ـ قبل كل قصة روجرز ! ـ على **هذا** الاساس ، لانها حذرة

(١) نحجم عن مناقشة مصطلحات هذا «الماركسي» الكبير ، عسى ان يقدم لنا في مستقبل الايام دراسة فلسفية «حول التناقض» ، يكمل فيها عمل ماوتسي تونغ ، او على الاقل عمل آلتوسر وتلامذته في لبنان .

حذرا واضحا من هذه المسيرة الراسخة الصلبة المسلسلة الى الكمين الكبير .

بالطبع ، لا يمكن الشك في صحة رواية طلال سلمان عن حواتمه ومدحه الصادق للمتحدة . انها تتفق مع نفسية «ابو النوف» ، صدقه ، عاطفيته ، انفعالاته ، ومضاته . ان الجبهة الشعبية الديمقراطية ، في اللحظات الوامضة ، تستطيع ان تتخذ احسن قرار من حيث الخط الاساسي المفصل في بنود عشرين، ولكن في القرار سيكون نصف جملة وربع جملة وجزء من جزء من بند، ما قد لا يتجاوز مجموعه السطرين ، وسيكون السطران هما الخط الاساسي عمليا ، اي الخط الفعلي . تلك هي التركيبة الايديولوجية او الذهنية والتنظيمية .

ان الترقيع لا يجدي . تلك دلالة التجربة .

كل الاشياء الصحيحة ، الجميلة، الثمينة ، التي تقولونها اليوم، وتطرحونها ك «منطلقات» (!) ، كمبادىء عامة (!) ، سبق اذن ان قلتموها في مؤتمر اواخر آب . ولكن هذا كله لا يفيد ، لانه يُحبط ويرتج عليه ويسد امام التحديد الاخير.

ان رجلا (ابو النوف) يسير في البرية شهيدا حيا حاملا كفنه بيده ، ضحية لتواطؤ التحريفية السوفياتية والامبريالية الاميركية العالمية المحبة للسلام والتعايش (١) ، هذا الرجل يستطيع ان يصرخ في مؤتمر اواخر آب : لا ! لا صدام مع الجمهورية العربية المتحدة، هذه احسن الدول العربية وأشرفها وأنظفها، وأقربها الينا، وعبد الناصر اشرف رئيس، يستطيع ان يصرخ صادقا هذه الصرخة الوجدانية النابعة من الاعماق والاحشاء ، ان يصرخها في اواخر آب ١٩٧٠ ، ولكن ذلك لا يمنعه من (او لعله يبرر له !) ان يباشر **في اليوم التالي** «الثورة» التي طال انتظارها ! وهنا المحك عند التحديد الاخير .

اذ ، ايا كانت النوايا والتصورات الداخلية ، فان الروابط الموضوعية للامور حاصلة على النحو التالي :

نمدح المتحدة ، نرفعها الى فوق ، نؤكد مبدأ ان لا تناقض معها ، وان التحالف معها ضروري (او ضروري «في هذه المرحلة») ، لكي نمرر «ثورتنا» ، لكي ندفع بأنفسنا الدفعة الاخيرة الى الفخ ، لكي نخلق هذه المشكلة للمتحدة والمعركة القومية (ولكي نودي بحياة رئيسهما) .

وسير هذه التصريحات الجديدة ، النادمة والمادحة ، لا تنبىء بأن الامور تبدلت على صعيد النوايا الذاتية والروابط الموضوعية ، وهي تنبىء بان الالتباس قائم ـكما في الماضيـ داخل صف المقاومة ، بين المنظمات ، وداخل المنظمات .

ماذا يفيد كل صواب الارض حين يخفق عند التحديد الاخير ، عند هذه النقطة الصغيرة التي هي المهمة العملية ؟ ان كل صواب الارض ستكون «فائدته»(!)

(١) في اوائل عام ١٩٧٠ ، كان هناك في وفد المقاومة العائد من موسكو ممثل عن الجبهة الشعبية الديمقراطية . ولقد نقل الوفد العائد ـبما في ذلك ممثل الجبهةـ الاقتناع السوفياتي بان الحل السلمي بعيد بعيد ، فأميركا معاندة دجالة ... ولكن ابا النوف ظل مقتنعا بالعكس (يقول العكس في الاسبوع نفسه) ، خائفا من المؤامرة الدولية العملاقة التي تستهدفه والثورة.

بالضبط ان يسوّغ وان يمرر السلوك العملي الخاطىء ، الثورة الفلسطينية في شرقي الاردن (= **تصفية المقاومة**) = الركض الى الكمين الرجعي (= تصفية المقاومة) . ونضع علامة التشديد على «تصفية المقاومة» في المرة الاولى ، لان في المرة الاولى الاساس ، الاساس الذي يتشخص ويصل الى المرة الثانية في شكليها (المجزرة ، المذبحة ، فشل المشروع «الثوري» ، و ، نجاح المشروع ، ظفر «الثورة» بالفأر السام) ! فالرجعية صاحبة الكمين محلية ودولية (الامبريالية) .

—٨—

أ ان **تصدير الثورة الفلسطينية** متضمن جزئيا (في عنصر اول) في «شعار **«الثورة الفلسطينية»**» غير المدروس غير المحص ، الذي يفتح باب السحب (سحب الثورة الفيتنامية او الصينية او الكوبية او الجزائرية على «الثورة الفلسطينية») ، السحب الذي ينسى (اي يذكر احيانا وينسى ، او ربما يذكر كثيرا وينسى عمليا) الفرق بين الثورة الفلسطينية وكل الثورات في التاريخ . ان العدو المنتصب امام «الثورة الفلسطينية» والمتمثل في اسرائيل –الدولة– المجتمع يتمتع بدعم غالبية السكان في «فلسطين» (١) . بالطبع ، هذا النسيان تعززه الشطحات الاممية الزائفة و«الاهداف» النازلة الى مستوى نوايا طيبة لنساء طيبات (التفريق الدائم بين حكومة اسرائيل الصهيونية ودولة اسرائيل العنصرية والاحزاب الاسرائيلية العشرين السافلة وبين الجماهير الشعبية اليهودية في اسرائيل) (٢) .

ب في مرحلة ثانية من ديناميكية الجدل العقلي «للثورة الفلسطينية» ، تصبح «الثورة الفلسطينية» قائمة حيث هناك في الكون تجمعات فلسطينية (والجبهة الديمقراطية وسواها تركز انتباهها واحصاءاتها الحسابية على هذه النقطة ، على أعداد ونسب الفلسطينيين العرب خارج فلسطين) . وهذه المرحلة الثانية تضع العقل الجامح على عتبة مرحلة ثالثة : عمليا ، الثورة الفلسطينية لا تقوم في فلسطين المهوّدة (وهذا امر طبيعي تماما تحتمه الشروط الموضوعية التي يجب وعيها) . والثورة الفلسطينية لا تقوم (لم تقم ، قامت ثم انحسرت) في فلسطين العربية السكان ، لا في شكل حرب عصابات ، ولا في شكل انتفاضات مدن ، ولا في اشكال كفاحية شعبية سلمية (وهذا ناجم عن فساد المنهج كله ، عن فساد

(١) مرة اخرى : ١– في فلسطين ثلثا السكان يهود . ٢– في اسرائيل ، اي في فلسطين المحتلة **والمسكونة** بين ١٨٨٠ و١٩٥٢ ، ٩٠٪ من السكان يهود . ٣– العرب هم كل السكان او تقريبا في فلسطين المحتلة في ٥ حزيران١٩٦٧ ... المقاومةتسير على مبدأ «وحدة التراب الفلسطيني»!

(٢) على هذه الاسطورة ، تلتقي المقاومة واليسار الجديد والاحزاب الشيوعية . الدعاية (ابراز وجهنا الديمقراطي الاممي اللاعنصري الخ لخ) تنفصل عن الواقع وعن خط العمل الواقعي ، ثم تطفى على الواقع وخط العمل الواقعي . هذه «الدعاية» (!؟) تصبح «دعاية» على انفسنا .

الخط كله) (١) . وعمليا ، الفلسطينيون هم اكثرية السكان في قطر عربي محدد ، هو شرقي الاردن . نحن اذن على عتبة تغير الوطن ، استبداله ، اختناق المقاومة الفلسطينية بالفأر السام ، اشتعالها واحتراقها وانطفائها .

لا نشك – كيف يمكن ان نشك ؟! – في ان ياسر عرفات وآخرين (ربما الجميع) يشعرون منذ سنوات (شعورا واضحا او غامضا) بأنهم يقفون على العتبة . نصيحتنا الاخوية ان يعودوا الى ما قبل العتبة ، والى ما قبل المرحلة الثانية ، الى مبدأ الانطلاق نفسه الذي لا يجوز ان يُمسخ في كلمة «شعار» المبهمة الملتبسة ، ان يعودوا الى **مبدأ** الثورة الفلسطينية (ونضعها بدون مزدوجات) ، ان يمحصوا هذا المبدأ ، ان يدققوه ، ان يدفعوا الالتباسات ، ان يفصلوا الصواب والخطأ داخل المبدأ ، ان يحددوا **نقص** المبدأ . **فالنقص هو نقص المبدأ** ! هذا المبدأ يحمل جزئيا– آلية محددة تقود الى هذه العتبة .

ومن يقف عند العتبة ، لا يلاحظ انه انما يقطع العتبة باطلاقه او تسامحه مع شعار **«كل السلطة للمقاومة» ! فالمقاومة الفلسطينية والشعار مرفوع خارج فلسطين.**

ان شعارات (!) المقاومة لا صلة لها بالواقع (المقاومة تسبح في الشعارات ، انها في هذا المضمار عربية تماما ، انها منا وفينا) . ولكن الشعارات التي ليس لها صلة بالواقع المادي المحوّل مثاليا في العقل المثالي ، لها وظيفة في الواقع المادي، انها تتحقق واقعيا se Realise على نحو ما، تصبح واقعا ماديا، تتحدد وتتشخص على نحو ملموس تماما ، وهكذا يكون لها كل الصلة بالواقع ، انها تصنعه ولو على غير ما ارادت : الثورة الفلسطينيةفي شرقي الاردن ، الجبهة الشعبية لتحرير شرقي الاردن ، الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير شرقي الاردن . طلائع حرب التحرير الشعبية في شرقي الاردن .

ان ادبيات المقاومة (وهي فعلا ادبيات) مليئة بشعار «لا سلطة فوق المقاومة»، «لا سلطة فوق سلطة المقاومة» ، بل هي احيانا تطالب بان لا يكون هناك سلطة فوق سلطة المقاومة في كل مناطق خطوط اطلاق النار او وقف اطلاق النار (بورسعيد والاسماعيلية ؟) . هذه الادبيات لا تدرك انها ، في احسن احتمال ، تمزح (ونترك الاحتمال الاسوا) .

وحسب اخر الانباء (نيسان) ، صرح حواتمه في بغداد ان اميركا عرضت على المقاومة بواسطة المصمودي استلام السلطة في عمان . ولا يبدو انه ذكر انه كان اول من تبنى هذا الموقف الاميركي وقبل صدوره عن المصمودي بعام او اكثر – انظر مثلا كتابه «حول ازمة حركة المقاومة ...» ، الطبعة الثانية ، ص ١٤٢ ، السطران الثالث والرابع : «اقامة نظام ديمقراطي شعبي في الاردن كهدف اساسي لكل الكفاح الجماهيري المنظم في مقاومة الاحتلال» ولا يبدو انه ذكر ان الجبهة

(١) في ١٩٦٨ ، حدثت تحركات شعبية واسعة في الضفة الغربية : «ناصر فتح ، ناصر فتح» . ولكن المقاومة ارادت (وصدّقت على ما يبدو) ان تكون بديلا عن ناصر ، ومصر ... هذا **جزء** من الكل .

الشعبية الديمقراطية قد انتقلت الى التنفيذ في ايار ، في آب ، في اوائـل ايلول ١٩٧٠ .

-٩-

ولكن يمكن ان ندرك – ولو بعد وقوع الواقعة – ان شعار «كل السلطة للمقاومة» هو «كل السلطة للمقاومة» **خارج** فلسطين ، **اي تصدير** الثورة الفلسطينية الى شرقي الاردن ، وان نصل الى نفس النتائج العملية : الانجرار الى الكمين الراسخ ، اشغال العالم والعرب وأنفسنا بمشكلتنا مع حسين ومشكلة حسين معنا ، التمحور على الأنا ، اهمال موضوع البترول والدول البترولية ، اهمال موضوع الجبهة الشرقية ، وموضوع القوّالين ، اهمال الاشقاء البعيدين الذين يحبوننا كثيرا ولكنهم مشغولون بقضاياهم الداخلية ومنصرفون الى التنمية، خصوصا بعد ان اكتشفوا زيف المشرق ومحاسن المغرب (١) . من اجل هذا الوصول ، يكفي مع هذا الادراك ان نتحايل على ادراكنا .

والتحايل على اشكال :

١ – يقال مثلا (هذا ورد في محاضرة لاحد القادة «اليساريين» اكتشف اخيراً مفهوم ومصطلح «شرقي الاردن») : اخطأنا ، لم نرتبط بالجماهير الكادحة الشرق اردنية ، لم نرتبط بالفقراء ، بالفلاحين والعمال والبروليتاريا الرثة . هذا هو خطأ المقاومة وسبب فشلها (بتعبير اخر : خطنا نحن كان صحيحا . والمقاومة عليها ان تأخذ به) . هؤلاء يعتقدون –فعلا– ان في شرقي الاردن الراهن «صراع طبقات» يهيمن او يمكن ان يهيمن على سير الاحداث !

٢ – في شكل اكثر جدية ، يقال : ان شعار «كل السلطة للمقاومة» شعار خاطيء . يجب ان نقيم حلف المقاومة الفلسطينية والقوى التقدمية الاردنية ، وان نطرح شعار كل السلطة لهذا الحلف او لهذه الجبهة . هنا نرتفع من الثرثرة الطبقية الى المستوى السياسي . ولكننا ننسى ان هذا كلام ورد ايضا في ادبيات ما قبل ايلول . بتعبير اخر : قد لا يكون سوى كلام . والمهم ربط المقاومة وحلف المقاومة – القوى الوطنية بالمعركة الوطنية ضد الاحتلال .

٣ – وهنا يقال : بالضبط ! نحن نربط شعار «كل السلطة لجبهة المقاومة

---

(١) الذين يأخذون علينا اننا عجزنا ونعجز عن تطبيق ما فعلوه : انتصار الثورة المنبثقة من ذاتها مع دعم (!) الاشقاء العرب الحقيقي (!) . اذ ،كما هو معلوم ، نحن الفلسطينيين عشرة ملايين في قطرنا وليس فوقنا الا مليون او مليون ونصف مستوطن او معمر يهودي ، ويجب اذن ان يستطيع مجاهدونا ومسبلونا ان يأكلوا الاخضر واليابس ، وأن يأكلوا بعضهم عند اللزوم ، لعل التصفيات الدامية هي ما ينقصنا ولعل هذا النقص هو سبب عجزنا . ان هؤلاء الاخوان ينسون شيئين صغيرين في تجربتهم العظيمة المعجزة: وحدة شعبهم ، ووحدةالعرب ! والحال، ان هذه الوحدة المزدوجة هي اساس – اساس كل معجزة ، وبالاحرى المعجزة الفلسطينية القادمة .

والقوى الوطنية» بشعار «تصعيد معركة التحرير» !

ونقول : بالضبط ! ان «تصعيد معركة التحرير» ليس سوى «شعار» ! ليس سوى عمومية اخرى ، كبيرة كبيرة ، وغير جديدة ابدا . والمطلوب جرد المحتويات ، تحديد الخط (لا سيما العربي) ، تحديد سلم الاولويات ، اي اقتلاع الايديولوجيا كلها من الجذور . بدون ذلك ستكون المقاومة والحلف والجبهة الخ الخ كما كانت في الماضي . ان مئة تنظيم يمكن ان يتحدوا وان تتقلص جبهتهم الى قوة واحد منهم ، ان مئة تنظيم يمكن ان يجتمعوا وان يكـون نتاج اجتماعهم حاصل جمع أطرهم ومناضليهم . اذا لم نمسك على الواقع ، لن نمسك علـى الجماهير . في ايلول ١٩٧٠ ، لم تكن هناك ثورة شعبية في شرقي الاردن ، رغم جرائم الرجعية ورغم «وجود» الحلف .

– ١٠ –

ما العمل الان ؟

هل تتوجه المقاومة في شرقي الاردن نحو الثورة ، نحو حسم مسألة السلطة لصالحها ولصالح القوى الوطنية التقدمية ؟ لقد وضعتُ هذا السؤال في صيغة بالغة الايجابية بدون مزدوجات وبدون عبارة الفأر السام ، لكي اجيب عليه **بالنفي** .

حتى لو كنتُ مقتنعا بان المقاومة او الجبهة الوطنية تستطيع ان تستولي على السلطة في غضون ١٢ ساعة ولو كنت اعلم انها ستفعل ذلك غدا ، فانني سأقول اليوم : لا !

ولكن بدون هذا الافتراض ، فانني اعتقـد ، واقعيا ، ان المقاومة لن تحرز هذا النصر الا اذا كانت او عندما ستكـون السياسة الدولية (اميركا) مشعلة الضوء الاخضر . عمليا ، هذا يعني ان الذي «نطبقه» فوق وينكث معنا (في ايلول)، لن ينكث في مرة قادمة ، وحسين يعود آنذاك الى ملاقاة اجداده وانسبائه .

واقعيا ، ان الثورة لا تنجح بدون الجيش . والجيش ضد . والشعب ليس مع . اما ان تفشل كومونات المدن ، وان تستمر الثورة في الارياف في شكل حرب عصابات ، فهذا ما لا نتصور ان من قال به كان جادا فيه . ان شرقي الاردن ليس فيتنام ولا الصين ولا ما شابه .

هل تدافع المقاومة عن نفسها ضد جرائم السلطة الرجعية ؟

نعم ! ولا اشك في ان حسين هو في موقع الهجوم . اشك في ان الامر كان كذلك قبل سنة . ان حسين كـان جارا كبيرا (اكبر من ابي النوف او الحكيم) . ذكاؤه تجلى في «دفاعه» خلال سنوات ، في ترك الحوادث الهامشية تصبح يومية (ان المقاومة منذ ١٩٦٨ ، تتراجع شعبيا داخل كل طبقات المجتمع الشرق – اردني ولا تتقدم في الاوساط الفلسطينية في شرقي الاردن) . ثم انتقل حسين الى الهجوم في ايلول ١٩٧٠ ، والمقاومة ركضت الى الفخ . لم يكن للمقاومة خطة . كان لحسين

خطة . والذي كان اكثر اندفاعا ودفعا – في حركة المقاومة – لم يكن يعوّل على الجماهير والثورة الجماهيرية ، بل على انقلاب من فوق coup d'Etat (يمكن ان نصرخ : لا ، هذا ما يدّعيه حسين ، يمكن ان نلعب مع انفسنا بالطميمة ، هذا لا يجدي) .

وحسين هو الان مهاجم على طول الخط وبذكاء . والدفاع ضد الهجوم مبدأ اولي بديهي .

ولكن من الحماقة ان نقتصر على البديهي . يجب الوصول الى حل . بسبب الخط الفاسد الذي سارت عليه المقاومة الفلسطينية ، ان حسين امامه ان يذبح المقاومة في اسبوع او ان يذبحها بالتقسيط خلال عشر سنوات تتركز اثناءها انظار العرب والعالم على المقاومة والملك ، على شرقي الاردن . ولا شك ان السياسة العربية هي مع المقاومة في هذه القضية . جميع الدول مع المقاومة ضد حسين – بعضها مع المقاومة لان المقاومة قوة حتى ولو صغيرة ضد اسرائيل (قوة يمكن ويجب ان تنمو ، وبالتالي ان تحمى ضد التصفية الحسينية) ، وبعضها مع بقاء المقاومة لاسباب اخرى واغراض اخرى – . يجب استثمار هذا الظرف للوصول الى حل . هناك حلول جيدة وحلول سيئة . ولكن كل الحلول افضل من الوضع الراهن (فالمقاومة تذبح – هذا ما يشغل بالها وبالنا – ، وشعبيتها لا تزداد – هذا ما يجب ان ننتبه اليه ايضا –) .

والاساس هو ان تصحح المقاومة خطها من الجذر (١) . بدون ذلك ، مهما كان حجم الترقيع ، ومهما طالت الايام والشهور والسنون ، فان حكم التاريخ سيكون : المقاومة الفلسطينية انتقلت من مرحلة الطفولة (١٩٦٥ – ١٩٦٨) ، الى مرحلة المراهقة (١٩٦٩ – ١٩٧١ ...) ، فكانت المراهقة مميتة .

ان امراض المراهقة هي امتداد وتضخم لاوضاع الطفولة : الادراك الاجمالي الغامض syncrétisme ، العموميات الصائرة اكثر فاكثر كلاميات ، التمحور على الانا égocentrisme الصائر فصاما زوريا (سكيزوفرينيا بارانوئية) .

مرة اخرى ، نقول : كلا ! المقاومة الفلسطينية ليست محور الكون ، ولا محور الثورة العربية ، ولا ما شابه . بقدر ما تعي المقاومة الفلسطينية ذلك ، تنمو فاعليتها ، تحقق الدور الكبير ، الثوري ، التاريخي ، الذي يمكن ويجب ان تحققه . بصدد «حرب التحرير الشعبية» ، نذكّر بالمبدأ الاول في **التربية** الحديثة الا وهو : الاشياء قبل الكلمات ، عدم اطلاق الاسماء الا على اشياء (على حقائق موضوعية) ، عدم استعمال اي لفظ الا بعد معرفة وتحديد مدلوله . كبداية ، كمبدأ ، لا ماوتسي تونغ ولا هو شي منه ولا شي غيفارا ولا من يحزنون ، بل جان

---

(١) ان تصريح ابراهيم بكر ، الناطق بلسان اللجنة المركزية – ليس هدف المقاومة اسقاط الحكم في الاردن ، ولم يكن – ذو اهمية اكيدة . ولكن تصحيح الخط شيء اخر ، اوسع وأعمق . لان المسألة اوسع وأعمق من مسألة نوايا الملك حسين ورجاله . هذه النوايا ستبقى سيئة في جميع الحالات . وان لجم هذه النوايا مرهون بتصحيح الخط ، بوجود الخط .

جاك روسو والتربية الحديثة .

والواقع السياسي العربي البسيط : ان «تحرير فلسطين» ، «حرب التحرير الشعبية» ، وما شابه ، «رفض الحلول التصفوية كافة» ، «الكفاح اليومي والدائب والملموس ضد تصفية قضية فلسطين والثورة الفلسطينية» ، هذا كله – هذا الكلام كله – ليس وقفا على المقاومة . وليس وقفا على المقاومة والدول التقدمية ، بل هو قاسم مشترك يجمع المقاومة وسلسلة من الدول التقدمية ومن الدول الرجعية البترولية ، قاسم مشترك يجمع «يسار» و «يمين» المقاومة ، ويجمع محمد كشلي وجلال كشك ، محسن ابراهيم وعلال الفاسي ، وضاح شرارة والحاج امين الحسيني ، يجمع «فتح» و «النهار» (١) ، «الحرية» و «البناء» ، «الهدف» و «نداء الوطن» ، «الجبهة» و «الرأي العام» الكويتية .

– ١١ –

ان المقاومة الفلسطينية ، حتى هذه اللحظة ، لا تعرف جان جاك روسو (٢)، وهي تتجاهل الواقع السياسي العربي .

ولقد تصور الذين قرأوا «اهرام» ٢٠–١–١٩٧١ ، (العمود الصغير المعنون : «المقاومة تؤكد بالاجماع تأييد اي تحرك سياسي لازالة آثار العدوان») ان المقاومة خطت **خطوة** على طريق المعرفة . ولكن الذين قرأوا صحف اليوم التالي سجلوا استحالة هذا التقدم ، ما دام المنطلق الفكري او **النفسي** هو هو (٣) . والذين قرأوا شهادة طلال سلمان في «انوار» ٢٢–١–١٩٧١ ، لاحظوا ان الاحاديث التي ينقلها سلمان عن قادة المقاومة تثبت من حيث الجوهر ما كتبته الاهرام ، اي ما سمعه موفدا الاهرام من قادة المقاومة ونقلاه مع المزدوجات .

وفي رأينا ، ان الاهرام مخطئة حين لا تأخذ تصريحات مكتوبة وموقعة : فالمقاومة امتداد **لهذا** الواقع العربي ايضا : ليس فقط الانفصال بين الاقوال والاعمال ، بل ايضا الانفصال بين الكتابات والاقوال . نفبرك قواعد بالتسخين والابتزاز الثوري ، ثم نرضخ لابتزاز القواعد . لولا هذه الآلية كلها ، لولا الانفصال بين الكتابات والاقوال ، بين التصريحات العامة والتصريحات الخاصة ، لكانت المقاومة والعرب بالف خير .

---

(١) ومندوبتها علياء الصلح . علياء تحب الثورة ، تكره الحل السلمي ، تحب حرب التحرير الشعبية ... وتكره مصر .

(٢) وهي بالتالي لا تستطيع ان تفهم ان ماركس ولينين وماو يرتكزون على المبدأ «الصغير» في التربية الحديثة ، وان كتابات لينين وماو وهي مليئة بالكفاح ضد الكلامية verbalisme الببغاوية لدى الرفاق الاطفال .

(٣) وكأن العنوان الآنف ظهر ، للمقاومة ، استفزازا ! المقاومة تؤيد بالاجماع اي تحرك سياسي لازالة آثار العدوان !!

وفي رأينا ، ان جريدة الاهرام ليست متفائلة فقط ، بل ان تفاؤلها مرتبط بايديولوجيا زائفة وقاصرة ، مرتبط بموقف فكري **يبتر** المسألة – مسألة خط المقاومة – ويقلصها الى مسألة تشنج ضد تحرك القاهرة السياسي او تأييد هذا التحرك . «الاهرام» لا ترى (كيف يمكن ان ترى ؟) ارتباطات هذا الامر الصغير الكبير في واقع الاشياء والايديولوجيا . «الاهرام» هي الوجه الآخر الذي يكمل «اليسار» الزائف الفلسطربي . ان الصحفيين المصريين – يساريين ويمينيين – عاجزون عن النقاش **الجذري** ، عن النقاش الذي يصل الى **الجذر** الواقعي والفكري . هؤلاء الصحفيون والمفكرون المصريون لا يرون الا بعض الاغصان . ولقد ظلوا خلال نيف وثلاث سنوات دون مستوى وعي الجماهير العربية ، قاصرين عن رؤية الهجوم «الايديولوجي» على مصر (سبله ، منطلقاته ، ونقاط وصوله) وعن رد هذا الهجوم **بهجوم** مضاد يحرك الجماهير العربية ضد القوالين العرب . بل هم لم يستخلصوا شيئا كثيرا من احداث تموز وايلول ١٩٧١ ، من تجاوب تسعة اعشار الجماهير العربية مع جمال عبد الناصر ، تجاوبا حادا هجوميا شرسا .

ولعل (!) الحكم المصري – بطبعه وبطبيعته – يفضل اغلاق (!) باب مصر في وجه «الايديولوجيا» والمناقشات . مثله في ذلك مثل فتح . كلاهما يحس بضرر الايديولوجيا ، **هذه** الايديولوجيا الزائفة ! وكلاهما مخطىء لان هذه الايديولوجيا الزائفة تدخل الى مصر ايضا كما تدخل الى فتح .

ان لبنان ليس اقتصاد خدمات ومركز بنوك فقط . بل هو ايضا مصنع خطوط سياسية . هذه الخطوط السياسية (الحرية ، الهدف ، دراسات عربية ، اليوم ، الاسبوع العربي ، النهار ، البناء ،.. على اختلافها وتشابهها) لا تُصنع فقط للبنان ، لكي تلعب في لبنان دورا متمما للنظام عن طريق الهاء الشباب وشحذهم آنيا في موقف تخريبي وتاريخيا على لا شيء ، وهي لا تُصنع فقط لاقطار شرقي السويس بما فيها الخليج والجنوب ، بل ايضا لاقطار غربي السويس وصولا الى المغرب مرورا بجامعات القاهرة .

هذا الطبع (المصري) بروقراطي ، هذه الطبيعة برجوازية – صغيرة . والماركسيون – اللينينيون العرب لا يحاربون هذه البرجوازية الصغيرة وهذه البروقراطية حربا تحصل في سماء الاقانيم الطبقية ، بل هم يضعون اصبعهم (في جملة اشياء ، في رأس جملة الاشياء ، بالارتباط مع المعركة الوطنية ضد العدوان والاحتلال) على هذا العجز (المصري ، البروقراطي والبرجوازي الصغير ، الثائر والمعتدل) عن مواجهة الخطوط ، عن رؤية الخطوط .

ان تكون مصر مقاتلة وحدها او وحدها تقريبا منذ ٥ حزيران ١٩٦٧ حتى اوائل آب ١٩٧٠ ، ان تكون مصر قد دفعت عشرات الالوف من ابنائها ثمنا للواجب الوطني والقومي خلال حرب حزيران وخلال سنوات ما بعد حزيران ولا سيما خلال شهور من القصف الجوي المتواصل ، **و** أن تكون مصر متهمة – هي المتهمة – خلال هذه السنوات كلها وفي اواخر تموز وبعد تموز من قبل المقاومة والقوالين وصحف الوصل بين المقاومة والقوالين في بيروت وبين الخليج والمحيط ، بين

الكويت والرباط ، فهذا لئن كان ادانة للشركاء القوالين بالخيانة وللمقاومة بالتواطؤ ، فانه بالمقابل ادانة لمصر – صحافة وفكرا ونظاما – بالقصور والعجز .

ولقد قصر الماركسيون المصريون (مثلا محررو مجلة «الطليعة») عن موضوع الوحدة العربية (رغم وضوح خط الماركسيين – اللينينيين العرب ، وتنبيهاتهم) . وهم اليوم – بعد تأخر طويل – يستطيعون ان يصلوا الى هذه الوحدة كفكرة وكتحليل عام ، ولكن فكرتهم الوحدوية ستكون اقنوما يحمل سقطات سياسية ، اذا لم يخوضوا الان النقاش دفاعا عن مصر ومعركتها وتفنيدا وسحقا لايديولوجيا الاقوال . عليهم ان يتعلموا من عبد الناصر . ان زعيم مصر الخالد كان دائما في المنظور **التاريخي** ، العربي ، الوحدوي). وكل القرائن تشير الى انه **شرع** في عملية فضح السياسات العربيات والشعارات العروبيات والفلسطينيات من اجل المعركة ومن اجل الوحدة القومية . اذا فشل ماركسيو مصر في استيعاب احد وجهي هذه المعادلة غير الصعبة (التاريخ والسياسة) ، سيكونون قد اثبتوا نهائيا ان ماركسيتهم هي من اجل لا شيء .

– ١٢ –

لقد علقنا على تصريحات قادة المقاومة الى موفدي الاهرام والانوار ، وعلى بيانات الناطقين بلسان منظماتها تكذيبا او تصحيحا او توضيحا لهذه الامور البدائية الواردة في الاهرام .

نقل الان **بيان اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية** تكذيبا او تصحيحا او توضيحا لما نُشر في الاهرام . ننقل عن جريدة «النداء» لسان حال الحزب الشيوعي اللبناني (الذي تجرجر هو ايضا وراء الموضة الفدائية و «اليسار المغامر» رغم نقده له !) . يقول بيان اللجنة المركزية لمنظمة التحرير (النداء، ٢١–١–١٩٧١) :

«١ – لم يصدر عن الاخ ابو عمار اي تصريح من تلك التي تناقلتها وكالات الانباء ونشرتها جريدة الاهرام» .

– وقد كان تصريح ياسر عرفات في اهرام ١/٢٠ : «ان موقف القاهرة الحازم في تنفيذ قرار مجلس الامن قد اكد بما لا يدع مجالا للشك ثبات الخط القومي للجمهورية العربية المتحدة وصلابته النضالية» . يبدو اذن ان الاخ ابا عمار لم يدل بهذا التصريح ، او انه يريد انلا يكون قد ادلى بهذا التصريح . لا فرق . علينا بتسجيل ارادته .

«٢ – ان المناقشة التي دارت في اجتماعات اللجنة المركزية لمنظمة التحرير الفلسطينية لم تبحث اي تغيير في الخط الستراتيجي للثورة الفلسطينية وانما بحثت ما يتصل التزام كافة فصائل الثورة الفلسطينية بالخط السياسي المقرر اصلا والذي يتلخص بما يلي :»

– اللجنة المركزية تؤمن فعلا بان لها خطا استراتيجيا وخطا سياسيا ! بل **كان** لها خط ومقرر اصلا . ومع ذلك ، فانه يبدو ان «كافة فصائل الثورة

الفلسطينية» لم «تلتزم» ابدا بهذا الخط ، بل عملت بعكسه . وهذا العكس هو ـ على ما يبدو ! ـ سبب هذا النقد الذاتي الوارد ليس فقط في مقابلة مع صحفيين بل ايضا في البيانات الرسمية الصادرة بعد هذه المقابلة وتصحيحا (!) لها (جريدة «اليوم» ١/٢١ ، وسواها) .

كلا ! ليس للجنة المركزية خط سياسي ولا استراتيجي ولا ما شابه ، ان حوادث تموز وآب وحوادث ايلول وكل السير السابق شاهد كاف . الامبريالية الاميركية لها خط ، اسرائيل لها خط ، الشركاء العرب لهم خط او نصف خط ، الملك حسين له خط او نصف خط . المقاومة ليس لها خط .

مصر لها خط . اللجنة المركزية تعلمنا ان هذا الخط الناصري ليس خطها . خطها «مستقل» . الحوادث كلها اثبتت انه ليس لها خط (خط مستقل) ، وان خطها العملي (مع صرف حسن النوايا بالتي هي احسن) اسير ورهن وشقيق الخط او الخطوط المعادية والقوالة ، تحت سلطة الشعارات العمومية المشتركة والمواقف السياسية المشتركة وامور اخرى .

لنتابع قراءة البيان . بماذا يتلخص «الخط السياسي المقرر اصلا» :

« آ ـ ان الثورة ليست ضد ازالة آثار عدوان حرب حزيران وليست ضد استرجاع الدول المعنية لما احتل من اراضيها ... »

ـ نعم ! «الثورة» **ليست ضد** ازالة ... **وليست ضد** استرجاع الدول المعنية ... باسم سيناء والجولان وغزة والضفة الغربية والقدس ، باسم سوريا ومصر والاردن وفلسطين الواقع والمقولة ، شكرا .

«... من اراضيها على ان لا يمس هذا حقوق شعب فلسطين او الثورة الفلسطينية من قريب او بعيد» .

ـ كما يرى القارىء ، «الثورة» لا تمزح ، في رأينا ، هذا الخط (الذي ليس خطا ولا مظهر خط بل اوهام في اوهام تجد **تلخيصها** الامين في **ثنائية** : انسحاب اسرائيل **على أن** لا يمس ..!) هو الذي دفع ويدفع المقاومة الى الانعزال عن الجماهير العربية ، وعن الجماهير الفلسطينية في فلسطين ، وخارج فلسطين ، دفعا بطيئا وامينا وبعيدا piano, sano, lontano ، هو الذي يجعلها مطية للغير .

وكما يرى القارىء ، ان اللجنة المركزية كلها ـ وبعد وقوع الوقائع ! ـ هي وراء نايف حواتمه في قصة المساس واللامساس . ان هروب الشركاء العرب ـ رجعيين وتقدميين ـ خلال سنوات من المشاركة في المعركة القومية ضد العدوان والاحتلال ، لا يمس اله الثورة الفلسطينية لا من قريب ولا من بعيد . وذلك بعد وقوع الوقائع ، وبعد اقرار الرؤساء العرب المجتمعين في القاهرة اثر وفاة جمال عبد الناصر بانه لا يجوز ان تترك مصر لوحدها في المعركة ولا يجوز ان يكون جواب الاشقاء العرب لمصر : «اذهب انت وربك وقاتلا» .

«ب ـ اما موقف القاهرة من الثورة الفلسطينية فلم يكن هناك اي مبرر لمناقشته في اللجنة المركزية لان ايجابية مواقف القاهرة من الثورة الفلسطينية اوضح من ان نناقشه» .

ـ نعم ! القاهرة هي او كانت في قفص الاتهام ، ومحكمة اللجنة المركزية تبرئها (ولو بلا نقاش) : القاهرة ـ حسب حكم البراءة ـ ايجابية ازاء الثورة الفلسطينية ...

لا ، يا اخوان ، ليس هكذا تقيمون خطا (مستقلا ، صحيحا) . والقاهرة التي اصدرتم حكم براءتها واطلقتم سراحها يُطلب اليكم الان او بعد سنة ان تعيدوها الى قفص الاتهام ، وهذا ما سيحدث بحكم خطكم غير الصحيح ، غير المستقل . هذا الخط يتضمن انها في نفوسكم ، قادة وكوادر وقواعد ، دائما في قفص الاتهام . خطها : قبول قرار مجلس الامن ، رفض اسطورة حرب التحرير الشعبية ، تأييد قتال الدول . خطكم : رفض قرار مجلس الامن ، يوميا ، تأييد اسطورة حرب التحرير الشعبية ، يوميا ، رفض قتال الدول ، عمليا . بهذا الخط سارت الثورة الفلسطينية نحو ان تصبح لا شيء . الثورة الفلسطينية تمس نفسها بنفسها من قريب جدا . ونحمد مصر وسوريا والعرب (بما فيهم الفلسطينيون ، والمقاومة غير الايديولوجية) على ان «حقوق شعب فلسطين» لها في الواقع التاريخي والسياسي مستندات اخرى غير ايديولوجيا «الثورة الفلسطينية» .

٢ ـ ماذا كتبت جريدة «فتح» في آب ١٩٧٠ او الخط الخاطىء في عناصره وترابطها

رغم ان قادة المقاومة يدينون صدامهم السابق مع مصر واوهامهم السابقة حول السلم الوشيك ، رغم انهم يتراجعون عن تقديراتهم الخاطئة والتشنجية (١)، فان هذا التقدم الذي يحققونه يغرق في خطهم العام ، «الخط المقرر اصلا» ، «الستراتيجي والسياسي» ، العمومي ـ الشعاري ، الغريزي واللاعقلي . ان هذا النقد الذاتي المتنوع المقطوع الجذور يحبط نفسه بنفسه عند عتبة التحديد الاخير ، ويهرب من **الربط** (= العقل) ، يهرب من وجوب فهم **الروابط** في الساحة العربية الواقعية ، وفي خط المقاومة وسياستها ونتائج هذا الخط وهذه السياسة .

عمليا ، موضوعيا (بصرف النظر عن النوايا) ، ان هذا التقدم ليس خطوة تاريخية الى الامام ، بل هو لغة فرعية على الخط الجوهري السائر في طريق مسدود . وحين نقرأ توضيحات وتصحيحات وتكذيبات المقاومة لما ورد في الاهرام ، فان المجموع الاجمالي يبدو لنا ضياعا عاما تحته وفي قلبه خط خاطىء .

هذه الحال الحاضرة لا تختلف كثيرا عن الحال القائمة في صيف ١٩٧٠ وما قبله (هذا الصيف الحار لم يهبط من السماء !) : بعض الآراء الجزئية الصائبة ،

(١) في تصحيحهم او توضيحهم لما نشرته الاهرام ، لم يكذبوا هذه النقاط المحددة . وهذا امر مفهوم . الصادقون صادقون . والاخرون ، اذا كذبوا هذه النقاط المحددة ، لا يستطيعون ان يمرروا لعبتهم الجديدة ـ القديمة .

بعض المشاعر والانطباعات الصحيحة ، بعض الانعكاسات الجزئية عن حقائق تصوف وتشوه ايديولوجيا ، ومنهج اساسي ايديولوجي مثالي وهمي خيـــالي يحرف كل المشاعر والآراء والانعكاسات ويخرب المعرفة والعمل سواء بسواء .

اننا نقترح على المقاومة الفلسطينية ان تفند تراثها الفكري والصحفي من الفه الى يائه ، في مناقشة صريحة وعلنية . بدون هذا التفنيد ، لن تقيم خطا مقبولا .

هذا التفنيد فعلناه مع كتاب «حول العفوية والنظرية في العمل الفدائي» . سنفعله مع مؤلفات اخرى .

امامي الان عددان من جريدة **((فتح))** هما العدد ٤٨ تاريخ ٩ آب ١٩٧٠ والعدد ٥٣ تاريخ ١٣ آب ١٩٧٠ ، سأتخذهما نموذجا لفهم الخط القائد الى كمين ايلول ، لمعرفة **موجودات هذا الخط** وروابط هــذه الموجودات (١) . وغني عن البيان ان الجريدة (وليس كتب التحليلات النظرية المزعومة) هي التي تعطي النفس اليومي ، هي متاع المناضلين . وغني عن البيان ان جريـدة **((فتح)) ((الناطقة بلسان اللجنــة المركزية))** ليست جريدة خاصة بالجناح الفلاحي (!) الفقير او جنــاح النضال في سماء لندن ومطار القاهرة ، اي انهــا اقل تشنجا وتهورا وتهويرا مــن الجناحين المذكورين .

نبدأ اولا **بالعدد ٤٨ ، ٩ ـ ٨ ـ ١٩٧٠** .

ونبدأ **بالعناوين الكبرى** على **طول** الصفحة الاولى (وهي كثــيرة تغطي صدر الصفحة) . ونضع ملاحظاتنا بين قوسين .

ثوارنا يحطمون وقف اطلاق النار بتصعيد عملياتهم (ـ العمليات كانت فاترة منذ امد غير قصير . هذا التصعيد الانفجاري الذي يحطم وقف اطــلاق النار هو على ما يبدو خط ، هو الدليل على وجود الخط !) قصف مصانع البوتاس وتدمير اجزاء منها بعد ثلاث ساعات من وقف اطلاق النار . اولى عمليات الرد بدأت عند منتصف الليل تماما في نفس الوقت الذي سكتت فيه مدافع البعض (ـهناك مدافع وبترول وارصدة ساكتة اصلا . وان قصفكــم الكلامي ـ بــل **الان** هــذا القصف العملياتي الذي يرد على سكوت «مدافع البعض» ـ هو خط تبرئة اولئك .. اولئك الذين يطبلون لقصفكم) . العدو الذي اذهلته ضربات ثوارنا يعود الى تهديد الدول العربية اذا هي لم توقف عمليات الثوار (ـ نسكت كما سكتت مدافع البعض ، الكلام لكم ، ايها الثوار المحررون في «فتح») . ثوارنا يقصفون تجمعات العدو في الليدو والحرائق ما زالت مشتعلة حتى مثول هذه الجريدة للطبــع . اشتباك عنيف مع قوات العدو المدرعة بين تلة النجار وأم الشرط وهجوم على دورية قرب الجليل .

ابو عمار : لن يستطيع كائن من كان ان يوقف زحف الثوار (ـ لعل «زحف

---

(١) لا اعتقد ان الاعداد الاخرى (التي ليست متوفرة لدي) تختلف عن هذين العددين . ولكن اذا كان اعتقادي خاطئا ، اي اذا حدث تصحيح بعد هذين العددين ، يكون من المفيد ان تتبــين المقاومة وظيفة «التصحيح» : بما ان الجذر الايديولوجي فاسد ، فان التصحيح الجزئي يتخذ **موضوعيا** دور مساعد على وقوع الخطأ ، انه يساعد على تغطية المآل العملي الاخير ، الخاطىء.

الثوار» هو الخط ، الخط الملخص في شعار : «ثورة حتى النصر» ! لا ادري ما اذا كان مقاتلو فيتنام يسمون انفسهم «الثوار» عشر مرات في عشرة سطور ، ام يكتفون بكلمة «وطنيين» ، ولا ادري ما اذا كانت «ثوار» جمع «ثائر» ، وهي غير «ثوري» و «ثوريين» ، ابنــة الفيفاروية ام ابنــة البلاغة العربيــة) . ماذا وراء التحركات العسكرية المريبة حول عمان ؟ بعد وقف اطلاق النار بدأوا الان يبحثون عن طريقة لتصفية الثورة . توقع الاعلان عن حكومة جديدة تتولى سحق الثورة وطلب سحب القوات العراقية (ـ الحقائق الجزئية لا تدخل في اطار صحيح لان الاطار الصحيح مفقود ... ولنذكر ان «القوات العراقية» كانت قــد وُضعت تحت امرة «قيادة الكفاح المسلح» . و «الكفاح المسلح» هو هــذا : الثورة الفلسطينية آكلة مصانــع البوتاس ، والتي يساندها «العرب» ، بقصد ... « تحطيم وقف اطلاق النار» ، نار المدافع التي سكتت قبل قليل ، بل ان «القوات العراقية» وضعت تحت الامرة المذكورة قبل السكوت) .

كما يرى قارىء عناوين (مانشيتات) الصفحة الاولى ، الهجوم علــى القاهرة قائم بعنف ، وهو ليس عنصرا مستقلا قائما بذاته ، بالعكس انه يترابط مع العناصر الاخرى ترابطا وثيقا داخل «الخط» .

المقال الافتتاحي ـ رأينا : وقف اطلاق النار ؟ ـ جمل صحيحة مبتورة غير معمقة ولكن غارقة في بحر الذاتيــة والغرور الثوري : «ان الثورة الفلسطينيــة ، مصدر الخطر على مواقع الاحتلال الصهيوني وعلى مصالح الامبريالية في المنطقة ، اصبحت الان محاصرة» (ـ مع ان ثلاثة ارباع الدول رفضت المشروع الاستسلامي واعلنت تأييدها للثورة حتى النصر !) . «ولا بد لنا ان نعترف ان قوى الصهيونية والامبريالية .. قد نجحت الان في ان تضع الثورة الفلسطينية وجها لوجه لا مع قوى الثورة المضادة في الوطن العربي ، بل ومع قوى وطنية وقوى احتياط للحركة الوطنية» (ـ بشهادة مقابلتكم مع عبد الناصر كما رويتموها بعــد شهور ، المقاومة هي التي وضعت نفسها في هــــذا الوضع المعادي لما يسميه صاحب الافتتاحية بتواضع «قوى وطنية وقوى احتيــــاط للحركة الوطنية» . ثم هل تشمل «قوى الثورة المضادة في الوطن العربي» السعودية والكويت ؟ الارجح ، لا ، بل العكس بمعيار «الثورة الفلسطينية» وايديولوجيا الرفض وحرب التحريــر) ... «قبول مشروع روجرز الاستسلامي» ... «ان الثـــورة الفلسطينية ... استطــاعت ان تتحدى وان تتقدم لتصبح القوة الاساسية في المنطقة (ـ ليس اقــل !!؟) ... «الجماهير العربية ... القتال حتى النصر .. هذا وحده هو المقياس الصحيح ... ان وقف اطلاق النار وتنفيذ مشروع روجرز وقرار مجلس الامن استسلام سيهز ضمائر ابناء الامة العربية وسيدفعهم الى المزيد من المقاومة والتضحية (ـ ! اطمئنوا: اسرائيل لن تنفذ قرار مجلس الامن ، ضمائر الامة لن تكــون لها فرصة ان تنهز ، كان عليكم ان تهزوها خلال ثلاث سنوات من قتالكم وقتال مصر) .

كلمة الاخ ابو عمار في حفل تخريج الميليشيا الشعبية (مع صورة الاخ ابو عمار محييا) : «مرة يقولون حل روجرز او صيغة سيسكو او غيرها ومرة يقولون صلح

ولكن هناك شيء هام يتناساه كل هؤلاء هذا الشيء الهام هو انتم ايها البقية على الصفحة ٤ . (علينا الان متابعة الصفحة الاولى) .

هكذا نفذ ثوارنا قرار وقف اطلاق النار . العمليات تغطي كل انحاء فلسطين وهي مستمرة في كل لحظة (ـ لا ، لا ، عسكريا ، هذا غير مجد) عمليات متعددة مسلسلة في فقرات . والبقية على صفحة ٣ .

في زاويـة في اعلى الصفحة الاولى : **ماذا يعني هذا الخبر ؟** تصريـح آلون وفحواه ان اسرائيل ستشترط مقدما بان تتحمل حكومة الاردن مسؤولية جميـع العمليات التي تحدث من اراضيها (ـ لا يخطر في بال «فتح» ان هـذا التصريح غرضه الدفع الى كمين ايلول ، وربما دفع الطرفين ، نشر شبح السلام فوق محبي السلام ومحبي الحرب ، لانه لا يخطر في بال «فتح» غرض الباقي كلـه ، غرضه الخاص ـ كمين ايلول ـ وغرضه العـام ـ تثبيت الايديولوجيا الوهميـة والغرور الذاتي ، «الثورة الفلسطينية هي القوة الاساسية في المنطقة ، مصدر الخطر على مواقع الاحتلال الصهيوني وعلى مصالح الامبريالية في المنطقة» ، الصدام مع القاهرة، تبرئة القاعدين ، تضليل الجماهير العربية) .

في اسفل الصفحة : **مصيدة لجنود العدو .**

مع رفد من بيكين ورفد من الجزائر .

الصين : وقف اطلاق النار مؤامرة على الشعب الفلسطيني . «اعلن مسؤول صيني في بيكين ان الصين الشعبية ترى في اتفاقيـة وقف اطـلاق النار مؤامرة امبريالية امريكية سوفياتية من اجل تقسيم الشرق الاوسط» . (لا يبدو ان في التصريح الصيني هجوما خاصا على مصر . ان همّ بيكين هو التصفية السوفياتية اما همّ اليسار العربي الاميركي فهو استسلامية عبد الناصر ، «راس مصر» (١) .

الجزائر : نحن مع الثورة مهما تطور الموقف في المستقبل ... تصريح **وزير الخارجية الجزائري :** «فليكن مسموعا بوضوح ان الجزائر الوفية ... ليس لها النية للتوجه اليوم او غدا في طرابلس او في اي مكان آخر ومع ايـة دولة كانت وعلى اساس تحقيق قرار مجلس الامن ومشروع روجرز الذيلا يهدفالا الى القضاء فقط وبشكل نهائي على الحقوق المقدسة للشعب . البقية على صفحة ٤

لننتقل الى **الصفحة الثانية .**

مهما اسموها فهي هزيمة ثانية ... «ولكن كما حالت بنادق الثورة الفلسطينية دون هزيمة حزيران (نعم : حالت بنادق ... دون هزيمة ..!) فان هذه البنادق نفسها سوف تحول دوننا ودون الهزيمة الثانية .

الميليشيا الشعبية نساء ورجالا دائما الى الامام . عشية ايقافهم لاطلاق النار

---

(١) واليسار المقاوم يوزع الضربات كما يلي : ضربة لموسكو ، عشر ضربات للقاهرة . الشيوعيون السوريون مرتاحون ، **«نضال الشعب» تحيي مناضليها في صفوف الجبهة الشعبيـــة الديمقراطية والجبهة الشعبية .**

مع العدو ، الثورة توزع السلاح على دفعات جديدة من الميليشيا الشعبية . (مع الصور) . لا سلام ولا استسلام . تسقط المشاريع الاستسلامية . كلنا عاصفة .

المجلس الاعلى للاتحادات الفلسطينية يطالب مؤتمر المحـامين العرب شجب كافة الحلول الاستسلامية ودعم الثورة العربية .

اتحاد عمال الجزائر يشجب المقترحات الاميركية .

عمليات ـ بقية : المرتفعات السورية ، الجليـل الاعلى ، الغـور الاوسط ، عمليات القناصة ، قطاع غزة .

محتويات **الصفحة الثالثة** : « رد غير «متشنج» على محمد حسنين هيكل » (ـ بعد ايلول ، ادان ابراهيم بكر ، الناطق بلسان اللجنة المركزية ما اسماه حرفيا «تشنج» المقاومة . محرر الشؤون العربية في «فتح» يسجل بلا «تشنج» اخطاء هيكل الحقيقية او المفترضة ، ولكـن تفوته النتيجة ، الخط ، التركيز الاخير . عنده وعند امثاله : قتل الناطور اهم من اكل العنب) .

يا ارضنا . نصف عمود من الادب الجميل فعلا : «يا حيفا ويافا والناصرة... قري عينا فلو تركوك جميعا فبنوك لن يتركوك ، سيقاتلون وحدهم فاما انت واما الموت» . (ـ هل تركوها جميعا ؟ هل يعتقد الاديب الثائر ان مصر تركت فلسطين الان ، وان الآخرين تركوها من قبل ، تركوها اصلا) ؟

مع ابطال معركة ام سدرة . عندما حملنا السلاح لم نأخذ اذنا مـن روجرز وبالتالي فان روجرز لا يملك ايقاف نارنا !

في الصفحة الرابعة : طوابير الميليشيا الشعبية : لن توقفها كل المؤامرات ! (صورة طابور ميليشيا) .

في كلمات : بنادقنا اقوى .

فرحة غولدا لن تطول !

تتمة كلمة الاخ ابو عمار : الدرب الطويل الوعر الشائك (ـ بالضبط ! وشعار «ثورة حتى النصر» لا صلة له بهذه الحقيقة) ... حتى نصل بجحافلنا ... لاننا نرى بعين الشعب عين الشعب هي عين الله ... حرب التحريـر الشعبية الطويلة النفس ... قليلون يستطيعون ان يروا مسيرة التاريخ قليلون يستطيعون ان يروا ما يرى الشعب ... هذه الارض لا يمتلكها هـذا الجيل ولا يمتلكها الجيل القادم ولكننا اجيال تسلمها من جيل الى جيل (ـ بالضبط ! بالضبط ! ولكن اين الخط ؟؟) جيل التضحية جيل العزاب ولكنه جيل المعجزة جيل المعجزة التي ترى النصر وتراه واضحا وضوح الشمسايها الاخوة ... (ـ بدون الخط ، هذه **رؤيا** ، بالالف) (١).

ثوريات : شعر شعبي حر بتوقيع **ابو الصادق** ، موجه الى قناة السويس .

---

(١) حسب رواية وصلتني من مصدر جدير بالثقة : كان ابو عمار ، في مكتب او مطبعة الجريدة ، يقول : دا ظلم ، كلام غير صحيح (الهجوم على مصر) ، **لا تجنئوا يا اخـــوان ... وهـــو وحده** عارض تشخيص اللجنةالمركزية في امكانية النصر ، وفي ان ٥٠٪ من الجيش الاردنـــي مؤيدون للنصر المعني ، لاسيما وأن معظمهم فلسطينيون .

اذا كان ثمة معنى للشعر الشعبي الحر فمعنى هذا الشعر هو الدعوة للتمرد على عبد الناصر : «... ورشاشك في تسعين يوم حا يصدي ... ارفض يا ساعد بس يا خسارة لو كان بيدك زي ما بيدي» . (الحرب هي الرشاش . الثورة هي الرشاش . من يملك الرشاش يحكم الكون . شعارات بيكين مُسخت وشوهت بعيدا عن ابسط معطيات الواقع . وضوحا ، ان «الثورة الفلسطينية» تمتاز بالغباء العسكري ، النقيض المتمم للغباء البرلماني والديبلوماسي . ابو الصادق مسرور برشاشه كالطفل بلعبته . ماوتسي تونغ يقول : الاطفال يصنعون اشياء جميلة ، ولكن الاطفال لا يسلّمون مصير الكون ... خصوصا اذا كانوا اطفالا شريرين يحترفون تحت اسم «ابو الصادق» اخطر انواع الكذب : الرشاش الفلسطيني (؟) يرى رشاشا مصريا يصدّي بدءا من آب ١٩٧٠ ، ولكنه لا يرى رشاشات عربية تصدي منذ سنوات ، انه مكلف بان يغطي ويخلد صدأها بثورياته) .

من هم الذين رحبوا بوقف اطلاق النار ؟ نيكسون سعيد وجولدا فرحة وبريطانيا وصحفها مغتبطة ! + حسب عناوين الفقرات الفرعية : المسؤولون الفرنسيون مرتاحون ، وقف اطلاق النار يرفع اسعار الاسهم بنيويورك .

وصورة الرقص في تل ابيب مع التعليق الآتي : «هل هذه الفرحة في تل ابيب هي ايضا جزء من التكتيك العربي ؟ نقلت الاسوشيتدبرس امس هذه الصورة اللاسلكية من تل ابيب ! الاسرائيليون الذين اسعدهم وقف اطلاق النار نزلوا الى الشوارع يرقصون !» .

ـ لا يخطر في بال «فتح» واخواتها الفلسطينية والعربية (اليسارية واليمينية، «الثورية» جميعا) ان نشر هذه الصورة (ارى ستة اشخاص يرقصون ولعل الذين رقصوا في تل ابيب الف شخص او خمسة الاف) من قبل اسوشيتدبرس يمكن (!) ان يكون من اجل رقصة اخرى اكبر خمسة الاف مرة ، من اجل رقصة الحرب العربية العامة ضد القاهرة، ورقصة شرقي الاردن، من اجل رقصة «ابو الصادق» و «بنادقنا» ، وتصعيد عمليات الارض والسماء . حين كتبنا في «عفوية النظرية في العمل الفدائي» ان احد اعمال الامبريالية وصحفها وعملائها «النقر على الدف للذين بلا دف يرقصون» ، كتبنا هذه الجملة قبل صدور العدد ٤٨ من جريدة «فتح» بكثير . وهكذا ـ بالبتر والتضخيم واللعب ـ تُضيّع اخطر معطيات ووقائع الموقف الاسرائيلي عن جمهور المقاتلين وعن القادة .

تلك هي محتويات العدد ٤٨ .

العدد ٥٣ تاريخ ١٩٧٠/٨/١٢ لا يختلف كثيرا . كل الموجودات الآنفة ممثلة هنا . بما في ذلك « ثوريات ابو الصادق » الموجهة دائما الى جنود قناة السويس : «لما رشاشه انكتم ، العناكب عششت بالضفة الخ» (لعل اللهجة مصرية ما يزال هذا الصادق يتجاهل العناكب الحقيقية العربية التي كلف هو اقرانه بالعمل على تخليدها) .

بين الموجودات الجديدة نسبيا (ننقل العناوين) : ... العدو يعترف بمقتل خمسة من جنوده جنوبي هضبة الجولان . ثوارنا يسقطون طائرة للعدو في شارع اريحا الرئيسي . العرقوب تصبح الجبهة الرئيسية . سنظل نناضل حتى يأخذ

الاتحاد السوفياتي موقفا صحيحا مع الثورة الفلسطينية . وفي الصفحة الثالثة عملية ابتزاز ثوري مع الحزب الشيوعي الاردني (مع ان الحزب المذكور لا يبدو في تلك الآونة مقصرا من الناحية «الثورية» ، وموقفه هذا يحصره في تناقضات تفتح باب الابتزاز اليساري على مصراعيه (١)) . المؤامرة تدخل مرحلة حاسمة في الضفة الغربية وقطاع غزة ... الزيات في نيويورك لبدء مباحثات «السلام» . بيان كاذب في جريدة المحرر (لا يبدو كاذبا الى هذا الحد ، فمصدرو البيان وقعوه باسمائهم وهم فلسطينيون في مصر) .

من الواضح ان **شبح** السلام هو الذي يطوق جريدة فتح . ولكن النصر اكيد ، رغم انف الاتحاد السوفياتي وحسن الزيات ، وحفنة الفلسطينيين اصحاب البيان ، ورغم ارادة اسرائيل السلمية ولندن وباريس ونيويورك وفرحة جولدا ونيكسون ...

النصر اكيد بشهادة العرقوب التي تصبح الجبهة الرئيسية ، وبشهادة «شموع على الطريق» ، و «ومضات ثورية» ، وليلى عسيران ، ورشاش ابو الصادق ، و «بيان الاتحاد العام لعمال سورية» (ضد مشروع روجرز التصفوي) ، و «اتحاد الشبيبة الاشتراكي الكونغولي يستنكر هو ايضا مؤامرة الحل السلمي» . ان «جريدة معاريف الاسرائيلية تعترف وتكتب عن قصف المطلة» . وجريدة «فتح» تعكس هذا الاعتراف وتنظره : «بنادق الثوار لا كواليس المفاوضات فعلت كل هذا !»

و «رئيس اركان الجيش السوري يشجب المبادرة الاميركية» . خبر في ١٢ سطر يلخص مقال اللواء طلاس بشكل امين ولكن مع اسقاط فكرة ان المبادرة الاميركية الخبيثة تهدف الى ايقاع الفرقة والانقسام بين القوى التقدمية العربية : ان جريدة «فتح» لا تحتاج الى هذه الفكرة . هجوم !

٣ ـ خمسون سؤالا لاستفتاء او الخط المطلوب

هكذا كانت تتكلم جريدة اللجنة المركزية في آب ١٩٧٠ . هذا هو خطها **في عناصره المترابطة** ، هذا هو **خطها قيد العمل** : مطاردة شبح السلام ، محاربة القاهرة بكل الوسائل (رغم مشاعر الحزن والالم والصدق البادية **احيانا** ، وهي اوصاف تميز «فتح» عن الحرية والهدف النهار ، ولكنها **في السياسة** تساوي صفرا كبيرا) ، الثورة الفلسطينية هي المحور والقوة الرئيسية ، تنال دعم جماهير العرب والكونغو وبيكين ، الرقص الحربي المعاكس لرقصة تل ابيب السلمية ،

(١) صحف الاحزاب الشيوعية المشرقية (مثلا النداء) في تلك الفترة مضطرة لنشر نص خطب القادة السوفيات التي لا صلة لها بهذه اليسراوية الحربجية ، ولكنها تعوّض عن ذلك بتثوير عناوين الخطب ، و«تثوير» مواقفها هي . لقد جاء «الماركسيون» القدامى الى الوليمة (الى الموضة) حين شرع الناس ينصرفون .

الانجرار الى الكمين الاردني ، انعزال متزايد يوميا عن الجماهير في الوطن العربي وفي شرقي الاردن ، رغم الغضبات «الجماهيرية» (رغم «المسيَّرات») .

حين نعـود الان الى اهرام وانوار ويوم ونداء ٢٠ – ١٩٧١/١/٢٢ ، الى التصريحات والتصحيحات ، الى النقد الذاتي الجزئي والتراجع الجزئي عن النقد الذاتي الجزئي ، فاننا نرى مـن واجبنا ان نرسل هؤلاء جميعا ظَهرا على ظهر ، بوصفهم نساء طيبات مغرمات بصيغ التلطيف .

ولقد بلغني اخيرا (نيسان ١٩٧١) ان هناك عددا من قادة فتح ومن المستقلين وبعض قادة او كتّاب الجبهة الشعبية يتبنون خطا مقبولا .

في رأيي ، ان خطا «يريد» تصحيح الموقف مـن الجمهورية العربية المتحدة نهائيا والتحالف معها نهائيا ، ليس خطا مقبولا باي حال اذا لم يكن هذا التصحيح **جزءا** من تصحيح اكبر بكثير ، جزءا من التصحيح العام والتفصيلي الذي يعيد النظر في كل الايديولوجيا ، في كل الشعارات ، في كل المصطلحات ، في كـل الوقائع والاعمال منذ عام ١٩٦٤ حتى الان .

لعل القاهرة ، لعل مصر ، لعل الشعب المصري ، لعل النظام المصري ، بـل **لعل** الجماهير العربية ترضى وتكتفي بتصحيح الجزء . لعل هناك بين الذين هم في قلب المعركة ورأسها (مصر والنظام المصري) مـن يرغب بتصحيح الجزء وحسب . المقاومة الفلسطينية لا يجـوز ان ترغب . مـن يرضى يقف في مستوى سياسي صرف . مـن يقف في المستوى التاريخي لا يرضى . بالمفردات التـي تحبونها (ونحبها) : الاول اصلاحي ، الثاني ثوري .

التصحيح الكبير ، العام والتفصيلي ، شرط لبقاء ونمو المقاومة الفلسطينية في المئة سنة القادمة . بدون هذا الشرط ، ستموت المقاومـة ، او ستبقى قوة هزيلة يختلط فعلها الايجابي بفعلها السلبي : هذا الوضع الاخير هو «تصفية المقاومة»، اختناقها رغم بالونات الاوكسيجين . والمقاومة الفلسطينية يجب ان تبقى وان تنمو لان «الحل السلمي» غير وارد ، ولان الحرب او الحروب محتومة بـين العرب وبين اسرائيل والامبريالية الاميركيـة حتى فيما **لو** حصل «حل سلمي» . ان الثوري الحقيقي لا يسقط في تشنجات . من يؤمن بثورة شعبية تاريخية لا حد لها ولا نهاية لا يسقط في تاكتيكات يسراويات . تلك شهادة التاريخ . تلك شهادة الثورات . تلك شهادة لينين ، ماوتسي تونغ ، هو شي منه .

ان حواتمه ، حبش ، عرفات ، بكر ، حموده ، قدومي ، خلف ، ابو غربية... يحملون الان مسؤولية هذا البقاء والنمو ، هذا البعث . وعلى هذا البعث للمقاومة الفلسطينية تتوقف الى حد كبير المعركة العربيـة التاريخية والآنية . حين تأتـي المقاومة الفلسطينية الى الوعي ، لا يستطيع الشركاء الكبار فـي الخط الخاطىء ان يبقوا بعيدين عن العمل . اما ان يأتوا الى العمل واما ان يذهبوا الى الجحيم . على بعث المقاومة الفلسطينية يتوقف ليس فقط وجودها وعملها العسكري والشعبي الفلسطيني بل ايضا فعلها العربي ، فعلها السياسي والتاريخي في الساحة العربية.

ان طريق التصحيح طريق شاق . يحتاج الى جراة اكبر بكثير من جراة ابو

الصادق حامل الرشاش . يحتاج الى القطيعة مع المزاودين ، الى متابعـة وتفنيد اقوالهم وتناقضاتهم . يحتـاج الى مجابهة الانظمة الرجعيـة وشبه التقدمية ، والاستعداد لفقدان المساعدات (القاتلة !) . يحتاج الى ايمان بوعي الشعب العربي، الى معرفـة ان الشعب العربـي (وجزءه الفلسطيني) ليس المنظمات «العاملة» والصحافية . بتعبير آخر : الطريق ليس شاقا الى هذا الحد ، لان الشعب يطالب بهذا التصحيح ، يريد هذا الطريق ، يتوقعه ، ينتظر صوت الحقيقة من المقاومة الفلسطينية ، من ممثلي شعب المأساة الاكبر ، الذي هو بحكم الطبيعة – على ان لا تخرَّب هذه الطبيعة ! – شعب المعركة الاطول والاعمق .

هذا الشعب العربي العادي – شعب العـامل والفلاح والحرفي والعسكري ومعلم المدرسة ... – لا يملك وعي لينين . ولكنـه يملك وعيا جنينيا صحيحا ، اصح الف مرة من وعي كل هذه المنظمات العربيـة التي ركبت الموضة الفداوية او رُكبت من قبلها . ومن رابع المستحيلات ان يكوّن وعي **ضد** هذا الوعي الجنيني وان لا يكـون وعيا زائفا ومخربا . تلك شهـادة التجربة ، ولا سيما التجربـة الفلسطينية الراهنة .

انني اقترح علـى ياسر عرفات ، يحيى حموده ، ابراهيم بكـر ، بهجت ابو غربية ، فاروق قدومي ، صلاح خلف ، جورج حبش ، نايف حواتمه ، ان يعودوا الى انفسهم لفترة من الزمن ،ان ينعزلوا عن «المنظمات – الصحف – التشنجات – المزاودات» لفترة من الزمن ، ان يلغوا مناقشاتهم – الثانوية ! – لفترة من الزمن ، وان يتركوا مسألة الوحدة والجبهة الوطنية الفلسطينية وكـل المسائل التنظيمية لفترة من الزمن ، **وان يستفتوا الشعب** ، الشعب غير المنظم ، الناس العاديين غير «الملتزمين» (!؟) – الذين يجب ان يُمنحوا وساما لعدم «التزامهم» – ، ان يستفتوا الشعب في نابلس وغزة ، في عمان واربد ، في دمشق والبصرة ، في القاهـرة ووهران ، في عَمان وحضرموت ، في الخرطوم والرباط ... ان يستفتوا هـذه الغالبية الكبرى من الشعب (الشعب الكادح او نصف الكادح) التـي لا تكرر قول جريدة «الحزب» (ايا كان) او اذاعة الحكومة (اية كانت) . ان يطلبـوا مـن هؤلاء الناس ان يجيبوا بعد تفكير على سلسلة مـن الاسئلة المحددة ، مـن الاسئلة ذات المضمون .

بالطبع ، يستطيع قادة المقاومة ان يصيغوا الاستفتاء على النحو التالي : هل تحب الثورة الفلسطينية ؟ هل تحب فتح ؟ الا تريـد تحرير فلسطين ؟ الا تشجب خيانة من لا يريد تحرير فلسطين ؟

حتى في هذه الحال ، اشك في ان الاجوبة ستكون عديمة الفائـدة ، اشك في ان الاجوبة لن تصفع الايديولوجيا والكلامولوجيا . اعتقد ان الاخوان سينالون اجوبة كثيرة من النوع الآتي : احب الثورة الفلسطينية في فلسطين من اجل فلسطين، لا احبها في شرقي الاردن من اجل شرقي الاردن . احب فتح ولكني افضل فتح كما كانت قبل ثلاث سنوات . اريـد تحرير فلسطين ، ولكـن فلسطين لن تحرر بالثورة الفلسطينية حتى المدعومة عربيا ، واريد الان تحرير الاراضي المحتلة في ٥

حزيران جميعا ، او على الاقل الحاق خسائر بشرية جدية بالعدو المحتل ، بفضل وحدة العرب وقيام الدول بواجبهـــا . واشجب بالدرجة الاولى تناقض الاقوال والافعال . واشجب ان يبقى العبء على مصر او على مصر والمقاومة ، واشجب ان تظهر احداث المقاومة في شرقي الاردن (منذ فترة غير قصيرة) كأنها اداة ضغط لمنع التحول الحاصل في سوريا ضد الكلامولوجيا .

ولكن من الافضل ان تصاغ الاسئلة بشكل آخر ، ان تكـون ذات مضمون محدد ، وان تفسح المجال لاختيار حقيقي ، لاختيار بـين مفاهيم متنافية ، بعيدا عن العموميات .

اقترح ان يكـون الخيار المعروض ليس بـين كتابات الجبهة الديمقراطية (الثورة وحرب التحريـر الشعبيـة والرفض والامبرياليـة وفيتنـام والطبقات والبروليتاريا الرثة) وكتابـات فتح (الثورة وحرب التحرير الشعبيـة والرفض والامبريالية والجزائر وفيتنام) . وكتابات الجبهة الشعبية (نفس الشيء ولكـن : البروليتاريا غير الرثة !) ، بل بين القاسم المشترك في كل هذه الكتابات وبين الخط البديل الذي عرضناه سلبا وايجابا فيكتاب «المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن» .

اقترح ان تكون الاسئلة كما يلي :

١ ــ هل تعتقـد ان المقاومة الفلسطينية ستحرر فلسطين ؟ هل تعتقـد ان المقاومة الفلسطينية مدعومة من قبـل العرب ستحرر فلسطين ؟ هل تعتقـد ان تحرير فلسطين مهمة تاريخية تحتاج الى عشرات السنين وتحتاج الى جيوش الدول العربية والبترول العربي والتحرر العربي والوحدة العربية ودعم الاتحاد السوفياتي؟ وان المقاومة الفلسطينية يجب ان تأخذ مكانها في هذا الاطار ؟

٢ ــ هل تعتبر تحرير فلسطين **هدفا** (اي هدفا بعيدا) ام تعتبره **شعارا** (آنيا)؟

٣ ــ هل تعتبر تحرير فلسطين شرطا للوحدة العربية ام تعتبر الوحدة العربية شرطا (بين عدة شروط) لتحرير فلسطين ؟

٤ ــ هل تعتقد ان شعـار تحرير الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ شعار قادر على تعبئة وجر القوى العربية الى معركة الاستنزاف الطويلـة ، قوى مصر وسوريا والاردن والدول الاخرى لا سيما البترولية ؟ ام ترى ان شعار تحرير فلسطين هو الذي عبأ ويعبىء فعليا القوى العربية ؟

٥ ــ هل تعتقد ان امراء البترول يقدمـون مساعدات للمقاومة الفلسطينية بدافع حب فلسطين ؟ ام بدافع حب فلسطين ودافع آخر ؟ ام بدافع آخر فقط او بالدرجة الاولى ؟ هل تعتقد انملوك وامراء البترول مسرورون من كون المقاومة على صدام مع الجمهورية العربية المتحدة حول مسألة قرار مجلس الامن وما اتى ويأتي بعده ؟

٦ ــ قدر المساهمة الفعلية لكل من القوى العربية في المعركة القومية من ٥ حزيران ١٩٦٧ حتى اليوم (بالنسبة المئوية) .

آ ــ مصر : ١٠ بالمئة ؟ ٣٠ بالمئة ؟ ٥٠ بالمئة ؟ ٨٠ بالمئة ؟ ٩٠ بالمئة ؟
ب ــ سوريا : ١٠ بالمئة ؟ ٣٠ بالمئة ؟ ٥٠ بالمئة ؟ ٨٠ بالمئة ؟ ٩٠ بالمئة ؟

ج ــ المملكة الاردنية : ١٠ بالمئة ؟ ٣٠ بالمئة ؟
د ــ لبنان ... هـ. العراق . و. الكويت . ز. السعودية .
ح. الجزائر . ط. تونس . ي. ليبيا .... موريتانيـا .
ك. المقـاومة الفلسطينية : فتح ، صاعقـــة ، جيش التحرير ، شعبية ، ديمقراطية ، جبهة عربية ، انصار ...

٧ ــ قدر الحرص الكلامي على فلسطين وتحرير فلسطين (بالنسب المئوية) : كما في البند السابق .

٨ ــ هل تفكر بمقارنة البندين ٦ و ٧ ؟ اذا كنت تفكر ، فما هي النتيجة التي تصل اليها ؟

٩ ــ عودة الى السؤال ٤ : ايهما اصلح لتعبئة القوى الشعبية والعسكرية ؟ شعار تحرير الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ ام شعار تحرير فلسطين ؟

١٠ ــ هل تعتقد ان حرب التحرير الشعبية شعار صحيح ؟ ام تعتقـد انها محض «شعار» ؟ ام تعتقد انها شعار يقصد منه الهروب من المجابهة الحقيقية ؟ هل تعتقد ان المقاومة كانت محقة في رفعها هذا الشعار ، ام انها برفعه سهلت تهرب بعض الدول والقوى من المعركة ؟

١٠ ــ هل تعتقد ان العرب ركضوا في ١٩٦٦ ــ ١٩٦٧ نحو كمين ، وسقطوا في مخطط عدواني مدروس حاكته واحكمته واشنطن وتل ابيب ؟ هل انت تدين اسباب الهزيمة فقط ، ام انك تدين ايضا الراكض نفسه ام تعتقد انه لم يكن هناك ركض الى الفخ ؟ هل تتهم احدا من العرب بسوء النية ؟ هل تتهم القادة بسوء العقل؟

١١ ــ اذا كنت ، في ايار ١٩٦٧ او قبله ، قد رغبت بتحرير فلسطين ، في اسبوع او شهر او عدة شهور ، هل تلوم نفسك الان ، ام انك تعتبر القادة وحدهم مسؤولين ما داموا قد اخفوا حقائـق الموقف العسكري (بدءا مـن تعداد القوات الاسرائيلية والعربية) عن الشعب العربي ؟

١٢ ــ هل تعتقد انه كان من الافضل ــ عربيا وعالميا واسرائيليا ــ للعرب ان يتأهبوا في ايار ١٩٦٧ وقبله لخوض حرب **دفاع** ضد عدوان اسرائيل وتوسعها ، وحسب ، ام ان يعلنوا قرب تحرير فلسطين وارادة تدمير اسرائيل او القضاء على الصهيونية والامبريالية الخ ؟

١٣ ــ عودة الى السؤال ٣ : هل تعتقد انه من الممكـن تحرير فلسطين بدون قيام دولة عربية واحدة متقدمة ثورية ؟ وبدون عـدد مـن التغيرات في السـاحة العالمية ؟ وبدون استعداد عربي لمواجهة قوات الغزو الاميركية ؟

١٤ ــ هل تعتقد ان سكان مدينتك او قريتك سيقاتلون على نحو افضل ام اسوأ اذا قال لهم قادتهم انهم سيقاتلون في هـذه المرة لان اسرائيل الاميركية او اميركا الاسرائيلية تفرض عليهم الحرب فرضا (فهي لا تقبل بالعودة الى حـدود ٥ حزيران وسوف تصل اذن بعد عشر سنوات او ثلاثين سنة الى مدينتك او قريتك) ام ان سكان مدينتك لا يمكن ان يقاتلوا الا اذا كان قتالهم الان من اجل تحرير حيفا ويافا او قيل لهم الان ان قتالهم هو من اجل تحرير حيفا ويافا الان ؟ هل تعتقد ان

الموقف الثاني هو الذي يفتح طريق تحرير حيفا ويافا وان الموقف الاول لا يفتح هذا الطريق ؟

١٥ ـ هل تعتقد ان على المقاومة الفلسطينية ان تستولي على السلطة في عمان لان حسين عميل ؟ ام تعتقد ان على المقاومة ان لا تستولي على السلطة في عمان حتى اذا كان حسين اكبر العملاء ؟ وان على المقاومة ان تبدد دائما هذا الالتباس ، ان تنفي دائما هذا الزعم «الثوري» ؟

١٦ ـ اذا كنت تريد ان تقوم المقاومة بالثورة في شرقي الاردن ، هل تعتقد ان المقاومة تستطيع ، اذا فشلت ثورتها في المدن ، ان تحارب الجيش الاردني بنجاح في ارياف شرقي الاردن ؟ ام تعتقد ان فشلها في المدن ينهي ثورتها هذه وان شرقي الاردن بحكم طبيعته وتوزع سكانه غير صالح لحرب شعبية فلسطينية ريفية كما في الصين وفيتنام ؟ او كما في جبال الجزائر ؟

١٧ ـ هل تعتقد ان حكم المقاومة في عمان هو ضربة جدية لاميركا واسرائيل ؟ في حال انتصار المقاومة في عمان واستلامها السلطة ، هل ستقول اننا تقدمنا نحو تحرير فلسطين ؟ ام ستقول ان الامبريالية الاميركية ارسلت حسين الى الجحيم ؟ هل تعتقد ان تجربة ٥ حزيران ١٩٦٧ اثبتت ان اميركا يهمها مصير اسرائيل ، وجودها وقوتها وتوسعها ، وان حماية المملكة الاردنية الهاشمية هدف ثانوي وثانوي جدا بالمقارنة مع هذا الهدف ؟

١٨ ـ هل تعتقد ان الرصيد الشعبي للمقاومة في شرقي الاردن قد نما او انحسر بين ١٩٦٨ و ١٩٧٠ ؟ في الاوساط الشرق ـ اردنية ؟ في الاوساط الفلسطينية ؟ فيما اذا كنت تعتقد انه انحسر ، هل تعتبر المقاومة مسؤولة ام لا ؟

١٩ ـ هل تعتقد ان المقاومة الفلسطينية ، مدعومة بالقوى الوطنية وبالعرب ، تستطيع ـ اذا صححت مواقفها ـ ان تلجم ونهائيا حسين والتل والتلهوني والرجعيين والعملاء ؟ وتستطيع ـ اذا صححت مواقفها جذريا وكليا واقامت جبهة شعبية حقيقية ـ ان ترد الصاع صاعا ، وتستطيع ـ اذا استمر حسين والتل والتلهوني ... ـ ان تسقطهم لصالح التحرر العربي ولصالح فلسطين ؟ هل تعتقد ان التصحيح الجذري هو شرط لا غنى عنه لاستعادة المبادرة او بالاحرى للوصول الى اخذ المبادرة لاول مرة ؟ ام انك تعتقد ان المبادرة كانت ولا تزال بيد المقاومة ؟

٢٠ ـ بالمناسبة ، هل تعتقد ان شعار «تحرير فلسطين» **وشعار** وحدة التراب الفلسطيني والشعارات المشابهة هي الشعارات الصحيحة والملائمة للموقف الشرق ـ اردني والفلسطيني ، هي **الشعارات** التي يجب ان تتبناها المقاومة الفلسطينية والقوى الوطنية والاحزاب التقدمية الفلسطينية ـ الاردنية ، هي الشعارات التي توحد الشعب ، هي الشعارات التي تجر الجيش الاردني او غالبيته الساحقة او قسما كبيرا منه الى المعركة الوطنية ؟ ام ان شعار تحرير الاراضي المحتلة في ٥ حزيران هو الاصلح لتحقيق هذه المهمات ؟

٢١ ـ هل تعتقد ان المقاومة الفلسطينية محقة في صيانة وحدة «مبادئها ، اهدافها ـ شعاراتها» ، ام تعتقد ان المقاومة تحت ستار «وحدة» المبادىء والاهداف

والشعارات ترتكب خطأ الخلط بين المستويات ، مستويات العمل ، ومستويات المعرفة ؟ هل تعتقد ان المقاومة محقة في كرهها او تحفظها تجاه شعار تحرير الاراضي المحتلة في حزيران ١٩٦٧ ؟ انها محقة في اعتبارها احتمال الانسحاب الاسرائيلي من هذه الاراضي نتيجة حرب كبيرة او صغيرة او بدونها (نتيجة السياسة الدولية) شيئا غير مرغوب فيه ، او في اقصى حال « شرا لا بد منه» ؟ هل تعتقد ان الوضع الاحتلالي الراهن هو الوضع الامثل لنمو الثورة العربية ؟ لنمو الثورة الفلسطينية ؟ هل ترى ان اميركا تريد الانسحاب والسلام تفاديا لهذا الوضع الامثل؟ ام ترى ان اميركا تريد هذا الوضع الراهن ، تريد تعفين الموقف ، سعيا وراء تغيرات محددة لصالحها ؟

٢٢ ـ هل تعتقد ان فكرة «الدولة الديمقراطية الفلسطينية» صالحة كتحديد للهدف الاخير ؟ هل تعتقد انها هروب من تحديد الهوية القومية لفلسطين باسم تحديد الهوية السياسية ؟ هل تعتقد انها ـ كهدف اخير ـ مطابقة لحقيقة الدرب الطويل ، لواقع الصراع والحروب بين العرب وبين الصهيونية الزاحفة المقاتلة مدعومة بـ ٩٨ بالمئة او ٩٩ بالمئة من الشعب اليهودي في فلسطين ؟

هل تعتقد ان فكرة «الدولة الديمقراطية الفلسطينية» صالحة كشعار (آني) لها ارتباط بالواقع الآني ، بسير المعركة ، بالخطة العملية ؟ هل تعتقد انها كشعار تسلح العرب بوعي الواقع ؟ هل تعتقد ان الكسب الصغير او الكبير المحقق للعرب في السنوات الثلاث الاخيرة (تمتين الرابطة مع الاتحاد السوفياتي مصدر المساعدات العسكرية ، مكاسب في اصوات الدول او في الرأي العام الشعبي) مرده بالدرجة الاولى الى رفع المقاومة هذا الشعار ام الى قبول مصر مبدأ العودة الى حدود ٥ حزيران ورفعها شعار السلام القائم على العدل واعتراض اسرائيل على الاثنين ؟

هل تعتقد ان مناقشات المقاومة واليسار الجديد حول موضوع «دولة فلسطين الديمقراطية» شيء واقعي واساسي ، ام انها شيء هامشي والى حد كبير ضياع وتضليل عن الواقع الراهن والمعركة الراهنة ؟

٢٣ ـ هل تعتقد من الضروري اقامة جبهة شرقية ؟ في هذه الحال ، من المسؤول عن عدم قيامها ؟

٢٤ ـ هل تعتقد ان البترول العربي شارك حتى الان مشاركة جدية ؟

٢٥ ـ هل تعتقد ان المقاومة الفلسطينية كان لها خط ؟ لها خط الان ؟

٢٦ ـ هل تعتقد ان بلاغات العمل الفدائي (١٩٦٥ ـ ١٩٧٠) صحيحة بمقدار ٩٠ بالمئة ؟ ٧٠ بالمئة ؟ ٥٠ بالمئة ؟ ٢٠ بالمئة ؟ ٥ بالمئة ؟ ١ بالمئة ؟ هل تعتقد انهناك مبالغة كبيرة في هذه البلاغات ؟ هل تعتقد ان هو شي منه مارس هذه المبالغة ؟

٢٧ ـ هل تعتقد ان صحف واذاعات الدول العربية قد بالغت في هذا الصدد؟ باي مقدار ؟ اذا كنت تؤمن بوجود تضخيم ، هل تعتقد ان هذا التضخيم لصالح المقاومة ام العكس ؟

٢٨ ـ هل تعتقد ان صحف اليسار بالغت ؟ وصحف اليمين ؟ هل تعتقد ان جريدة الاهرام المصرية ـ المعتدلة وغير الثورية ـ قد قللت من العمل الفدائي ام انها

هي ايضا بالفت ؟

٢٩ ـ هل تعتقد ان صحف العالم (بيكين ، باريس ، لندن ، الخ) بالفت ؟

٣٠ ـ حين تقرأ او تسمع (من اذاعة بلدك) ان جريدة معاريف الاسرائيلية تحدثت عن الاضرار البالغة التي يلحقها عملنا الفدائي بالعدو ، هل تعتبر ذلك بوجه الاجمال «اعترافا» (اضطراريا) من العدو بأهمية عملنا ام انك تعتبر ذلك شيئا آخر ؟ اذا كنت تعتبره شيئا آخر فماذا تسمي هذا الشيء الآخر ؟ هل هو تهويش داخل اسرائيل او تبرير لعدوانيتها امام العالم ؟ ام هو تضييع للمقاومة والشباب والعرب ؟

٣١ ـ حين تقرأ (اذا قرأت) في جريدة يمينية وامبريالية في بيروت او الكويت او السعودية او مراكش او ابو ظبي او تونس عناوين ومقالات تؤيد المقاومة وترفض الحل التصفوي وتنادي بحرب التحرير الخ ، هل تعتبر ان هذه الجريدة اصبحت وطنية وثورية وماوتسي تونجية ؟ هل تعتبر انها تريد ان تكسب شعبية على حساب المقاومة وشعاراتها وعلى حساب فلسطين ؟ ام تعتبر انها تحارب مصر ، تغطي هروب دولها وبترولها من الواجب القومي ، وهروب شبابها من العمل الوطني والثوري الحقيقي ؟ في هذه الحال ، هل تعتقد ان المقاومة ليس لها مسؤولية في الامر ما دامت القوى الرجعية العاتية هي التي تركب على شعاراتها ومواقفها ؟ ام انك تعتبر ان هذه الشعارات والمواقف عمومية ملتبسة تتيح المجال لهذا الركوب ؟ ام انك ، بعكس ذلك ، تعتبر ان متاجرة صحف اليمين الامبريالي بشعارات المقاومة هو تقدم حقيقي ونصر فعلي للمقاومة والثورة واليسار الحقيقي ؟

٣٢ ـ هل تعتقد ان العرب قصروا مع المقاومة الفلسطينية في المال والسلاح ام لا ؟ ام العكس ؟

٣٣ ـ هل تعتقد ان الدول العربية مقصرة في واجبها الذاتي المباشر كقوى مقاتلة تجاه العدوان والاحتلال الراسخ ؟

٣٤ ـ هل تعتقد ان هناك صلة ما بين البند ٣٢ والبند ٣٣ ؟

٣٥ ـ هل ترى ان على المقاومة ان تضم مزيدا من شباب الموصل وبغداد وحلب وحمص وبيروت وطرابلس والرياض وعدن والقاهرة ؟ ام عليها ان تكتفي ؟ ام عليها ان تصرف كل هؤلاء الى اوطانهم ؟

٣٦ ـ هل تعتقد ان العمل الفدائي ضد اسرائيل وتوسعها قد تقدم في الفترة الاخيرة ؟ ام انه انحسر ؟ اذا كنت تعتقد انه انحسر فمنذ اي سنة ؟ منذ ١٩٧٠ ؟ منذ ١٩٦٩ ؟ منذ اواخر ١٩٦٨ ؟

٣٧ ـ هل تعتقد ان العمل الفدائي سيتحول الى حرب تحرير شعبية ؟

٣٨ ـ هل تعتقد ان العمل الفدائي يمكن ان ينمو وان يصبح اكثر فاعلية بكثير بدون ان يتحول الى «حرب تحرير شعبية» ومع تركه فكرة «حرب التحرير الشعبية» من اساسها ، بوصفها فكرة مثالية ، خارجة عن الموضوع الفلسطيني ؟ ام تعتقد ان العمل الفدائي لا يمكن ان ينمو اذا تخلى عن مبدأ حرب التحرير الشعبية وان هذه النظرية الواقعية والصحيحة هي التي سندت وتسند وجوده ؟ هل تعتقد ان حرب

التحرير الشعبية هي التي ستحرر فلسطين ، هي التي سوف تقضي على دولة اسرائيل ؟

٣٩ ـ هل تعتقد ان العمل الفدائي يجب ان يضم عشرة آلاف من الفدائيين ؟ ام مئة الف ؟ ام عليه ان يكتفي بالفين من الفدائيين المقاتلين الحقيقيين ؟ هل تعتقد ان الزيادة العددية كفيلة بنمو الفاعلية ؟ ام تعتقد العكس ؟

هل تعتقد ان الشعب الفلسطيني المشرد المسحوق يستطيع ان ينجب من الان والى مئة سنة قادمة آلافا محدودة من الفدائيين الحقيقيين جيلا بعد جيل ، وان هذا الطريق يجعل المقاومة الفلسطينية ظاهرة ثورية طليعية وبالغة الفاعلية في الواقع العربي والتطور العربي والثورة العربية ، اذا تبنت المقاومة خطا صحيحا ، خطا تاريخيا وستراتيجيا وسياسيا وعسكريا صحيحا .

٤٠ ـ هل تعتقد ان جيش التحرير الفلسطيني يجب ان يُحل الى عصابات ثورية ام انه يجب ان يبقى وان ينمو كما وكيفا وان يأخذ مكانه الى جانب او داخل الجيوش النظامية العربية المقاتلة ؟

٤١ ـ هل تعتقد ان الكفاح الجماهيري السلمي او شبه السلمي في الضفة الغربية المحتلة قد نما بين ١٩٦٨ و ١٩٧١ ام انه انحسر ؟ اذا كنت تعتقد انه انحسر ، هل تلوم العرب عامة ؟ هل تلوم الدول المتقاعسة ؟ وهل تلوم المقاومة الفلسطينية ؟ هل تعتقد مثلا ان احد عوامل الانحسار هو محاولة المقاومة الظهور بمظهر البديل عن عبد الناصر ومصر والعرب ؟

٤٢ ـ عودة الى السؤال ٢٥ : هل تعتقد ان المقاومة كان لها خط ؟ او لها الان خط ؟ خط ستراتيجي ؟ خط تاكتيكي ؟ خط سياسي ؟ خط تنظيمي ؟ ام انك تعتقد انه ليس لها الا «شعارات» وحشد «تنظيمي» حول الشعارات ؟

٤٣ ـ هل تعتقد ان هناك فرقا جوهريا بين فتح والجبهة الشعبية والصاعقة والجبهة الشعبية الديمقراطية الخ ؟

٤٤ ـ هل تعتقد ان اليسار كان عامل وعي وتوحيد بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، ام ان هذا «اليسار» الزائف كان عامل تضليل وضياع وتمزيق ؟

٤٥ ـ هل تعتقد ان على المقاومة ان تتوحد ؟ هل تعتقد انها تستطيع ان تتوحد بتكرارها صيغ فيتكونغ ، فيت منه ، الخ ؟ ام انها لا يمكن ان تتوحد فعلا الا على اساس خط سياسي وستراتيجي واضح محدد وصحيح ؟

٤٦ ـ في هذا الصدد ، هل تعتقد ان هدف تحرير فلسطين او هدف تحرير فلسطين مضافا اليه حب الفقراء والكادحين ونظرية صراع الطبقات كفيل بالتوحيد ؟ ام تعتقد ان هذا وامثاله وتلوناته «عموميات» ، وان الخط هو شيء آخر غير العموميات ؟

٤٧ ـ هل تعتقد ان المناقشات المتكررة حول مسألة الوحدة التنظيمية للمقاومة الفلسطينية مناقشات مجدية ؟ ام تعتقد ان على المقاومة ، على كل منظماتها وافرادها ، ان تبدأ بمناقشة التجربة الماضية تفصيليا ، وان تحدد خطا دقيقا يدفع الالتباس ؟ هل تعتقد ـ مثلا ـ ان عليها ان تبدأ بالاجابة على الاسئلة الآنفة

هي ايضا بالفت ؟

٢٩ ــ هل تعتقد ان صحف العالم (بيكين ، باريس ، لندن ، الخ) بالفت ؟

٣٠ ــ حين تقرأ او تسمع (من اذاعة بلدك) ان جريدة معاريف الاسرائيلية تحدثت عن الاضرار البالغة التي يلحقها عملنا الفدائي بالعدو ، هل تعتبر ذلك بوجه الاجمال «اعترافا» (اضطراريا) من العدو بأهمية عملنا ام انك تعتبر ذلك شيئا آخر ؟ اذا كنت تعتبره شيئا آخر فماذا تسمي هذا الشيء الآخر ؟ هل هو تهويش داخل اسرائيل او تبرير لعدوانيتها امام العالم ؟ ام هو تضييع للمقاومة والشباب والعرب ؟

٣١ ــ حين تقرأ (اذا قرأت) في جريدة يمينية وامبريالية في بيروت او الكويت او السعودية او مراكش او ابو ظبي او تونس عناوين ومقالات تؤيد المقاومة وترفض الحل التصفوي وتنادي بحرب التحرير الخ ، هل تعتبر ان هذه الجريدة اصبحت وطنية وثورية وماوتسي تونجية ؟ هل تعتبر انها تريد ان تكسب شعبية على حساب المقاومة وشعاراتها وعلى حساب فلسطين ؟ ام تعتبر انها تحارب مصر ، تغطي هروب دولها وبترولها من الواجب القومي ، وهروب شبابها من العمل الوطني والثوري الحقيقي ؟ في هذه الحال ، هل تعتقد ان المقاومة ليس لها مسؤولية في الامر ما دامت القوى الرجعية العاتية هي التي تركب على شعاراتها ومواقفها ؟ ام انك تعتبر ان هذه الشعارات والمواقف عمومية ملتبسة تتيح المجال لهذا الركوب ؟ ام انك ، بعكس ذلك ، تعتبر ان متاجرة صحف اليمين الامبريالي بشعارات المقاومة هو تقدم حقيقي ونصر فعلي للمقاومة والثورة واليسار الحقيقي ؟

٣٢ ــ هل تعتقد ان العرب قصروا مع المقاومة الفلسطينية في المال والسلاح ام لا ؟ ام العكس ؟

٣٣ ــ هل تعتقد ان الدول العربية مقصرة في واجبها الذاتي المباشر كقوى مقاتلة تجاه العدوان والاحتلال الراسخ ؟

٣٤ ــ هل تعتقد ان هناك صلة ما بين البند ٣٢ والبند ٣٣ ؟

٣٥ ــ هل ترى ان على المقاومة ان تضم مزيدا من شباب الموصل وبغداد وحلب وحمص وبيروت وطرابلس والرياض وعدن والقاهرة ؟ ام عليها ان تكتفي ؟ ام عليها ان تصرف كل هؤلاء الى اوطانهم ؟

٣٦ ــ هل تعتقد ان العمل الفدائي ضد اسرائيل وتوسعها قد تقدم في الفترة الاخيرة ؟ ام انه انحسر ؟ اذا كنت تعتقد انه انحسر فمنذ اي سنة ؟ منذ ١٩٧٠ ؟ منذ ١٩٦٩ ؟ منذ اواخر ١٩٦٨ ؟

٣٧ ــ هل تعتقد ان العمل الفدائي سيتحول الى حرب تحرير شعبية ؟

٣٨ ــ هل تعتقد ان العمل الفدائي يمكن ان ينمو وان يصبح اكثر فاعلية بكثير بدون ان يتحول الى «حرب تحرير شعبية» ومع تركه فكرة «حرب التحرير الشعبية» من اساسها ، بوصفها فكرة مثالية ، خارجة عن الموضوع الفلسطيني ؟ ام تعتقد ان العمل الفدائي لا يمكن ان ينمو اذا تخلى عن مبدأ حرب التحرير الشعبية وان هذه النظرية الواقعية والصحيحة هي التي سندت وتسند وجوده ؟ هل تعتقد ان حرب

التحرير الشعبية هي التي ستحرر فلسطين ، هي التي سوف تقضي على دولة اسرائيل ؟

٣٩ ــ هل تعتقد ان العمل الفدائي يجب ان يضم عشرة آلاف من الفدائيين ؟ ام مئة الف ؟ ام عليه ان يكتفي بالفين من الفدائيين المقاتلين الحقيقيين ؟ هل تعتقد ان الزيادة العددية كفيلة بنمو الفاعلية ؟ ام تعتقد العكس ؟

هل تعتقد ان الشعب الفلسطيني المشرد المسحوق يستطيع ان ينجب من الان والى مئة سنة قادمة آلافا محدودة من الفدائيين الحقيقيين جيلا بعد جيل ، وان هذا الطريق يجعل المقاومة الفلسطينية ظاهرة ثورية طليعية وبالغة الفاعلية في الواقع العربي والتطور العربي والثورة العربية ، اذا تبنت المقاومة خطا صحيحا ، خطا تاريخيا وستراتيجيا وسياسيا وعسكريا صحيحا .

٤٠ ــ هل تعتقد ان جيش التحرير الفلسطيني يجب ان يُحل الى عصابات ثورية ام انه يجب ان يبقى وان ينمو كما وكيفا وان يأخذ مكانه الى جانب او داخل الجيوش النظامية العربية المقاتلة ؟

٤١ ــ هل تعتقد ان الكفاح الجماهيري السلمي او شبه السلمي في الضفة الغربية المحتلة قد نما بين ١٩٦٨ و ١٩٧١ ام انه انحسر ؟ اذا كنت تعتقد انه انحسر ، هل تلوم العرب عامة ؟ هل تلوم الدول المتقاعسة ؟ وهل تلوم المقاومة الفلسطينية ؟ هل تعتقد مثلا ان احد عوامل الانحسار هو محاولة المقاومة الظهور بمظهر البديل عن عبد الناصر ومصر والعرب ؟

٤٢ ــ عودة الى السؤال ٢٥ : هل تعتقد ان المقاومة كان لها خط ؟ او لها الان خط ؟ خط ستراتيجي ؟ خط تاكتيكي ؟ خط سياسي ؟ خط تنظيمي ؟ ام انك تعتقد انه ليس لها الا «شعارات» وحشد «تنظيمي» حول الشعارات ؟

٤٣ ــ هل تعتقد ان هناك فرقا جوهريا بين فتح والجبهة الشعبية والصاعقة والجبهة الشعبية الديمقراطية الخ ؟

٤٤ ــ هل تعتقد ان اليسار كان عامل وعي وتوحيد بالنسبة للمقاومة الفلسطينية ، ام ان هذا «اليسار» الزائف كان عامل تضليل وضياع وتمزيق ؟

٤٥ ــ هل تعتقد ان على المقاومة ان تتوحد ؟ هل تعتقد انها تستطيع ان تتوحد بتكرارها صيغ فيتكونغ ، فيت منه ، الخ ؟ ام انها لا يمكن ان تتوحد فعلا الا على اساس خط سياسي وستراتيجي واضح محدد وصحيح ؟

٤٦ ــ في هذا الصدد ، هل تعتقد ان هدف تحرير فلسطين او هدف تحرير فلسطين مضافا اليه حب الفقراء والكادحين ونظرية صراع الطبقات كفيل بالتوحيد ؟ ام تعتقد ان هذا وامثاله وتلوناته «عموميات» ، وان الخط هو شيء آخر غير العموميات ؟

٤٧ ــ هل تعتقد ان المناقشات المتكررة حول مسألة الوحدة التنظيمية للمقاومة الفلسطينية مناقشات مجدية ؟ ام تعتقد ان على المقاومة ، على كل منظماتها وافرادها ، ان تبدأ بمناقشة التجربة الماضية تفصيليا ، وان تحدد خطا دقيقا يدفع الالتباس ؟ هل تعتقد ــ مثلا ــ ان عليها ان تبدأ بالاجابة على الاسئلة الآنفة

واللاحقة ؟ بحيث تكون وحدتها وانقسامها على اساس هذه الاجابة !

٤٨ — فيما اذا انشأت المقاومة الفلسطينية خطا صحيحا ، هــل تعتقد انه سيكون بامكان القوى الرجعية او سواها ان تصفي المقاومة ؟

٤٩ — هل تعتقد ان غالبية الجماهير العربية هي مــع المقاومة الفلسطينية اليوم ؟ في ١٩٧٠ ؟ في ١٩٦٩ ؟ في ١٩٦٨ ؟ هل انت مــع المقاومة الفلسطينية ، عمليا ، اليوم ؟ قبل عام ؟ قبل عامين ؟ قبل ثلاثة اعوام ؟

٥٠ — هل تعتقد ان المقاومة الفلسطينية بشعاراتها وافكارها وسلوكها قــد ساعدت القوى الوطنية على النمو والتقدم ، في لبنان ؟ في شرقي الاردن ؟ فـي الدول الرجعية الاخرى ؟ اذا كنت تعتقد ان دورها داخل الاقطار كان مزدوجا — اي ايجابيا وسلبيا — قدّر هذين الوجهين الايجابي والسلبي (بالنسب المئوية) . هل تعتقد ان القوى الوطنية والتقدمية الكبرى او التقليدية كانت في المستوى المطلوب ، في صلاتها مع المقاومة ، في فهمها وتشخيصها للمعركة الوطنية ولمجمل الاوضاع القطرية والعربية ؟

هل تعتقد ان الحكم الرجعي في الاردن ، في لبنان ، هو اليــوم اقوى او اضعف مما كان قبل عامين ؟ في الحالتين ، هل المقاومة مسؤولة ؟

* * *

هذه هي اسئلة الاستفتاء الذي نقترح ان تتبناه المقاومة الفلسطينية والذي يجب ان ينزل تحت السطح «المنظم» المزعــوم الى جماهير العمال والفلاحين والبرجوازية — الصغيرة المدينية والجنود ، في كل اقطار الوطن العربي ، بدءا من عرب فلسطين المهودة ، وفلسطين المحتلة ، الى شرقي الاردن ، الى سوريا ولبنان والسعودية والعــراق ومصر والسودان واليمن والخليج الخ ... وصــولا — اذا شاءت المقــاومة — الى موريتانيــا وتشاد والصومال والاسكنــدرون وعربستان وكيليكيا ...

لعل البعض يعتبر صياغة اسئلتنا غير حيادية ، توحي باجابات لصالح مواقفنا المناقضة لايديولوجيا المقاومة . لا نعارض في تغيير **الصياغة** ، فالمهم هو المضمون ، المهم هو التحديد . ولكننا ، قبل ذلك ، ندعو الى قراءة اسئلتنا من جديد ! مــن يعترض على **هذه** الاسئلة ، انما يعترض لانه **يعلم** الجواب !

بتعبير آخر : **اذا** كان الاخوان عرفات ، حموده ، بكر ، حواتمه ، حبش الخ ، يعترضون على الاسئلة ، فلانهم يعرفون الجواب ، جواب الشعب وجوابهم هم . في هذه الحال ، ان الاستفتاء نافل ، انه محقق اصلا !

ولقد اقترحنا توجيه الاستفتاء الى الشعب العادي غير المنظم . بالطبع يجب ان يوجه ، ايضا وبشكل مواز ، الى **قادة** المقاومة — فردا فردا — والى **قادة** الاحزاب والدول ، وان يمهر هؤلاء القادة اجوبتهم بتواقيعهم . كذلك مع محرري الصحف والاذاعات .

ونخص بالذكر **قادة المقاومة الفلسطينية** . اذا كان عندهم خمسون جوابا على الخمسين سؤالا ، يكون عندهم خط . اذا كانت اجوبتهم الخمسون صحيحة تماما او تقريبا ، يكون خطهم صحيحا مترابطا .

اما ما دام ليس عندهم خمسون جوابا علــى الخمسين سؤالا ، ولا حتى عشرون جوابا على عشرين سؤالا منها ، اي ما دامت غالبية الاسئلة الآنفة خارجة عن حقل بصرهم وبصيرتهم ، اي ما دامــوا يطرحون اربعة اسئلة **اخرى** ويدورون حولها ، فقد يكون لديهم هدف واهداف ومبدأ ومبادىء ومئة شيء آخر ، ولكن لا يكون لديهم خط ، لا ستراتيجي ولا تاكتيكي ولا سياسي ولا عسكري ولا آني ولا تاريخي ولا شيء .

ان حواتمه ، حبش ، عرفات ، بكر ، حموده الخ ، يحملــون الان مسؤولية بقاء المقــاومة ونموها ونمو فعلها العربي . على الهزيمة والضياع والقعــود بنت الامبريالية الاميركية سياسة تعفين الموقف في الشرق الاوسط . ان احداث العام الاخير — تعزز الحلف السوفياتي — العربي وتعزز الدخول السوفياتي في الموضوع ، مشروع روجرز وتراجع اميركا واسرائيل عن السلام ، خطاب عبد الناصر في ٢٣ تموز ١٩٧٠ وتعاطف اوسع الجماهير العربية مع هذا الخطاب ، مصارحة عبد الناصر للمقاومة الفلسطينية ، مأساة المقاومــة الفلسطينية وحتمية الصحو والتصحيح ، تظاهرة الشعب العربي على النطاق القومي في ايام ٢٨ ايلول — ٣ تشرين ، ميثاق طرابلس وانضمام سوريا اليه ، التحرك السوري في تشرين الثاني ، اعلان اتحاد مصر وليبيا وسوريا — تشير الى انتهاء فترة الركود .

ان الجولة القادمة القريبة يمكــن ويجب ان تحمــل للعرب نصرا عسكريا او سياسيا او عسكريا وسياسيا ، جديا .

والمقاومة الفلسطينية يمكن ويجب ان تلعب دورا كبيرا في هذا النصر .

وفي الاحتمال الاسوأ ، اذا كانت الجولة القادمة نكسة جديــدة ، يجب ان تسجل المقاومة الفلسطينية الان انها فعلت كل ما يجب ان تفعل من اجــل تعبئة الطاقات العربية ، من اجل وحدة الكفاح العربية ، من اجل تحقيق النصر العربي وتدارك الهزيمة العربية . بدون ذلك ، في هــذا الاحتمال الاسوأ ، لن تبقى هناك مقاومة فلسطينية . ولن تكون هذه النهاية سوى نتاج ادنى ، سوى سقوط صغير في السقوط العربي العام . والبعث اللاحق لن يأتــي مما يمكن ان يذكر بهــذه «التجربة» المأساة .

ان هزيمة العرب لا يمكن ان تكون انتصارا لفلسطين . ان الذين تصوروا ان هزيمة حزيران ١٩٦٧ لم تكن هزيمة للامة بل فقط هزيمة للرجعيــة والبرجوازية الصغيرة ، هؤلاء — وهم كثر — عليهم ان يتوبوا . ان الذيــن تصوروا ان الهزيمة كانت هزيمة الانظمة وانتصارا لـ «اليسار الحقيقي» آن لهــم ان يعــودوا الى الصواب . يسارهم الحقيقي غدا اضحوكة الشعب : منظمة الاشتراكيين اللبنانيين، لبنان الاشتراكي ، الجبهة الشعبية الديمقراطيــة ، الجبهة الشعبية وحزبهــا البروليتاري (!) ومؤتمره (!) المزعوم ، «المنظمات» المشابهة في اقطــار مختلفة ،

الاجنحة «اليسارية» المزعومة في بعض الاحزاب التقدمية ، الشباب اليسراوي المعزول عن الجماهير في الخليج ، الطلاب اليسراويون في باريس ولندن ... بل من الصعب ان يتصور المرء ان هؤلاء ارادوا ، بقيامهم ، تعبئة جماهير البروليتاريا والشعب الكادح . وظيفتهم الموضوعية لم تكن سوى التضليل والتمزيق ، بما في ذلك تضليل وتمزيق رفاق وقواعد الامس القريب . وقيادة المقاومة الفلسطينية تستطيع ان ترى بعينها خطأ تصورات ما بعد حزيران (وربما ما قبل حزيران) ، تصورات زمن الكارثة (حزيران) والبطولة (الكرامة) . الثورة العربية ، البعث العربي، حرب التحرير العربية ، الخ ، لا تلد من احشاء المقاومة والعمل الفدائي . العمال والفلاحون العرب ، حركة التحرر العربية ، الانظمة الوطنية العربية ، الامة العربية ، ليست «جبهة مساندة» . اما ان تكون اكثر بكثير او ان تكون اقل بكثير .

بعد زمن الوهم ، جاء زمن الحقيقة :

ان هزيمة العرب لا يمكن ان تكون الا هزيمة لفلسطين والمقاومة الفلسطينية .

وانتصار العرب لا يمكن ان يكون الا انتصارا لفلسطين والمقاومة الفلسطينية .

ما هي الشروط الاساسية لانقاذ الثورة وتحقيق النصر

بقلم : « مناضل »

١ — وضوح الخط الاستراتيجي .

٢ — الاصرار على مواصلة القتال في اطار هذا الخط واعتماد الكوادر والقيادات القادرة على هذا القتال .

٣ — بناء التنظيم الثوري الفولاذي القادر على التصدي لتحديات المرحلة .

* * *

حتى لا تبقى رؤوسنا مدفونة بالرمال كالنعام ، بينما الصياد يعد بندقيته للاجهاز علينا ، نحن مطالبون جميعا قيادات وكوادر وقواعد بان نرفع رؤوسنا وننظر بحسم الى (الرمال المتحركة) التي نغرق فيها على مهل ، ونبحث بجدية مطلقة كافة السبل والوسائل التي نستطيع من خلالها الخروج من هذا المأزق الاستراتيجي الذي وصلنا اليه . ونحن بالتأكيد قادرون ليس فقط على تجاوز هذه المرحلة الخطرة التي اصبح فيها وجود الثورة مهددا بل اننا قادرون ايضا على دفع عجلة الاحداث في المنطقة وتفجير الطاقات الثورية فيها وصولا الى تحقيق كل طموحات شعبنا وامتنا في التحرير والوحدة والتقدم .

الا اننا سنظل نغرق في احلام طوباوية ما لم نضع اصابعنا تماما على مصدر الداء ونعمل على اجتثاثه من جذوره .

اننا امانة منا لمصير هذا الشعب ولمستقبل هذه الامة، لا بد ان نطرح القضايا كافة بوضوح قاطع لا يترك مجالا للتأويل او التراجع ، وحتى يتحمل كل انسان منا دوره كاملا في المعركة ولنا ايضا وامانة منا لدم اهلنا الذي نزف وينزف ودم شهدائنا الذين قضوا قبلنا على درب التحرير ودرب التحديات فوق الارض العربية ...

ووفاء منا لجوع هذا الشعب وآلامه وجراحه وتضحياته وخوفه ... وفاء منا لشعبنا الذي وقف يحمينا بصدوره ويتلقى قصف مدافع العملاء ...

وفاء منا لامرأة طيبة فقدت خمسة عشر فردا من اسرتها فبكت وقالت :

«معلش كلهم فداكو يا اخوانا المهم انكو تنتصروا» .

ووفاء منا لآلاف الضحايا والمعتقلين في زنازين العدو وفي زنازين العملاء..

وفاء منا لهذا الشعب المعطاء والمستعد لمواصلة العطاء والتضحيات ..

ووفاء منا للاطفال الذين جرحهم الخوف والنابالم ...

ووفاء منا لهذا كله ...

ووفاء لملايين الاشياء الاخرى ... لا بد ان تواجه كل القضايا وبمنتهى الوضوح والحزم ...

من البداية لنجب على ثلاثة اسئلة هامة :

١ ــ ماذا حدث .

٢ ــ ما هي الاسباب الحقيقية لما حدث .

٣ ــ اين نحن الان .

للاجابة على السؤالين الاولين نحتاج الى عودة سريعة الى الماضي ، لنحاكم مجمل سياستنا السابقة :

بعد حزيران ومن بين ركام الهزيمة واليأس والعذاب انطلق ثوارنا كفرسان الاساطير يقدمون لشعبنا الكرامة والنصر والمن والسلوى ... والكبرياء ... فهتفت كل القلوب اليائسة ليحمي الله الفدائيين . وحاول العملاء المهزومون يومها وقفنا ولكن الادوات التي ارادوا توجيهها لضربنا كانت لا تستطيع ان تفعل هذا وخرج شعبنا في الكرامة يصنع من اجسامه سدا بيننا وبين مصفحات الجيش الاردني . ولم تتقدم هذه المصفحات خطوة الى الامام وان كانت تستطيع ... كانت قوات مهزومة وتنظر الينا كفرسان خلاص ... وكنا يومها مجرد عشرات قليلة وحتى لا ننسى هذه اللوحة ... لنتذكر ان هذه القوات بعد ان وجهت لها الاوامر من جديد في ايلول قصفت ثوارنا وشعبنا بلا رحمة او تمييز .

وبعد ذلك جاءت الكرامة وحقق الفرسان معجزة الصمود واندفعت الجماهير الى الثورة ... وبدأ شهر العسل المر ...

ماذا حدث لهذه الآلاف المؤلفة التي انضمت للثورة ، كيف تم استيعابها وتنظيمها ؟

اليكم ما حدث :

اولا : على المستوى السياسي ، لم يتجاوز الطرح الذي قدم للجماهير اكثر من تهاويم وطقوس الفدائي الاسطورة المنقذ والمخلص والذي يحمل في جيبه المعجزة ومفاتيح الانتصار .. و(المموه) انسان خارق يقتحم الخطر ويجتاز الخطوط الالكترونية والمكهربة وحقول الالغام ويصل الى قلب مستعمرات العدو والى صميم مدنه الكبرى ويفجر الالغام في سيارة دايان ويهدم بيت اشكول فوق رأسه ... الفدائي كما رسم وقدم انسان لا يقهر ولا يهزم في معركة ، هو فقط

ينتصر ... وينتصر دائما ، يصل الى حيفا وتل ابيب وايلات وعكا وكل قرية ومدينة . وهو دائما يفعل ما يشاء وقت ما شاء وكيفما يشاء ... هو بكلمة واحدة المهدي المنتظر او المسيح المخلص ... وجماهيرنا التي تشعر بالهزيمة حتى اعماق اعماقها هذه الجماهير التي حلمت بالعودة والتحرير ، عشرين عاما ثم تهاوت كل احلامها في حزيران . مرة واحدة اصيبت بانهيار نفسي وكان لا بد ان يعود التوازن الى هذه النفسية الجماهيرية المنهارة . ومع الفدائي جاء هذا التوازن وصبغت عليه هذه الجماهير من جوعها وظمأها للنصر كل اوهامها وتخيلاتها وتراثها الذي يستمد وجوده من عنترة وابو زيد والزناتي ، مع مسحات قدسية من الرسول والخلفاء وابطال الفتوحات العربية الاوائل ... ونحن غذينا هذه الاوهام والتصورات وشحناها دوما بالانتصارات ... وبالانتصارات فقط ... قال لي سائق تكسي عراقي في ١٩٦٩ وكنت في طريقي من بغداد الى عمان ... هل تعلم لماذا احب ان اسمع اذاعة صوت العاصفة ، فقط لاسمع الرموز والشيفرة التي يوجه بها المقاتلين في الارض المحتلة (من خالد بن الوليد الى عمر بن الخطاب ... العصفور فوق الشجرة ... وصلتنا الهدية ... الله معكم) .

هذه التهاويم والطقوس والالغاز الذي عاش في ظلها الوجدان الشعبي في اطاره العريض نحن نتحمل عبر توجهنا السياسي والاعلامي مسؤوليته الخطرة...

وعلينا هنا ان نقدم حقيقة من باب التفسير لا التبرير ... ان هذه الثورة بفعل سنوات الجد التي عاشتها والحصار الاعلامي القاتل الذي عانت منه قبل حزيران شكّل هذا التيار العارم لها عزاء نفسيا جعلها تصمت امام هالات التقديس والبطولة والاسطورة التي اسبغت عليها : الا ان هذا كان اخطر ما في القضية...

ولكن هذا البريق المتوهج الذي لمع في وجدان الامة العربية وجماهير شعبنا ما كان بالامكان ان يستمر ... الوهج دائما يخفت في النهاية... ويتحول الى نار دافئة تستمر فترة اطول ...

ماذا حدث هنا ؟

اكتشف الناس ان الفدائي ببساطة هو انسان وليس اسطورة ...

الفدائي هو العامل ابو مصطفى والطالب الجامعي احمد ... والحلاق ابو سعدى ... وماسح الاحذية ... وصبي الفران ... والموظف ... و ... و ...

واكتشف شعبنا ان هؤلاء الفدائيين يتشاجرون ويرتكبون الاخطاء ... وفي حالات يستعملون السلاح في تهديد جيرانهم ...

وفوق هذا كله بدأ الناس يتعودون على سماع اخبار العمليات... لغم ... كمين ... هجوم على مستعمرة كفار روبين والمندسة ... قنابل في غزة ... صواريخ على بيسان ...

هذه العمليات لا تشبع الوجدان الشعبي الذي يعرف ان الزير سالم حين يهاجم جيش الاعداء يهاجم وحده ... يدخل في الف ويخرج في الف بينما نساء القبيلة تزغرد للفارس .. الوجدان الشعبي حصل على التوازن النفسي المطلوب

بعد حزيران ... وهو الان يريد المزيد والفدائيون كما يراهم ليسوا ابو زيد ولا عنترة ... فبدأ الوهج الحماسي العارم يخفت تدريجيا ولم نقدم في توجهنا السياسي الوضوح الضروري لهذه المرحلة الخطرة ... الا ان هذا هو جانب واحد من صورة قصورنا في هذا المجال .

ثانيا : في المجال التنظيمي :

وهذا هو الجانب الاساسي الاكثر خطورة فيما حدث ... الجماهير اندفعت بعشرات الالوف تنتظم في صفوف الثورة... ولكن داخل الاطر التنظيمية القائمة كان هناك استحالة مطلقة في استيعاب هذه الالوف وذلك لاسباب ثلاث اساسية :

أ ـ غياب البرنامج والفكر التنظيمي المحدد والواضح (سنتحدث عن هذا في شيء من التفصيل فيما بعد) .

ب ـ غياب البرنامج السياسي الواضح .

ج ـ عدم وجود الكوادر الكافية لاستيعاب هذه الاعداد الهائلة .

وعلى الرغم من هذا كله فقد تم بالفعل استيعاب اعداد كبيرة جدا من الجماهير داخل اطر تنظيمية وهمية هشة وغير فاعلة ، ولا تستطيع ان تنمي القدرات الفكرية والتنظيمية والثورية للعناصر المتواجدة فيها . ومن هنا حدث ما نسميه بالورم الثوري في جسم التنظيم .

ومع ازدياد المد الجماهيري اصبحت اعداد كبيرة من هذه العناصر تتولى مهام المسؤولية داخل التنظيم ومؤسسات الثورة واجهزتها دون ان تمتلك الحد الادنى من المؤهلات اللازمة لهذه المهام... ومن هنا تنوعت الاجتهادات والممارسات بغياب شبه كامل للرقابة المركزية على ما يجري خاصة ، وان القيادات المحدودة العدد والمحدودة الافق التنظيمي كانت غارقة في مهمات كثيرة بحكم الاتساع الواسع الذي وصلت اليه الثورة ... وبحكم تعدد الاجهزة والمؤسسات والاقاليم والنشاطات المطلوب العمل فيها (سنتحدث عن التنظيم مفصلا فيما بعد) .

ثالثا : في المجال العسكري :

والجانب الثالث مما حدث بعد هذا الانفتاح الجماهيري الواسع الذي تبع معركة الكرامة هو الجانب العسكري ...

وهذا الجانب لا يقل خطورة ان لم يزد على الجانبين السابقين السياسي والتنظيمي ...

فما الذي حدث في هذا المجال ...

اندفع الالوف من ابناء شعبنا المتحمسين يريدون ان يصبحوا فدائيين ...

الفدائي يجب ان يمر في التنظيم اولا على الاخص في السنوات الاولى من عمر الثورة لبناء القاعدة المادية الصلبة من الكوادر الثورية المقاتلة ، ولكن الآلاف حمّلوا في الباصات ونقلوا الى معسكرات التدريب دون ان يمتلكوا اي حد من حدود المعرفة الثورية والتنظيمية ...

وفي معسكرات التدريب ... المشكلة تتكرر ، لم يكن في هذه المعسكرات

الكوادر القادرة على تدريب وتربية هذه العناصر كما ان المفوضين السياسيين لم يكونوا موجودين فيها للقيام بمهام شرح مفهوم الثورة وفكرها .

كان القسم الاكبر من المدربين في هذه المرحلة من جنود جيش التحرير الذين انضموا حديثا للثورة ... فكان هذا الجندي بمجرد وصوله يعين مدربا فيمارس كل وسائل التدريب التي تعلمها (وهي وسائل تدريب كلاسيكية تقتل الروح القتالية والمعنوية لدى الجنود) .

وبالاضافة الى وسائل التدريب الكلاسيكية هذه كان المدرب في غياب كامل عن معنى الثورة كما كان المفوض السياسي غائبا ، الا من زيارات تحكمها الصدفة يقوم بها احد المسؤولين للقيام باعطاء محاضرة او الاجابة على اسئلة العناصر . ولكن المواضيع الاساسية في الثورة كان هؤلاء العناصر يجهلونها جهلا تاما وبالتالي لم يكن يثار حولها اية اسئلة ...

الكثيرون من المتحمسين كانوا يصطدمون باوضاع التدريب هذه كما ان حماسهم الذي دفعهم للحاق بالباص يخفت وبعد ايام او اسابيع كانوا يغادرون المعسكر الى بيوتهم .

والذين ينهون تدريباتهم وينتقلون الى القواعد كانوا يعيشون المأساة بطريقة جديدة ..

أ ـ ليس هناك كوادر عسكرية كافية لاستيعاب هذه الاعداد المتزايدة من الفدائيين .

ب ـ ليس هناك مفوضون سياسيون لربط هذه العناصر ثوريا وتنظيميا بالثورة .

ج ـ ليس هناك عمل عسكري مبرمج ومخطط تعتمده هذه العناصر للقيام بعملياتها العسكرية .

د ـ طبيعة العلاقات السائدة في المجال العسكري تقتصر على الروابط الثورية ، فليس هناك قانون يحكم هذه العلاقات ويحددها ... كما ان الواجبات والحقوق تحددها مزاجية آمر القاعدة او الدورية .

هـ ـ غياب الرقابة المركزية التي تستطيع ان تضع الامور في نصابها وفي ظل هذه الاطر ولدت العشائرية والاستزلام ... كما ولد التزييف في العمليات لكسب الود وارضاء القيادات الاعلى ، الى اخر هذه الامراض التي تفشت في القطاع العسكري .

ومن هنا افتقد التحليل الموضوعي والعلمي للعمل العسكري ومن هنا بدل ان يطور ويتصاعد بدأ الخط البياني لعملياتنا العسكرية بالهبوط نوعيا وان كان هذا الخط يتصاعد كميا ...

نقول هذا كله رغم انه لا ينفي فعالية وتأثير هذه العمليات على العدو والتي يعترف هو نفسه بخطورتها ... ما يهمنا هنا هو توضيح الجوانب الخطرة في مسيرة الثورة .

ان هذه الاوضاع السياسية والتنظيمية والعسكرية والتي تتشكل الثورة من

مجموعها واجهت عددا خطرا من التحديات يمكننا ايجازها كما يلي :

١ ـ ان الحماس المتوهج الذي عاشته الجماهير كان لا بد ان يخفت ويتحول الى نار هادئة ... هذا الحماس كان المطلوب تحويله الى علاقات تنظيمية محددة، على امتداد الوطن العربي كله ...

ولكن الثورة بحكم واقعها الذاتي لم تستطع ان تنجز هذه المهمة الاساسية، كما لم تستطع ان تقيم علاقات واضحة ومحددة مع القوى والاحزاب الوطنية في المنطقة لربط نضالاتها بنضال الثورة الفلسطينية .

٢ ـ مجموعة القوى المتآمرة والعميلة في المنطقة العربية ، وطبيعة العقلية الوسطية والتوفيقية التي حكمت مجمل العلاقات والصراعات فيها ولا زالت ..

هذا كله كان لا بد من التصدي له بخط استراتيجي واضح توظف له كل الامكانات ، ولكننا في صراعنا وعلاقاتنا مع هذه القوى كنا نتصرف دائما من مواقع ردود الفعل التكتيكية وليس من مواقع استراتيجية نوظف لها كافة ردود الفعل التي نقوم بها عبر مواجهاتنا لهذه القوى ... وهذه قضية هامة وخطرة جدا سنعاود الحديث عنها فيما بعد .

ان هذه التحديات تطورت فيما بعد الى مواجهات عسكرية شرسة خاضتها الثورة وكان خروجنا منها بفعل امتداد الحالة الجماهيرية المتوهجة والدافعة للثورة وبحكم معادلات وتكتيكات الدول العربية ، اكثر منها بحكم امكاناتنا الذاتية على المستويات السياسية والتنظيمية والعسكرية .

وقد كان لاستمرار هذه الاوضاع وترديها مضافا اليها الحلول السياسية التصفوية التي شكلت القانون الاساسي الذي حكم ويحكم سياسات هذه المنطقة ان وصلت الثورة الى ايلول .

في ايلول كانت الثورة كما هائلا يبدو من الخارج قوة ضخمة جدا ... ولكن هذا الكم الهائل كان محكوما بداخله بمجموعة خطرة من السلبيات .

الا انه اخذ يتضح في الفترة التي سبقت احداث ايلول مباشرة ان هناك جهدا قاعديا واضحا لتحويل هذا الكم الهائل الى كيف كان لا بد ان يقفز بمجمل اوضاع الثورة قفزة نوعية متقدمة ...

كما جرت على مستوى القيادات محاولات اصلاحية وتوفيقية لوحدة المنظمات الفدائية ، وامام احتمال خطر التحول النوعي الجديد قام النظام الاردني بتوجيه ضربته في ايلول ثم استمر بها بعد ايلول وبوسائل مختلفة لا زالت مستمرة حتى الان .

اذا كنا قد حاولنا الاجابة على السؤالين : ماذا حدث ، وما هي الاسباب الحقيقية لما حدث ،

فاننا الان سنحاول الاجابة على السؤال الثالث :

اين نحن الان ؟

للاجابة على هذا السؤال نحتاج عودة سريعة الى ايلول وما بعده .

في ايلول تصدى الكم الثوري لهجمة منظمة ومخططة شنها النظام الاردني

لتصفية الثورة وانهائها ..

وفي هذا التصدي العظيم برزت بطولات رائعة في كل جبل وحي وموقع .. وبفضل هذه البطولات وبفضل البسالة النادرة التي تحلى بها شعبنا ومقاتلونا وبفضل هذه الروح المعنوية العالية استطاعت الثورة ان تصمد وان يقف مخطط العملاء الدموي الى حين ...

وعقدت اتفاقية القاهرة ... وبدأت خطوات التنفيذ ... هنا توقف دور المقاتلين والجماهير الثورية المسلحة ... وجاء دور الاتفاقات ... والبيانات ... والادانات ... والاحتجاجات ... الى اخر ما قدمته الشهور الستة الماضية، وفي هذه المرحلة بدأت عمليات التراجع العسكرية والسياسية ... وبدأت الجماهير شيئا فشيئا تنتقل من مقدمة الصورة ومقدمة الاحداث ... الى خلفية الصورة والى مشاهدة ما يجري ... واخذت السلطة من جانبها بتنفيذ مخطط مدروس وبعملية (قضم) مبرمجة لوجود الثورة العسكري والسياسي والجماهيري .

السلطة ... كانت تعرف تماما ما تريد ... وكانت في كل يوم تحقق مكسبا جديدا ... والثورة لم تكن تعرف عمليا ما تريد ... كانت في كل يوم تطالب بتنفيذ اتفاقيتي القاهرة وعمان وتكشف بالادلة القاطعة ان النظام لا يلتزم بالاتفاق.. ولكن ما كانت الثورة تراه وتكتشفه لم يكن يغير عمليا اي شيء ... وكانت تقدم التنازل تلو التنازل بتفسيرات وتبريرات مختلفة ... وكان طرح المسألة يتم كما يلي :

ان الدولة تريد (كذا) هل نسمح لها بأخذ ما تريد ام نخوض معها معركة واسعة ...

وكانت الاجابة في كل مرة هي : الافضل ان نقدم تنازلا صغيرا على ان نخوض معركة كبيرة ...

كان واضحا في هذا المجال قضيتين اساسيتين :

الاولى : ان الثورة لم تحدد خطا استراتيجيا لمواجهة كافة الظروف التي تبعت ايلول كما انها لم تحدد خطا واضحا وحاسما لنهاية التنازلات التي يمكن ان تقدمها ...

الثانية : ان النظام كان في كل مرة يأخذ فقط ما يستطيع اخذه انتظارا لقضمة اخرى ... وهكذا خوفا من ردود الفعل الثورية والجماهيرية والعربية ..

وقد يمثل غياب الخط الاستراتيجي هذا ببناء الدشم والاستحكامات العسكرية في الجبال ثم الموافقة على هدمها ... تمثل ايضا بادخال السلاح الثقيل الى عمان ثم الموافقة على اخراجه ...

باختصار لم نكن نعرف ماذا نريد ... كما لم نكن نعرف ما هو الاسلوب الذي سنقاتل فيه اذا جاءت ساعة القتال ...

وبغياب هذا الخط الاستراتيجي تخبطنا بمجموعة ضخمة من المواقف السياسية والعسكرية .. والتي تركت آثارا نفسية خطرة على جماهيرنا ومقاتلينا وعلى مجمل الوضع الثوري في الاردن ...

اين اوصلتنا مجموعة هذه التنازلات والتي سببها بالاساس اعتماد سياسة ردود الفعل التكتيكية على مواقف السلطة ومطالبها بدلا من اعتماد خط استراتيجي واضح ومحدد يحكم مواقفنا واستعداداتنا وتنازلاتنا اذا لزم الامر ان نتنازل او نتراجع ...

واذا طرحنا السؤال اين نحن الان .

فان الاجابة على هذا السؤال لن تكون مرضية .

نحن باختصار امام مفترق في غاية الخطورة ... واذا لم نستنفر كل قوانا وامكاناتنا وباسرع ما يمكن فاننا سنشهد جميعا مأساة مروعة ومرحلة مقبلة معتمة جدا ...

ومهما تحدثنا عن السلبيات والنواقص والاسباب فان حقيقة هامة وأساسية تظل تحاصرنا باستمرار وهي ان لا طريق لانقاذ هذه المرحلة سوى العمل وتحت اقسى الظروف من اجل ان تستمر هذه المسيرة ...

وشروط استمرارها الاساسية هي :

اولا : وضوح الخط الاستراتيجي .

ثانيا : القتال وتوسيعه وتصعيده وتجنيد كل القوى والامكانات له ضمن خطة تتطرق حتى الى كل التفاصيل .

ثالثا : بناء التنظيم الثوري الحديدي القادر على التصدي لاخطار هذه المرحلة الخطرة وعلينا ان نتذكر في كل لحظة باننا مطالبون بان نكون اوفياء لهذا الشعب واوفياء لطموحه واهدافه والتي قدم الكثير من اجلها ...

وفوق كل هذا نكون اوفياء لدماء الشهداء ولوصيتهم بان يستمر النضال حتى يتحقق النصر .

وعلى كل واحد منا ان يسأل نفسه بوضوح وحسم ما هو دوري في هذه المرحلة وما هي المهمات التي استطيع القيام بها ...

***

ما هي الشروط الاساسية لانقاذ الثورة وتحقيق النصر :

بعد استعراضنا لمجمل مواقفنا وسياساتنا في المرحلة السابقة ... نحن مطالبون الان بالاجابة على السؤال المصيري : ما العمل .. وما هو دور كل واحد منا قيادات وكوادر وقواعد في الاجابة على هذا السؤال وفي العمل على وضع الخطوات العملية والتطبيقية له .

وضوح الخط الاستراتيجي :

ان اول شرط يفرض نفسه علينا بحسم ووضوح من اجل تجاوز هذه

المرحلة هو :

وضوح الخط الاستراتيجي .

ان الشعارات الكبيرة التي طرحتها الثورة وقدمتها للجماهير ... وهي شعارات مرحلة التحرر الوطني في قتال العدو الصهيوني لم تعد كافية الان امام مجموعة التحديات الخطرة والكبيرة التي تفرض نفسها في ساحة الصراع الذي تخوضه الثورة ...

اننا من اجل ان نحقق النصر على مجموعة التحديات التي تواجهنا لا بد ان نستقطب حولنا اوسع القطاعات الجماهيرية واوسع القوى الوطنية العربية ونحن لا نستطيع ان نحقق هذا الا اذا قدمنا لهذه القوى مواقف سياسية واضحة ومحددة من مجموع التحديات التي نواجهها .

لقد كان مجمل طرحنا السياسي فيما يتعلق بصراعاتنا فوق الارض العربية تحكمه الفطرة الاصلاحية والتوفيقية للامور وهذه النظرة عكست موقفا خطيرا على ممارساتنا في هذا المجال وقد تمثل ذلك بقضيتين اساسيتين :

الاولى : ان مواقفنا السياسية وممارساتنا كانت ردود فعل تكتيكية يضع الخصم شروطها وأبعادها لا نحن ... ولهذا فقد كنا ندافع عن انفسنا عسكريا وسياسيا عندما يهاجم ونتوقف عسكريا وسياسيا عندما يتوقف ويطلب منا التوقف او نتراجع بدون خطة اذا لم نستطع ان ندافع كما حدث منذ ايلول وحتى الان وسبب هذا كله فقداننا للخط الاستراتيجي الواضح الذي يحكم مواقفنا وسياساتنا .

الثانية : وكان لغياب الخط الاستراتيجي الواضح وتخبطنا في ردود الفعل في مواجهة مجموعة المعارك التي نخوضها ان اوقعنا جماهيرنا وكوادرنا وقواعدنا في الارتباك والتخبط وهذا هو السبب الحقيقي للحالة النفسية المتردية التي يعيشها الجميع وللتخبط والضبابية التي نعاني منها وكذلك لمجموعة الانسحابات التي تتم ... للقلق والحيرة التي يعاني منها التنظيم والمقاتلين حتى اصبحوا بالنتيجة متفرجين فقط على الاحداث ولا يملكون رايا او موقفا او اية مساهمة فيما يحدث .

وان اي محاولة لتفسير هذه الظاهرة الخطرة بانها من نتائج مواجهة ايلول ومن الآثار العسكرية والسياسية والنفسية التي ترتبت عليها ... ان اي تفسير ينحو هذا المنحى هو بالتأكيد عملية هروب من الاسباب الحقيقية والتي يمثل غياب الموقف السياسي والاستراتيجي الواضح والمحدد علتها الرئيسية وهذا بالطبع لا ينفي الآثار التي تركتها الانتكاسات التي تمر بها الحركات الثورية ... الا ان هذه الانتكاسات لا يمكن ان تخلف كل هذه الآثار السلبية لو وجد الخط الاستراتيجي الواضح الذي يحدد مواقف الثورة وخططها في مواجهة هذه التحديات .

ان موقفا سياسيا واضحا يساوي جيشا بأكمله وان غياب موقف سياسي واضح يهدم جيشا بأكمله .

هذه حقيقة يجب ان نعيها جيدا فيهذه المرحلة الخطرة التي تجتازها الثورة في معركة الحياة والموت التي تخوضها هذه الايام .

ان هناك مجموعة من التحديات الخطرة التي تفرض نفسها على الثورة هذه الايام والتي لا بد للثورة امامها ومن اجل الانتصار عليها ان تحدد منها مواقف واضحة ومحددة وحاسمة .

أ ــ الموقف من النظام في الاردن .

ب ــ الموقف من الحلول السياسية .

جـ ــ الموقف من الدولة الفلسطينية .

واذا كانت الثورة قد حددت في اكثر من مجال رفضها للحلول السياسية وللدولة الفلسطينية فان هذا التحديد ليس فقط بحاجة الى مزيد من الوضوح والتأكيد ولكنه بحاجة ايضا الى ممارسات عملية وسياسية تحسم نهائيا هذه القضايا التي اوقعنا التخبط السياسي في عدة محاذير خطرة ..

ففي الفترة السابقة صدرت عدة تصريحات رسمية وشبه رسمية من افراد مسؤولين وغير مسؤولين حول هاتين القضيتين اوقعت الجماهير وقواعد الثورة في بلبلة لا تزال مستمرة حتى الان ..

وامام هذه البلبلة لا بد من التأكيد وباستمرار على رفضنا المطلق لكل مشاريع التصفية والاستسلام وعلى اصرارنا على مواصلة القتال عبر حرب الشعب طويلة المدى على تحرير كل شبر من ترابنا المحتل... ومن اجل اقامة الدولة الفلسطينية الديمقراطية التي تلتقي مع طموحات الامة العربية في الوحدة الشاملة . وهذا يعني الرفض القاطع لفكرة الدويلة الفلسطينية المسخ التي لا تهدف فقط الى اجهاض الثورة الفلسطينية ... بل تستهدف ايضا اجهاض حركة المد الثورية العربية ...

ان وصول الامة العربية الى اهدافها في التحرير والوحدة والتقدم لا يمكن ان يتم في هذه الظروف التاريخية الا عبر نضال تحرري مسلح طويل المدى يحقق للامة العربية كل اهدافها .

ان انتظار نمو علاقات الانتاج داخل المجتمع العربي لتحقيق هذه الطموحات لا يمكن ان يأتي الا بعد زمن طويل جدا ولكننا نستطيع تحقيقه عبر الكفاح المسلح الجماهيري الذي يستهدف تصفية المجتمع الصهيوني لان فلسطين تمثل موضوعيا بؤرة تحرك واستقطاب لجماهير الامة العربية كلها ...

ومهمة الثورة دائما هي اختصار الزمن لتحقيق اهداف الشعب. تبقى قضية الموقف من النظام العميل في الاردن ...

ان الثورات دائما تكون مشدودة لحل تناقضها مع الحلقة الرئيسية في قائمة التحديات والحلقة الرئيسية الان والتي لا يمكن تجاوزها هي حلقة الصراع في الاردن ..

وهذه القضية تحتاج الى الحد الاعلى من الانتباه والجدية ... ذلك ان

اهمال هذه الحلقة او تجاوزها يعني ببساطة تدمير الثورة ووجودها ...

فما هو موقفنا الاستراتيجي الحاسم من هذا النظام .

ان استعراضا سريعا للوضع في الاردن يعطينا عددا من الحقائق الهامة :

أ ــ ان السلطة الحاكمة في الاردن هي سلطة عميلة وخائنة ومستغلة تعتمد في وجودها على مجموعة العلاقات العشائرية وشبه الاقطاعية والرأسمالية المرتبطة بعجلة الانتاج الرأسمالي .

ب ــ هذا النظام يعتمد في حماية وجوده ومخططاته وارتباطاته على عدد من الاجهزة كالجيش والمخابرات وقوات الامن .

جـ ــ استطاع هذا النظام ان يخلق جوا اقليميا عدائيا بين صفوف الشعب ليحرف شكل الصراع الاجتماعي الى صراعات اقليمية وليجند نفسه قوة جديدة لحمايته من الفئات الاردنية على وجه التحديد .

د ــ وفوق هذا كله فالنظام بحكم ارتباطاته بالامبريالية والصهيونية يعمل من اجل الوصول الى صلح منفرد مع العدو الصهيوني وهو من اجل الوصول الى هذا الهدف يقوم بكل مجازره الدموية ضد الثورة والجماهير من اجل تصفيتها وابادتها حتى يقف بعد ذلك ليدعي بانه الممثل الوحيد للشعب الفلسطيني ... ومن ثم يساوم على الصلح والاعتراف وتسليم اراض جديدة للعدو الصهيوني مقابل ان تعود له مملكة في الضفة الشرقية وما يعاد اليه من اراضي الضفة الغربية .

هذا النظام باختصار هو ضد جماهير الشعب لانه نظام استغلالي ارهابي متخلف وهو ضد الثورة وضد التحرير لانه نظام عميل وخائن .

ولا بد امام هذا كله من حسم قضية هذا النظام من اجل انهاء الاستغلال الاجتماعي والارهاب المباحثي والعسكري ومن اجل التقدم الحضاري والتاريخي لمجموع الشعب .

ولا بد كذلك من حسم قضية هذا النظام العميل من اجل التحرير والعودة.

واذا كان يبدو ان هناك مهمتان لا بد من وضع حل لهما ... اعني مهمة تحقيق العدالة الاجتماعية ومهمة تحرير الارض المحتلة فان هاتين المهمتين هما وجهان لعملة واحدة ... وذلك ان النضال ضد النظام في الاردن من اجل العدالة الاجتماعية هو نضال من اجل التحرير .. كما ان النضال من اجل التحرير هو نضال من اجل العدالة الاجتماعية ...

ولكن هل تقوم الثورة الفلسطينية بهاتين المهمتين ؟

ان الاجابة هي نعم ولا في نفس الوقت .

فالثورة تمثل في احد جوانبها نضال الشعب الفلسطيني اساسا من اجل التحرير ولكن الثورة في نفس الوقت ومن جانب اخر تتحرك بمد جماهيرها الواسعة في الاردن ... وهذه الجماهير لها مطالبها اليومية في الرغيف والحرية كما ان لها مطالبها في التحرير والعودة ..

الثورة التي تقود هذه الجماهير في كفاحها التحريري كيف يمكن ان لا تقودها في كفاحها من اجل تحقيق مطالبها اليومية .

هل تخوض الثورة المعركتين معا .

انهذا يبدو مخالفا لاستراتيجية حركات التحرر الوطني ولشعاراتها المرفوعة .

ظاهريا هذا صحيح ... ولكن الاصح هو الجوهر الذي يحكم نضال ومسيرة حركات التحرر الوطني وهذا يتمثل فيما يلي :

أ ـ الايديولوجية التي تحكم تكوين القيادة والحزب الثوري الذي يخوض صراع مرحلة التحرر الوطني .. وبناء كوادر وقواعد هذا الحزب ليس فقط على اساس النضال التحرري ولكن على مستقبل هذا النضال بعد التحرر ، هذه الايديولوجية هي ايديولوجية اجتماعية .

ب ـ مجموعة الممارسات العملية التي تتم بواسطتها ادارة الاراضي المحررة وبناء المشاريع الانتاجية ... ومجموعة العلاقات التي تحكم القوات الثورية قيادة وقاعدة ... وهذا كله ايضا له عمقه ومحتواه الاجتماعي ومن هنا نقول ان اي نضال تحرري له بالحتمية والضرورة عمقه الاجتماعي ومحتواه الطبقي ولكن يظل هناك فارق بين التربية الثورية داخل صفوف الحزب او الحركة وبين الشعارات المرفوعة علنيا والتي يجتمع حولها اوسع القطاعات الجماهيرية ومجموع القوى التي تشكل جبهة التحرير .

هذا جانب واحد فقط للكيفية التي يمكننا من خلالها انهاء التعارض الظاهري بين المعركة الاجتماعية والمعركة التحريرية ...

الحركة الوطنية الاردنية :

على مستوى الساحة الاردنية ومطالب جماهيرها بالقضاء على الحكم العميل واقامة حكم وطني تقدمي ان هذه المطالب تلتقي مع مطالب الثورة بالقضاء على هذا الحكم من اجل معركة التحرير كيف يتم التزاوج بين هذين المطلبين ...

ان وجود الحركة الوطنية الاردنية ونضالاتها اليومية ضد هذا النظام هو قضية استراتيجية في معركتنا مع هذا النظام ..

وان التقاء الحركة الوطنية الاردنية مع الثورة الفلسطينية ليس فقط لقاءا مهما بل هو قضية مصيرية واساسية ... وشكل هذا اللقاء لا يمكن ان يتمثل بعملية جمع بسيط بل ان هاتين القوتين يمثلان معا وحدة جدلية مركبة ... تناضل كل واحدة منهما في معركة وتناضل القوتان في المعركتين معا .

من هنا يصبح للمعركة وجهها الاجتماعي ووجهها التحريري ولكن الوجهان لعملة واحدة ايضا ... وعبر هذا الطريق فقط يمكن حل التناقض الظاهري والمضي بالمسيرة الى اهدافها ومحتشة في طريقها عمقها الاجتماعي والتقدمي ...

تبقى ملاحظة هامة :

ان قضية النظام العميل في الاردن لن تحل بسقوط هذا النظام ... وانما تحل فقط باعادة تركيب المجتمع جذريا وانهاء كافة العلاقات التي تحكمه والتي تمثل العلاقات العشائرية شبه الاقطاعية ابرزها ... المجتمع الثوري التقدمي هو

الشعار الذي يجب ان يرتفع ... والذي على قوى الثورة الفلسطينية الملتحمة مع الحركة الوطنية الاردنية ان تحققه .

القتال ... تصعيده وتوسيعه :

اذا كان وضوح الخط الاستراتيجي هو اول شرط لانقاذ الثورة وتحقيق النصر فان الاستمرار في القتال وتصعيده وتوسيعه واعتماد الكوادر والقيادات القادرة على تنفيذه هو الشرط الثاني والاساسي لهذه المرحلة .

لقد وصلت مجمل اوضاع الثورة واوضاع الجماهير الان حدا في غاية الخطورة وهذا يتمثل فيما يلي :

١ ـ على مستوى علاقة الثورة بالجماهير يمكننا ان نقرر بحسم ان هذه العلاقة قد انتهت ماديا وعمليا وان كانت لا تزال قائمة عاطفيا ومعنويا (هذا طبعا باستثناء العلاقات التنظيمية الخاصة والمغلقة) .

ففي كل المدن والقرى في الاردن لا يستطيع احد ان يعلن بان له اي علاقة بالثورة وان فعل يلقى القبض عليه ويوضع في الزنازين والمعتقلات كما لا يستطيع احد بان يجاهر بتعاطيه مع الثورة خوفا من ان يلاقي نفس المصير .

٢ ـ وهذا الوضع الجماهيري بوجود سطوة ارهاب السلطة ومخابراتها وقوات امنها وجيشها مع غياب كامل لاي وجود مادي وعلني للثورة يضع الجماهير في حالة نفسية متردية ويجعل المناخ الثوري العام يصاب بانتكاسة خطرة جدا ..

٣ ـ انتهاء الحالة المسلحة التي كانت تعيشها الجماهير طوال الفترة السابقة ومجموعة المجازر البشعة التي ارتكبها النظام والتي سيرتكبها وضعت جماهيرنا مباشرة امام سلاح السلطة دون حماية والاخطر من هذا دون ان تعرف الى اين تسير الامور .

فمجموعة البيانات والممارسات المتناقضة من الثورة اوقع هذه الجماهير بالبلبلة والاضطراب ... هل نقاتل ام لا ... هل يسحب السلاح ام لا ... هل سيعقد اتفاق مع السلطة ام لا ...

البعض يقول نعم والبعض الاخر يقول لا ، البعض يقاتل والبعض يخرج المقاتلين والسلاح وسط فوضى واضطراب في البيانات والممارسات .

ومحصلة هذا كله حالة نفسية متردية تعيشها الجماهير وعدم وضوح وارتباك يسود قواعد الثورة وتنظيماتها ...

والخلاص من هذا كله شيء واحد فقط هو القتال .

قتال يسير خطوة ، خطوة مع الخط السياسي الاستراتيجي الواضح والمحدد وبمختلف ابعاده ومضامينه .

والقتال لا يجوز ان يكون مجزءا . شرط القتال ... قتال العصابات ان يكون شاملا وواسعا ومتصاعدا وهذا لا يعني بالتأكيد ان نقذف بكل قوانا في معركة

واحدة ولكنه يعني ان كل شبر فوق ارض الاردن يجب ان يعمل في الاحراش ، والاغوار في المدن والقرى في الشمال والجنوب .

لا بد من بعثرة القوات الملكية في كل مكان وضربها في كل مكان وهي صغيرة ومبعثرة. القوانين الاساسية في حرب العصابات لا بد من تطبيقها بفعالية، ان نواجه القوات الكبيرة والمتجمعة بأعداد صغيرة (تكتيك ١-٥) .
وان نواجه القوات الصغيرة المبعثرة بقوات كبيرة (استراتيجية ٥-١) .

اذا بعثرت القوات الملكية قواتها في مناطق واسعة نهاجمها بعنف فتضطر للتراجع وتجميع قواتها ... فتقوم قوات الثورة بالاستيلاء على هذه المناطق ثم تأخذ بمهاجمة القوات المتجمعة مما يضطرها للانفلاش ثانية ... هنا تختار الثورة بين الصمود او التراجع الاستراتيجي حسب موازين القوى ... ولكنها في كل الحالات تستمر في القتال وفي تحقيق الانتصارات ومجموع هذه الانتصارات هو النصر الكبير ...

هذا هو الجانب العسكري من المعركة ولكنه في نفس الوقت يحمل عمقه الاجتماعي معه في بناء وتربية الكوادر والتنظيم وفي مجموع الممارسات والعلاقات التي تتم خلال هذا القتال ..

هذا الجانب القتالي بعمقه الاجتماعي هو وجه واحد للعملة. هناك الوجه الاخر للحركة الوطنية الاردنية ونضالاتها اليومية السياسية ايضا ... هناك ايضا التحرك الجماهيري الذي يأخذ بالنمو والتصاعد مع موعد القتال. والنضالات الجماهيرية كثيرة ومتعددة ... العرائض.. الندوات .. المظاهرات والمسيرات .. الاعتصامات .. الاضرابات .. الاضراب العام .. اعلان العصيان المدني.. الاسهام في القتال المسلح .

المعركة لها أبعادها وجوانبها المتعددة .. وتخوضها قوى متعددة ايضا وبأساليب مختلفة ومتنوعة ولكن هذا كله يجب ان يكون محكوما بقيادة مركزية واحدة ..

وهنا يصبح تحقيق الوحدة بين قوى الثورة امرا حاسما وأساسيا وعن طريق هذا النضال ستفرض الوحدة حتما ولا يستطيع احد الخروج عليها .
هذه المهمات القتالية والجماهيرية من يقوم بها ، لنتعرف من البداية بان العديد من الكوادر الثورية الاساسية لا تمارس عملا حقيقيا وبعضها خارج اطار العمل ... وهذا كله بسبب مجموعة الممارسات والمواقف التي مرت بها الثورة والتي اوصلت الامور الى ما هي عليه الان .

ان التصدي للمرحلة القادمة لا بد له من اعتماد كافة الكوادر والقيادات الثورية المؤهلة لقيادة هذه المرحلة الخطرة ...
(سنعاود الحديث في هذه القضية عند بحث موضوع التنظيم) .

بناء التنظيم الثوري

اذا كان حديثنا عن التنظيم متأخرا مكانا فانه يظل بالتأكيد متقدما من حيث الاهمية والخطورة ... وقد اجلنا الحديث في التنظيم لوجود اولويات زمنية لا بد من حسمها اولا وهذه الاولويات هي : وضوح الخط السياسي – القتال ...
ولاننا لا نستطيع ان ننتظر حتى نبني التنظيم ثم نعلن خطنا الاستراتيجي والقتالي فالوقت من دم والتاريخ لا يرحم وبناء التنظيم يتم من خلال وضوح الخط الاستراتيجي ومن خلال القتال نفسه .
في حديثنا عن المرحلة التي تبعت معركة الكرامة قلنا اننا اصبنا بما يسمى بالورم الثوري غير ان هذا الورم وخلال المواجهات والصدامات المسلحة التي خاضتها الثورة ... وخلال مجموعة الممارسات التي تمت ساعدت على تحويل بعض هذا الورم الى لحم يكسو جسم الثورة كما استطاع هذا التنظيم من خلال العمل ان يفرز عددا جيدا من الكوادر الثورية ... كما ان اختبارات شباط وحزيران وايلول في عام ١٩٧٠ كشفت عن مجموعة ضخمة من الكوادر القيادية والثورية والتي يمكنها ان تتصدى لقيادة المرحلة المقبلة بجدارة .
غير ان اي حديث عن الكوادر وعن امكانياتها يظل مثل خض الماء او الحراثة في البحر اذا لم يتم بناء التنظيم على اسس وقواعد وقوانين عملية ...
ان هناك شروطا ثلاثة اساسية لاية ثورة :
اولا : الفكر .
ثانيا : التنظيم .
ثالثا : الممارسة .
ووجود التنظيم بين الفكر والممارسة ليست عملية توسط مكاني . انه عملية ربط جدلية بين الفكر والممارسة ... لان الفكر لا يوجد في فراغ ووجدان التنظيم ووجود الفكر ليس ترفا ذهنيا انما هو فكر للممارسة وللحياة ..
ومن هنا فان وجود التنظيم هو الشرط الاساسي لوجود الثورة ... ووجود التنظيم الثوري الطليعي والفولاذي هو الشرط الاساسي لضمان مسيرة الثورة وانتصارها ... هذا كله بديهيات اساسية لن نناقشها .
ما يهمنا هو عملية بناء التنظيم نفسها ...
ان اهمية التنظيم تنبع اساسا من مجموعة المهمات والغايات التي عليه تحقيقها ... ان الاعداد البشرية مهما بلغت درجة حماسها واندفاعها اذا لم تكن منظمة فانها عند مواجهة اي صدمة او هزيمة تنكفىء على نفسها وتصبح عاجزة تماما عن تقديم اية فعالية ومن هنا يستمد التنظيم اهميته لانه يهدف الى :
١ – تحويل الكم البشري الى كيف وتوظيف امكانيات هذه الجماهير وطاقاتها بطريقة علمية ومخططة والاستفادة منها الى المدى الاقصى .
٢ – بناء الكوادر التنظيمية القادرة على استيعاب هذا الكم البشري المتجدد.
٣ – تطوير فعاليات هذه القوى المنظمة من خلال النوعية والممارسة .

والتنظيم علم ... ولكل علم من العلوم قوانينه واحكامه واللائحة الداخلية هي القانون الذي يضبط مسير كافة الامور المتعلقة بالثـــورة ابتداء من اجتماع الخلية وانتهاء بالمؤتمر العام .

اللائحة الداخلية تحدد واجبات وحقوق عضو التنظيم وعلاقته بأفراد خليته او حلقته كما تحدد علاقة كل عضو بالمرتبة التنظيمية الاعلى انتهاء باللجنـــة المركزية. اللائحة الداخلية تحدد قانون العقوبات الذي يضبط مسلكيات وتجاوزات كل عضو في التنظيم .

واللائحة الداخلية تحدد مفهوم الديمقراطية المركزية والتي من خلالها فقط يمكن ان يساهم كل عضو من اعضاء الثورة في قيادتها والمشاركة الفعالة فـي تحديد سياسة الثورة ومواقفها ... ويتحمل المسؤولية الكاملة او انتصارات...

اين اللائحة الداخلية التي تحدد هذا كله ، اين مؤتمرات المناطق والاقاليم..

اين المؤتمر العام... (اعلى سلطة في الثورة)... منذ متى لم يجتمع ولماذا..

ان كوادر الثورة وقياداتها وقواعدها مدعوة لعقد هذا المؤتمر فـورا وان التعلل بالوضع في الاردن والقتال الدائر فيه هو تعليل مرفوض ... بل علـى العكس انه مدعاة اكبر لعقد هذا المؤتمر لتحديد مواقف استراتيجية واضحـــة وحاسمة من كل القضايا المطروحة وبأسرع ما يمكن .

ان الوقت من دم ... وان التضحيات العظيمة التي قدمت تحتاج منـــا جميعا وقفة اصرار على معالجة كل السلبيات والثـــورة قادرة اذا ما استنفرت قواها وطاقاتها وامكانياتها على تجاوز هذه المرحلة الخطرة وقادرة ايضا على المضي الى الامام لتحقيق كل احلام شعبنا وامتنا في التحرير والوحدة والتقدم ...

كريم مروه

حول الستراتيجية والتكتيك في حركة المقاومة

حاولنا (١) في القسمين السابقين من هذا الفصل ان نلقي بعض الاضواء على المكان الذي تحتله حركة المقاومة ، كحركة تحرر وطني للشعب العربي الفلسطيني، في قلب الحركة الثورية العربية . ولكننا لم نتوقف عند طبيعة هذه الحركـــة وطابعها . ولكي يكون بامكاننا الحديث عن استراتيجيتها وتكتيكها لا بد لنا مـن اجراء نوع من التحديد للقوى الطبقية التي تتكون منها وللمهمات التـي تضعها امامها . الا اننا سوف لن ندخل في الجدل الاكاديمي القائم حول تعريف الطبقات وحول تحديد الطبقات الاجتماعية التي يتشكل منها الشعب الفلسطيني . فحول هذه القضية جرت وتجري انتهاكات للتعاريف العلمية لا مثيل لها . حتى بعض الذين قرأوا ماركس وانجلز ولينين «واعلنوا» انتماءهم الفكري للنظرية العلميـــة للاشتراكية ، لم يستطيعوا تجنب هذا الخليط العجيب من التعاريف غير العلمية. فمنهم من يتحدث عن «طبقة» سكان المخيمات ومنهم من يتحدث عن «طبقـــة» المثقفين ومنهم من يتحدث عن «طبقة» الطلاب ومنهم من يتحدث عن «طبقـــة» العسكريين ومنهم من يتحدث حتى عن «طبقة» المقاتلين الخ ... وبالطبع فـــان التعريف العلمي للطبقة هو بعيد كل البعد ، عن كل ذلك . ويهمنا ان ننظر الى هذه القضية من خلال فهمنا العلمي المستند الى تحديدات الماركسية اللينينية للطبقة.

يقـول لينين : **«ان كلمة طبقات تطلق على جماعات واسعة من الناس تمتاز بالمكان الذي تشغله في نظام للانتاج الاجتماعي ، محدد تاريخيا ، بعلاقتها (التي يحددها ويكرسها القانون في معظم الاحيان) بوسائـــل الانتاج ، بدورها فـــي التنظيم الاجتماعي للعمل ، وبالتالي ، بطرق الحصول على الثروات الاجتماعيـــة وبمقدار حصتها من هذه الثروات»** .

---

(١) هذا المقال هو جزء من كتاب للمؤلف يصدر قريبا عن «دار الفارابي» بعنوان : «الشيوعيون والقضية الفلسطينية» .

والشعب الفلسطيني شأنه شأن جميع الشعوب تتحدد فيه الطبقات بحكم موقعها في نظام الانتاج الاجتماعي . ولا تغير شيئا من هذا الامر الحجج التي يوردها البعض استنادا الى ان الشعب الفلسطيني لا يعيش ، بقسم كبير منه ، على ارضه ، والى انه ، بسبب ذلك ، معزول عن عملية الانتاج . فان هذه الحجج تنافي الحقيقة ان لم يكن في جميع جوانبها ، ففي قسم اساسي منها ، على الاقل . فاذا صح ان قسما من الشعب الفلسطيني يعيش في الخيم ، وتجري محاولات حثيثة لعزله عن النشاط الاجتماعي ، فان اكثرية الجماهير الفلسطينية التي توزعت في البلدان العربية المختلفة اخذت تشارك ، بهذا الشكل او ذاك ، في عملية الانتاج في المجتمعات التي دخلتها . اما القسم الذي لم يستطع ان يدخل في هذه العملية ، فان الرجعية العربية والفلسطينية قد حاولت في الماضي وهي تحاول الان – لاسيما في فترة انحسار العمل الفدائي – ان تستغل اوضاعه الاجتماعية لدفعه في نشاطات مريبة يوجه بعضها الان –وغدا اكثر– حتى ضد الحركة الوطنية الفلسطينية نفسها .

نحن لا ننكر ان عملية النزوح التي تكررت في فترات مختلفة قد لعبت دورها في الصيرورة الطبقية للفئات الفلسطينية التي نزحت ، وان طبيعة وخصائص المجتمعات – المتفاوتة اصلا فيما بينها – التي دخلتها ، تعقد قضية دراسة الطبقات والخصائص الطبقية للشعب العربي الفلسطيني . الا ان التشابه ، من حيث الاساس ، في البنيات الاقتصادية والطبقية في المنطقة العربية هو متقارب جدا . ولذلك فليست العشرون سنة التي مرت على النزوح الاساسي الاول ، كافية ، في ظروف تطور البلدان العربية ، لان تغير في هذا التشابه ، خاصة لما لفلسطين من روابط قومية وتاريخية واقتصادية وسياسية بجميع الاقطار العربية ، ولاسيما منها الاقطار المجاورة .

اذن ففي داخل الشعب الفلسطيني ، مثل سواه من الشعوب ، قوى طبقية متعددة : فيه البورجوازية ، بمختلف فئاتها ، وفيه العمال ، بمختلف فئاتهم ، وفيه الفلاحون ، ايضا بمختلف فئاتهم . ان ذلك بالطبع لا ينفي بعض الخصوصية في التركيب الطبقي المستندة الى الهجرة والنزوح والى نتائجهما ، كما بينا . الا ان هذا التشابك الطبقي وعدم الوضوح في الفوارق الطبقية ليس ظاهرة فلسطينية خاصة . بل هو ، في الواقع ، ظاهرة اوسع تشمل ، بدرجات متفاوتة ، شعوبا بكاملها ، هي شعوب البلدان النامية ، اي الضعيفة التطور اي المتخلفة اقتصاديا واجتماعيا . وهذه الظاهرة العامة تؤكد ، من ناحية ثانية ، اتساع حجم القوى الوسطية في سلم العلاقات الاجتماعية ، اي البورجوازية الصغيرة والطبقات المتوسطة من حرفيين وفلاحين صغار ومتوسطين وموظفين وجنود وضباط ، هذه الفئات التي تشكل اكثرية سكان البلدان التي اشرنا اليها ، والتي ينتمي اليها بالمنشأ ، القسم الاساسي من الشعب الفلسطيني . الا ان التناقضات الطبقية التي تتحكم في

المجتمع وتقسمه الى بروليتاريا وبورجوازية ، تنسحب برغم هذا الوضع الخاص المتميز ، على كل هذه الفئات وتنعكس فيها .

في ضوء هذه النظرة للواقع الطبقي داخل الشعب الفلسطيني يمكن الانطلاق في تحليل محتوى الحركة الوطنية لهذا الشعب. انها حركة تضم طبقات اجتماعية مختلفة يجمعها ، اساسا ، الطابع القومي للحركة ، دون ان يزيل من داخلها ، التناقض الذي يفرضه اختلاف المصالح الطبقية . اي ان الصراع الطبقي ، برغم الجامع القومي ، لا يزول ولا ينتفي . بل لا بد ان يزداد حدة. في بعض مراحل النضال . وعدم الاعتراف به لا يخدم في النهاية الا الطبقات المستثمرة ، وهو ما تروج له العناصر البورجوازية اليمينية في حركة التحرر الفلسطيني وحركة التحرر العربي بصورة عامة . وهو من سمات الايديولوجية البورجوازية .

الا ان تطور الحركة الوطنية الفلسطينية في المرحلة الراهنة يتسم بخصائص جديدة، اكتسبها ويكتسبها عموما من السمات التي تميز مجمل التطور في حركات التحرر الوطني المعاصرة ومنها بصورة خاصة ، حركة التحرر الوطني في البلدان العربية. فمن الامور المسلم بها ، في عصرنا ، عصر انتقال البشرية من الرأسمالية الى الاشتراكية ، ان حركات التحرر الوطني لم تعد حركات قومية صرفة منعزلة عن النضال العالمي ضد الرأسمالية ونظامها الامبريالي وفي سبيل الاشتراكية . وهذا الامر هو الذي يفرض على الحركات الوطنية ، حتى التي تلعب البورجوازية فيها دورا معينا – علما بأن البورجوازية الكبرى فقدت دورها المقرر في كل الحركات الوطنية المعاصرة وانتقلت ، اساسا ، الى مواقع القوى المعادية – ان تضع في اساس مهماتها لا التحرر القومي وحسب بل كذلك التحرر الاجتماعي . ومن هنا يبرز الان ، هذا التشابك في المهمات داخل حركة التحرر الوطني العربية ، مهمات التحرر الوطني مع مهمات التحرر الاجتماعي . والحركة الوطنية الفلسطينية ، كجزء من حركة التحرر الوطني العربية ، تتأثر بالمحتوى العام لهذه الحركة وبالمهمات المطروحة امامها .

اننا بالتوقف عند هذه القضية ، نريد ان نعود الى موضوعة الصراع الطبقي لنثبت ان الجامع القومي ، اية كانت قوته ، ليس بمقدوره ان يزيل التناقضات الطبقية . كل ما يستطيع ان يفعله هو انه يخفف من حدتها ، لفترة معينة من الزمن ، ثم لا يلبث اشتداد المعارك ، ان يعيده الى الحدة الطبيعية التي تميزه . وبالطبع فان الصراع الطبقي ، داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، ليس محصورا في اطار التناقضات الطبقية في المجتمع الفلسطيني ، بل هو ، بحكم خصوصية الشعب الفلسطيني (لا بأس من استعمال هذا التعبير هنا) وتركيبه الطبقي، يشمل كل المجتمعات ، في كل الاقطار العربية . لاسيما وان القضية الفلسطينية هي قضية قومية لكل الشعوب العربية . وتنسحب تناقضاتها ، بنسب متفاوتة ، على كل هذه الشعوب .

اذن نحن هنا امام قضيتين متشابكتين : القضية الاولى هي الاقرار بأهمية

الجامع القومي داخل حركة التحرر العربية ككل والحركة الفلسطينية ، بشكل خاص ، اي الاقرار بتعايش طبقات متنافرة في اطار نضال تحرري واحد. القضية الثانية ، هي الاقرار بحتمية الصراع الطبقي ، ضمن هذا التحالف المؤقت ، داخل حركة التحرر الوطني الفلسطينية .

ولقد اثبتت مجمل الاحداث التي شهدتها السنوات الاربع المنصرمة ، ولاسيما منها احداث عامي ١٩٧٠ و١٩٧١ ، ان اهم القضايا المرتبطة بتطور الثورة الوطنية الفلسطينية ، انما يحددها ، بشكل عام ، سلبا او ايجابا ، التطور الذي يجري على صعيد كل حركة التحرر العربية .

من هنا جاء تأكيدنا ، على ان التناقضات داخل المجتمع الفلسطيني ، واستطرادا داخل الحركة الوطنية الفلسطينية ، ليست محصورة هنا ، بل هي تشمل كل المجتمعات العربية ، وكل حركة التحرر العربية ، ويمكن القول بأنها تشكل امتدادا لها . واذا كان هذا هو الحال ، فان من الطبيعي اذن ان ننتظر تفجرا متزايدا ، في صفوف الحركة الوطنية الفلسطينية ، للصراع الطبقي ، في اطار التطورات التي ستشهدها حركة التحرر العربية في المرحلة القادمة .

وطبيعي ان يجري هذا الصراع على حساب الجامع القومي الذي يكف في الظروف الجديدة التي تتكون ، عن ان يكون لوحده ، عنصرا اساسيا من العناصر المحركة للثورة ، اي العنصر الذي يجذب للنضال ، داخل صفوف الثورة ، قوى اجتماعية متناقضة متنافرة بمصالحها الطبقية . الا ان هذا لا يعني ان تغيرا اساسيا سيحصل في المهمات التي تضعها الثورة الوطنية الديمقراطية امامها . الذي سيحصل هو ان المعارك المتواصلة ستؤكد ، بمزيد من العمق والوضوح ، ان العدو الذي تقاتله الثورة الفلسطينية ، هو نفس العدو الذي تصطدم به كل حركة التحرر العربية في نضالها من اجل التحرر الوطني الكامل والتقدم الاجتماعي . وهذا العدو الذي تعتبر الامبريالية الاميركية رأسه وقوته الاساسية ، تشكل اسرائيل اداته الصدامية المباشرة ، وتشكل الرجعية العربية ، قوته الصدامية الاساسية الداخلية . هذا من جهة . ومن جهة ثانية ، فان الحليف الاساسي للثورة الفلسطينية ، هو نفسه حليف الثورة العربية ، اي الحركة الثورية العالمية، التي يشكل الاتحاد السوفييتي قوتها الاساسية .

بكلام اخر ، ان هذا الوضوح في تحديد العدو الاساسي والحليف الاساسي يوفر الامكانية لتحديد مواقع القوى الطبقية داخل الثورة ويساعد في تحديد استراتيجية الثورة ويسهل امامها تحديد اطار التكتيك .

نستنتج مما تقدم مجموعة من الامور الهامة :

– ان البورجوازية الفلسطينية الكبيرة ، بمعظمها ، اندمجت بالبورجوازية العربية واستطاعت ، كأفراد او كمجموعات ، ان تجد لها ، في الاقطار العربية، مكانا تحت الشمس . واذا كان لها الان من دور في الحركة الوطنية الفلسطينية فليس يعود ذلك لمصلحة بورجوازية فلسطينية ، بقدر ما يعود لمصلحة بورجوازية

عربية ، بشكل عام . وبالتالي فان مساهمتها في هذه الحركة مساهمة موقوتة ، وهي مرهونة بالتطورات التي تحصل داخل هذه الحركة . وستكون مهمتها الاساسية عرقلة اي اتجاه نحو الوحدة الحقيقية داخل الحركة ، واي اتجاه لتصحيح مسيرتها وتعميق محتواها .

– ان البورجوازية الصغيرة او الطبقات المتوسطة هي التي تشكل القوى الاساسية داخل هذه الحركة ، وهي التي تقودها حتى الان . وتنعكس داخل هذه القوى الطبقية ، صراعات وانقسامات طبيعية ، بعضها يعود لطبيعة البورجوازية الصغيرة نفسها المتقلبة ، غير المنسجمة ، وبعضها الاخر يعود الى التأثيرات المتناقضة التي تتركها عليها الاطراف الاساسية في الصراع عربيا وعالميا: الامبريالية والبورجوازية الكبرى من جهة ، والمنظومة الاشتراكية والحركة الثورية العالمية من جهة ثانية . ولا شك ان قسما من هذه الانقسامات يعود لتعقد الظروف الخاصة في حياة الشعب الفلسطيني ، والظروف التي تناضل فيها حركته الوطنية .

– ان التحول الذي حصل ويحصل داخل بعض فئات البورجوازية الصغيرة باتجاه الاخذ ، بدرجات متفاوتة ، بالافكار الاشتراكية وتبني بعض مواقف الطبقة العاملة ، لا يكفي للقول – كما يؤكد بعض منظري البورجوازية الصغيرة المتأثرين بالماركسية – بتزعم الطبقة العاملة للثورة الوطنية الديمقراطية الفلسطينية . الا ان هذه التحولات ذاتها وهذه التأكيدات ذاتها وما تقدمه الحياة من وقائع ومعطيات ، انما تشير ، بوضوح ، الى الامور الهامة التالية :

اولا ، ان البورجوازية الصغيرة ليست قادرة ، بحكم طبيعتها ، على قيادة النضال التحرري بشقيه القومي والاجتماعي حتى نهايته ، حتى الاشتراكية .

ثانيا ، ان التغيرات التي تحصل داخل البورجوازية الصغيرة ، تعمق مشاركتها في التحولات الثورية ، الى جانب الطبقة العاملة ، دون ان تجعل منها بديلا للطبقة العاملة .

ثالثا : ان الطبقة العاملة ، بحكم طبيعتها ، هي المؤهلة ، تاريخيا ، لقيادة النضال الثوري حتى نهايته . الا ان ذلك لا يتم وفقا لرغبة ذاتية بل يتم عندما تتوفر له الظروف الموضوعية والذاتية معا.

رابعا : ان الطبقة العاملة الفلسطينية ، بحكم حجمها ووزنها في المجتمع الفلسطيني ، وبحكم توزعها جغرافيا في الاقطار العربية واسرائيل ، وبحكم توزع انتمائها الى احزاب الطبقة العاملة في هذه البلدان ، لا تزال في وضع لا يؤهلها الان لقيادة هذا النضال .

ماذا تعني هذه الاستنتاجات ؟

انها تشير بوضوح الى ان الثورة الفلسطينية ليست ثورة بورجوازية وانها ليست ، كذلك ، ثورة بروليتارية . انها بالمعنى الاكثر دقة ثورة وطنية تحررية تشارك فيها بشكل اساسي ، وتقودها حتى الان الطبقات المتوسطة او الفئات الواسعة من البورجوازية الصغيرة التي تشكل عدديا اكثرية الشعب الفلسطيني .

وتشارك فيها ، بالطبع ، الى جانب هذه الفئات ، قوى طبقية متناقضة : البروليتاريا وانصاف البروليتاريا وجزء من البروليتاريا الرثة التي لا ترتبط بالانتاج من جهة والبورجوازية الكبيرة التجارية والمالية والصناعية من جهة ثانية . الا ان هذا الخليط من القوى الطبقية ، اذا كان حتى الان قد فجَّر كثيرا من الصراعات والانقسامات داخلها ، واذا كان قد افسح المجال لقوى دخيلة ان تحتل مؤقتا بعض المواقع المهمة في قياداتها ، الا انه لم يستطع ان يزيل عنها طابع الثورة المعادية للامبريالية الثورة التي ترفض الحل البورجوازي لانها تعبر عن مصالح الفئات الكادحة من الشعب ، وعن مطامحها في التحرر القومي والاجتماعي .

ان هذا المحتوى الطبقي بعينه هو الذي يفرض الان على الثورة الفلسطينية هذه الايديولوجية الانتقائية التي تفتقد ، ليس فقط الى الوضوح ، بل كذلك الى الثبات .

وبالاستناد الى هذه التحديدات الطبقية والفكرية نستطيع ان نستخلص العناصر الاساسية في استراتيجية وتكتيك الثورة الفلسطينية .

ان الماركسية اللينينية ، تعرف الستراتيجية بانها تحدد الاتجاه لتسديد الضربة الرئيسية في مرحلة معينة من الثورة ووضع برنامج تتحدد فيه القوى الطبقية والسياسية ذات المصلحة في النضال لتحقيقه طوال هذه المرحلة . ان ذلك يعني انه لا بد من تحديد العدو الاساسي لكي تتحدد على اساس ذلك ، القوة الاساسية التي ينبغي الاعتماد عليها في ضرب هذا العدو . ان ذلك يعني ايضا ان على الثورة ان تعرف كيف تختار حلفاءها والقوى الاحتياطية المباشرة وغير المباشرة التي تستند اليها ، وان عليها ، كذلك ، ان تعرف كيف تميز القوى التي تشكل احتياطيا مباشرا او غير مباشر لعدوها . وأيا كانت طبيعة المرحلة التي تعبر عنها هذه الستراتيجية للثورة ، فانها تحتاج لحركة سريعة تتعدد فيها الخطط التكتيكية واشكال النضال والشعارات التي ينبغي ، في مطلق الاحوال ولو بصورة متعرجة ، ان تخدم الهدف الستراتيجي . بكلمة اخرى ان التكتيك ، على عكس الستراتيجية ، قابل للتغيير بسرعة ، في حين ان المفروض بالستراتيجية ان تحافظ على ثباتها طيلة مرحلة بكاملها .

ويؤكد لينين ، بتوجهه للبروليتاريا وحزبها الطليعي، بانه لا بد من تعلم فنون التراجع ، في العمل الثوري ، مثل تعلم فنون الهجوم . لانه «ينبغي ان يكون مفهوما ــ والطبقة الثورية تتعلم ان تفهم وتدرك بتجربتها الخاصة المريرة ــ بانه يستحيل الظفر دون تعلم الهجوم الصحيح والتراجع الصحيح» .

وفي مطلق الاحوال فان علم النضال الثوري يتطلب رؤية الكثير مما تصعب رؤيته بالعين المجردة . يتطلب من الثوري ان يكون حاضرا امامه ، في نفس الوقت ، البرنامج الستراتيجي لثورته وخططها التكتيكية .

يقول لينين : «لا يكفي ان يكون المرء ثوريا ومناصرا للاشتراكية او شيوعيا بصورة عامة ... من الواجب ان نعرف في كل لحظة معينة ، العثور على تلك الحلقة الخاصة التي ينبغي الامساك بها، بكل قوة، للتمكن من كل السلسلة وتهيئة

الانتقال الى الحلقة الثانية تهيئة متينة» ..

في ضوء هذا التعريف اللينيني للستراتيجية والتكتيك يمكن البحث في ستراتيجية وتكتيك الثورة الفلسطينية ، من حيث هي جزء من الحركة الثورية العربية ، من حيث هي جزء من الحركة الثورية العالمية .

لقد استطاعت الحركة الوطنية الثورية للشعب العربي الفلسطيني ، خلال السنوات الاربع الماضية ، بعد عدوان حزيران ١٩٦٧ ، ان تتطور بسرعة ، برغم كل الصعوبات التي صادفتها ، برغم كل الثغرات الكامنة في تركيبها الطبقي والسياسي والفكري وان تتحول الى حركة تحرر قومي شاملة لشعب تضطهده الصهيونية والامبريالية وتحتل ارضه وتغتصبها . وهي تصبح اليوم اكثر وعيا وأقل عفوية بفضل دخول القوى والعناصر المتقدمة في صفوفها وبفضل التجارب التي كدستها . وهي تتأثر باستمرار وتغتني بالمضامين الاجتماعية التقدمية التي تميز حركة التحرر العربية والعالمية المعاصرة . ويسهم في هذا التحول ويعمقه كون المهمات التي طرحتها نكسة حزيران ، قد قربت القضية الفلسطينية اكثر من اي وقت مضى ، من حياة الجماهير في كل الاقطار العربية ، الامر الذي ادى ويؤدي بصورة طبيعية ، وبدون اصطناع ، الى الربط في اذهان الجماهير ، بين ما تطرحه القضية الفلسطينية من مهمات وبين القضايا التي يثيرها التطور الطبيعي لمجمل حركة التحرر العربية . اي ان النضال من اجل ازالة آثار العدوان الاسرائيلي ، كمهمة ملحة بالنسبة لشعوب البلدان العربية التي تحتل اسرائيل قسما من اراضيها ، لا ينحصر في الواقع ، في النضال ضد الاحتلال ومن اجل الدفاع عن المنجزات السياسية والاقتصادية والاجتماعية في الانظمة التقدمية ، وفي كل حركة التحرر العربية ــ وهو في المرحلة الحالية نضال اساسي ــ بل انه يرتبط ، عضويا ، بالنضال ضد الاغتصاب الصهيوني ومن اجل تطوير الحركة الوطنية للشعب العربي الفلسطيني ، ذات الاهداف التحررية ، قوميا واجتماعيا.

ان العملية التي نشهدها عملية معقدة ، ولا بد من المرونة في النظر اليها وفي معالجتها . فمن جهة لا بد من الاخذ بعين الاعتبار مستوى التطور الذي بلغته حركة التحرر العربية . اذ ان هناك منجزات اصبحت حقائق موضوعية لا يمكن تجاهلها . ولا بد من جهة ثانية ، من رؤية التحولات التي شهدتها الحركة الوطنية الفلسطينية . ولا بد من جهة ثالثة ، من الاخذ بعين الاعتبار التفاوت في التطور الاقتصادي والاجتماعي والسياسي في الاقطار العربية ، والذي يستتبع بالضرورة ، اختلافا في المهمات المرحلية .

ان معالجة قضية الستراتيجية الثورية مع اخذ هذه الامور بعين الاعتبار ، من شأنها ان تسهل الامكانيات لتحديد ادق للمهمات ، ليس فقط بالنسبة لكل فصيلة من حركة التحرر العربية ، ومنها الحركة الفلسطينية ، بل كذلك ، بالنسبة لمجمل الحركة الوطنية التحررية في كل الاقطار العربية .

ومن الطبيعي ، في هذا الوضع ، ان اية قضية استراتيجية او تكتيكية تطرح اليوم امام القوى الثورية العربية ، ستظهر مواقف متعددة . ومن الطبيعي

ان يجري الدفاع نظريا عن هذه المواقف وان يحصل اختلاف في وجهات النظر . ان هذه الاختلافات امر طبيعي في المرحلة الحالية لتطور القوى الثورية في البلدان العربية . لان الاختلافات في وجهات النظر تعكس عدم التجانس الطبقي والايديولوجي داخل قوى الثورة في المستوى الذي بلغته الثورة التحررية التي تعبر عن مصالح العمال والفلاحين والفئات الوطنية من البورجوازية الصغيرة والمتوسطة . ان هذه الاختلافات التي يجري التعبير عنها نظريا في شكل صراع ايديولوجي داخل معسكر الثورة ، تحصل والمعركة ضد العدو المشترك مستمرة، وتتطلب في الوقت نفسه التوصل الى حد ادنى من العمل الموحد ، يتحدد بدوره بطبيعة المرحلة التاريخية وبمستوى المواجهة وبميزان القوى الطبقية داخل التحالف الثوري في كل قطر من الاقطار العربية . ان هذا الشيء ينطبق على ثورة الشعب الفلسطيني بصورة اكثر الحاحا بعدما وصلت المعركة الى مستوى يتطلب درجة اعلى من الوحدة بين المنظمات الفدائية نظرا للاخطار التي يتعرض لها العمل الفدائي دون تمييز بين فصائله . فالرجعية العربية من جهة تحاول بشتى الوسائل تعميق الاختلافات لتتمكن من ضرب كل قوة ثورية على حدة بعد ان عجزت عن مواجهة الوقفات الموحدة في وجه المؤامرات . ومن جهة ثانية اصبحت طبيعة المواجهة مع العدو الصهيوني الذي يصعد العدوان ويتخذ التدابير في الوقت نفسه لامتصاص ضربات المقاومة في الاماكن التي يتوقعها وبدرجة العنف التي خبرها ، تتطلب عدم المراوحة في مكان واحد . ان تحقيق وحدة اعلى بين مختلف فصائل الثورة الفلسطينية من اجل تعبئة كل طاقات الشعب الفلسطيني داخل وخارج الارض المحتلة يطرح ضرورة الاتفاق حول قضايا استراتيجية وتكتيكية ، ولا يتم ذلك الا بالتحليل العلمي لطبيعة الحركة الوطنية الفلسطينية وطبيعة المرحلة التي تمر بها والمهمات السياسية والعسكرية ، التكتيكية والستراتيجية ، التي تواجهها كحركة لها استقلالها النسبي ولها منطقها الخاص ، وكجزء من حركة التحرر والتقدم العربية . ونظرا للبعد العالمي لقضية الشعب الفلسطيني ، والناتج عن الارتباط العضوي بين الصهيونية والامبريالية فلا بد من اخذ ميزان القوى على الصعيد العالمي بعين الاعتبار والنظر لحركة التحرر القومي العربية كجزء من الحركة الثورية العالمية ، وكفصيلة من فصائل حركة التحرر الوطني العالمية .

ان تعمق المحتوى الاجتماعي لحركة التحرر العربية وتزايد دور الطبقة العاملة في الثورة العربية وانتشار الافكار الاشتراكية العلمية ، والماركسية اللينينية بالتحديد ـ ايا كان مستواه وايا كان تقييمنا له ـ بين فئات اوسع فاوسع داخل التنظيمات السياسية القومية والبورجوازية الصغيرة التقدمية ، يطبع حركة التحرر العربية ، كما بينا ، بطابع العصر ، عصر الانتقال من الرأسمالية الى الاشتراكية على الصعيد العالمي . ونتيجة لهذا التحول نرى اكثر فاكثر ان البورجوازية العربية اصبحت عاجزة تماما عن تقديم اي برنامج قومي للنضال التحرري واي برنامج لاعادة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطيني في ارضه ووطنه ، ولا حتى اي برنامج عملي لازالة آثار عدوان ١٩٦٧ . ان ما تهتم به

البورجوازية العربية اليوم ليس فقط الحفاظ على مواقعها ومصالحها الاقتصادية والالتقاء ، تضليلا وخداعا، بالتصريحات العامة والفارغة بعيدا عن المشاركة الفعلية في المعركة التي تتحمل اعباءها الانظمة التقدمية والكفاح المسلح للشعب الفلسطيني الذي يستقطب مناضلين من كافة الاقطار العربية . بل هي تتآمر من مواقع السلطة ومن خارجها ، لكي تعرقل تطور الثورة ، وهي تضرب ، حيث تستطيع بعض قوى الثورة ، المقاومة الفلسطينية بشكل خاص .

ان النضال التحرري في هذه المرحلة ، رغم احتفاظه بطابعه القومي ، اصبح نضالا ذا طابع اجتماعي اكثر تقدما ، يعتمد بشكل اساسي على الطبقات الكادحة ويسترشد اكثر فاكثر بايديولوجية الطبقة العاملة ، الطبقة الاكثر طليعية والاكثر انسجاما والاكثر مصلحة في متابعة النضال حتى النصر التام والاكثر انضباطا وثباتا ودأبا . كل هذه الاسباب تجعل من الممكن ومن المحتم طرح الافق الاشتراكي عند البحث في اية استراتيجية قومية لان القضية القومية اصبحت قضية الطبقة العاملة المتحالفة مع كافة الطبقات الكادحة من الفلاحين الفقراء واقسام واسعة من البورجوازية الصغيرة والجنود الذين ينتسبون في اكثريتهم الى هذه الطبقات .

في هذا الاطار العام يمكن تحديد المهمات المطروحة امام كل فصيلة من الفصائل الثورية العربية بالنسبة للظروف الخاصة لكل قطر على حدة . وليس في هذا التخصيص اي انتقاص من الهدف النهائي لحركة التحرر القومي ، ومن قضية الوحدة العربية ، لان الافق الاشتراكي لهذه الوحدة هو الذي يوفر لها امكانية التحقق في الواقع ، بل يجعلها امرا حتميا ، على القوى الثورية ان توفر له شروط التكامل ، في عملها داخل كل جزء من اجزاء الوطن العربي الكبير . فهناك اختلاف في المواقف المرحلية من بعض القضايا المطروحة بين حركة الشعب الفلسطيني وبين الانظمة التقدمية وبين القوى التقدمية في الاقطار التي ما زالت تحكم مباشرة من الرجعية والبورجوازية العميلة ، وما زالت بالتالي تعاني من السيطرة الاقتصادية والسياسية للامبريالية . مثل هذا الاختلاف يتجلى حول قضية قبول او رفض قرار مجلس الامن وحول شعار ازالة آثار العدوان . ينبع موقف المقاومة الفلسطينية حول هذه القضية ، من طبيعة هذه المقاومة ، فهي ليست فقط مقاومة شعبية من الداخل لمحتل غاصب . انها مرتبطة بعودة شعب بكامله الى ارضه ووطنه بشكل يمكنه من تقرير مصيره بدون اي اكراه مادي او معنوي . انها ليست فقط مقاومة سلبية ، بل تتخذ شكل حرب تحرير شعبية . لذلك لا تستطيع ان تضع امامها كهدف استراتيجي غير تحرير الارض والا فقدت مبرر وجودها . ان المقاومة الفلسطينية تطرح القضية الفلسطينية بالعودة الى منشأ النزاع حول حق تقرير المصير قبل سنة ١٩٤٨ . وهي في مجال اثبات وجود الشعب العربي الفلسطيني وابراز هويته العربية امام العالم اجمع لا تستطيع سوى العودة الى الجذور التاريخية للقضية وتطرح النضال الفلسطيني كنضال تحرري ضد الصهيونية وكجزء من الحركة التحررية العربية ضد الامبريالية. ومن الطبيعي ان ترفض المقاومة الفلسطينية كل حل يتجاهلها ولا تشارك في وضعه

لذلك كان من حق هذا الشعب في
وتنفيذه من موقع صاحب القضية الرئيسي .
فترة نهوض حركته الوطنية ، ان يعلن هدفه الستراتيجي حول تحرير الارض دون
التوقف عند الشعارات المرحلية لازالة آثار العدوان عن طريق تنفيذ قرار مجلس
الامن . لكن هذا لا يعني ان المقاومة الفلسطينية كجزء من الحركة الثورية العربية
يجب ان تتجاهل الضرورات التي تجعل الانظمة التقدمية تطرح شعار ازالة آثار
العدوان وتقبل بقرار مجلس الامن كهدف مرحلي . وهذا لا يعني ايضا ، من وجهة
نظر النضال الستراتيجي والتكتيكي على السواء ، ان تضع المقاومة امامها ، في
اطار مرحلة معينة ، شعارات لا تتوفر الظروف لتحقيقها ولكسب التأييد لها ،
وان تتخلى عن سياسة التراجع عندما تقضي بذلك ضرورات النضال مده وجزره.

وفي مطلق الاحوال فاذا اخذنا الانظمة التقدمية فاننا لا نستطيع ان نغفل ،
ونحن نتحدث عن نضالها المرحلي لازالة آثار العدوان ، انها تظل ، برغم كل
الثغرات والنواقص الاساسية في تركيبها الطبقي والسياسي وفي التدابير التي
اتخذتها ، عنصرا رئيسيا في المرحلة الراهنة ، في توسيع مدى حركة التحرر
والتقدم العربية وتعميق محتواها ، وفي التصدي العملي والمباشر للنشاط
الامبريالي والرجعي في المنطقة العربية ، وفي مواجهة العدوان الاسرائيلي الذي
يدخل في نطاق الستراتيجية العامة للامبريالية في المنطقة ، وفي انجاز مرحلة
التحرر السياسي بالنسبة لمجمل الحركة التحررية العربية بما فيها حركة التحرر
الوطني للشعب العربي الفلسطيني ، على طريق الوحدة الشاملة والاشتراكية .

ان عدم اخذ هذه الفوارق بعين الاعتبار لا يبسط القضية بل يشعبها في
متاهات وطرق مسدودة من شأنها ان تعيق تحقيق اهداف الثورة الفلسطينية
بالذات ، لانها تركز النقاش النظري في قضية هامشية تطمس حقيقة واهداف
وطبيعة حركة التحرر العربية كما تصرف الانظار عن تلمس الطريق الصحيح
وتشوش خريطة القوى الاجتماعية التي توضح المواقف الطبقية المختلفة من قضية
التحرر القومي وتعرقل التحالفات بين القوى الثورية وتضلل الجماهير في التمييز
بين حلفائها واعدائها ، بين القوى الحليفة التي ستتوقف عن السير في منتصف
الطريق وتقف على الحياد او تنضم الى جبهة الاعداء ، وبين القوى ذات المصلحة
بالمضي في الثورة حتى نهايتها المحتومة . ان التحليل العلمي من وجهة نظر الطبقة
العاملة فقط من شأنه ان ينير الطريق الصحيح الذي يجب سلوكه في هذا
المجال . ففي هذا المنظار ، في افق القضاء التام على النفوذ الصهيوني الامبريالي
في المنطقة ، في افق الوحدة والاشتراكية ، لا يتناقض شعار ازالة آثار العدوان
والانسحاب التام للقوات الاسرائيلية من الارض المحتلة بعد حرب ١٩٦٧ مع
الهدف الستراتيجي للتحرر التام وحل القضية الفلسطينية حلا ديمقراطيا ضمن
اطار الوحدة العربية التي تتحقق وتتكامل عناصرها من خلال المعركة لتصفية
النفوذ الامبريالي وتبؤ الطبقة العاملة مكانها الطليعي .

فتحقيق هذا الهدف المرحلي يثبت فشل الكيان الصهيوني وعجزه عن
الوقوف كعقبة لا يمكن تجاوزها في وجه حركة التحرر العربية . ان تحقيقه لا

يعني العودة الى اوضاع ما قبل حزيران ١٩٦٧ ، بل يعني العودة الى الحدود
الجغرافية لما قبل حزيران مع مكتسبات جديدة ، منها تحقق بالفعل ، وهو
دخول الشعب العربي الفلسطيني الى الساحة كقوة مستقلة ، ومنها ازدياد القدرة
العسكرية للانظمة التقدمية وتطهيرها من بعض الفئات المتآمرة التي لعبت دورها
في الهزيمة ، وتقلص نفوذ الطبقات الرجعية في اجهزة الحكم وتحقيق مكتسبات
ثورية في كافة الاقطار العربية تشكل سندا ودفعا جديدين لحركات التحرر
العربية بشكل عام ولنضال الشعب العربي الفلسطيني بشكل خاص . الا انه يعني
في نفس الوقت بسبب الهزيمة التي وقعت ، تراجعا مؤقتا ، لا غنى عنه ، تفرضه
النسبة الحالية للقوى على الصعيدين العربي والعالمي .

ان عدم التمييز بين مواقف الانظمة العربية التقدمية من قرار مجلس الامن
يغفل حقيقة ان العدوان كان يستهدف ، بالاضافة الى التوسع الصهيوني
الامبريالي ، وبواسطة هذا التوسع ، الى اسقاط الانظمة التقدمية واعادة حكم
البورجوازية الكبرى والاقطاعية والقوى الرجعية المتحالفة مع الامبريالية . وعدم
التمييز هذا يغفل حقيقة الترابط العضوي بين الامبريالية والصهيونية ويؤدي
منطقه الى تصوير الصراع وكأنه مجرد بين قوميتين عربية وصهيونية او صراع بين
الاديان ، كما يغفل كون قضية تحرر الشعب الفلسطيني جزءا من قضية تحرر
جميع الشعوب العربية . بل انه يعطي مفهوم التحرر محتوى تبسيطيا ويفرغه من
محتواه الاقتصادي والاجتماعي ، ويكون بذلك خطوة بل خطوات الى الوراء مع
العلم ان احد الاهداف الامبريالية من اسقاط الانظمة التقدمية هو العودة بالشعوب
العربية الى هذا المفهوم البورجوازي الرجعي المتخلف للتحرر . لقد اثبتت جميع
التجارب السابقة التناسب العكسي بين ازدياد عدوانية اسرائيل وتزعزع مراكز
الامبريالية في المنطقة . كان عدوان ١٩٥٦ مثلا ، ردا على تأميم قناة السويس
ومساعدة مصر لثورة الجزائر وانتشار فكرة القومية العربية كمحرك للنضال
الجماهيري في كافة الاقطار العربية وتوثيق العلاقات مع القوى الاشتراكية في
العالم وشراء السلاحمن الاتحاد السوفياتي والعزم على بناء السد العالي بمساعدته.
وفي سنة ١٩٦٧ ارتبط عدم تحقيق الهدف الاول للعدوان لاسقاط الانظمة
التقدمية بفشل الهدف الثاني لطمس الشخصية المستقلة للشعب الفلسطيني
نهائيا .

ان اغفال الظروف التي تجعل الانظمة التقدمية ترفع شعار ازالة آثار
العدوان ، يؤدي الى اغفال رفض اسرائيل بالدرجة الاولى لتنفيذ قرار مجلس
الامن . ان ازالة آثار العدوان لا تتم الا عن طريق اعداد القوة اللازمة لذلك على
كافة المستويات من العمل السياسي الى تنمية المقاومة المدنية والمسلحة للشعب
الفلسطيني وتعزيز القدرة العسكرية للانظمة التقدمية وعزل الرجعية العربية
سياسيا وايديولوجيا . وتثبت الوقائع ان اسرائيل والولايات المتحدة تعملان هما
ايضا على عدم تنفيذ قرار مجلس الامن . ومما له دلالته ان الرجعية العربية هي
ايضا من دعاة الحل العسكري والشعارات الحربجية كما رأينا قبل واثناء وبعد العدوان

وفي مؤتمرات القمة وفي جميع التصريحات الرجعية المعادية للانظمة التقدمية وللعمل الفدائي . ان هذه الاصوات تدعو دائما الى مواجهة العدوان في غير المكان الذي يقع فيه . فعندما تحضر اسرائيل للهجوم العسكري يدعون الى العمل السياسي والدعائي لانقاذ الولايات المتحدة من النفوذ الانتخابي الصهيوني . وعندما تشتد المؤامرات السياسية المرتبطة بالصراع الطبقي في الداخل ترتفع المزايدات العسكرية .

ان التاريخ قد اثبت دائما الارتباط العضوي بين الصمود والهجوم في كل مقاومة وطنية . ذلك ان الحرب الشعبية الطويلة الاجل لا تنفصل عن الصمود. وهذا الصمود لا يتم الا بالعمل السياسي الطويل النفس بين الجماهير الشعبية والكادحة . ويمكن القول ان عدم استيعاب وفهم الظروف في ضوء الماركسية يمكن ان يؤدي الى تقديرات غير موضوعية تعرقل استمرار النضال الدؤوب ، والى الوقوع في الاندفاعات العاطفية الانفعالية التي قد تسفر عند اول انتكاسة عن الوقوع في اليأس لدى الجماهير او تؤدي الى المغامرة . واذا كانت هذه الظاهرات متوقعة نظرا لتبني فئات غير بروليتارية للماركسية اللينينية ، فان هذه الظاهرات تبرز ايضا ـ ولنفس الاسباب ـ بين القوى السياسية الفلسطينية . وهذا هو الاساس الموضوعي الطبقي لكثير من الاختلافات في الستراتيجية والتكتيك داخل الثورة الفلسطينية .

ولا بد هنا من ربط رفض اسرائيل تنفيذ قرار مجلس الامن بمزايدات الرجعية ، التي تحاول تحميل الانظمة التقدمية كل مسؤولية الهزيمة العسكرية بسبب الاصلاحات التقدمية وازعاج الولايات المتحدة . فليست دعوات الحرب هي دائما دعوات مخلصة وغير استسلامية كما ان المواقف السياسية من الحل ليست دائما استسلامية . ان الخط الفاصل بين اصدقاء الثورة الفلسطينية وبين اعدائها ، ليس الموقف الظاهري من قرار مجلس الامن ، بل الخط الفاصل هو خط طبقي لا يمكن رؤيته بغير التحليل العلمي من وجهة نظر الطبقة العاملة . ان الاكتفاء بالمنطق الظاهري السطحي يؤدي مثلا الى وضع الولايات المتحدة والرجعية العربية في موقع الحليف انطلاقا من المساعي لعرقلة تنفيذ قرار مجلس الامن بينما يوضع الاتحاد السوفياتي والانظمة التقدمية في موقع الاعداء انطلاقا من تأييدهم لقرار مجلس الامن . وفي هذا المنطق يتكرر قانون لقاء التطرف اليساري باليمين مع الفارق بان اليمين يرتكز على الطبقات الاقطاعية والبورجوازية الكبرى بينما التطرف اليساري يستند الى عدم استقرار وجموح بعض فئات البورجوازية الصغيرة .

ان الدخول في كل هذه التفاصيل لم يكن من اجل الدفاع عن قرار مجلس الامن وكأن هذا القرار هو اقصى ما يجب ان يطمح اليه العرب . مع العلم ان امكانية تنفيذه سياسيا لا تتوقف على العرب وحدهم بل ان كل الدلائل تشير الى ان اسرائيل ترفض تنفيذه بالشروط التي وضعتها الجمهورية العربية المتحدة والدول الصديقة . هدفنا من كل هذا التفصيل هو تبيان ان كل اختلاف حول

قضية نظرية او سياسية يعكس بالاساس مواقع طبقية ومصالح طبقية مختلفة .

على ضوء هذا الواقع الطبقي ينبغي التصدي لجميع القضايا النظرية والعملية التي تواجه الثورة الفلسطينية ، اي لكل ما له علاقة بتحديد استراتيجيتها وتكتيكها وبتحديد علاقاتها مع مختلف القوى العربية والعالمية، التي تدخل طرفا في قضية العدوان الاسرائيلي وفي القضية الفلسطينية ، حلفاء ، على مختلف المستويات ، واعداء على مختلف المستويات ، للشعوب العربية بعامة ، وللشعب العربي الفلسطيني ، بخاصة . وعلى هذا الضوء ايضا ينبغي النظر للقضايا المرتبطة بمشاكل الوحدة داخل صفوف الثورة الفلسطينية .

ان ذلك يفترض ، بالضرورة ، التنبه الى موقفين خاطئين ينطلقان من موقعين طبقيين مختلفين: الموقف الاول يعبر عنه ممثلو البورجوازية الفلسطينية، بارتباطهم مع البورجوازية العربية ، اليمينية الاتجاه ، الرجعية التوجه ، وهو ينفي الصراع الطبقي ، بهدف سياسي آني ومرحلي . اما الموقف الثاني فيعبر عنه ممثلو «الاتجاه اليساري» في البورجوازية الصغيرة ، الذين ينطلقون من الزعم بانهم يتحدثون باسم الطبقة العاملة ، ليجعلوا من الثورة الفلسطينية ومن «خصوصيتها» و«خصوصية» الشعب العربي الفلسطيني ، نقيضا مصطنعا للفصائل الثورية في سائر الاقطار العربية ، ويدعون ، باسم رفض الوصاية على الثورة الفلسطينية وباسم «طليعية» هذه الثورة ، الى العمل لاسقاط الانظمة التقدمية . وواضح من كل المؤشرات ان طرح هذه الشعارات والاصرار عليها من شأنه ان يؤدي الى قطع روابط الثورة الفلسطينية بحلفائها الطبقيين في الاقطار العربية الاخرى وعزلها وتعريضها للضرب ، فضلا عن ان هذه «اليسارية» تؤدي الى الانعزال عن الجماهير العربية والفلسطينية نفسها .

وهنا ايضا لا يمكن الوصول الى الموقف الصحيح الا على اساس المصالح الطبقية والتضامن القومي والاممي . ان الظروف الموضوعية الخاصة التي تميز كل قطر عربي عن الاخر لا تلغي الظروف ، الموضوعية ايضا ، التي تحدد تقسيم كل مجتمع الى طبقات . ان الطبقة العاملة العربية ممتدة افقيا بشكل متصل على مجمل الارض العربية ، كذلك البورجوازية والاقطاعية والبورجوازية الصغيرة . هذه الروابط الطبقية هي التي تشكل الهيكل الذي تبنى عليه الوحدة القومية . فرفض هذه الرابطة الطبقية عبر حدود الاقطار العربية هو رفض للفكرة القومية من وجهة نظر التجزئة الامبريالية . وهذا لا يلغي بل يؤكد الخصائص العائدة لكل قطر بسبب التفاوت في التطور الاقتصادي نتيجة للسيطرة الاستعمارية . ان الموقف المخلص لهدف الوحدة القومية في ظروف التجزئة الاستعمارية والتطور المشوه والتخلف والاضطهاد القومي ، هو بالضرورة موقف الطبقة العاملة ذات المصلحة في التحرر الاقتصادي التام وفي بناء الاشتراكية التي تحقق التنمية بوتائر سريعة وبتحقيق التجانس الاقتصادي والتكامل بين كافة الاقطار العربية من اجل وضع كل الموارد القومية ، البشرية والطبيعية ، في خدمة التنمية لصالح الطبقات الثورية ، وليس لصالح طبقة او فئة ضيقة من البورجوازية والاقطاعية.

لكن ترؤس الطبقة العاملة للحركة التحررية لا يتم باعلان تبني الماركسية اللينينية وبالمواقف الانعزالية الاستنكافية ، بل بالنضال الدؤوب مع الجماهير لتحقيق التحالف بين العمال والفلاحين والبورجوازية الصغيرة لان الاشتراكية لا تتحقق بترداد الشعارات الثورية التي لا تأخذ بعين الاعتبار ميزان القوى الطبقية ومستوى الوعي السياسي والطبقي وكذلك ميزان القوى العام على الصعيدين العربي والعالمي . ونفس الشيء ينطبق على الجماهير الفلسطينية . ولا يقلل من اهمية العمل السياسي والاجتماعي حمل السلاح ضد الاعداء . فحمل السلاح وحده لا يوحد . بل ان وحدة القوى تتم بالعمل السياسي ، بالوحدة السياسية والفكرية في درجات عليا من الوحدة . وما العمل المسلح في نظر الماركسية اللينينية سوى احد اشكال النضال الطبقي والسياسي ، تفرضه الظروف . انه استمرار للسياسة بأشكال عنيفة .

واذا كانت لهذه الاختلافات التكتيكية منطلقات طبقية للقوى المشاركة في الثورة وتعكس استمرار تأثير طبقات غير ثورية داخل الجماهير الثورية، فمن الطبيعي ان تتجلى الطبيعة الطبقية لهذه الاختلافات على الصعيد الستراتيجي . بل ان الاختلافات التكتيكية تظل غير مفهومة ومضللة اذا لم تفهم على ضوء الاختلافات الستراتيجية . لقد دارت نقاشات في الآونة الاخيرة حول شعار الدولة العلمانية الديمقراطية او الدولة الديمقراطية التي ستحل مكان الكيان الصهيوني بعد تحرير الارض وتقويض هذا الكيان . وقد اثار هذا الشعار بعض القضايا النظرية الاساسية . فبمجرد طرحه ظهرت الخلافات حول طبيعة هذه الدولة وطبيعة نظامها السياسي والاجتماعي ومكانه من الوحدة العربية . الفكرة الاولى عن هذه الدولة كانت انها دولة علمانية ديمقراطية يتعايش فيها اليهود والمسيحيون والمسلمون دون اي تمييز ديني او عنصري . ومن الواضح ان اعلان ديمقراطية هذه الدولة يمثل خطوة الى امام . لكن التحفظ يبقى في طبيعة هذه الديمقراطية . فالقول بانها علمانية ديمقراطية لا يخرجها بالضرورة عن اطار الديمقراطية البورجوازية التي لا تأخذ بعين الاعتبار مستوى التطور الاجتماعي الحالي لحركة اجتماعية اعمق على الصعيد العربي العام وداخل «الجسم الفلسطيني» . لان الشعار لن يتحقق الا من خلال معركة ضد الامبريالية ونفوذها في العالم العربي ، اي ضد الطبقات الرجعية الاقطاعية والبورجوازية الكبرى ، وبالاعتماد على الجماهير الشعبية الكادحة بقيادة الطبقة العاملة التي تستطيع وحدها في عصرنا الارتفاع الى مستوى المواجهة الفعالة والجذرية مع الامبريالية.

ان قصور الشعار عن تحديد السمة الاجتماعية الجديدة للثورة الفلسطينية يظل ناتجا عن موقف يفصل بين التطور السياسي والتطور الاجتماعي ويعيدنا الى الدوران في حلقة مفرغة من العمل السياسي والعسكري بدون اي مضمون اجتماعي بالمعنى الاشتراكي . ان ما نقوله لا يعني بالضرورة ان حملة هذا الشعار لا يعون طبيعة المعركة ضد الصهيونية والامبريالية ، ولا يرون الارتباط العضوي بينهما ، لكننا نقول ان هذا الشعار يظل قاصرا على التعبير عن المستوى الذي

بلغه التطور الاجتماعي لحركة التحرر في عصرنا ويظل بحاجة الى توضيح بشعارات تكتيكية واستراتيجية اخرى . ورغم ذلك لا يمكن الا ان ننظر اليه في تناقضاته الداخلية ونرى جوانبه الايجابية ايضا من حيث انه يشكل خطوة جدية الى امام بالنسبة الى الشعارات الشوفينية السابقة التي كانت تنادي برمي اليهود في البحر . كما انه شعار يحدوه الهم في التوجه الى اوساط واسعة من الرأي العام العالمي ، بما في ذلك الرأي العام في اسرائيل ، وتغيير الفكرة الخاطئة عن عداء العرب لليهود وللسامية ويسهل امكانية رؤية عدالة قضية الشعب العربي الفلسطيني.

وفي المقابل نجد هنا ايضا الموقف اليساري المتطرف الذي ينادي منذ الان بالصفة البروليتارية للدولة العتيدة . هذا الشعار ينسجم مع الافق التاريخي الحتمي لتطور حركة التحرر ويحاول حل قضية اليهود حلا امميا بالرجوع الى الموقف اللينيني من المسألة اليهودية . فاسرائيل ، كدولة ، تشكل موقعا اماميا من مواقع الامبريالية، والموقف منها . ومن حق اليهود في الانفصال وتقرير المصير يجب ان يخضع لمصلحة الحركة الثورية العالمية التي تشكل الحركة الثورية العربية جزءا هاما منها . والموقف من الكيان الاسرائيلي يشبه موقف ماركس في رفض حق تقرير المصير للشعب التشيكي سنة ١٨٤٨ . كتب لينين عن هذا الموقف يقول: كانت ثمة اسباب تاريخية وسياسية سنة ١٨٤٨ للتمييز بين الامم الرجعية والامم الديمقراطية الثورية . وكان (اي ماركس) على حق في شجب الاولى وفي الدفاع عن الثانية . ان حق تقرير المصير هو احد مطالب الديموقراطية الذي ينبغي ان يخضع للمصالح العامة للديمقراطية » . ويضيف لينين «كان التشيكيون بالفعل شعوبا رجعية ، مراكز امامية للقيصرية» .

وعلى نفس الاسس يمكن ان نقول ان اسرائيل تمثل مركزا اماميا للامبريالية ولا بد من توجيه النار ضد هذا المركز .

لكن الموقف اللينيني لا يقف عند هذا الحد . بل ان لينين لا يعترف بوجود قومية يهودية متميزة ويعتبر الصهيونية ايديولوجية للبورجوازية اليهودية يجب محاربة تأثيرها في اوساط العمال اليهود لانها تمنعهم من الاتحاد مع الطبقة العاملة في كل دولة . هذا من وجهة النظر القومية . اما من وجهة النظر السياسية الاجتماعية ، فان الدولة الاسرائيلية تشكل دولة فاشية عنصرية للاحتكارات الصهيونية الامبريالية داخل اسرائيل وخارجها في الغرب ، وتشكل ، بطبيعتها ، خطرا توسعيا دائما يهدد حركة الشعوب العربية وتطورها التقدمي . وهذه الفاشية ليست موجهة ضد العرب فحسب بل ضد اليهود الشرقيين والتقدميين في اسرائيل . ولا يمكن الاعتماد في تغيير طبيعة هذا الكيان الرأسمالي العنصري الفاشي فقط على النضال الديمقراطي الداخلي . لان سعار الشوفينية يطال حتى فئات واسعة من خارج اطار البورجوازية اليهودية الكبرى والعسكرية الاسرائيلية، ويشتد كلما حركته الصهيونية لتحقيق اعمالها العدوانية التوسعية .

في هذا الضوء يمكن التأكيد ، من وجهة نظر الماركسية اللينينية ، انه ينبغي

عدم المزج بين ضرورة النضال ضد الكيان الاسرائيلي ، باسم قضية التحرر والاشتراكية ، وبين الحق الانساني الطبيعي للمجموعات البشرية من اليهود في الحياة المسالمة والمتلائمة مع سياق تطور حركة التحرر في المنطقة بآفاقها الاشتراكية. ان تقويض كيان الدولة النازية فيالمانيا لم يؤد الى ابادة الالمان بل الى تحريرهم. والقضية الفلسطينية مشابهةمن هذهالزاوية لقضية النضالضد الفاشية.

ولا شك ان الضمانات التي تأتي من وجهة نظر الطبقة العاملة العربية لجهة عدم اضطهاد اليهود تلاقي في اوساط التقدميين في العالم اجمع صدق اعمق وثقة أرسخ من الضمانات المقصورة في اطار الديمقراطية البورجوازية بشكل التعايش بين الطوائف . ذلك ان فكرة التعايش بين الطوائف تبقي مشكلة تنظيم المجتمع على اساس طائفي وتعتبر التناقض الطائفي هو الاساس بدل التناقض الطبقي . لكن شعار الدولة التقدمية الديمقراطية كبديل لشعار الدولة العلمانية الديمقراطية، يظل خطرا اذا لم يجر تحديد هوية اليسار التقدمي في هذه الدولة. ويظل شعارا خطرا اذا اعتمد على اليسارية البورجوازية الصغيرة الفوضوية سواء من الجانب العربي او من داخل اسرائيل . فمن المعروف ان اليسار الاسرائيلي يقسم الى قسمين : يسار صهيوني ويسار معاد للصهيونية . واليسار الصهيوني تستخدمه اسرائيل كواجهة ديمقراطية تخدع بها الرأي العام التقدمي في العالم لتصور الدول العربية بالمقابل دولا معادية للديمقراطية . ان الدعاية الصهيونية تستخدم في هذا المجال المفاهيم البورجوازية الليبرالية حول الديمقراطية وتفرغها من محتواها الاجتماعي لتطمس زيف ادعاءاتها حول ما يسمى بالاشتراكية الاسرائيلية . ومن جهة اخرى نجد نوعين من اليسار المعادي للصهيونية : اولهما يتمثل بالحزب الشيوعي الاسرائيلي (راكاح) الذي ينضوي تحت لوائه العرب المناضلون ضد التمييز العنصري والاستثمار الطبقي في آن واحد . هذا الحزب هو الذي اعترفت به الحركة الشيوعية العالمية بعدما انشقت عنه كتلة ميكونيس – شنيه التي انزلقت الى مواقف الصهيونية . ان هذا الحزب يخوض نضالا عنيدا ضد الطغمة العسكرية الحاكمة في اسرائيل ويقف دائما الى جانب حركة التحرر العربية ويتعرض للاضطهاد ، وهو يحظى لامميته العنيدة بعطف الشيوعيين في العالم اجمع ويفضح زيف الديمقراطية والاشتراكية الاسرائيلية . ان الصورة الحقيقية لهذا الحزب هي تلك التي يقدمها شعراؤه وكتّابه الذين تتجسد فيهم روح المقاومة الفلسطينية . وليس هناك من وهم حول قدرة هذا الحزب على قلب السلطة الفاشية في اسرائيل لوحده . لكنه بنضاله العنيد ومع وضوح الوجه التقدمي لحركة التحرر العربية اخذ يتعرض للقمع الوحشي وللاغتيالات لان وجوده بالذات يزعزع اسس الدعاية الاسرائيلية حول نواياها السلمية .

ومن جهة ثانية هناك جماعات صغيرة معزولة من اليساريين الفوضويين الذين لا يمثلون ، برغم مزايداتهم برفض الكيان الصهيوني ، اية قوة اجتماعية حقيقية في الداخل . ان المراهنة على هذه الفئة من قبل بعض قوى اليسار

العربي ليس سوى نتيجة للقرابة الطفولية اليسارية التي تعيق عمل القوى الطبقية الحقيقية . ويتجلى ذلك بتصوير الامر وكأن هذه الجماعة المعزولة تشكل ضمانة الانسجام بين العرب واليهود في الدولة التقدمية الديمقراطية ، دون النظر الى ما تمثله هذه الجماعة اجتماعيا. ان الحديثعن هؤلاء كمجموعة لا يشملهم بالضرورة، وبشكل مطلق سياسيا جميعهم كأفراد .

هذا التطرف اليساري في ربط شعار الدولة التقدمية الديمقراطية باليسار البورجوازي الصغير يثير بالمقابل موقفا يساريا قوميا يرفض الشعار اساسا باسم الوحدة العربية . وهذا الرأي يتجاهل اصلا بقاء جماعات يهودية متميزة لغويا وثقافيا في فلسطين بعد عودة جميع الفلسطينيين العرب الى وطنهم المحرر . ويدعمون رأيهم بان تقويض كيان الدولة الاسرائيلية سيتم فقط عن طريق حرب التحرير الشعبية العربية الوحدوية . ان هذا الرأي ، مع اعترافه بان الوحدة العربية هي في صالح العمال والفلاحين بالدرجة الاولى ، يلتقي بنقيضه في الفصل المثالي بين النضال الطبقي والنضال القومي . فاما رفض البحث في المشكلات الناتجة عن التناقض القومي والوطني مع الاستعمار باسم نقاء الصراع الطبقي البروليتاري ، واما رفض الخوض في القضايا الطبقية باسم نقاء النضال القومي الوحدوي .

وهكذا تثير القضية الستراتيجية حول الدولة الفلسطينية العربية من جديد النقاش حول «الجسم الفلسطيني» و«الجسم العربي» للثورة الفلسطينية ، وتتوجه الاتهامات بالقطرية من جهة وبالشوفينية من جهة مقابلة . ولا شك ان كل هذه النقاشات والاختلافات حول القضايا الستراتيجية والتكتيكية هي نتيجة لتداخل مهمات حركة التحرر العربية . فهي في وقت واحد ثورة ديمقراطية تحررية وثورة قومية وثورة اشتراكية . وهذه التجليات المختلفة للنضال ضد الامبريالية في عصر الانتقال العالمي الى الاشتراكية ، هي نتيجة قانون تفاوت التطور الاقتصادي الذي اكتشفه لينين ، وحدد على اساسه ضرورة التحالفات الطبقية بقيادة الطبقة العاملة . وقد اثبتت جميع التجارب التاريخية ان الجبهة السياسية هي افضل شكل للنضال ، بحيث تتحد القوى الثورية في كل مرحلة على اساس برنامج حد ادنى متفق عليه ، مع اخذ هذه الجبهة في حركتها . ذلك ان التحالفات الطبقية في المراحل الاولى لحركة التحرر العربية كانت مختلفة عن طبيعة هذه التحالفات في المرحلة الحالية ، كما ان تصور الهدف الستراتيجي مع بقاء الميزان الحالي للقوى الطبقية هو تصور غير علمي .

على ضوء ذلك نلاحظ ان الاختلافات الدائرة اليوم تمثل تصورات الحل النهائي انطلاقا من المواقع الحالية للقوى التي تطلق الشعارات داخل التحالف الثوري للشعب الفلسطيني ، من حيث مدى جماهيريتها وطبيعة الانظمة العربية التي تسندها . وبالتالي فان كل موقف نظري يمثل في الواقع طموحا مفهوما وطبيعيا لكل طبقة وفئة اجتماعية الى قيادة التحالف والوصول على رأسه الى الحل النهائي . لكن المهمات الملحة للثورة الفلسطينية ومواجهة المؤامرات الرجعية

واشتداد الهجمات الامبريالية الصهيونية لتحطيم المقاومة ، تضع على جميع الفرقاء مهمة وحدة قوى الكفاح المسلح بصرف النظر عن الاختلافات النظرية التي تفرقها . ان الشكل الجبهوي يظل في هذه المرحلة والى زمن طويل هو الشكل الذي يؤمن الوحدة مع الديمقراطية وحرية العمل لكافة الاطراف الثورية بحيث يفسح المجال لتطور الصراع الطبقي بين القوى الثورية بشكل غير تناحري . ان الموقف اللينيني من قيام الجبهة يقضي بالحرص على ان يتوفر للطبقة العاملة كل ظروف العمل السياسي المستقل ، لا نتيجة رغبة ذاتية بل اقتناعا بان النصر النهائي للقضية التحررية للشعب العربي الفلسطيني ولتحقيق الوحدة العربية لن يتم الا في الافق الاشتراكي . لكن المكان القيادي للطبقة العاملة ضمن التحالف الثوري لا يفرض فرضا منذ البداية بل يكتسب اكتسابا بالنضال اليومي الدؤوب بين الجماهير . ان دخول قوات الانصار الى ميدان الكفاح الفلسطيني المسلح يشكل رافدا رئيسيا من روافد المقاومة الفلسطينية والثورة التحررية . وكل محاولات استبعادها عن ميدان النضال الموحد لا تعبر في الواقع عن المبررات الظاهرة لهذا الموقف ، و لايمكن فهمها الا من خلال رواسب الحذر تجاه الطبقة العاملة وتجاه الشيوعية ، التي تتجلى في المجالات الاخرى سواء بالاصرار على وضع الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة في جبهة واحدة باسم التهجم بشكل عام على الدول الكبرى ، او رفض الاعتراف بوجود الصراع الطبقي .

وهنا يجب ان يقال ان التفارق داخل القوى الممثلة للبرجوازية الصغيرة وتحول اقسام هامة منها الى مواقع الطبقة العاملة ايديولوجيا ، يثبت ازدياد الوزن التاريخي للطبقة العاملة ودورها بما لا يمكن قياسه بوزنها العددي فقط . وهو احد مظاهر الصراع الطبقي الحتمي الذي لا يخضع لارادة الافراد ورغباتهم الذاتية ، ان هذا التطور يوجد الاسس الحقيقية لجبهة واسعة تتحقق فيها قيادة الطبقة العاملة.

ويبقى الشيء المهم في هذه المرحلة ، قيام الجبهة الفعلية على اساس برنامج تكنيكي واستراتيجي ، يتفق عليه جميع الاطراف في النضال الطويل المدى من اجل استعادة الحقوق الكاملة للشعب العربي الفلسطيني ، انما ذلك يفرض على جميع فصائل الثورة الفلسطينية سلوكا يمنع الخلافات الجانبية من شل القدرة الكفاحية للشعب العربي الفلسطيني ، ومن فصل النضال الفلسطيني عن النضال العربي العام وخاصة عن الانظمة العربية التقدمية التي يقع على عاتقها الدور الرئيسي في المواجهة المسلحة مع العدو ، لتحقيق الصمود اولا ، ومنع ضرب المقاومة الفلسطينية في مهدها ثانيا ، وفي تحرير الارض اخيرا . كما يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار اثناء النقاش الديموقراطي بين القوى الثورية للاتفاق على البرنامج الجبهوي ، عدم الفصل بين حركة التحرر العربية ككل وبين القوى العالمية وبشكل خاص مع الدول الاشتراكية ومع الاتحاد السوفياتي الذي تشكل مساعداته الاممية القوة المادية الاساسية لتمكين حركة التحرر العربية من الانتصار على تحالف الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ، وتحقيق آمال الامة العربية ، بما فيها الشعب العربي الفلسطيني ، في القضاء على التبعية والسير في طريق التحرر والتقدم والوحدة والاشتراكية .

مروان يوسف صباغ

المقاومة الفلسطينية : من أين ؟ والى أين ؟

١ – حرب حزيران ١٩٦٧ تشكل بلا ريب هزيمة للعرب ، للعقلية السائدة ، لطريقة التفكير ، لاسلوب العمل . السقوط الرهيب في حزيران لم يكن مفاجأة ، بقدر ما كان اعلانا سافرا عن الواقع الذي نعيشه . لكمة حزيران ، التي وجهت للامة العربية اعطت بعض النتائج الايجابية ، ولكن غير الكافية .

عملية هز الحياة العربية ، لم تمتد الى الجذور – على المستوى العام – كما كان متوقعا . غير انه في بعض الحالات امتدت عملية الهز الى الاعماق ، الى الجذور . هذا الامتداد لا يمكن ان يعطي نتائج معقولة على المدى القريب ، وربما على المدى المتوسط ، ولكن غالبا ، ان لم نقل حتما ، سيعطي نتائج على المدى البعيد.

٢ – الهزيمة الحقيقية هي للواقع المتخلف . ليست هزيمة الشعوب ، ولا يمكن ان تكون هزيمة الشعوب . لنقلها صراحة ، وبصوت مرتفع ، انها هزيمة انظمة حزيران . هزيمة العقلية الغيبية ، المتحكمة ، المتسلطة ، المراوغة . هزيمة الانظمة المنسجمة فعليا مع الواقع المتخلف . هذا التخلف الكلي الذي نعيشه : سياسيا ، عسكريا ، اقتصاديا ، ثقافيا ، واجتماعيا .

العالم يركض ، ونحن على ظهر سلحفاة نزحف ، نتعب ، نتوقف ، نصرخ من الالم . نبكي . ثم يبدأ الكلام ، وتطغى المزاودات ، ونصل الى درجة التحدي. وبعد ذلك نتلقى الضربات ، وتتكرر الهزائم .

شعوب في مثل تخلفنا ، وربما اكثر ، جابهت الامبريالية ، وانتصرت ، وبذلك تجاوزت تخلفها . في اماكن عديدة من العالم حدث هذا ، في الصين . كوريا . كوبا . فيتنام . وغدا ربما في الكونغو او بوليفيا ، وبعد غد في تركيا او ماليزيا او في ايمكان اخر ، ونحن قاعدون . نتحدث عن انتصارات الاخرين ، ونهرب من المجابهة .

٣ – اسرائيل – الكيان الصهيوني في فلسطين – تمثل في نظامها الغرب . غرب اوربا وامريكا ، وبالتحديد اكثر ، انها امتداد «طارىء» للنظام الرأسمالي العالمي . هذا النظام المتقدم وبالضرورة على كل من نظامي العبودية والاقطاع .

النظام الرأسمالي ، نظام عصري ، علمي ، آلي ، تقني ، مستغـــل ، ناهب ، سارق . اسرائيل، تمثل امتدادا لذلك النظام . هذه حقيقة ليس فيها مبالغة، ولا تهويل ، انها حقيقة مزعجة ، مثيرة ، مستفزة ، ولكنها تمثل الواقع . وبقدر فهمنا للواقع يمكننا معالجته . معرفة العدو قضية ضرورية ، لا يجوز تجاوزها ، لانـه بدونها لا يمكن ان نسير في طريق النصر .

٤ ــ الانظمة العربية المهزومة ، لا يمكن ان تكون انظمـــة النصر . هذا ليس موقفا تقريريا ، وانما هو نتيجة لدراسة واقع هذه الانظمة . انها انظمة متخلفة في كل مجالات الحياة ، ذلك ان التخلف كل لا يتجزأ . انظمة تجمع الشتات من عقليات عصور مختلفة ، بقايا عبودية ، امتداد اقطاعي ، بدايات رأسمالية ، سيطرة للافكار الغيبية والميتافيزيكية ، معاداة للعلم ــ رغم كل الصياح في الدعوة للعلم .

هذه الانظمة ، وبهذا الواقع تريد مجابهة كيان مصطنع ولكنه متقدم ، باعتباره جزء من النظام الرأسمالي . ماذا ستكون النتيجة ؟ اعوام ١٩٤٨ ــ ١٩٥٦ ــ ١٩٦٧ تعطي الجواب . ولكن مع ذلك يجب ان نتجاوز هذا الواقع . التجاوز لا يجوز ان يكون لفظيا واذاعيا ، لانه سيكون انهزاميا وقاتلا . التجاوز الحقيقي يجب ان يكون عمليا ونضاليا .

٥ ــ فلتأخذ الشعوب المبادرة ، ولتترجم امانيها الى وقائع . حدث هذا في اماكن كثيرة من العالم ، ابرزها حاليا فيتنام ، شعب ضعيف ، متخلف ، مجزأ ، قرر ان يتحرر ويتوحد ويبني النظام الاشتراكي فثار . وجاءت ثورته ، منظمة ، شعبية، موحدة، ذات وضوح فكري، وبرنامج سياسي. حمل الشعب المنظم السلاح وصمم على القتال ضد أشرس قوى النظام الرأسمالي، ضد الولايات المتحدة الامريكية، قائدة الامبريالية العالمية . فمرغت امريكا وجيوشهـــا في مستنقعات فيتنام ، واستطاع الشعب المتخلف ان يتجاوز تخلفه ، حدث هذا في عالمنا . في هـــذا القرن . خلال الستينيات ، ولا يزال الحدث مستمرا ، بل انه توسع الى الجيران، في لاوس ، كمبوديا ... اعتقدنا ان شيئا مشابها لذلك يمكن ان يحدث على الارض العربية . ومع الفارق ، ابتدأ ذلك يحدث ، فكانت المقاومـــة الفلسطينية . حمل جمهور من ابناء هذا الشعب السلاح لمقاتلة الاعداء ، وكله رغبـة وامل في تحقيق النصر، تمكنت المقاومة من تحطيم جزء من الاسوار المضروبة حول الشعب، وشكلت موقعا متقدما على طريق النضال الجماهيري ، وعبرت عن الرفض من خلال موقف مادي يتجلى بحمل السلاح من اجل القضية .

٦ ــ المقاومة الفلسطينية ، تمثل الرد الجماهيري على الاحتلال ، الرد المسلح، المقاتل ، ولكنها لم تصل الى درجة الرد الواعي الضروري واللازم ، لتجاوز التخلف والسير في طريق التحرير .

المقاومة ، ابتدأت عام ١٩٦٥ ، ولكنها انتعشت بعد حزيران ١٩٦٧ ، شكلت يومئذ النقطة المضيئة بعد الحرب ــ المهزلة ــ الهزيمة ــ بصيص الامـل انطلق من فوهات بنادق المقاتلين ، كاد البصيص ان يتحول الى نار حقيقية تحرق كل البنى المتخلفة من حولها وتشكل خطرا اكيدا علـى الاعداء . كاد الامـل ان يترجم الى

حقيقة . الا انهم حالوا دون ذلك . من؟ هم حلف الاعداء: الامبريالية، الصهيونية . العملاء.

لقد اجهضوا اول محاولة جديـة للنهوض الثوري في المشرق العربي ، كـان يمكن لها ان تتطور الى مجابهة حاسمة مع الامبريالية والصهيونية في المنطقة العربية .

٧ ــ المقاومة ، خطوة ايجابية في تاريخنا المعاصر ، بل هي انبـــل ما قدمه انساننا العربي في هذه الفترة من نضال الامة العربية . تمكنت المقاومة من ان تعيد الثقة الى الانسان العربي . وتمكنت من ممارسة مجموعة من الاعمال المسلحة ضد العدو الصهيوني ، ازعجته واربكته ، حتى ان بعض العمليـات البارزة في العمق شكلت ضربات موفقة لمواقع العدو الهامة . وتمكنت المقاومة ، وبسرعة من اكتساب اصدقاء في العالم اجمع . واتجهت الانظار من كل صوب الى بلادنا ، تسأل عـن الفدائيين ، وحركة المقاومة ، وقضية فلسطين .

لقد ابتدأت المقاومة في لعب دورها الخلاق ، باستعادة المواطن العربـي ثقته بنفسه وبالتصدي للهزيمة بمجابهة العدو .

٨ ــ حزيران ١٩٦٧ ، حولت ــ في بعض الاحيان ــ انساننا الى مقاتل ، حمل السلاح من اجل القضية ، انتظم الآلاف في اكثر مـــن عشر منظمات ، كلها ترفـع شعارات التحرير . وبعد ذلك ، ابتدأ السؤال الكبير يطرح نفسه وبالحاح .. ما هي العقلية السائدة في حركة المقاومة ؟ بألم نقـول ، جاء الجواب ــ بعـد التجربة ــ مخيبا ، فغالبا سادت عقلية العربي المتخلف ، العقلية السابقـة ، المهزومة ، عقلية سقوط حزيران ، ومع ذلك فان المقاومة فتحت الطريق ، ذلك انهـا حملت معها بذورا متناقضة ، بذور الثمار ، وبذور الفناء ، وسارت على الدرب الشائك .

٩ ــ انظمة الهزيمة ، ادركت الواقع ، فاضطرت الى ان تعطي الضوء الاخضر لحركة المقاومة ، وكانت خطوة بارعة من تلك الانظمة التـــي اخفت هزيمتها ــ او حاولت ــ تحت ستار تبني حركة المقاومة .

خلال اعوام ٩٦٨ ــ ٩٦٩ ــ ٩٧٠ كانت المقاومة هي حديث النـــاس في كل مكان : انظمة الحكم ، الاحزاب ، التكتلات ، الاذاعات ، التلفزيونات ، الصحف ، حتى الجمعيات الرياضية والخيرية اصبحت لا تهتم الا بحركة المقاومة .

السلاح بغزارة في ايدي الناس ، المال بكثرة في صناديق معظم المنظمات (١) البيانات العسكرية والسياسية تنهال على المواطن مـــن كل ناحية . الملصقات تملأ شوارع العواصم والمدن العربية ــ «طبعا في كل عاصمة او مدينـة تغلب ملصقات المنظمة الموالية للنظام الحاكم» ــ شعارات براقـة تدغدغ المواطن العربي وتجعلـه يعتقد ان يوم النصر قريب .

١٠ ــ معظم المنظمات، ان لم نقل كلها ، لم تضـع ضابطا محددا لعملية الالتحاق بها . تحت يافطة الدعـوة الواسعة للجماهير للالتحاق بحركة المقاومـة ، التحق بالمنظمات المئات من المتطوعين (٢) . ومن خلال عملية الالتحاق هذه ظهر العجز في

(١) بعض المنظمات كانت تعاني من ازمات مالية حادة .

(٢) كلمة «متطوعين» لا تستعمل هنا بالمعنى الدقيق ، ذلك ان معظم هؤلاء «المتطوعين» لـم يكونوا متطوعين بل كانوا «موظفين» لقاء رواتب وتعويضات غير قليلة .

تقييم المتحققين لفقدان الضابط المحدد لعملية التقييم ، وبذلك انضم الى المقاومة ، مناضلون وطنيـون ، والى جانبهم اعداد غير قليلة مـن الانتهازيين والمشبوهين والمرتزقة (١) .

هؤلاء المشبوهين ، وطنيا ، و / او سياسيا ، و / او اخلاقيا تسربـوا الـى جسم المقاومة ، واصبحوا يشاركون في اعمالها العسكرية والسياسية . هذه نقطة قاتلة اهملت خلال تلك الايام . انها احدى قوائم حصان طروادة الذي ابتدأ ينتصب . حصان طروادة ، الصديق ـ القاتل .

سيل الانتهازيين والمرتزقة استمر ، هؤلاء ساهموا بشكل رئيسي في تشويه حركة المقاومة او في الاساءة اليها . ولكنهم مع ذلك في جسم المقاومة . الصورة ابتدأت تتوضح ولكن بشكل تدريجي . لمن الغلبة ؟ حقيقة مرة !. ايام ايلول ١٩٧٠ ليست بعيدة !!.

١١ ـ الارتزاق السياسي ، ظاهرة سادت في كل الساحة العربية ، بما فيها الساحة الفلسطينية ، هذه الظاهرة توسعت وتعمقت فتحولت الى مرض خطـير ، الى مرض سرطاني ، ابتليت بـه حركة التحرر العربيـة ، ولم تستطع حتى الان معالجته . الانسانية ابتليت بالسرطان ، ولم تصل بعد لمعالجة هذا المرض الخطير ، ونحن لم نصل بعد الى معالجة سرطاننا الخاص «الارتزاق السياسي» .

ولكن العلم سيقدم حتما الدواء الناجع لمرض السرطان ، وكذلك نضـال الجماهير العربية ، فانـه سيقدم حتما الدواء الناجع للارتزاق السياسي «للعهر السياسي» . ستكون المعالجة حاسمة ، لانها ستكون ثورية .

اما آن لنا ان نتحرر من العقلية الانتهازية ، النفعية ، الانانية ، الوصولية ، الجشعة ، الكاذبة ، المراوغة ، المزاودة ؟ الواقع يعلن اننا لم نتحرر من ذلك ، ولكن المستقبل يجب ان يعلن العكس .

١٢ ـ التمزق العربي ، انسحب الى الساحة الفلسطينية . عشرات المنظمات والكتل والتجمعات (٢) كلها تتحدث عن التحرير ، ومعظمها حمل السلاح وانشأ القواعد ، ومارس العمل المسلح من خـلال عمليات مختلفة ، تتفاوت في الاهمية والتأثير .

---

(١) مرتزقة ، مع تطوير للمعنى الاوربي . المرتزق الاوربي ، مقاتل يجيد استعمال السلاح ويقـدم الخدمات لمن يطلبها لقاء تعويض مالي ضخم ، اي يحركه حافز واحد : **مالي** . نحن العرب ، اعطينا للمرتزقة معنى متطورا ، المرتزقة عندنا يدفعهم الى تقديم خدماتهم حافزان ـ على الاقل نظريا ـ **سياسي ومالي** ، مع انهم غالبا ، لا يجيدون حتى استعمال السلاح ، لكنهم يجيدون استعمال السنتهم ! معظمهم يتحدث عن حركة التحرير والقضية المصيرية والحرب طويلة الامد، ولكنهم في الكواليس والمكاتب يتحدثون عن الرواتب والتعويضات ، والسيارة ، وبالنسبـة للبعض ، رحلة اوربية . انها فرصة العمر !!.

(٢) بعض التقديرات كانت تقول بوجود ٣٠ـ٤٠ منظمة ، حزب ، وجبهة ، وعصبة ، وتكتـل ، وتجمع ، وفئة تعمل في الساحة الفلسطينية ، وبعضهم زاد الرقم اكثر من ذلك .

السؤال الذي يطرح نفسه وبالحاح : لماذا هذا التعدد في المنظمات ؟ تبحث عن الجواب ، وتبقى حائرا ، لان جميع الاجوبة التي قدمت لم تفط السـؤال ـ المشكلة .

تجاوزا ، نفهم ان يكون في الساحة منظمتين او ثلاث مثلا ، ونفهم ان تعبر كل من تلك المنظمات عن وجهة نظر سياسية وعسكرية معينـة ، وبالتالي تكـون تعبيرا عن التقسيم الطبقي في المجتمع ، اما ان يكـون في الساحة **عدة** منظمات محسوبة لليسار ، **وعدة** منظمات محسوبة لليمين **وعدة** منظمات في موقع الوسط، منظمات سرية ، ونصف سرية ، وعلنية ، مسلحة ، وغير مسلحـة ، بجمهور وبلا جمهور ، هذا امر مستهجن .. واكثر من ذلك ، ان هذه المنظمات لم تصل الـى صيغة مناسبة للجبهة الوطنية .

ان التشرذم يقلل من فعالية المقاومة ، ويصيبها بالشلل ، ويغرقها في بحر من المشاكل الجزئية والصغيرة التي لا يمكن الا ان تعرقل مهمة المقاومة (١) والنضال من اجل التحرير . وهذا ما حدث .

١٣ ـ يزول العجب بمعرفة السبب . التدخل العربي التعسفي ، يمكـن ان يكون عنوانا رئيسيا لمناقشة حالة التمزق .

كل نظام عربي ، تبنى منظمة او دعمها . وفي بعض الحالات فان نظاما ما دعم اكثر من منظمة في آن واحد . النظام الذي لم يجد منظمة يدعمهـا اوجد منظمة خاصة . وهناك منظمات ارتبطت في آن واحد باكثر من نظـام ، واصبح الوضع كالتالـي :

ـ منظمة او اكثر ، لنظام .
ـ منظمة ، لاكثر من نظام .
ـ منظمة او اكثر ، ليست لنظام ، ولكنها صديقة لنظام .
ـ منظمة او اكثر ، ليست لنظام ولكنها صديقة لاكثر من نظام .

امراض العمل السياسي العربي ، انتقلت الى العمل السياسي ـ العسكري الفلسطيني . كان يجب ان تكون حركة المقاومة محصنة ضد هـذه الامراض ، لان هذه الامراض من نتاج التخلف وحركة المقاومـة ، كحركة تحرر وطنـي ، ثورية ومسلحة يجب ان تتجاوز التخلف ، وابتدأت ذلك فعلا بحمل السلاح ، غير انـه تبين انها لم تتخلص من امراض التخلف . بقيت مريضة ، اذن هي لا تزال ضمن حلقة التخلف . هذا ليس حكما ، ولكنه الواقع . نتيجـة ذلك ، الانظمة العربية ـ انظمة حزيران ـ احتوت حركة المقاومة وبطريقة «ودية» .

١٤ ـ محاولة الانظمة العربية ، لتبني واقامت المنظمات ، لاقت تجاوبا في الساحة الفلسطينية لدى اوساط متعددة : المتطلعون الى الزعامة . المحترفون من

---

(١) في بعض الحالات ، وصلت الامور الى درجة المجابهة المسلحة فيما بين بعض منظمات المقاومة ، عدد من رجال المقاومة سقطوا برصاص المقاومة .. برافو ، لقد اصبحنا على ابواب تل ابيب..

سياسيين وعسكريين . بقايا الاحزاب والفئات ، الانتهازيون ، المرتزقة ، المناضلون الوطنيون .

الانظمة ، خاطبت كل هؤلاء ، وباللغة التي يتقنها كل منهم ، وباللهجة التي يرغبون فيها ، وحدث ما ارادت . امتلأت الساحة الفلسطينية بالمنظمات واشباه المنظمات . وهكذا انتصبت قائمة اخرى من قوائم حصان طروادة ، الصديق — القاتل .

١٥ — الاحتواء العربي — الحكومي — لحركة المقاومة ، اخذ اشكالا مختلفة . نظام يقدم السلاح ويفرض شروط . نظام يقدم المال ويفرض شروط . نظام يقدم قواعد ويفرض شروط . نظام يدرب مقاتلين ويفرض شروط . نظام يقدم الحماية والرعاية ويفرض شروط . نظام يقدم اجهزة الاعلام ويفرض شروط . بعض الانظمة قدمت كل هذه المساعدات ، وبعض الانظمة قدمت بعضها . بعض المنظمات تلقت كل هذه المساعدات ، وبعض المنظمات تلقت بعضها . تلاقت المساعدات، وتصادمت وتلاقت الشروط ، وتناقضت . تداخلت الامور ببعضها ، واصبحت خريطة المقاومة اشبه بصور لمجموعة ارخبيلات !!. او بصورة اخرى ، وكأنك في محطة للقطارات في احدى المدن الاوروبية الكبرى ، جميع الخطوط تلتقي في **المحطة** ، تتعارض ، تتقاطع ، وعندما ترغب في متابعة خط ما تراه فجأة قد اندمج مع خط آخر او تلاشى . كل ذلك حدث دون صفارة انذار .

١٦ — هذا التحمس العربي — الحكومي — لحركة المقاومة ، ماذا كان الدافع اليه ؟ لتوضيح ذلك تجتمع عدة عوامل : اولا : الانظمة بحاجة الى المقاومة لتغطية عجزها وهزيمتها . وثانيا : ادركت الانظمة ان الجماهير تثق بالمقاومة اكثر من ثقتها بالانظمة . وثالثا : حتى تبقى المقاومة في قبضة الانظمة ، وتحت سيطرتها . توجهها ، وتحد من فعاليتها . ورابعا : حتى يكون في الساحة العربية فئة اكثر تطرفا من الانظمة الموافقة على التسوية السلمية ، وبذلك تتمكن الانظمة من التحرك كموقف معتدل . وخامسا : وفي هذه النقطة تكمن خطورة من نوع خاص ، ان الانظمة تدرك ان نمو المقاومة واتساعها ، وتغلغلها بين الشعب ، وتسليح الجمهور يشكل في المستقبل خطرا على هذه الانظمة ، ذلك ان الشعب ، **المنظم والمسلح ،** تتفجر فيه الينابيع الثورية ويتحرك بعنف من اجل اهدافه .

ادركت الانظمة كل هذه الامور ، فسارعت وبمقدمات مختلفة ، وتحت عناوين متعددة ، لتحتوي حركة المقاومة . بمرارة نقول : لقد نجحت الانظمة فيما ارادت الى حد بعيد .

١٧ — من ضخم — اعلاميا — حجم حركة المقاومة اكثر من الحقيقة بكثير ؟ من سمح للمقاومة بالخروج عن اهدافها احيانا ؟ من اغدق المال على بعض المنظمات لتعيش بعض قيادات المقاومة في حالة غريبة من الترف «النضالي» ؟ من اجاز للمقاومة ان تكذب على المواطنين احيانا بالمبالغة ، او الاختلاق ، في بياناتها عن الانتصارات العسكرية ؟ من ساهم في تمزيق المقاومة ؟ من اثار الفرقة بين المنظمات؟ ومن حاول ايهام المواطن العربي بان حركة المقاومة قد تنامت وتصاعدت الى مستوى

عال بحيث اصبحت قادرة على مجابهة اسرائيل بشكل مباشر ؟ من ومن ومن ومن ....؟؟؟

نحن نقول — **نظريا** — انها مسؤولية اليسار اولا ، ومسؤولية العقلية التي سادت حركة المقاومة ثانيا ، ومسؤولية الانظمة العربية ثالثا . ولكن ، **عمليا** اذا اردنا ترتيب المسؤولية فاننا سنعكس ما ذكرنا لنقول انها اولا مسؤولية الانظمة ، وثانيا مسؤولية العقلية ، وثالثا مسؤولية اليسار .

هذا الترتيب ليس محاولة لتقليل مسؤولية اليسار ، بالعكس ، فنظريا المسؤولية الكبرى تقع على عاتقه وحده دون غيره ، ولكن عمليا ، الصورة تختلف ، الادوار العملية كانت لغير اليسار ومن هنا جاءت مسؤولية الانظمة قبل الاخرين .

١٨ — ما هو الخط الفكري — النظري لحركة المقاومة ؟ سؤال طالما طرح وبالحاح على حركة المقاومة ، وكان الجواب يأتي دائما سلبيا او مبتورا . طغى على المقاومة شعارات من معنى : «ما لنا وللفكر الان» (نحن حملة سلاح) (معركتنا وطنية وليست بحاجة الى خط نظري) (كل البنادق باتجاه العدو) (البحث عن نظرية للمقاومة الهاء لها عن دورها الاساسي في حركة التحرير) . هذه عينات من الاجابات السلبية التي كان يرددها خصوم نظرية — المقاومة . اما اصدقاء نظرية — المقاومة ، فقد كانوا يتحدثون عن النظرية ، وعن الفكر ، وعن الوضوح الايديولوجي لحركة المقاومة . لكن حديثهم كان جامدا ، غير واضح ، وفي بعض الاحيان كان شعارات ضخمة لا يمكن لواقع حركة المقاومة احتمالها .

النتيجة : بقيت المقاومة بدون خط نظري واضح واستمر الضياع .

١٩ — الخط النظري ، هو مرشد العمل ، هو النظرية الثورية للحركة الثورية. بدون مرشد العمل تتخبط الحركة ، وتتبعثر الممارسات ، وتضيع الضوابط ، وتختلط الامور . النظرية ، هي المعين الاساسي لضمان السير الصحيح في الطريق الصحيح . فلا يمكن لاية حركة ثورية في العالم ان تتغير ان لم تكن واضحة نظريا ، ومن ثم تكون ممارستها العملية منسجمة مع منطلقاتها النظرية . تحديد الهدف ، وتحليل المجتمع ، ودراسة اسلوب العمل ، وتحديد الاصدقاء ، والاعداء ، والتخطيط التكتيكي والاستراتيجي ، كل هذه الامور لا يمكن وضعها في نصابها بدون النظرية . نعم ، **فلا حركة ثورية بدون نظرية ثورية .** هذه تجربة الانسانية تقدمها لنا ، فلماذا لا نستفيد منها ؟ ام انها التجريبية المسيطرة على العقلية العربية ، حيث لا بد من الفشل حتى نتعلم . المسألة المطروحة : لقد فشلنا . فهل تعلمنا ؟؟.

٢٠ — العنف ، بدون وضوح نظري يتحول الى اعمال عصابات ، او الى عمل دموي او انتحاري . ولكن العنف مع النظرية الثورية يتحول الى حرب الشعب الثورية ، الحرب المنتصرة . وحتى في حالات الانتكاس العسكري تبقى النظرية المعين الذي يدفع الامور الى الامام في طريقها الصحيح .

هذه الحقيقة ، حاولت معظم فصائل المقاومة القفز من فوقها ، فسقطت .

٢١ — هنا ، اجد نفسي متفقا تماما مع رأي العفيف الاخضر بصدد دور

النظرية حين يقول ان «نهوض الحركة الثورية العربية المنظمة لا يمكن ان يكون دائما الا بقدر ما يستمد قوته من مشروع نظري يساعده على تعميق اسبابه ، تنظيم وسائله والبلورة المتواصلة للهدف النهائي لنضاله» (١) .

٢٢ ـ فصائل اليسار ، يسار المقاومة ، طرحت قضية النظرية . ورفعت معظم هذه الفصائل راية الماركسية ـ اللينينية . لا شك ان هذا الاعلان النظري قد ساهم جزئيا في ضرب الطوق المضروب حول الماركسية . ولكن هذا الاعلان كان جامدا ، وفي كثير من الاحيان جارحا . اصبح المهم ترديد عبارة الماركسية في الوقت الذي تكون فيه الممارسة برجوازية صغيرة ـ اصلاحية ـ توفيقية . في كل البيانات والملصقات الحديث عن الماركسية كمرشد عمل ، وبالنتيجة معظم المواقف غير ماركسية ، غير بروليتارية . هذه الفصائل وقعت في التناقض ، تريد ان تتجاوز حالة الانحطاط التي تعيشها المقاومة فتقع في ازمات الطفولة اليسارية . فكانت الحلقة المفرغة . وكان الجمود والانتقائية والتحريفية . والماركسية ضد الجمود، والماركسية ضد الانتقائية، والماركسية ضد التحريفية. فجاءت ممارسات هذا اليسار ، غير ماركسية ، غير لينينية . اللينيني الحقيقي ، هو الذي يعرف كيف يوفق بين النظرية والممارسة ، واللينيني الحقيقي ، هو الذي يفهم واقعه ويتحرك من خلال هذا الفهم لتجاوز الواقع ، لا للقفز فوق الواقع . القفز يؤدي الى السقوط .

٢٣ ـ النظرية التي سترشدنا الى النصر هي النظرية الثورية للطبقة العاملة : الماركسية ـ اللينينية . يجب ان نستوعب هذه النظرية بشكل ايجابي وعلى ضوء معطيات الواقع العربي . المطلوب ، فهم الواقع من خلال تحليل ماركسي بعيد عن الجمود والانتقائية والكيفية . بذلك تكون البداية الصحيحة للطريق الطويل المؤدي الى النصر .

٢٤ ـ قيادات المقاومة لم تتمتع بدرجة كافية من النضج السياسي . هذا واقع . وهذا ما اكدته الاحداث . الضحالة السياسية لا يمكن ان تقود حركة ثورية الى النصر ، بل تقود الحركة الى المواقف الخاطئة ، والممارسات الخاطئة . شيء من الصواب وكثير من الخطأ . **خطوة** الى اليسار و**خطوات** الى اليمين . وفي النتيجة: **نصف خطوة** الى الامام و**ثلاث خطوات** الى الوراء . عذرا من لينين . هذا هو الواقع العربي .

٢٥ ـ يسار المقاومة ، ايضا ، لم يتمتع بدرجة كافية من النضج السياسي . المطلوب ليس دهاقنة في السياسة ، ولكن المطلوب الانسان + المقاتل + السياسي، الذي يعرف متى يطلق الرصاصة ومتى يطلق الكلمة ، كيف يتحالف ، ومع من ؟ كيف يجعل التناقض الرئيسي هو السائد في ساحة المعركة ، ويحاول جاهدا تغليبه

---

(١) العفيف الاخضر ـ بعد المذبحة ما العمل ؟ (دراسات عربية عدد ٦ نيسان ١٩٧١ ص ٦٧ـ٦٨) . مع الاشارة الى اني اتحفظ تجاه بعض القضايا التي يطرحها العفيف .

على التناقض الثانوي . النضج السياسي ، توجهه النظرية ، وتكشفه الممارسة . الواقع يعلن غياب النظرية وخطأ الممارسة . اذن : اين النضج السياسي ؟.

٢٦ ـ وجود المقاومة ، تم بشكل اساسي في الاردن وسوريا ولبنان ، وبشكل جزئي في اقطار اخرى ، **وبشكل محدود في الارض العربية المحتلة** . اعتمدت المقاومة على القواعد خارج الارض المحتلة ، وبالتالي اعتمدت اساسا على الانسان خارج الارض المحتلة . لم تتمكن المقاومة من نقل نشاطها الرئيسي الى عمق الاراضي المحتلة ، وفي الحد الادنى الى الضفة الغربية من نهر الاردن . المقاومة الحقيقية هي التي تعمل في الداخل ، وهذه المقاومة هي التي تتمكن من احراز تقدم عسكري وسياسي ، اما المقاومة التي تنطلق من الخارج فتتحول عملياتها الى غارات ذات اثر محدود .

لو امكن تنظيم الشعب في الارض المحتلة ، لاصبح بالامكان تحقيق انتصارات كبيرة ، ولامكن تجنيب اخطاء كثيرة . ان هجرة المقاومة الى خارج ارض الاحتلال تحمل معها هجرة من ساحة النضال اليومي . **الهجرة الى الخارج هي هجرة من المقاومة** .

٢٧ ـ غزة ، تقدم لحنا خاصا «نشازا» ولكنه اللحن الصحيح . المقاومة في غزة ، كانت ولا زالت في الداخل . لذلك نجحت الى حد بعيد في عملها فازعجت العدو واربكته . وتمكنت مقاومة غزة من الاستمرار والصمود والتصاعد . غزة . تستصرخ الانسان العربي ، فمقاومة غزة بحاجة الى دعم سياسي وعسكري ومالي وحتى اعلامي . الانظار تتجه الى غزة ، انها البؤرة الصامدة .

٢٨ ـ عسكريا ، معظم عمليات المقاومة تمت في غزة والضفة الغربية وهضبة الجولان . قليلة هي العمليات التي تمت في العمق . داخل «اسرائيل» . هذه نقطة هامة ، فكلما كانت العملية في العمق ـ (داخل الاراضي المحتلة عام ١٩٤٨) ـ فانها تعطي نتائج افضل ، يضاف الى ذلك انه كان يجب التركيز على المواقع الاستراتيجية العسكرية والاقتصادية للعدو ، وذلك للحصول على نتائج افضل .

٢٩ ـ الوحدة الوطنية ، قانون اساسي لاي حركة تحرر وطني في العالم . في المعركة الوطنية يجب حشد اوسع القوى الوطنية والاستفادة من كل الامكانيات المتاحة لمجابهة العدو . في المعركة الوطنية ، الاغلبية الساحقة من الشعب يجب ان تدخل المعركة ، ذلك انه لا يستبعد من الوحدة الوطنية سوى اعداء الشعب من عملاء وجواسيس .

معركتنا في فلسطين هي معركة **قومية وتقدمية** ، ذلك ان معسكر الاعداء يضم **الصهيونية والامبريالية العالمية** . وفي المقابل فان المعسكر الوطني يضم جميع ابناء الشعب المعادين للصهيونية والامبريالية . وهكذا يستبعد من المعسكر الوطني ، عملاء الصهيونية وحلفاء الامبريالية ، اذن : المعسكر الوطني ، معسكر عريض يضم اوسع الجماهير التي تقاتل من اجل قضية الوطن والتقدم .

٣٠ ـ في الساحة الفلسطينية ، تعددت فصائل المقاومة ، ومع ادانة هذا التعدد ، غير انه يجب معالجة هذا الواقع . الرد الايجابي على ذلك هو تحقيق الوحدة الوطنية بين فصائل المقاومة ، وافضل صيغة لذلك هي قيام الجبهة الوطنية التي تضم كل القوى والعناصر الوطنية التي تلتقي حول **ميثاق العمل الوطني وبرنامج** واضح يتضمن الحد الممكن الاتفاق عليه بين الفئات المتعددة خلال المرحلة . هذا هو الطريق الصحيح لحشد اوسع القوى للمعركة . **فلا حالة التشرذم** تخدم قضية الوطن ، ولا اسلوب **الدمج القسري** يمكن ان يخدم قضية الوطن .

الموقف الصحيح يتلخص بادانة تعدد الفصائل ، وادانة اسلوب الدمج القسري، وبالمقابل النضال الجاد من اجل الصيغة الايجابية لتحقيق التحالف الوطني .

٣١ ـ جميع فصائل المقاومة ، رفعت شعار الوحدة الوطنية ، وكلها اصدرت البيانات بهذا الخصوص مع التأكيد على الضرورة المصيرية لتحقيق الوحدة الوطنية ، الجميع تحدث عن وجوب الابتعاد عن السلبيات ونبذ النظرة الحزبية الضيقة ومعالجة القضية بأفق وطني متفتح . هذا كلام جميل ، سمعناه من الجميع ، ولكن ما هو مدى مطابقة هذا الكلام مع الممارسة العملية ؟

بأسف ومرارة نقول ، ان الموقف العملي كان شيئا آخر ، بل وحتى مناقضا للموقف النظري ، غالبا كانت السلبيات تقفز فوق الايجابيات ، وغالبا كانت النظرة الفئوية تغلب على النظرة الوطنية ، وبقي الحديث عن الجبهة الوطنية ، مقترنا بالحديث عن المواقع القيادية في الجبهة ، لمن تكون ؟ ودور المنظمة القائدة !! والتكافؤ بين المنظمات !. باختصار : الانانية الحزبية ، والفردية العربية ، طغتا على الواجب الوطني ، وهكذا تعثرت الجهود لقيام الجبهة الوطنية ، وبقي العمل الوطني مبعثرا ، غير منسق فاصبح ذو فعالية اقل (١) .

٣٢ ـ ان الحفاظ على المقاومة ، وضمان استمرارها ، وتصاعدها . يكمن اساسا في **الظروف الذاتية لحركة المقاومة** . هذه الظروف التي تقتضي ، وبالضرورة ، تحقيق جبهة وطنية لتنطلق كل فصائل المقاومة في نضالها ضمن البرنامج المتفق عليه . هذه الحقيقة يجب ان يستوعبها اليسار قبل غيره ، ويجب ان يناضل من اجلها اكثر من غيره .

اليساري ، هو الذي يفهم طبيعة مرحلة التحرر الوطني ذات الافق التقدمي ، وطبيعة هذه المرحلة تقتضي تحقيق الجبهة الوطنية . يسار المقاومة طرح قضية الجبهة ، وعمل من اجلها ، ولكن ليس بالمستوى المطلوب . كان على يسار المقاومة ان يعمل ويضغط ، ويحاور ، ويقدم كل التنازلات الممكنة والتسهيلات الضرورية لقيام الجبهة . ذلك ان استمرار المقاومة مرهون بعدة شروط في مقدمتها تحقيق الجبهة الوطنية .

٣٣ ـ بشكل عام لا يمكن اعتبار يسار المقاومة مسؤولا عن عدم قيام الجبهة

---

(١) هناك بحث جيد عن «مشكلات قيام جبهة وطنية فلسطينية» كتبه الدكتور سعد الدين ابراهيم ونشرته «دراسات عربية» عدد ٦ نيسان ١٩٧١ .

ولكن من موقع يساري يمكن القول انها مسؤولية اليسار ، ذلك ان المطلوب من اليسار هو غير المطلوب من الآخرين . اننا نعتبر ان اليسار يجب ان يكون على مستوى القضية ، وان على اليسار تفهم ظروف المرحلة وان على اليسار تجاوز العقلية المتخلفة المحدودة من اجل تحقيق الاهداف الكبرى للجماهير . من هذه المنطلقات نقول انها مسؤولية يسار المقاومة . ولكن الادانة العملية في هذا الصدد هي لمنظمات اليمين ، ذلك ان يمين المقاومة بقي يثير العراقيل ويضع الشروط الصعبة ليعرقل تحقيق الجبهة مضحيا بهذا المطلب الوطني الهام لخدمة مصالحة الفئوية .

٣٤ ـ اليسار ، لا يجوز ان يكون خائفا من الجبهة ، ولا يجوز ان يخشى من الاحتواء داخل الأطر الجبهوية . اليسار الحقيقي هو الذي يحقق الجبهة ولو لم يكن المركز القيادي في الجبهة له بحكم ظروف واعتبارات تاريخية ، ذلك ان اليسار من خلال ممارساته ومواقفه سيكسب الجماهير والمقاتلين وستزداد اهميته في الجبهة الى ان يصل الى مرحلة يقود فيها الجبهة بفهم وطني وافق يساري .

من هنا نقول انه كان من واجب يسار المقاومة بذل جهود اعظم لتحقيق الجبهة الوطنية ولو اضطره ذلك الى تقديم تنازلات تكتيكية ، لان المهم هو قيام الجبهة ضمن برنامج الحد الادنى ، وفي النتيجة سيقود الجبهة التيار الوطني المستوعب للمهمات النضالية ، ولظروف الحركة ، التيار الذي يلتصق بالجماهير ويعبر عن امانيها بالممارسة العملية ، التيار الذي يضحي اكثر مما يتكلم ، ويخدم الفكرة الاساسية للمقاومة اكثر مما يحقق مكاسب ذاتية . ذلك التيار ، **حتما** ، هو التيار اليساري . هذه الحتمية تنطلق من كون اليسار هو المؤهل للاضطلاع بمهمة التحرر الوطني بافق تقدمي .

لكن اي شيء من هذا لا يتم اذا لم يكن اليسار الذي نتحدث عنه يسارا حقيقيا ، في فكره وفهمه وتنظيمه وممارساته . فهل كان يسار المقاومة ، يسارا حقيقيا ؟

٣٥ ـ ان الاقرار بضرورة قيام تحالف وطني واسع لخوض معركة التحرير الوطني يترتب عنه ، ان عدة طبقات ستشارك في هذا التحالف الواسع . كل الطبقات الوطنية لها دور في هذا التحالف ، ولا تستبعد الا الطبقات والفئات المرتبطة بمعسكر الاعداء ارتباطا مباشرا او موضوعيا . غير ان الطبقات الوطنية ليست مؤهلة كلها لقيادة المعركة ، لان معركة التحرر الوطني تتداخل مع حركة التقدم الاجتماعي ، ولان معسكر الاعداء يضم الصهيونية والامبريالية والرجعية العميلة ، لذلك فان اخلص الطبقات التي يمكنها خوض المعركة الى النهاية هي الطبقة العاملة .

٣٦ ـ عام ١٩٤٨ انهزمت الانظمة العربية امام العصابات الصهيونية ، فكان ذلك اعلانا عن سقوط الانظمة الاقطاعية شبه البرجوازية **نظريا** ، وان كانت تلك الانظمة قد استمرت **عمليا** .

عام ١٩٦٧ انهزمت الانظمة العربية امام الكتائب الصهيونية فكان ذلك اعلانا عن سقوط الانظمة السابقة + انظمة البرجوازية الصغيرة ، **نظريا** ، وان كانت تلك

الانظمة لا تزال مستمرة **عمليا** .

المقاومة الفلسطينية لم تصمد كما يبدو امام محاولات سحقها ، ذلك ان المقاومة ايضا سيطرت عليها البرجوازية الصغيرة التي سقطت **نظريا** في حرب ١٩٦٧، وان كانت ستبقى مستمرة **عمليا** الى اجل غير مسمى . اذن من يصمد ؟ ومن يحقق النصر ؟ الجواب واضح وصريح : الطبقة العاملة .

نظريا ، لا يمكن تحقيق نصر كامل وحقيقي الا **بقيادة الطبقة العاملة . وعمليا** ، لا يمكن وفق الظروف والمعطيات الراهنة تحقيق ذلك الا **بتبني فكر الطبقة العاملة** والاخلاص له خلال المسيرة النضالية .

٣٧ – اين هي الطبقة العاملة العربية اليوم ؟ ان حجمها ولا ريب محدود ، وبالتالي فان دورها في النضال العربي لا يزال محدودا بحكم هذا الحجم ، يضاف الى ذلك انها لم تتبلور حتى الان في حزب سياسي حقيقي ، ماركسي – لينيني ، ثوري ، رغم كل المحاولات التي جرت .

مع كل هذا فان الطبقة العاملة هي التي ستصمد ، وواقعيا فان فكر الطبقة العاملة هو الذي سيصمد ويحقق النصر . وكلما تسلحت المقاومة – كحركة تحرر وطني بافق تقدمي – بفكر الطبقة العاملة امكنها مواصلة النضال على طريق اسقاط الكيان الصهيوني ودحر الامبريالية .

٣٨ – لم تتحقق الجبهة الوطنية ، واستمرت حالة التشرذم وبقيت الفصائل متباعدة ، واحيانا متناحرة ، وجاءت المواقف متناقضة ، هذا الواقع سهل لمعسكر الاعداء الانقضاض على المقاومة . انها مسؤولية معسكر الاصدقاء .

٣٩ – لم تتحقق الجبهة لان الفكر الذي ساد حركة المقاومة هو الفكر البرجوازي الصغير ، هذا الفكر الذي يتحول في ممارساته العملية الى صيغ انتهازية ، انانية ، تحت غلاف من المزاودة الكلامية . هذا الفكر وبهذه الممارسات لا يمكن ان يضحي بشيء ، وبالتالي فليس من مصلحته قيام جبهة وطنية . هذا الواقع في الساحة الفلسطينية هو تكرار لما حدث ويحدث في اقطار عربية متعددة . الجبهة الوطنية تتعثر هنا وهناك بسبب الفكر السائد ، فكر البرجوازية الصغيرة ، والمصالح الضيقة والمكاسب الآنية .

٤٠ – شعار «عدم التدخل في الاوضاع العربية» ، رفعته معظم فصائل المقاومة ، وبررته ، ودافعت عنه . هذا الشعار كان ولا يزال احد الشعارات الاساسية الخاطئة والسلبية التي رفعتها المقاومة .

يجب فهم القضية بافق واسع ، وبعيدا عن الاقليمية . حركة المقاومة الفلسطينية ، حركة تحرر وطني وجزء من حركة التحرر العربية ، جزء عضوي ، اساسي ، ذلك ان حركة التحرر العربي ، حركة متفاعلة مترابطة ، متكاملة . حركة التحرر الفلسطينية ، بشكل خاص ، لا يمكن باي حال من الاحوال الا ان تكون حركة تحرر عربية ، لانه بدون تعريب الحركة ، فان الحركة ستفقد الاكسجين اللازم لها للحياة ، ستذبل وتموت .

٤١ – اذن فان شعار عدم التدخل في الاوضاع العربية هو شعار خاطىء ،

لانه في النهاية يعني عدم التدخل في الاوضاع الفلسطينية من قبل حركة التحرر العربية – الفلسطينية .

من واجب المقاومة ، ان تتدخل في الاوضاع العربية بالقدر الذي يخدم قضية المقاومة ، وبالتالي فانه من حق المقاومة بل انه لزاما عليها ان تنقد الاوضاع العربية من خلال مواقفها من القضية الفلسطينية وحركة المقاومة .

هذا الكلام ليس دعوة لحركة المقاومة للتدخل في كل صغيرة وكبيرة في الاوضاع العربية ، ولكن لا يجوز للمقاومة السكوت عن ما يجري على الارض العربية. لكن ، من سيمارس ذلك ؟ منظمات – الانظمة !

٤٢ – البعض قال ، هل تريدون من حركة المقاومة ان تنوب عن نضالات الجماهير في كل قطر ؟ الرد على هذا واضح . هذا ليس مطلوبا ، في الوقت الذي لا يمكن دعوة حركة التحرر في اي قطر لتنوب عن حركة المقاومة .

ولكنها العلاقة المصيرية ، المتبادلة ، ما بين حركات التحرر في كل الاقطار العربية . انتصار احدى الحركات انتصار للامة العربية ، وفشل احدى الحركات انتكاس يؤثر على الامة العربية . نعم ، ايها السادة ، انها العلاقة القومية – الجدلية.

٤٣ – حركة المقاومة ، ارادت ان تكون علاقتها العربية مع الانظمة ، والحكومات . هنا تكمن الخطورة . علاقة المقاومة يجب ان تكون مع الشعب . مع الجماهير . مع الاحزاب والفئات الوطنية التقدمية . مع الفصائل الثورية . هذا ما لم تفعله المقاومة ، فكان ذلك احد الاسباب التي سهلت الانقضاض على حركة المقاومة . ان حركة المقاومة ارتبطت بالجماهير العربية عاطفيا ولم ترتبط بالجماهير العربية ماديا . بقيت علاقتها مع الشعوب العربية تمر عبر الانظمة ، وبالقدر الذي تسمح به الانظمة ، وبالدرجة التي لا تغضب الانظمة . فكان هذا الموقف احدى الخطايا المميتة . ذلك انه في اللحظات الحاسمة كانت الجماهير بعيدة ، وسقطت المقاومة تحت ضربات الانظمة . تلك الانظمة التي تعلم يقينا ان استمرار النضال الثوري للمقاومة يشكل في النتيجة خطرا محدقا بها .

٤٤ – كانت المقاومة ، تلجأ الى الجماهير العربية ، لجمع التبرعات وتوزيع البيانات . لم تتجاوز هذا الموقف الى موقف عملي ثوري .

الجماهير العربية هي رئة حركة المقاومة ، من خلالها تتنفس وبالتالي تعيش . هذه حقيقة اكيدة لا مبالغة فيها . الموقف النضالي يفرض هذه الحقيقة ، فكان على المقاومة ان تستوعب هذا الموقف بفهم ايجابي وعملي .

يوم انقضت الرجعية العميلة في الاردن على حركة المقاومة بدعم او سكوت من الانظمة العربية ، انكشفت الحقيقة بشكل اوضح . كانت الجماهير بعيدة عن المقاومة، لان علاقة المقاومة كانت مع الانظمة ، والانظمة قررت الانتهاء من المقاومة ، وفي احسن الحالات احتواء المقاومة تحت قبضتها . كانت علاقة المقاومة بالجماهير العربية عاطفية ، اعلامية ، فجاء دعم الجماهير للمقاومة يوم محنتها ، عاطفيا واعلاميا .

٤٥ – اين هو موقع اليسار العربي في حركة المقاومة الفلسطينية ؟ ما هو دور هذا اليسار ؟ ماذا قدم ؟ الفهم الصحيح يعلن انه على اليسار العربي ان يكون في

قلب المقاومة ، عمليا ، كان اليسار على هامش حركة المقاومة، هذا اذا تمكن من ان يكون على الهامش ، لانه في معظم الاحيان لم يتمكن من ذلك حتى !. اجزاء محدودة من اليسار العربي شاركت المقاومة نضالها ، هذا واقع يجب الاعتراف به للحقيقة والتاريخ. لكن هذه الاجزاء البسيطة لم تستطع ان تدفع الامور في الاتجاه الصحيح.

اليسار العربي ، كان يؤيد المقاومة ، وهو في المقاهي والبارات ، وفي افضل الحالات كان يعلن هذا التأييد على صفحات الجرائد او في بيانات سياسية ، لقد بقي اليسار بعيدا عن ارض **معركته** . انه اليسار العاجز !!

٤٦ ــ المقاومة ، جاءت صفعة لليسار العربي ، لعقليته ، لممارساته ، لاسلوبه في العمل . مع ذلك فان الصفعة لم تترك اثرا يذكر . تجد تجمعات اليسار تناقش قضية المقاومة بحماس ، وتعلن التأييد ، ثم لا تلبث ان تنتقل الى تعداد الاخطاء والسلبيات ، وتخلص من كل ذلك الى نتيجة تتلخص بالهروب . كأن لسان حال اليسار يردد «نحن نقدم النصائح والارشادات ، وننبه الى الاخطاء والسلبيات ، وننتظر منكم ــ ايها المقاومون ــ ان تسيروا في الطريق القويم ، وعندئذ سنناقش امكانية الالتحاق بكم» . انه اليسار البائس الذي ينتظر ان تقدم له الثورة على طبق من ذهب .

٤٧ ــ اليسار العربي ، لا يزال في اغلبيته يتشكل من المثقفين والمتعلمين ، وجيرار شاليان يتحدث عن هؤلاء في معرض حديثه عن الجبهة الشعبية الديمقراطية. فيقول «... يتعلق تطورها ، الى حد ما ، بالدعم الذي توفره لها العناصر الثورية من المثقفين العرب ــ الذين للاسف مقصرين ، ويفضل اغلبهم الانتظار الى ان تنتصر الجبهة بمفردها على صعوبات الساعة كيلا يلتحقوا بها الا اذا نجحت بذلك او يخلصوا اذا لم تنجح ، الى ان المخاطرة لم تكن تستحق العناء ، وربما يستنتج يوما ان قلائل هم المثقفون «بالمعنى الواسع للكلمة ويستثنى المثقفون الهنود» او الثوريون الوطنيون الذي فشلوا في مهمتهم التاريخية كما فشل المثقفون في البلدان العربية . عندما لا يؤدي الابهام والغموض الى طريق مسدود ، يستخدم الجدل اللفظي كمهرب» (١) .

٤٨ ــ هذا الكلام لانسان اوروبي . اكتشف الحقيقة خلال زمن قصير ، واصاب . استنتاجه دقيق ، في مكانه . لا ارغب في التعليق على رأيه ، فهو واضح وصريح الى درجة كافية . «اهلا بالاصدقاء الهنود» .

٤٩ ــ اليسار العربي ، يعيش ازمته . ازمة الحركة السياسية اليسارية العربية . انها ازمة خانقة وعلى امتداد الوطن العربي . لكنها تبرز بوضوح وقوة في المشرق العربي . جاءت المقاومة ، فكان بامكان اليسار ان يتخطى مواقعه السابقة الى موقع متقدم مع حركة المقاومة ، ذلك كان سيكون لصالح المقاومة ولصالح

---

(١) جيرار شاليان «المقاومة الفلسطينية» ترجمة صباح كنعان ، نشر دار الطليعة ــ بيروت ، الطبعة الاولى نيسان ١٩٧٠ ، صفحة ١٠٧ .

اليسار ، باعتبار ان **فلسطين موضوعيا** ــ وليس اقليميا او جغرافيا ــ تشكل اهم نقطة مواجهة مباشرة وساخنة بين قوى التحرر الوطني ــ والتقدم الاجتماعي العربية ، وبين الامبريالية والصهيونية والرجعية العميلة ، وتبقى القضية الفلسطينية ، القضية المركزية والاساسية للنضال العربي .

لم يتجاوز اليسار مواقعه السابقة ، الا في حالات نادرة وبشكل جزئي . كان تحرك اليسار ــ ولا يزال ــ بطيئا ، مملا ، قاتلا ، حركة النضال اسرع بكثير من تحرك هذا اليسار ، مع ان اليسار لا يمكن الا ان يكون طليعة . لكن الحقيقة في وطننا تقف على رأسها . اليسار العربي لم يتمكن حتى الان ان يكون طليعيا . المثال الواضح ، ان رصاصات المقاومة الاولى لم يطلقها اليسار وانما اطلقتها فتح . والمثال الصارخ الآخر ان اليسار العربي كان بعيدا عن المقاومة ، وحتى في حالات اقترابه المحدودة من المقاومة فانه كان حذرا وكأنه فتاة شرقية تخاف على عذريتها اذا سارت مع الرجال .

٥٠ ــ في شباط ١٩٦٩ اعلن قيام الجبهة الشعبية الديمقراطية لتحرير فلسطين ، يومئذ علقت الاوساط اليسارية اهمية بالغة على الجبهة الجديدة ــ القديمة . اعتقد البعض ان ج ــ ش ــ د . ستكون بداية ايجابية لعمل ثوري حقيقي ، رغم ما رافق تشكيلها من اشكالات . لم تعتبر «الديمقراطية» حلا لازمة اليسار ولكن في الحد الادنى اعتبر طرح «الديمقراطية» بداية لتمزيق الاقنعة واعلانا للحقيقة .

لم تتمكن ج . ش . د . من القيام بدورها ، لظروف واعتبارات مختلفة ، وبالتالي كانت جبهة «اليسار» كباقي منظمات المقاومة ، تقف على ارضية مهزوزة وتمارس احيانا ممارسات خاطئة . خيبة الامل كانت كبيرة ولكنها جاءت نتيجة منطقية للمقدمات .

٥١ ــ بعد انشقاق شباط وتشكيل الجبهة الديمقراطية ، لا يمكن اهمال التطور الذي حصل في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين . ج . ش . ايضا رفعت يافطة الماركسية ــ اللينينية ، وطرحت مجموعة من الشعارات الثورية ، ولكنها مع ذلك لم تقدم شيئا جديا . «الشعبية» لحقت «بالديمقراطية» او كادت ، وفي كثير من الاحيان كانتا تسيران بشكل متواز . كلتاهما لم تقدمان حلا ثوريا لازمة المقاومة ، مع انهما شكلتا نقطة متقدمة في حركة المقاومة .

٥٢ ــ قضية الحزب ، لم تعط الاهمية الكافية ، رغم انه بدون الجهاز السياسي ، المنظم ، الطليعي ، لا يمكن خوض معركة وطنية ، واجتماعية ظافرة . علما ان احتمالات تصفية المقاومة كانت قائمة دوما والضمانة الاساسية لمجابهة ذلك هي التنظيم السياسي ، الذي يشكل العمود الفقري لاي منظمة مقاومة ، بوجود الحزب لا يمكن تصفية المقاومة . حتى في حالات تصفية العمل العسكري ، فان التنظيم السياسي ــ المتمثل بالحزب ــ سيعمل وسيفرز عملا عسكريا جديدا . ان التنظيم الحزبي هو القاعدة الاساسية لكل الممارسات النضالية .

٥٣ ــ اليسار الشيوعي ــ (الاحزاب الشيوعية في المشرق العربي) ــ التحق

بحركة المقاومة في وقت متأخر (١) ، وبمنظمة خاصة (قوات الانصار) ، وتحت شعارات غير كاملة ، وبممارسات محدودة . هذا اليسار بقي رازحا تحت ثقل الماضي . الكفاح المسلح موقف جديد لهذا اليسار ، لذلك كان مترددا . **ربما** لو سمحت الظروف لامكنه تقديم شيء افضل !. ولكن تشكيل قوات الانصار كان بدون شك خطوة الى الامام .

٥٤ ـ الاحزاب الشيوعية في المشرق العربي ـ الاردن ، سورية ، لبنان ، العراق ـ كانت وراء تشكيل قوات الانصار . الانتقال الى العمل المسلح ترك آثارا على هذه الاحزاب ، وخاصة الحزب الشيوعي الاردني . «البعض» في الحزب الاردني لم يتحمل بتاتا هذا الموقف الجديد ـ الصحيح ، فكان الاختلاف ، ثم الانقسام . القسم الذي دعم «الانصار» ودافع عنها اقترب اكثر الى المواقع الماركسية الثورية والى الفهم اللينيني لطبيعة المعركة الدائرة في وطننا ، لذلك جاء انضمامه الى المقاومة الفلسطينية تصحيحا لبعض المواقف الخاطئة السابقة .

٥٥ ـ في العالم المتخلف ، يمكن تلخيص الموقف النضالي ـ مع شيء من التحفظ ـ على الشكل التالي : حزب ماركسي لينيني + كفاح مسلح .

الحزب الماركسي ـ اللينيني ، بدون الكفاح المسلح ـ في حال نضج الظروف لممارسته ـ يبقى عملا سياسيا اعزل ، قد يؤدي في معظم الحالات الى مواقف مهادنة وربما متخاذلة وبالتالي الى السقوط .

الكفاح المسلح ، بدون الحزب ، يبقى عملا عاطفيا ، بدون ضوابط ، قد يؤدي في معظم الحالات الى جنوح طفولي في الممارسة النضالية وبالتالي الى السقوط .

اساليب النضال في العالم المتخلف ، تختلف عنها في العالم المتقدم ، تبعا لاختلاف عدة عوامل واعتبارات ، في العالم المتخلف ، لا يمكن للمرء ان يكون ماركسيا ، ويناضل باساليب غرب اوربا . في العالم المتخلف المجابهة ساخنة ، وطنيا واجتماعيا . وقوى الامبريالية والرجعية لا تتخلى عن مواقعها الا تحت ضربات الثورة . لذلك فان الوضع يقتضي مجابهة مباشرة ومسلحة لمعسكر الاعداء .

هذا الكلام ، يجب ان لا يفهم منه ، ان العمل المسلح مناسب في جميع الظروف ، وفي كل مكان وزمان . لا ، قطعا ، والا انزلقنا الى مواقف قاتلة للعمل الثوري .

العمل المسلح ، لا يمكن ان يكون مفيدا ومجديا الا اذا توفرت له ظروف موضوعية وذاتية مناسبة والا فانه يتحول الى عمل انتحاري .

في المقابل ، فان على الحزب الماركسي ـ اللينيني ـ في العالم المتخلف ـ ان يضع في حسبانه انه سيضطر يوما لممارسة العمل المسلح ، واذا لم يضع هذا الاحتمال في برنامج عمله فانه سيفقد ثوريته ، لانه سيفقد اللغة التي يتعامل بها مع الواقع .

---

(١) في ٣ اذار ١٩٧٠ صدر البيان التأسيسي لقوات الانصار .

في الوطن العربي ، الشروط الموضوعية ، للعمل المسلح متوفرة في النقطة الملتهبة : فلسطين . المأساة تكمن في الظرف الذاتي لقوى الثورة .

ان المجابهة الكاملة للامبريالية العالمية بمختلف اشكالها وصورها ـ بما فيها الصهيونية ـ لا يمكن لها ان تكون مجابهة حقيقية وحاسمة ـ خاصة في العالم المتخلف ـ الا من خلال حزب ماركسي ـ لينيني ، يكون من خطة عمله ممارسة العمل المسلح في الظرف المناسب .

٥٦ ـ في ايلول ١٩٧٠ ابتدأت الضربات القاتلة توجه الى المقاومة ، بعد سلسلة من «التمارين» التي تمت في اوقات مختلفة في الفترة ما بين ١٩٦٨ ـ ١٩٧٠ وفي اكثر من مكان (الاردن ـ لبنان) .

امتلأ «المسرح» العربي بالممثلين ، كل يقوم بدوره في اتقان ، وانطلقت احصنة طروادة الصديقة ـ القاتلة . الكل يريد شيئا واحدا : وأد المقاومة . فكانت المجزرة.

٥٧ ـ الحل السلمي ، لا يمكن ان يمر ، الا فوق جثة المقاومة . المقاومة ـ برغم كل اوضاعها المتردية ـ تقف في وجه الحل السلمي . هذا هو الموقف الصحيح . ذلك ان الحل السلمي ليس «ازالة لآثار عدوان ١٩٦٧» وانما هو في الحقيقة تكريس للوجود الصهيوني في فلسطين ، وتنازل عن الحق العربي ، ومساومة على الشعب العربي الفلسطيني ، وقبول بالوصاية الامبريالية على الامة العربية .

الحل السلمي (الاستسلامي) : الامريكي ، الاسرائيلي ، العربي ، خيانة لحركة النضال العربي . اوساط عربية متعددة ترفض الحل ، ولكن الرفض لا يترجم الى موقف مادي الا في الساحة الفلسطينية ـ الاردنية ، ومن خلال حركة المقاومة . اذن من اجل مرور الحل لا بد من تصفية المقاومة ، من سحقها حتى يصبح طريق الحل ـ الهزيمة سالكا .

٥٨ ـ لم تكن المجزرة حدثا مفاجئا . جميع المقدمات كانت تدل على ان شيئا من هذا القبيل سيقع : قرار مجلس الامن الدولي رقم ٢٤٢ لعام ١٩٦٧ السيء الصيت + الموقف العربي + اوضاع حركة المقاومة + وبعد كل هذا ، او قبله او معه ، مبادرة «السلام» الامريكية التي حملت اسم ناظر الخارجية الامريكية روجرز .

في تموز ٩٧٠ اعلنت بعض الاقطار العربية قبولها بالمبادرة الامريكية ، وفي اواسط ايلول ١٩٧٠ وقعت المجزرة . انها «مبادرة سلام» حقا !!

٥٩ ـ بشكل عام ، التسوية السليمة لا يمكن ان تسير الا بتصفية المقاومة . والمشروع الامريكي ، لا يمكن ان يتحول الى صيغة عملية الا بتصفية المقاومة . النصوص توضح الحقيقة اكثر .

ورد في المشروع الامريكي المقترح بين الاردن واسرائيل «النقطة الثانية ـ الفقرة ب» ما يلي : «يتعهد الطرفان ان يقوما بكل ما في وسعهما لتأمين عدم القيام باي **اعمال عدوانية** او كراهية سواء من اجهزة الدولة او الموظفين او **الاشخاص العادين فيها او المنظمات تنطلق او تباشر من اراضي كل منهما» (١) .**

---

(١) نقلا عن صحيفة «فتح» الناطقة بلسان اللجنة المركزية ـ العدد ٣٦ الصادر يوم الاحد ٢٦ـ٧ـ١٩٧٠ «التشديد بالاسود من قبلي» .

ماذا يفهم من النص المذكور ؟ من المقصود غير المقاومة ؟ لقد نفذت الاردن تعهدها وجاء **روجرز** بنفسه ليتحقق من ذلك .

٦٠ ـ بدلا من ان تتحول عمان الى «هانوي» عربية وفلسطينية ، تحولت عمان الى «سايغون» عربية وامريكية .

٦١ ـ الاعداء قدروا، ان ضرب المقاومة يتطلب في الحد الادنى ١٢ ساعة وفي الحد الوسطي ٢٤ ساعة وفي الحد الاعلى ٤٨ ـ ٧٢ ساعة . من هنا كانت مؤامرة الصمت خلال الايام الثلاثة الاولى للمجزرة . كانوا يعتقدون ان رجال المقاومة والميليشيا سيلقون السلاح تحت اقدام العملاء مجرد تحرك الجيش وانطلاق المدافع والدبابات . اخطأت حساباتهم . القتال استمر اكثر من تقديراتهم . تقدير الوقت اللازم للاجهاز على المقاومة خانهم ، فانكشفت الاوراق . ابتدات المواقف الحقيقية تتضح . ذلك ان المزاودة الكلامية لم تعد تنطلي على احد ، والكلام مهما علا وان وصل الى درجة الصراخ لا يخفي الحقيقة . صمود المقاومة اكثر من الفترة الزمنية المتوقعة لانهيارها ادى الى كشف الحقائق . صمود المقاومة مزق اقنعة الزيف والخداع . ظهر موقف كل نظام حكم ، وكل منظمة ، وكل حزب ، وكل فئة ، وكل فرد ، على حقيقته .

لقد وقعت المجزرة تحت نظر وسمع العرب . ونجحت المجزرة ـ المؤامرة الى حد ، وفشلت المقاومة الى حد ، لكن الحقيقة في الحالتين ، انكشفت .

٦٢ ـ ممارسات المقاومة ، اردنيا ، بقيت قاصرة في ناحيتين ، الاولى : علاقتها مع القوى والعناصر الوطنية الاردنية ، حيث تعثرت الجهود لقيام الجبهة الوطنية الاردنية ـ الفلسطينية ، ان قيام تلك الجبهة كان سيحقق التحاما بين الساحتين الاردنية والفلسطينية وبالتالي فان قيام الجبهة كان سيقضي على التفرقة اللئيمة التي اثارها اعداء المقاومة بين اردني وفلسطيني .

الثانية : كانت في علاقتها مع الريف الاردني . كان على المقاومة ان تتعامل مع الريف مباشرة ، وان تستوعب اوضاعه ، وبالتالي ان تكسبه الى صف المقاومة، ومن خلال الريف الاردني كانت المقاومة ستدخل الى الجيش الاردني ـ عن طريق قواعده ـ حيث ان الجيش الاردني يتألف اساسا من ابناء الريف .

لكن المقاومة لم تتمكن من تخطي هذا الحاجز ، فكانت النتيجة ان الجيش كان ولا يزال ورقة رابحة في يد التحالف : القصر + التل + الكيلاني + المجالي ورفاقهم .

لا شك ان هناك اوضاعا خاصة للجيش ، وعوامل متعددة تؤثر في موقفه ، في مقدمتها الروابط العشائرية ، والامتيازات المالية التي يتمتع بها ، غير انه الى جانب ذلك فان السلطة الاردنية استغلت مجموعة من المواقف الخاطئة للمقاومة ، وضخمتها ، فاستثارت الجيش ، وفي النهاية صوّب الجيش مدافعه الى المقاومة، واثناء ذلك كانت الانحيازات ـ في صفوف الجيش ـ الى المقاومة محدودة وقليلة.

كان على المقاومة ان تكسب اجزاء من الجيش . وعندما نقول ذلك فاننا نعني اساسا قاعدة الجيش ، افراده ، ابناء الشعب ، الذين لا يمكن ان يكونوا في

النتيجة الا في الصف الوطني ، صف المقاومة الفلسطينية .

٦٣ ـ الالغام داخل المقاومة كانت تتفجر تباعا . العديد من حوادث القتل والسلب والنهب والتهريب والاعتداء ، وقعت ، ونسبت الى المقاومة . بعض تلك الحوادث ارتكبها عملاء اندسوا في صفوف المقاومة وبعضها الاخر ارتكبها عملاء الاجهزة الخاصة المرتبطة بالسلطة الاردنية . في عام ١٩٦٨ كان الذي يرتدي لباس المقاومة ويسير في طرقات اي مدينة او قرية يقابل باحترام وحفاوة . في عام ١٩٧٠ اصبح الذي يرتدي لباس المقاومة يقابل بنظرات الحذر والخوف . الاعداء استغلوا هذا الوضع ، وضخموا الحوادث ليكسبوا نقمة الجماهير على المقاومة . نجح العملاء في خطتهم الى حد بعيد . حماس الجمهور العربي للمقاومة ابتدا يفتر وفي بعض الاحيان انعدم ، وفي احيان اخرى تمكنت قوى العمالة من ان تضلل الجماهير وتجرها الى مواقف معادية للمقاومة .

هذه حقيقة ، يجب وعيها . اسباب ما حدث ، تعود الى بنية حركة المقاومة من جهة ، والى علاقتها العاطفية بالجماهير من جهة اخرى .

٦٤ ـ نجحت الى حد بعيد ، ابشع واقذر جريمة ، خططت لها ونفذتها قوى الامبريالية والصهيونية والرجعية العربية ضد الامة العربية . المقاومة سقطت في ايلول ١٩٧٠ . وما تبقى منها سقط تباعا في حوادث شتاء ـ ربيع ـ صيف ١٩٧١ . طريق الحل السلمي اصبح سالكا . فجاء السيد «روجرز» الى المنطقة .

٦٥ ـ في اواخر ايلول ١٩٧٠ ، كانت شوارع عمان والسلط والزرقاء واربد مغطاة بدماء شهداء المقاومة والميليشيا والابرياء ، في نفس الوقت اجتمع الزعماء العرب في القاهرة وخرجوا على الامة العربية بقرارات شكلية ، وصورة «كاريكاتورية» تصدرت معظم الصحف : احد قادة المقاومة يصافح ملك الاردن ويقبله .

لقد علقت تلك الصورة على اضرحة شهداء ايلول وفرشت بها شوارع عمان، لكن الصورة اصطبغت باللون الاحمر .

٦٦ ـ بعد لقاء القمة في القاهرة في ايلول ، قرر الملوك والرؤساء «حماية» المقاومة ، فارسلوا لجنة المتابعة برئاسة الباهي الادغم .

نعم ، بقرار من الملوك والرؤساء ، اصبح الادغم ـ احد اعمدة النظام البورقيبي ـ يمثل «الحماية» او «الوصاية» العربية على المقاومة . اليست مهزلة؟

٦٧ ـ استمرت المجزرة ، رغم «الحماية» العربية ممثلة «بالادغم ولجنته». الصورة في الاردن ، اختلفت . اعوام ٦٧ ، ٦٨ ، ٦٩ كان القصر **يدافع** عن وجوده امام المد الجماهيري المتمثل في حركة المقاومة . عام ١٩٧٠ اصبح القصر **يهاجم** ، وحركة المقاومة تدافع عن وجودها .

استمرت عملية سحق المقاومة ، وفي بعض الاحيان تبدو العملية ابادة للشعب الفلسطيني .

هذه هي المسيرة النضالية للمقاومة الفلسطينية ابتدات كأمل مضيء للامة العربية بعد هزيمة ٦٧ ، وانتهت تحت جنازير دبابات الجيش الاردني ، المنفذ

لاوامر القصر المعادي لاماني الجماهير .

٦٨ ـ لقد اصبح بالامكان تحديد العناصر الاساسية لمعضلة حركة المقاومة على الشكل التالي : (دون ان يكون للترتيب دور في تحديد الاولويات) :

١ ـ بنية المقاومة (الازمة التكوينية) .
٢ ـ الانظمة العربية .
٣ ـ غياب الدليل النظري للمقاومة .
٤ ـ مواقف اليسار الفلسطيني والعربي .
٥ ـ العلاقة مع الجماهير العربية .
٦ ـ تعدد المنظمات وعدم تحقيق الجبهة الوطنية .
٧ ـ ممارسات المقاومة (سياسيا ـ عسكريا ـ تنظيميا ـ ماليا ـ اردنيا) .

هذه العناصر ، يمكن اعتبارها ملخصا لازمة المقاومة . وقد حاولنا في البحث التطرق اليها دون تقسيم البحث ، وذلك لاننا نعتبر هذه العناصر متداخلة ومتشابكة وتشكل فيما بينها رابطة جدلية تعبر عن واقع الازمة . مع ذلك فان هذه المحاولة لا تعدو ان تكون في حقيقتها محاولة اولية لدراسة مسيرة المقاومة الفلسطينية .

٦٩ ـ النقد في مثل اوضاعنا ضروري جدا. ليست الغاية من النقد الوصول الى موقف يائس وانما الغاية من النقد محاكمة الواقع والتجربة والوصول الى الموقف الصحيح . بهذا يصبح النقد موقفا ضروريا وايجابيا .

خلال الفترة الماضية ، كتبت ونشرت عدة ابحاث نقدية عن المقاومة ، قدمها في معظمها افراد ، اما الدراسة النقدية الوحيدة التي اصدرتها احدى منظمات المقاومة فهي للجبهة الشعبية الديمقراطية (١) . الدراسة تشكل بداية نقدية ولكنها غير كافية . فيها جراة وفيها تحفظ . فيها حقيقة ، وفيها مواربة . ومع ذلك فانها تبقى ممارسة ايجابية .

من واجب فصائل المقاومة ، وخاصة اليسارية ، دراسة التجربة وامتلاك الجراة الكاملة لمجابهة الحقيقة .

لقد شكلت المقاومة الموقف المتقدم للنضال العربي من خلال المجابهة المسلحة والمباشرة للاعداء فهل تتمكن بقايا المقاومة من اتخاذ موقف متقدم بممارسة النقد الذاتي الواسع ودراسة التجربة للوصول الى الموقف الصحيح الذي يمكن ان يكون موقفا اكثر جدية وثورية لمجمل حركة النضال العربي ؟

٧٠ ـ ما العمل الان ؟ والى اين تسير بقايا المقاومة ؟ ان مستقبل المقاومة يمكن ان يتلخص في احد الموقفين التاليين :

الاول : ان ترضى بقايا المقاومة ، بان تلعب دورا تبعيا للانظمة العربية من

---

(١) كراس «حملة ايلول والمقاومة الفلسطينية» (دروس ونتائج) ، المكتب السياسي للجبهة الشعبية الديمقراطية . نشر دار الطليعة ـ بيروت الطبعة الاولى شباط ١٩٧١ .

خلال التعايش مع هذه الانظمة . هذا الموقف يؤدي الى تحويل المقاومة الى صورة شكلية تمارس المزاودة ، والى مكاتب رسمية تنحصر مهمتها بالشؤون الاعلامية . ان هذا الموقف سيعزل المقاومة عن الجماهير نهائيا كما انه سيبعد بين هذه البقايا والعمل المسلح . اي عمليا لن تكون هناك ممارسة جدية للنضال المسلح وبالتالي تصبح «المقاومة» بعيدة عن المقاومة .

يتبادر للذهن سؤال : هل تتكرر تجارب (حكومة عموم فلسطين ، والهيئة العربية العليا ، ومنظمة التحرير الشقيرية) تحت اسماء وعناوين جديدة ؟

اذا اختارت المقاومة لنفسها هذا الطريق ، فانها تعلن بذلك حكم الاعدام الذاتي . انه الانتحار . لانه في هذه الحالة ، لن تكون هناك مقاومة فلسطينية وانما وجاهات وزعامات جديدة تتناسب مع الظروف والاوضاع العربية القائمة . لن تكون المقاومة ـ عندئذ ـ اكثر من شكل من اشكال العمل الرسمي العربي . وبذلك تنتهي المقاومة الى حيث ارادوا لها ان تنتهي .

الثاني : الموقف الثاني او الاختيار الثاني للمقاومة يتلخص بان تتراجع المقاومة قليلا لتراجع نفسها ، وان تنسحب من دائرة الاضواء لتستعيد انفاسها ، وان تبدأ في ممارسة نقد ذاتي كامل وجريء ، وان تدرس التجربة بافق واسع لتحديد الاخطاء والاستفادة منها ، ويجب ان يصاحب كل ذلك تفجير لكل الالغام المنتشرة داخل المقاومة حتى لا تبقى تشكل خطرا في المستقبل وبعد ذلك التمهيد لانطلاقة جديدة يمكن ان تشكل النواة الايجابية لثورة فلسطينية ـ عربية .

ان نجاح الاختيار الثاني سيكون بمثابة بداية جديدة للمقاومة ، غير ان مدى نجاح هذا الاختيار يتعلق بشكل اساسي على الدور الذي سيلعبه اليسار الفلسطيني والعربي . لكن الواقع يدل على ان اليسار يعيش ايضا ازمة خانقة هي ازمة الحزب السياسي اليساري . لذلك ورغم كل التحفظات ، فان المعطيات تؤكد انه من واجب كل تجمعات اليسار وافراده المبادرة ـ وخاصة في المشرق العربي ـ الى مناقشة اوضاع هذا اليسار ، بشكل جدّي وبعيدا عن العصبيات والتزمت ، للخروج من الازمة القاتلة ، والانتقال الى موقف نضالي مشرف يتمثل اساسا في بحث امكانية ايجاد النواة الايجابية لحزب ماركسي ـ لينيني ـ ثوري ـ عربي .

ان نجاح اليسار في هذه المهمة سيترتب عنه دفع المقاومة الى الامام من جديد من موقع واضح واستنادا الى ارضية صلبة ، حيث ان الحديث عن مستقبل المقاومة في معزل عن اليسار هو ضرب من العبث .

من هنا يتبين مدى تداخل مهمات النضال العربي خلال المرحلة القادمة . ان انتشال المقاومة من واقعها المأساوي لا يمكن ان يتم بنجاح الا اذا تمكن اليسار من انتشال نفسه من واقعه المتردي . انها مهمة الطليعة ، انها مهمة اليسار الحقيقي. فهل يتمكن اليسار من ممارسة دوره التاريخي بعد ازماته المتعاقبة ؟

بعد كل هذا نقول : ان مستقبل المقاومة مرهون بمستقبل اليسار .

٧١ ـ مهما كانت الظروف ، يجب ان لا يتسرب اليأس الى النفوس ، ذلك

ان المناضل ينتهي مع بداية يأسه . اليساري الحقيقي لا يلقي السلاح الا الى الطبقة العاملة المنتشرة . والطريق الى التحرر الوطني الكامل والى الوقوف على عتبة الاشتراكية ، طريق شاق ومرير يتطلب بذلا وتضحية ، ذلك ان معسكر الاعداء يقاتل بضراوة وحقد وشراسة دفاعا عن مواقعه ، ولكن لا بد للعالم القديم من ان ينهار تحت الضربات المتلاحقة لقوى الثورة .

الفهرست

مدخل ٥

١ ــ شيء من التاريخ

الامبريالية الانكليزية وثورة تشرين الاول في فلسطين ٩

دور القيادة الفلسطينية في الحركة الوطنية الفلسطينية بين ١٩١٨ــ١٩٤٨ ٣١

الاحزاب الشيوعية العربية وقضية فلسطين ٤٩

الاممية الشيوعية وقضية فلسطين ٦٦

٢ ــ وجهات نظر من بعض فصائل المقاومة

حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح) ٧٨

جبهة التحرير العربية او التجربة القومية في العمل الفدائي ٩١

ملخص الرؤيا السياسية للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في مرحلة ما بعد ايلول ١١٣

٣ ــ المقاومة عسكريا

وقفة نقدية امام المقاومة قبل احداث ايلول وخلالها وبعدها ١٤٨

معركة ايلول عسكريا ١٥٩

الاستراتيجية العسكرية الصهيونية في مواجهة العمل الفدائي ١٦٨

٤ ــ مواقف وقضايا

مرة اخرى حول المقاومة الفلسطينية والموقف الراهن ١٧٣

ما هي الشروط الاساسية لانقاذ الثورة وتحقيق النصر ٢٠٧

حول الستراتيجية والتكتيك في حركة المقاومة ٢٢٣

المقاومة الفلسطينية : من اين ؟ الى اين ؟ ٢٤١

قائمة الكتب التي صدرت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر واسعارها

	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الثمن ب ل ل
١	تاريخ فلسطين الحديث	الدكتور عبد الوهاب الكيالي	١٠،٠٠
٢	نقطة البداية (طبعة ثانية منقحة ومزيدة)	الاستاذ ميشيل عفلق	٤،٥٠
٣	السبيل الى تحرير فلسطين	الدكتور منيف الرزاز	١،٢٥
٤	الوحدة العربية هل لها من سبيل ؟ (طبعة ثانية)	الدكتور منيف الرزاز	١،٠٠
٥	فرانز فانون	دافيد كوت	٢،٥٠
٦	ماركوز	اليسدير ماكنتير	٢،٥٠
٧	اليهودي اللايهودي	اسحق دويتشر	٢،٢٥
٨	المخفي من لورنس العرب	فيليب نايتلي وكولن سمبسون	٦،٠٠
٩	غيفارا	اندرو سنكلير	٢،٠٠
١٠	لا تراجع بل خطوة الى الامام	محمد مسعود الشابي	٣،٠٠
١١	السياسة المالية والتعبئة الدفاعية في لبنان	يوسف شبل	١،٥٠
١٢	الماركسية وحرب العصابات	ماركس ، لينين ، ماوتسي تونغ وآخرون	٤،٠٠
١٣	الوحدة العربية من خلال التجربة	شبلي العيسمي	٢،٠٠
١٤	برتراند راسل	جون لويس	٢،٥٠
١٥	الحزب القائد في النظرية والتطبيق	(مناضل عربي)	٢،٥٠

تحت الطبع

	اسم الكتاب	اسم المؤلف
ـ	رحلات الشيخ رشيد رضا	رشيد رضا
ـ	تطور الايديولوجية العربية الثورية	الدكتور الياس فرح
ـ	الموجز في تاريخ فلسطين الحديث	الدكتور عبد الوهاب الكيالي